رسائل

الشعائر الحسينيّة

رسالة الصولة للسيّد مهدي القزويني

ورسالة التنزيه للسيّد محسن الأمين

والرسائل المؤيّدة والمعارضة لهما

رسائل
الشعائر الحسينيّة

رسالة الصولة للسيّد مهدي القزويني
ورسالة التنزيه للسيّد محسن الأمين
والرسائل المؤيّدة والمعارضة لهما

تأليف
مجموعة من العلماء
جمعها وحقّقها وعلّق عليها
الشيخ محمّد الحسّون

الجزء الثالث

رسائل الشعائر الحسينيّة (الجزء الثالث)

الشيخ محمّد الحسّون

منشورات دليل ما

الطبعة الأولى: ١٤٤١ هـ. ق - ٢٠١٩ م

عدد النسخ: ٥٠٠ نسخة

المطبعة: نگارش

شابك(ج٣) : ٠ - ١١٤ - ٤٤٢ - ٦٠٠ - ٩٧٨

شابك(الدورة) : ٩ - ١١١ - ٤٤٢ - ٦٠٠ - ٩٧٨

الهاتف و الفكس: ٣٧٧٤٤٩٨٨ - ٣٧٧٣٣٤١٣ (٩٨٢٥+)

العنوان: ايران، قم، شارع معلم، بناية الناشرين، الطابق السادس، رقم ٦١٢ و ٦١٣

www.dalilema.ir | Info@dalilema.ir (للتواصل معنا)

سرشناسه : الحسون، محمد، ١٣٣٨ -
عنوان و پديدآور : رسائل الشعائر الحسينية : رسالة الصولة للسيد مهدي القزويني، و رسالة التنزية للسيد محسن الامين، والرسائل المويدة والمعارضة لهما / تاليف مجموعة من العلماء؛ جمعها وحققها و علق عليها محمدالحسون.
مشخصات نشر : تهران : دليل ما، ١٣٩٧.
مشخصات ظاهرى : ١٠ ج.
شابک : دوره: 9 - 111 - 442 - 600 - 978 ؛ ج٣: 0 - 114 - 442 - 600 - 978
وضعيت فهرستنويسى : فيپا
يادداشت : عربى.
يادداشت : كتابنامه.
موضوع : حسين بن على(ع)، امام سوم، ۴ - ۶۱ق. -- سوگوارى ها
موضوع : Hosayn ibn'Ali, Imam III, 625 - 680 -- Laments
موضوع : سوگواريها -- آداب و رسوم
موضوع : Mourning etiquette
موضوع : شعاير و مراسم مذهبى
موضوع : Rites and ceremonies
رده بندى كنگره : BP۲۶۰ /۳ / ح ۴۷۶ ر ۵ ۱۳۹۷
رده بندى ديويى : ۲۹۷/ ۷۴
شماره كتابشناسى ملى : ۵۴۵۰۰۱۳

منشورات دليل ما

www.dalilema.ir

دليل الكتاب

(٩) الكلمات التامّات في المظاهر العزائيّة لسيّد الشهداء، للميرزا محمّدعلي الغرويّ الأردوباديّ (ت ١٣٨٠هـ).

(١٠) الآيات البيّنات في قمع البدع والضلالات (المواكب الحسينيّة)، للشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء (ت١٣٧٣هـ).

(١١) الأنوار الحسينيّة، للشيخ عبدالرضا كاشف الغطاء (ت١٣٨٧هـ).

(٩)

الكلمات التامّات

في المظاهر العزائيّة لسيّد الشهداء عليه السلام(*)

تأليف

الميرزا محمّد عليّ الغروي الأُوردبادي

(١٣١٢ ـ ١٣٨٠هـ)

(*) هذه الرسالة أخذناها محقّقة من موسوعة العلّامة الأُردوبادي.

كلمة حول النهضة الحسينيّة:

إنّ دين الإسلام بعد أن استفحل أمره، وضرب بجِرانه ـ بفضل دعوة النبيّ صلى الله عليه وآله ومغازيه، وحِكمِهِ البالغة، ومساعي الخلفاء من بعده، حتّى إنّه طَنَّبَ[1] في أكثر القارّات، وتفيّأ بسجسج[2] ظلّه سوادٌ عظيم ـ ظلّ الكفر لا يُعتِّمُ[3] إلّا مُهدَّداً من حشد المُسلمين، محدُوداً بحُدُودِ الدين.

هنالك استفاق قومٌ من سنةٍ كانت غشيتهم، أم أنّهم انتهزوها فرصةً لإدراك تراتهم[4]، وإعادة وثنيّتهم الأولى، وبثّ تعاليمهم ومبادئهم التعيسة، فلم يجدوا بُدّاً من منابذة الإسلام.

لكن أعوزهم الطريق إلى ذلك، فرأوا أنّ العامل الوحيد لنيل تلك الأُمنيّة هو مسالمة الدين، والمصانعة للمسلمين ـ بالدعوة إليه، والأخذ بناصره ـ ثم يسِرُّون عليه حسواً في ارتغاءٍ[5].

---

(١) أي: استقر وأقام.

(٢) يومٌ سجسج: إذا لم يكن فيه حرٌّ مؤذٍ ولا قرٌّ.

(٣) لا يعتمُ: لا يلبث.

(٤) التراة: جمع الترة، أي: الثأر.

(٥) «يُسرُّ حسواً في ارتغاء»، الحسو: الشرب. والارتغاء: شرب الرغوة. وهو مثل يضرب لمن يريك أنّه يُعينك وإنّما يجر النفع إلى نفسه. انظر: مجمع الأمثال ٢: ٤١٧ المثل ٤٦٨٠.

فلم يألوا جهداً في إطفاء نوره، وإخماد نائرته ـ في لوائح كلماتهم، وفلتات ألسنتهم، ووخزات نصولهم وأسنّتهم، وإضمارهم الحقد الكمين ـ حتّى كادوا أن يبلغوا القصد، الذي أوشك أن يظلم على الناس جدد السبيل ـ من جهتهم ـ أمران:

الأوّل: ما كانوا يعرقلون به ـ أمام سير المسلمين ـ سنن الطريق؛ بستر الحقيقة وسلبها عن ذويها، والمجاهرة بالباطل في صورة مموّهة، ومخالسة الحقّ بالتمويه، واختلاق الروايات في فضل فراعنتهم، وتهديد من يروي حديثاً في فضل أهل البيت عليهم السلام، والأثرة بالمراتب والرواتب، واضطهاد من يكاشفهم؛ بالإرهاب، والوعيد، والقتل، والنهب، وتذكير الأغرار[١] بالأحقاد البدريّة وأوتارهم الموتورة، حيث ضربهم النبي صلى الله عليه وآله على الإسلام قدماً.

فما عتّم[٢] الدين الحنيف ـ وهو في ريعانٍ من قوّته، وذروة من رقيّه ـ إلّا وعصفت به زوابع الإلحاد، حتّى كادت أن تذريه الرياح هشيماً، وأوشكت البليّة أن تعمّ، وأن تعود الناس إلى جاهليّتهم الأولى.

الأمر الثاني: أنّ النفر الذين تسنّموا عرش الخلافة ـ أيّام كانت مُلكاً

---

(١) الأغرار: جمع الغرّ، وهو الجاهل والشاب لا خبرة له.

(٢) أي: ما لبث.

عضوضاً[(١)] ـ من أولئك الأقوام، مع أنّهم كانوا مظاهر لأنواع الفجور، والبادي عليهم هي أزياء الجاهليّة، غير مكترثين من التقحم في الملاهي وشرب الخمور والوقيعةِ في الأعراض، والزّنا، وو.. ومن أن يلغوا في دماء المسلمين، ومن إزهاق النفوس المحترمة... إلى غيرها ممّا ملأوا به عيابهم عيوباً.

كانوا ـ مع هذه المساوي والمخزيات ـ تحسبهم العامّة حلفاء الدين، وخلفاء نبيّ المسلمينﷺ، وأنّ منهم من كان من خواصّه وبطانته، ومبلّغي أحكامه.

فكان هذا من أكبر العوامل لتقهقر الناس عن لاحب النهج، فإنّهم لم يكونوا ليقروا بإمامة رجل مثل يزيد ـ مثلاً ـ إلّا وأنّهم يزعمون أنّ مخلّفه لابدّ وأن يكون من سنخه «إنّ الطيور على أمثالها تقع»[(٢)] و«الناس إلى أشكالهم أميل»[(٣)].

[من المنسرح]

---

(١) مُلك عضوض: شديد فيه عسفٌ وعنف، وفيه إشارة إلى ما روي من طريق العامّة: الخلافة بعدي في أمّتي ثلاثون سنة، ثم يكون مُلك عضوض. انظر: النهاية ٣: ٢٥٣.

(٢) هذا من أقوال المتأخّرين التي جرت مجرى الأمثال، ويروى أيضاً: «إنّ الطيور على أشكالها تقع».

(٣) في كنز الفوائد: ١٩٤ أنّ هذا من قول أمير المؤمنينعليه السلام: العقول ذخائر، والأعمال كنوز، والنفوس أشكال، فما تشاكل منها اتّفق، والناس إلى أشكالهم أميل.

أما ترى الفيل يألف الفيلا[١]

ولقد عُمّي عليهم أنّه خليفة أبيه، لا خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله، متى عرّفه؟ ومتى خلّفه؟ وهنا أُجعجعُ بالكلام، فالحديث ذو شُجون[٢].

وعلى العِلاّت[٣]؛ إنّ تلك الحال كانت تصدّهم عن الإذعان بدين هؤلاء حَمَلَتُهُ وعُمُده، فمن جرّاء هذه وتلك كادت أن تأتي سُدْفَةُ الباطل على بَلَج الحقّ.

وكانت هذه الطَّامَّاتُ ـ كلّها ـ بمرأىً ومشهد من سيّد الشهداء، وريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله، وسيّد شباب أهل الجنّة، وحبيب كلّ مؤمن ومؤمنة، الحسين بن عليّ عليهما السلام.

---

(١) هذا عجز بيت صدره:

وكل شكل لشكله ألفٌ

وهذا البيت قد أنشده الخليل بن أحمد الفراهيدي، حيث سأله أبو زيد النّحوي: لِمَ هجر الناس عليّاً عليه السلام، وقُرباه من رسول الله قرباه، وموضعه من المسلمين موضعه، وغناؤه في الإسلام غناؤه؟ فقال الخليل: بهر والله نوره أنوارهم، وغلبهم على صفو كُلّ منهل، والناس إلى أشكالهم أميل، أما سمعت الأوّل حيث يقول: وكل شكل... البيت. انظر: أمالي الصدوق: ٣٠٠، ح٣٤١، علل الشرائع ١: ١٤٥، الباب ١٢١ ـ ح١، روضة الواعظين: ١١٦.

(٢) أي: فنون متشعّبة، تأخذ منه في طرفٍ فلا تلبث حتّى تكون في آخر، ويعرض لك منه مالم تكن تقصده.

(٣) العلات: الحالات المختلفة، والشؤون المتنوّعة.

وهو أولى من يغار للدّين، ويُصْحِر بالحقيقة[1]، والمصلح الوحيد لتلك الكوارث الملمّة.

ولم تك ـ إذ ذاك ـ تنجع عِظَة ولا حجاج، فقد صادفت قلوباً غلفاً، وآذاناً صمّاً، وعيوناً عمياً، ﴿**خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ**﴾[2]، فعرف:

[من الكامل]

أنّ المواعظ لا تفيد بمعشرٍ   صموا عن النبأ العظيم كما عموا[3]

وما كان ليتمّ له لَـمُّ الشَّعث وتقويم الأَوَد ـ بإشهار السيف، مع الفوز بالغلبة الذي ما كان يعزّ عليه في ما نعتقد ـ فما كان يُحتفل به عندئذٍ إلّا بالحمل على المنافسة على الملك، وتطلّب السلطان.

وما كان يسمح له شرفه وحميّته الدينيّة أن يقرّ على حَسَكة الهوان، ويهدأ على الضّيم، فرأى أنّ أكبر عامل لبث مشروعه: أن يعيد إلى دين جدّه حياته الأبدية، وينعش رفاته، وأن يكاشف القوم، فيقف موقف المضطهد المظلوم، فيتجلّى لدى الناس ـ جميعاً ـ مبلغ هؤلاء من الدين،

---

(١) أي: يُظهرها.

(٢) البقرة: ٧.

(٣) ديوان السيّد جعفر الحلّي «سحر بابل وسجع البلابل»: ٤٣١، وروايته: عرف المواعظ... الخ.

وموقفهم من الإذعان برسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، إذ قد كان أجلى من الشَّمس الضَّاحية: أنّ الحسين ابن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وفلذة كبده، يؤلمُهُ ما يؤلمه، ويؤذيه ما يؤذيه.

وأنّه كان من عمدة آية التطهير، والمودّة في القربى، وحديث الثقلين، وسيّد شباب أهل الجنة... إلى فضائل لا تحصى، ولم يبرح جدُّهُ يوصي به، ويحثُّ على مودّته.

فبان لديهم ـ جميعاً ـ أن رجلاً أرهج عليه نقع[١] الحروب، وسعى في استئصال شأفته؛ حتّى بقتل ذراريه وأطفاله، وسبي نسائه ـ عقائل بيت الوحي، وربائب خدر الرسالة ـ أن رجلاً اقتحم في ذلك كلّه جدٌّ عريقٍ في الكفر، وأحرى أن يكون من دعائم الضلال، والدعاة إلى النار.

إنّ لموقف المظلوم أثراً باهراً في التأثير.

وإن وجد القائل منتدحاً لأن يقول ـ ولن يجد ـ في ضحايا مشهد الطف من الرجال: إنّهم قتلوا دون ما طلبوه ـ من المُلك ـ فما عسى أن يقول في تحذلقه على قتل الرضيع ـ مثلاً ـ؟

أفهل كان يروم سيطرة، أو يحاول سلطة؟

وهل كان يفُتُّ في عضدهم لو أغاثوه بشربة من ماء؟

(١) أرهج الرجل: أثار الغبار: والنقع: الغبار.

وما الذي يسوِّغه لك اعتبارك أن تقول غير: أنّ القوم غلبت عليهم شقوتهم، و﴿ **اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ** ﴾[(١)].

ومهما قلت قولاً، فماذا تحبِّذ لك حرّية ضميرك أن تقول في رضّهم صدره عليه السلام وظهره؛ بسنابك الخيل، حتّى قال قائلهم:

[من الرجز]

نحنُ رضَضنا الصَّدرَ بعدَ الظَّهرِ بِكُلِّ يعبوبٍ شديدِ الأسْرِ[(٢)]

هل كان يجديهم ذلك ـ بعد القتل ـ نفعاً؟ أو يزيد في سلطانهم؟

لا والله، بل قست قلوبهم ﴿ **فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً** ﴾[(٣)]، واعترف بذلك ابن مرجانة، لكنّه أمر بذلك لقولٍ سبق إليه[(٤)].

---

(١) المجادلة: ١٩.

(٢) القائل هو أسيد بن مالك، أو غيره من العشرة الذين داسوا الحسين عليه السلام بحوافر خيلهم حتّى رضوا صدره وظهره. انظر: اللهوف: ٧٩، ومثير الأحزان: ٦٠.

(٣) البقرة: ٧٤.

(٤) كتب عبيد الله بن زياد إلى عمر بن سعد لعنهما الله: فإن نزل حسين وأصحابه على الحكم واستسلموا فابعث بهم إليّ سلماً [أي أسرى مستسلمين]، وإن أبوا فازحف إليهم حتّى تقتلهم وتمثّل بهم، فإنّهم لذلك مستحقّون، فإن قُتل الحسين فأوط الخيل صدره وظهره... وليس دهري في هذا أن يضرّ بعد الموت شيئاً، ولكن عليّ قول لو قد قتلته فعلت هذا به. انظر: تاريخ الطبري ٤: ٣١٤، والإرشاد ٢: ٨٨، ومناقب ابن شهرآشوب ٣: ٢٤٧.

ولك العبرة في سبي النساء وسوقهن:

[من مجزوء الكامل]

أســـرى بـــلا خُمُـــرٍ، تَنـــا   هَبهــا ابــنُ عاصِــرةِ الخُمُــورِ[١]

وفي:

[من الطويل]

وُقوف بَناتِ الوَحْي عندَ طَليقها   بحالٍ بها يُشجِينَ حتّى الأَعاديا[٢]

وما ضرّ ذلك من كان يناويهم؟

وماذا استفادوا من جرائه؟

غير أنّه جرّت عليهم الويلات، وحفظ التاريخ لهم مسبّةً.

وما بدر إليه نغل هند ـ من الفظاظة والكلام الخشن مع بنات رسول الله صلى الله عليه وآله، وما كانوا يتمنّونه في نهبهم رحاله ـ بعد قتله وقتل أهله ورجاله، وذبح أطفاله ـ هل كان في ذلك مثراةٌ لهم؟

أم أنّهم حادُّوا الله ورسوله صلى الله عليه وآله؟

ومهما نسيت شيئاً، فلا تنس جرأته على الرأس الشريف بعد أن أطافوا به البلدان، ومجاهرته عندئذٍ بشرب الخمر وكلمة الكفر، والمس بقدس

(١) البيت للأوردبادي، انظره في ديوانه: ٢٢١.

(٢) ديوان السيد حيدر الحليّ ١: ١١٥.

رسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ[١]، وحسبانه أنّه اقتضى من النبي صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ ديونه[٢]، وأدرك أوتاره، وأنّه:

[من الرمل]

لعبت هاشمُ بالمُلكِ فلا خبرٌ جاءَ ولا وَحيٌ نَزَلْ[٣]

إلى غير هذه؛ من الفظائع والفجائع التي من جرّائها ذهبت مساعي تلك الفئة أدراج الرياح.

كان الحسين عَلَيْهِالسَّلَامُ عالماً بما يجري عليه في مشهد الطفّ ـ بإخبارٍ من جدّه، وأبيه، وأُمّه، وأخيه، وما خوّله الله تعالى من الكشف والشهود ـ كما هو منصوص في مكالمته مع أمّ سلمة ـ المرويّة في «البحار»[٤] ـ ومع أخيه

---

(١) في عيون أخبار الرضا عَلَيْهِالسَّلَامُ ١: ٢٥، ح ٥٠ عن الإمام الرضا عَلَيْهِالسَّلَامُ: لما حمل رأس الحسين عَلَيْهِالسَّلَامُ إلى الشام أمر يزيد لعنه الله فوضع ونصبت عليه مائدة، فأقبل هو لعنه الله وأصحابه يأكلون ويشربون الفقاع، فلما فرغوا أمر بالرأس فوضع في طست تحت سريره وبسط عليه رقعة الشطرنج، وجلس يزيد لعنه الله يلعب بالشطرنج ويذكر الحسين وأباه وجدّه صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ ويستهزئ بذكرهم... وانظره في من لا يحضره الفقيه ٤: ٤١٩، ح٥٩١٥.

(٢) في بحار الأنوار ٤٥: ١٩٩، ح ٤٠ عن خطّ الشهيد: لمّا جيء برؤوس الشهداء والسبايا من آل محمّد عَلَيْهِمُالسَّلَامُ أنشد يزيد لعنه الله:

لمّا بدت تلك الرؤوس وأشرقت تلك الشموس على رُبى جيرونِ
صاح الغراب فقلتُ صِحْ أو لا تَصِحْ فلقد قَضَيْتُ من النبيّ ديوني

(٣) انظر روضة الواعظين: ١٩١، والاحتجاج ٢: ٣٤، ومناقب ابن شهرآشوب ٣: ٢٦١، والفتوح لابن أعثم ٥: ٢٤١، واللهوف: ١٠٤، وتذكرة الخواص: ١٤٨.

(٤) في بحار الأنوار ٤٤: ٣٣١ ووجدت في بعض الكتب أنه عَلَيْهِالسَّلَامُ لمّا عزم على الخروج من المدينة أتته أمّ سلمة رضي الله عنها فقالت: يا بني لا تحزنّي بخروجك إلى العراق، فإنّي ⇦

عمر الأطرف ـ المذكورة في «اللهوف»[١].

ورؤياه في مسجد النبيّ صلى الله عليه وآله، المرويّة في «أمالي»[٢] الصدوق.

وفي كتابه إلى بني هاشم ـ لمّا فصل من المدينة ـ الذي رواه السيّد عن «رسائل»[٣] الكلينيّ.

وفي خطبته ليلة خروجه من مكة[٤].

وجوابه لمحمد بن الحنفيّة وابن عبّاس وابن الزبير؛ إذ أشاروا عليه بالإمساك، روى جميع ذلك في «اللهوف»[٥] وغيره.

وجوابه لعبد الله بن جعفر، ويحيى بن سعيد، وكلماتٍ له عديدة مرويّة

⇨

سمعت جدّك يقول: يقتل ولدي الحسين بأرض العراق في أرض يقال لها كربلا، فقال لها: يا أُمّاه، وأنا والله، أعلم ذلك، وإنّي مقتول لا محالة، وليس لي من هذا بُدٌّ، وإنّي والله لأعرف اليوم الذي أُقتل فيه، وأعرف من يقتلني، وأعرف البقعةَ التي أدفن فيها، وإنّي أعرف من يقتل من أهل بيتي وقرابتي وشيعتي، وإن أردتِ يا أمّاه أريتك حفرتي ومضجعي، ثمّ أشار عليه السلام إلى جهة كربلا فانخفضت الأرض حتّى أراها مضجعه ومدفنه وموضع عسكره وموقفه ومشهده، فعند ذلك بكت أمّ سلمة بكاءً شديداً، وسلّمت أمره إلى الله... إلى آخر الحديث.

(١) اللهوف: ١٩ ـ ٢٠.

(٢) أمالي الصدوق: ٢١٦ ـ ٢١٧، ح٢٣٩.

(٣) اللهوف: ٤٠ ـ ٤١.

(٤) اللهوف: ٣٨.

(٥) اللهوف: ٢١ ـ ٢٢ و٣٩ ـ ٤٠.

في تأريخ الطبريّ وابن الأثير[١].

وكان طبع الحال بحيث لا يخفى معه مصير أمرهﷺ على أحد، لِما عرفوه من تخاذل الناس، وأنّهم لا يرقبون فيه إلّاً[٢] ولا ذمّة، ولذلك نهاه عن المسير وأنذره كثيرون ـ إشفاقاً عليه من غدر أهل العراق ـ إذ لم يحيطوا خُبْراً بطويّاته، وما كان يبغيه من الحكمة الباهرة.

فمنهم: أخوه محمّد بن الحنفيّة كما في «اللهوف»[٣]، ومنهم: ابن عبّاس، وعمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزوميّ، وعبد الله بن جعفر ـ في كتابه إليه بعد خروجه من مكّة ـ ذكر ذلك كلّه ابنا جرير والأثير في تاريخيهما[٤].

ومنهم عبد الله بن مطيع ـ إذ اجتمع به في الطريق[٥] ـ ورجل من بني عكرمة[٦]، ورجلٌ من بني تميم؛ إذ لقيه قريباً من القادسية[٧]، والفرزدق الشاعر؛ إذ أتاه في الصفاح[٨]، روى جميع ذلك الطبريّ في «التأريخ».

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٢٩١، الكامل في التاريخ ٤: ٤٠.

(٢) الإلُّ: العهدُ.

(٣) اللهوف على قتلى الطفوف: ٣٩ ـ ٤٠.

(٤) تاريخ الطبري ٤: ٢٨٦ ـ ٢٩١، الكامل في التاريخ ٤: ٣٦ ـ ٤١.

(٥) تاريخ الطبري ٤: ٢٦٠ ـ ٢٦١.

(٦) تاريخ الطبري ٤: ٣٠١.

(٧) تاريخ الطبري ٤: ٣٠٢.

(٨) تاريخ الطبري ٤: ٢٩٠.

وأخبره الأسديّان بقتل مسلم وهانئ بن عروة، وجرّهما في الأسواق[١].

كلّ هؤلاء سألوه الإمساك عن المسير؛ لما عرفوه من طبائع أهل العراق، ونفاقهم، لكنّه صلوات الله عليه:

[من البسيط]

رأى بـأنّ سـبيلَ الغـيِّ متبـعٌ — والرَّشـدَ لـم يـدرِ قـومٌ أيّـةَ سَـلكا
والنـاسُ عـادت إلـيهم جـاهليّتُهُم — كأنّ مـن شـرَّعَ الإسـلام قـد أفِكَـا[٢]
وقـد تحكَّـم بالإسـلام طاغيـةٌ — يُمسـي ويُصـبح بالفحشـاء مُنهمكـا
العاصـرُ الخمـر مـن لُـؤمٍ بعنصـره — ومن خَساسـة طبعٍ يَعصر الودكـا[٣]
لئن جَرَت لفظةُ التوحيد فـي فَمـهِ — فسَـيفُهُ بسِـوَى التوحيـدِ مافَتَكـا
قَد أصبح الدِّينُ منه يَشْتكي سَقَما — ومـا إلـى أحَـدٍ غَيْـرَ الحُسَـيْن شَـكَا
فمـا رأى السـبطُ للـدِّينِ الحنيـفِ — إلّا إذا دمُـهُ فـي كـربلا سُـفكا
ومـا سَـمعنا علـيلاً لا عـلاجَ لـهُ — إلّا بـنفس مُداويـهِ إذا هَلكـا
بقتلـهِ فـاح للإسـلامِ نَشْـرُ هُـدىً — فكلّمـا ذَكَرتـه المُسـلمونَ ذكـا
وصانَ سترَ الهُدى عن كُـلِّ خائنـةٍ — سـترُ الفَـواطم يـومَ الطّـفِّ إذ هُتِكـا
نَفسـي الفـداءُ لفـادٍ شـرعَ والـدهِ — بنفسـهِ وبأهليـهِ ومـا مَلَكـا

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٢٩٩.

(٢) أفك: كذبَ.

(٣) ودك الميتة: ما يسيل منها.

قد آثرَ الدِّين أن يحيَى فقحَّمَها[١]   حيثُ استقام القنا الخطِّيُّ[٢] واشتبكا[٣]

فبإقدامه صلوات الله عليه ذلك كشف للعامّة ما انطوت عليه صدور القوم؛ من الضغن الجاهليّ، والإحن الكفريّة، وإنكار الرسالة، وإعادة الأدوار الوثنيّة، وما كانوا عليه من القسوة والفظاظة.

وكشف بذلك ما دارت به ألسنتهم عمّا كان يدور في خَلَدِهم منذ اقتضت الظروف والأحوال أن يسالموا المسلمين على مبادئهم وتعاليمهم؛ حقناً لدمائهم، وصوناً لأنفسهم وأموالهم.

فهو سلام الله عليه بين تلك الثنيّات[٤] استلفت الأنظار إلى الطريقة المُثلى؛ من ذكرى آل محمّدصَلَّىاللّٰهُعَلَيْهِوَآلِهِ، وسلفهم، وتعاليمهم، وشرائعهم، وحكمهم، وأحكامهم.

فعُرِف المحقّ من المبطل، وتميّز الخبيث من الطيّب، فشُظَّتْ[٥] جامعةُ من كان يناوئهم، وتفرّقت شَعاعاً، فهل تسمع اليوم عنهم ركزاً؟ أو تبصر باقية؟!

---

(١) قحّم نفسهُ في الأمر: رمى نفسه فيه فجأةً بلا رويّة.

(٢) القنا: الرماح، والخطّ: مرفأ السفن بالبحرين، وإليه تُنسب الرماح، لأنّه مبيعها لا منبتها.

(٣) من قصيدة للسيّد جعفر الحلّيرَحِمَهُاللّٰهُ، انظرها في ديوانه (سحر بابل وسجع البلابل): ٣٨٣ ـ ٣٨٤.

(٤) الثنيّات: جمع الثنيّة، وهي طريق العقبة.

(٥) أي: فُرّقت وطردت.

والحسين سلام الله عليه طَرَّق[١] بنهضته هذه السبيل لمن بعده، واستفزَّ الهممَ، واستثار العزائمَ، لأنّ الناس كانوا ـ منذ وضعت الحروب أوزارها من بعد أمير المؤمنين عليه السلام، وأنَّ معاوية كان يتتبّع أضداده من الشيعة، فكان يُودِي بهم[٢] تحت كلّ شجر ومَدَر ـ كانوا قد أطار أعينهُم الرعبُ، واستحكمت الرهبةُ في أفئدتهم.

فما كان يدور في خَلَدِ أحدهم أنّ مَلِكاً طَنَّبَتْ سلطتُهُ في أكثرِ القارّات، ومَدَّ رِواقَ سلطانِهِ على البلاد، وقد حَبَاهُ أبوه ذلك الجاه العريضَ، وبايعه عليه زعماء الأمصار، وهو لا يرقب في أضداده إلّاً ولا ذمّة.

ما كان يدور في خَلَدهم أنّه يتسنّى لأيّ ثائرٍ أن يناوئَهُ.

لم يَمْحُ ذلك الجُبْنَ ـ المسيطرَ على القلوب ـ إلّا بطلُ التأريخ، رجلُ البسالة، حسينُ الإباء والمجدِ والشرفِ.

فعرفوا أنّ من المستطاع مناجَزةَ متغلّبٍ كهذا.

كلمة في التمثيل:

لسنا في أمر التمثيل ببدعٍ من الأُمم، فلم تبرح ـ في أجيالها وأدوارها ـ مولعةً بتجسيم القصص الغابرة التي لها أهمّيّة في التأريخ.

والروايات المهمّة عاطفة على ذلك؛ حرصاً على إظهار فوائدها، وبثّ

---

(١) طَرَّقَ السبيلَ: جعله طريقاً.

(٢) يُودي بهم: يهلكهم ويقتلهم.

روحها التي من أجلها قام رجال الحزم بشؤونها وخصوصيّاتها، أو أنشأ رواياتها رجال عارفون.

إنّ أوّل مخترع للتمثيل «الهنود»؛ لما أوعزنا إليه من الحرص على تجسيم الحقائق بصورة معقولة تَرْسَخُ في القلوب، وترتسم فيها.

ذلك أنّ الفتاوى المجرّدة ـ مهما بلغ الإذعان بها، والوثوق بقائلها ـ فإنّها في حدّ اليقين، دون أن تكون مقرونة بآثارها الخارجيّة؛ من عاقبة محمودة، أو مغبّة وخيمة، فهي دلائل إنّيّة[1] على حقيقتها.

وفوق هذا المقام؛ أن يقف على نفس الحقيقة، يكون شهيداً عليها بالعيان.

وحيث إنّ هذا الموقف حَرِجٌ غايَتُهُ ـ في مَن تأخّر عن الواقعة، أو مطلقاً؛ كما في الروايات المُنشأة ـ فأقرب المجازات ـ أو قل: هي مرتبة نازلة عن تلك الحقائق ـ أن يقف على تجسيمها على ما هي عليها من مزايا وخصوصيّات.

كأنّ الواقف عليه ـ إذاً ـ يرى أنّ زيداً عمل كذا، فنال حظوةً بإثره، أو اقتحم في كذا، فعقّب ذلك ندماً، فينكفئ ـ إذاً ـ وهو مذعن بها إذعاناً لا يبارح العمل، أو العزم عليه على الأقلّ.

وحَسْبُ التمثيل بذلك أثراً كريماً باهراً.

---

(١) الدليل الإنّي: هو الدليل الذي يَدُلُّ على المعلول من خلال عِلَّته.

ثم تلقّاه عنهم الأوروبيّون، وحفلوا به ذلك الاحتفال الذي لم يدع صُقْعاً من أصقاعهم إلّا والتمثيل قلادةُ جيدِهِ، وغُرَّةُ جبينه؛ لِما شهدوا منه من قوّة الحجّة، وكرامة البحث توسّعوا في التمثيل ـ حَسَبَ اختلاف غاياتهم، وتَشَعُّب مغازيهم ـ بإقامته لجهات أخلاقية، أو فنون سياسيّة، أو شؤون علميّة، أو نكات أدبيّة، أو لطائف فكاهيّة، أو نزعات غراميّة.

ربّما أتوا بالأخير ترويحاً للخواطر، وتشحيذاً للأذهان، ولئلاّ يكونوا قد بهظوها بما يثقل عليها ـ من الأفكار العلميّة ـ فتسكن إليه النفس، وترتاح إلى اُنسياته، فتنشرح إلى غايات أخرى مهمّة.

اتّخذت الساسة ورجال الممالك الكبار التمثيل من أكبر العوامل لبثّ سياساتهم، فأفرغوه في قالب التفرُّج؛ جلباً لقلوب العامّة، فتهارعت إليه حسب اختلاف المرامي والنزعات ـ ولو لغايات طفيفة؛ من تفرّج ونحوه ـ فيصدرون ومِلءُ صدورهم علمٌ وسياسةٌ وأدب قد طرقن أحشاءهم وهم لا يشعرون.

ثم إنّ أمر التمثيل لم يبرح متسرّباً من فئة إلى فئة، وكلُّ عُصبةٍ يحفلُون بمقدمه، ويرحّبون به، ويتّخذونه وسيلةً إلى نيل غاياتهم، وما يتوخّون إنفاذ روحه في مجاسد(١) القلوب، حتّى تسالمت عليه الأُمم والشُّعوب.

---

(١) مجاسِد: جمع مِجْسَد، وهو الثوب والقميص المصبوغ بالصبغ الأحمر.

ربّما غالط القاصرون؛ بوجود غايات قبيحة في بعض التَّشبيهات، وأنّ المنبثّ فيه هو روح الفساد.

لكنّ الذي احتَقَبَ(١) ذلك الحُوبَ(٢) هو من زَفَّهُ بتلك الأطْمارِ(٣)، وصَبَّهُ في بوتقةٍ(٤) غير معتدلة، وهو المخاطب والمعاتب في ذلك.

ولا يمسُّ شيءٌ منها بكرامة التمثيل، وقوّته في الحجّة، ولا تتحوَّبُ بها حقيقته الراهنة.

ولذلك لم يحد عنها جيل، ولا استنكرتها أُمّةٌ، وإلى اليوم يأتون أهل السُّنّة في كلّ عام؛ من مصر ـ بتصديق من ملأهم، وإيعاز من جامعتهم وعلم من علمائهم ـ بشبيه هودج أم المؤمنين عائشة؛ بكلّ حفاوة واحتفال، قد اكتنفته الخيل والسلاح، مكسيّاً بالحلل المثمنة، والموسيقيُّ يعزف أمامه حتّى يرد مكّة.

ولم يردّ ذلك عليهم أحد، ولا كاشفهم عليه من يقام له وزن من فرقهم، عدا ما صدر في هذا العام من بعض مَن لا يعرف من الدين موضع قدمه، لكنّه ما فتئ حتّى التجأ إلى الإصلاح ـ بتقديس ذلك الشبيه ـ لما شاهد من

---

(١) أي: جمع، واحتقب الشيء: احتمله خلفه.

(٢) أي: الإثم.

(٣) الأطمار: جمع الطِمْر، الثوب الخَلَق.

(٤) البُوتقة: الوعاء الذي يذيب فيه الصائغ.

تهالك الجند المصريّ وتفانيهم في سبيل مشروعهم، وخشي عاقبة الأمر، وأنّ بنادق المصريّين قضت على بضعة نفوس منهم[١].

وإلى الأمس كانوا يأتون بالمحمل الشاميّ ـ شبيه محمل النبيﷺ ـ مقدّساً معظّماً[٢].

والنصارى لم تبرح عاكفةً على صُلبانها، وهو تمثيل للمسيح مصلوباً ـ في مزاعمهم ـ أو الخشبة التي صُلِبَ عليها، وهو من أكبر مقدّساتهم.

وكأنّهم يريدون بذلك أن تكون مظلوميّة المسيح قيد نظرهم، ورهن ذاكرتهم، فينشأ على ذلك وليدهم، ويتمرّن عليه ناشئهم، فيكون كلّ فرد منهم متأهّباً للوثوب والانتقام من أعدائهم ريثما اقتضت الظروف والأحوال، ويستمرّ على ذكرى المسيح، ومساعيه، وتعاليمه.

ولقوّة الحجّة في التمثيل، وظهور البيان؛ ما يصنعونه من تماثيل الرجال ممّن عمد إلى إصلاح أمّة، أو تنظيم قارّة، أو اكتشاف باهر، فيَصُبُّونَ له تمثالاً من نحاس، أو حديد أو غيرهما؛ وذلك إخلاداً لذكرهم، وتذكيراً

---

(١) [أشرنا إلى هذه الواقعة في تعليقنا على رسالة «المواكب الحسينية» للشيخ عبد الله المامقاني (ت١٣٥١هـ)، (المطبوعة ضمن هذه المجموعة)٢: ٢٣٥، نقلاً عن مقالة «أزمة سياسيّة بين مصر والسعودية بسبب محمل الحجّ» بقلم إبراهيم كامل. «الحسّون»].

(٢) [بيّنا هذا مفصّلاً في تعليقنا على رسالة «المواكب الحسينيّة» للشيخ عبد الله المامقاني (ت١٣٥١هـ)، (المطبوعة ضمن هذه المجموعة أيضاً)٢: ٢٣٦، نقلاً عن كتاب «دمشق في مطلع القرن العشرين» لمؤلّفه أحمد حلمي العلّاف. «الحسّون»].

بمآثرهم، وترغيباً للعامّة إلى مثل مساعيهم.

ولما ذكرناه ـ من كرامة التمثيل في الحُجَّة ـ أنّه لمّا كان من أمر الحسين عليه السلام ما كانَ، ضجّت الملائكة إلى الله بالبكاء، وقالت: يُفعل هذا بالحسين صفيّك وابن صفيّك وابن نبيّك؟ فأقامَ الله لهم ظِلَّ القائم عليه السلام، وقال: «بهذا أنتقم لهذا»، رواه في «أُصول الكافي»[1] وغيره؛ بالإسناد عن أبي عبد الله عليه السلام.

أخذت الشيعة التمثيل من أولئك الأقوام، فطفق يتهادى بينهم بمطارف في مذهبيّة، وحُلَل اجتماعيّة.

وكان له ـ بينهم ـ دورٌ مهمٌّ، ودَويٌّ سائر في كلّ عام، وذلك بمرأىً ومسمع من علمائهم.

وهو باق على أصالة الإباحة الحاكمة في كلّ ما لم يرد فيه نهي، وهي الأصل المسلّم عندهم في كل ما لا نصَّ فيه.

وإن تعجب فعجبٌ ـ بعد ذلك كلّه ـ قول من يطالب بدليل شرعيّ على جواز التمثيل.

وقد ذهب عليك ـ يا هذا ـ أنّ الذي يجب أن يُطالَب بدليله هو التحريم، اللّهمّ إلّا أن تتنكّب عن جَدَد السبيل في المسألة، لكنّك إذاً

[من الخفيف]

---

(١) الكافي ١: ٤٦٥، ح٦. وانظره في أمالي الطوسي: ٤١٨، ح٩٤١.

رُمْـتَ أَمـراً مِـن دُونِ إثباتِـهِ الوَيْــ ــلُ وَحَـزُّ المُـدَى وخَـرْطُ القَتَـادِ

وأمّا الكلام في باب الرجحان والاستحباب؛ فقد عرف المتبصّر الناقد أنّ الغاية من التشبيهات الحسينيّة هو تذكير المسلمين بما وقع هنالك؛ من ظلم واضطهاد، وقتل، ونهب، وأسر، وهتك لحرمات الله، ومسّ بكرامة رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ، واستئصالٍ لشأفة العترة الطاهرة عَلَيهِمُ السَّلَامُ، وما ظهر منهم؛ من مظاهر الإباء والحميّة الدينيّة، وجهاد في سبيل الله، وكرم في الأخلاق، وثبات في الجأش، ونضال باهر، ونِزال موصوف، وموقف كريم حمدته الحرب، وحفظه التأريخ، وتهشّ إليها أفئدة الشيعة وقلوبهم، وتستدرّ لها دموعهم، وتؤكّد بها عُرى المودّة في القربى فيهم، ويقفون بذلك على ما في شؤون الآل وأطوارهم تلك؛ من أخلاق كريمة، وتعاليم راقية.

وتبعثهم تلك الأحوال إلى العلم بما للحسين عَلَيهِ السَّلَامُ من يدٍ في الدين واجبةٍ، ومساعٍ مشكورةٍ ـ حسب ما قرّرنا شطراً منه في صدر هذه الرسالة ـ والسِّرِّ في إقدامه صلوات الله عليه ذلك الإقدام الباهر في سبيل الدين، وإعمالِهِ تلك الفلسفة الراقية، وإلى العلم بمبلغ أعدائهم من الدين، وما كانوا عليه من الحقد الكامن عليه، وانتهاز الفرص لإدراك ثارات بدر، والتواثب لشفاء صدورهم من محمّد ـ صلى الله عليه وآله وسلّم ـ وعترته، هنالك يعلم أنّ:

[من الطويل]

بأسياف ذاك البغي أوّلَ تسلّها[١]

ينكفئ الشيعيّ عن موقفِ التَّشبيهِ وقد بكى، ولان قلبُهُ، وتأكّدت علائقُ الولاء بينه وبين أئمّته، ووقف على علوم غزيرة من دينه وتأريخ سادته، وقد أدّى أجر الرسالة، وحضر مشهداً يُحيى فيه أمرُ آل محمّدﷺ و«عَلِمَ من أين تؤكل الكتف»[٢]، وممّن يتلقّى الدِّينَ، فيحوز بكلٍّ من تلك العناوين أجرَهُ المعدّ له، ويُعدُّ ممتثلاً للأوامر الواردة فيها.

والمقيم لتلك التشبيهات له ـ بكلٍّ من تلك الغايات ـ أجرٌ وذكرٌ، فعمله مشمول إطلاقات كثيرة، كقولهمعليهم السلام: «أحيوا أمرنا»[٣]، وما ورد في تحبيبهم وتثبيت قلوب شيعتهم، والبكاء والإبكاء عليهم، والحزن

---

(١) صدرُ بيتٍ لابن هاني الأندلسي كما في ديوانه: ٣٢٥، وعجزه:

أصيب عليٌّ لا بسيف ابن ملجمِ

وهو البيت ١٣٥ من قصيدته الميميّة العصماء ذات المائتي بيت، والتي مطلعها:

أصاخَت فقالت: وقعُ أجرَدَ شيظَم   وشامَت فقالت: لمعُ أبيضَ مِخذَمِ

(٢) مثل يضرب للداهي الذي يأتي الأمور من مأتاها، لأنّ أكل الكتف أعسر من أكل غيرها. انظر مجمع الأمثال ١: ٤٢، المثل ١٦٤ «إنّه ليعلم من أين تؤكل الكتف»، ٢: ٤٢، المثل ٢٥٩٣ «أعلمُ من أين يؤكلُ الكتف» ٢: ٥٢، المثل ٢٦٣٩ «أعلم من أين يؤكل الكتف».

(٣) قرب الإسناد: ٢٦، ح ١١٧، مصادقة الإخوان: ٣٢، ح ١، مستطرفات السرائر: ٦٢٦، ثواب الأعمال: ١٨٧.

لحزنهم عليهم السلام[١]، إلى غيرها من العناوين الشريفة التي أثبتها أئمّتنا صلوات الله عليهم في أحاديثهم.

ولو لم تكن؛ لكنّا في غنىً من آثار شريفة، وغايات كريمة تعيد للدّين جِدّتهُ في كلّ عام.

وها هنا حديث شريف رواه رضيّ الدين ابن طاووس في «مصباح الزائر» عن مولانا الصادق عليه السلام في الأمر بزيارة النبي صلى الله عليه وآله من بعيد، فقال عليه السلام: إنّه يسمعك من قريب، ويبلغه عنك من بعيد، فإذا أردت ذلك؛ فمثّل بين يديك شبه القبر، واكتب عليه اسمه ـ وتكون على غسل ـ ثم قم قائماً وقل[٢]: الحديث... وذكر زيارته مفصّلة.

وهذا أمر بإيجاد الشبيه ببعض صوره.

ويكفي في إثبات الطبيعة ثبوت بعض أفرادها، اللهم إلّا أن يرد النهي عن بقيّة الأفراد، وأين وأنّى؟

ليس من شرط التشبيه أن يكون المشبّه والمشبّه به من سنخ واحد، أو من أهل طبقة واحدة، فإنّ الغاية منه إظهار ما في المقام؛ من حكمة باهرة، أو حقيقة ناصعة، والتّسانُخُ لا مدخل له في ذلك، وإنما يستنتج ذلك من

---

(١) انظر: وسائل الشيعة ١٤: ٥٠٠ ـ ٥٠٩، الباب٦٦ «استحباب البكاء لقتل الحسين وما أصاب أهل البيت عليهم السلام وخصوصاً يوم عاشوراء واتّخاذه يوم مصيبة، وتحريم التبرّك به»، ١٦: ٣٤٥ ـ ٣٤٨، الباب٢٣ «استحباب تذاكر فضل الأئمّة وأحاديثهم وكراهة ذكر أعدائهم».

(٢) مصباح الزائر: ٦٦، وانظره في إقبال الأعمال ٣: ١٢٣، ومزار الشهيد: ١٠.

الوجود الخارجيّ محضاً، فربما يمثّل المعقول بالمحسوس.

فإذ يريد سبحانه تأكيد البيان ـ لأهل الموقف؛ لدوام النعيم المقيم، وأبديّة عذاب الجحيم، وأنّ الموت قد انقطعت علائقهُ، فلا يستريح أحد من عذاب النار، فهي حياة أبديّة، إمّا بحبور دائم، أو شقاء خالد ـ فإذ يريد سبحانه ذلك؛ يؤتى بالموت في صورة كبش، فيُذبح بين الجنّة والنار، فهناك تطمئنّ قلوب، وتغلي في حسراتها أخرى(١).

وحيث يريد أن يعرب عن مقام القرآن وعظيم محلّه؛ يحشره ـ يوم القيامة ـ في صورة شابّ حسن قد بهر الموقف حُسْنُهُ وجمالُهُ، فيشتبه على الناس أنّه نبيّ مرسل، أو ملك مقرَّب، فيؤذَّنُ فيهم: أنّه القرآن بحقائقه وشؤونه، فتجنح إليه قلوب من عمل به، واقتفى أثره، وتثلج صدورهم، ويتقلّب في سرحاته من حاد عنه في دنياه، وزاغ عن أوامره؛ لما يتجلّى لهم من حقيقة ما طرق أسماعهم عن أئمّة دينهم: أنّ القرآن شافع مشفّع، وماحل مُصَدَّق(٢).

وورد في الأحاديث(٣) تجسيم جملة من الأعمال والأيّام ـ كيوم

---

(١) انظر: كتاب الزهد: ١٠٠، ح٢٧٣، وتفسير علي بن إبراهيم ٢: ٥٠، والسنن الكبرى للنسائي ٦: ٣٩٣، ح١١٣١٧، والمعجم الكبير ١٢: ٢٧٧.

(٢) الكافي ٢: ٥٦٩ ـ ٥٨٩، ح١ من كتاب فضل القرآن.

(٣) في بحار الأنوار ٧: ٢٨٨ قال: قال الشيخ البهائي قدس الله روحه: تَجَسُّمُ الأعمال في النشأة الأخرويّة قد ورد في أحاديث متكثرة من طرق المخالف والمؤالف.

⇦

«الغدير» وغيره[(١)] ـ يوم القيامة، حيث يريد ـ جلّت قدرته ـ التنويه بعظيم محلّها، وتثبيت القلوب، وتبشير المؤمنين بما وعدهم من مثوباتها.

وكثيراً مّا يشبّه العالي بالداني، فقد تشبّهتِ الملائكةُ بأمير المؤمنينعليه السلام في غزاة بدر؛ حين رأى ـ جلّت عظمته ـ إظهارَ مقامِهِ صلوات الله عليه وإثباتَ رُعْبِهِ، والخَوفِ منه في قلوب الكفار؛ تأييداً للدين، فكان كلّ صريع يقول: صرعني عليّ، وكلّ أسير: أسرني علي[(٢)].

ومن مسلّمات الأحاديث: أنّ أمين الوحي وسيّد الملائكة ـ جبرئيل ـ كان يتشبّه كثيراً بدحيَة الكلبيّ[(٣)]، ودحيةُ رجل من سائر المسلمين.

ولمّا أراد اليهودُ صَلْبَ المسيح؛ ألقى الله تعالى شبهاً منه على «يهوذا الإصطخربوطيّ» وهو الذي كان يَنُمُّ على المسيح، ويَدُلُّ عليه الأعداء ليقتلوه، فقُتِلَ يهوذا ـ صلباً ـ بشبَه المسيح، إذ شبّهه الله سبحانه ـ وهو ألعن

⇨

وقال المازندراني في شرح أصول الكافي ٨: ٢٨٣ ـ عند شرح قوله «إذا دخل المؤمن في قبره كانت الصلاة عن يمينه» ـ: دلّ ظاهره على تجسّم الأعمال والأخلاق، والروايات الدالّة على تجسّم الاعتقادات أيضاً كثيرة.

(١) في إقبال الأعمال ٢: ٢٦٠ عن الرضاعليه السلام: إذا كان يوم القيامة زفّت أربعة أيّام إلى الله كما تزفّ العروس إلى خدرها... يوم الأضحى ويوم الفطر ويوم الجمعة ويوم الغدير... الحديث.

(٢) انظر: الفصول المختارة: ٢٩٤ ـ ٢٩٥، ومناقب ابن شهرآشوب ٢: ٧٩.

(٣) انظر: أوائل المقالات للمفيد: ٢٨٨، وفيض القدير للمنّاوي ١: ١٢٩.

أهل ذلك العصر ـ بنبيّه لغرض صحيح؛ من إنجاء المسيح عليه السلام وتعذيب عدوّه بالقتل، وهو قوله سبحانه: ﴿ **وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ**﴾[١]، وليس في ذلك شيء يَمَسُّ بكرامة المسيح.

﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا * فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا**﴾[٢]، فهذا روح الله ورسوله، انظر كيف تمثّل لها كأحدٍ من البشر؟

بل في بعض روايات أهل السُّنّة أنّه تمثّل برجل شقيّ كان يسمّى تقيّاً[٣].

وفي أحاديثنا: أنّ الملائكة لمّا اشتاقت إلى زيارة أمير المؤمنين عليه السلام ولم يكن يسعهم الهبوط في كلّ وقت إلى الأرض، لذلك جعل الله سبحانه في السماوات مثالاً له تلوح عليه مظاهر الجلال والجمال، فتأتيه الملائكة ـ زرافات ووحداناً ـ فتزوره، وتسكن إليه، وتأخذ لُبانتها[٤] من رؤيته، وتستحكم فيهم ـ بذلك ـ عُرى حبّه وولائه، فيصيبها أجر الموالاة

---

(١) النساء: ١٥٧.

(٢) مريم: ١٦ ـ ١٩.

(٣) روح المعاني ١٦: ٧٧.

(٤) اللُّبانة: الحاجة.

والزائرين[١].

ولمّا ضربه ابن ملجم بالسيف على رأسه؛ بدت لها ـ في محلّ الضربة منه ـ شجّة، وذلك إعلاماً للملائكة بمظلوميّة أمير المؤمنين عليه السلام، وما وقع عليه في فادح المصاب، وجليل الرُّزء، فتستاء لذلك، وتلعن من اعتدى عليه، وتُؤجر أجْرَ أهل الأسى والمستائين لله، ولِمَا أصيب به وليّ الله صلوات الله عليه[٢].

وإذ شاء ـ عظمت منّته ـ التنويه للملائكة بمقام المؤمنين، وتعريفها لحقائق أعمالهم وشؤونهم؛ جعل لكلّ واحد منهم في العرش مثالاً، فإذا اشتغل العبد بالركوع والسجود فعل مثاله مثل ذلك، فعند ذلك تراه الملائكة فيصلّون عليه، ويستغفرون له، وإذا اشتغل بالمعصية أرخى الله على مثاله ستراً.

روي ذلك عن مولانا الصادق عليه السلام[٣].

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ١٣٩، ح١٥، مائة منقبة: ٣٣، المنقبة ١٣، كنز الفوائد ٢٦٠، مناقب ابن شهرآشوب ٢: ٧٣.

(٢) المحتضر: ٢٥٥ ـ ٢٥٦، ح٣٤٢. وفيه: قال أبو عبد الله عليه السلام: فلمّا ضربه اللعين ابن ملجم على رأسه صارت تلك الضربة في صورته التي في السماء، فالملائكة ينظرون إليه غدوة وعشية، يلعنون قاتله ابن ملجم.

(٣) في مفتاح الفلاح: ١٥٦ عند قوله عليه السلام: «يا من أظهر الجميل وستر القبيح»، قال: روي في تأويله عن الصادق عليه السلام أنّه قال: ما من مؤمن إلّا وله مثال في العرش. فإذا اشتغل بالركوع

⇦

ولمّا أراد ـ عظم برهانه ـ أن يُبيّنَ للأُمَّةِ شيئاً من جليل خطر الحسن والحسين عليهما السلام، وأنّهما مابَرِحا بعين الله في سائر أحوالهما، وقد انتهى بهما السير إلى حديقة بني النجّار فناما هنالك، فأخذ النبي صلى الله عليه وآله ورهطه في طلبهما حثيثاً، فوقفوا عليهما وهما نائمان، وقد أحدق بهما مَلَكانِ قد تشبَّهَا بثُعبانين يحرسانهما(١).

وروى السيّد الجزائريّ في «الأنوار النعمانيّة»: أنّ أمير المؤمنين عليه السلام جاء إلى ولده الحسين صلوات الله عليه ـ بعد أن انجلت عنه الغبرة، وهو وصحبه مُلْقَون على وجه الصعيد ـ بصورة الأسد، فأتاه وجلس عنده وبكى عليه(٢).

ولا تنس نبأ ضيف إبراهيم ـ وهم الملائكة ـ قد تمثّلوا كآحادٍ من البشر، ونزلوا عليه، ثم ذهبوا عنه ليدمّروا على قوم لوط ديارهم، ونزلوا على لوط كذلك، وقد تكفَّل القرآن المجيد بحديثهم(٣).

⇨

والسجود ونحوهما فَعَل مثالُهُ مِثلَ فعله، فعند ذلك تراه الملائكة فيصلون ويستغفرون له، وإذا اشتغل العبد بمعصية أرخى الله على مثاله ستراً لئلا تّطلع الملائكة عليها.

(١) أمالي الصدوق: ٥٢٨ ـ ٥٣١، ح٧١٧، روضة الواعظين: ١٥٨ ـ ١٥٩، مناقب ابن شهرآشوب ٣: ١٩٠، الروضة: ٨٨، ضمن الحديث٧٩ وهو حديث الأعمش والمنصور العبّاسي.

(٢) الأنوار النعمانيّة ٣: ٢٤٩ ـ ٢٥٠، «نورٌ في بعض أحوال واقعة الطفوف».

(٣) الحجر: ٥١ وما بعدها.

ولا تذهب عليك قصّة باب الثُّعبان من مسجد الكوفة حين أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يخطب ـ والمسجد غاصّ بحشد أصحابه ـ فتطلّع من باب المسجد ثعبان، فتخطّى الناس حتّى انتهى إليه، وأمرهم عليه السلام أن يفرجوا له، فأنهى إليه ما لقيه من عَدَاءٍ من قِبَلَهُ من متغلّبي قومه، فأصاخ صلوات الله عليه إليه، وكشف ما به من غمّة، ثم انكفأ عنه، فأخبر عليه السلام أنّه من مؤمني الجنّ أتاه يشكو إليه بثّه وحزنه[1].

فسمّي الباب: باب الثعبان، لما ظهرت منه من المعجزة الباهرة.

ثم لمّا آل الأمر إلى بعض متغلّبي مَن بعده عليه السلام رَبَطَ تجاه الباب ـ رَدْحاً من الزمن ـ فيلاً؛ إنساءً لذلك الاسم، وإبطالاً لتلك المعجزة، فسمّى: باب الفيل[2]، ﴿ **وَيَأْبَى اللّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ** ﴾[3].

إذاً فلا تحفل بتهويل من يحادّ الله؛ بإبطال الشعار الحسينيّ صلوات الله عليه، بأنّ تشبيهات يوم الطفّ تمثيلَ رجالِ الدين العظام برجال عاديّين.

أروني ماذا الذي يدلّ على تحريم ذلك من الدين؟

وهل يقول المتشبّه: إنّه هو بعينه، فيمسّ بكرامة المشبّه به؟

أم إنّه يريد تمثيلَ تلك الفاجعة فحسب، لكي يكون المسلمون على ذكرٍ من فوادحها، وفوائدها، ومساعي صاحبها في سبيل الدين، وحفظ

---

(١) الكافي ١: ٣٩٦، ح٦، بصائر الدرجات: ١١٧، ح٧، روضة الواعظين: ١٢٠، الخرائج والجرائح ١: ١٨٩، ح٢٣، العقد النضيد: ٢٠ ـ ٢١، الإرشاد ١: ٣٤٩.

(٢) انظر: منهاج الكرامة: ١٧٣، وبحار الأنوار ٩٧: ٤٠٦.

(٣) التوبة: ٣٢.

شرف المسلمين، فتكون غضّة على مرّ الدهور، فيحتذون مثاله في أعماله، وشؤونه، وإبائه، فلا تتقاذف بهم الأهواء أنّى شاءت.

وما يقال: من أنّ ذلك يوجبُ سخريّةَ أعداء الدين، لاسيّما إذا وقع بين ظهرانيهم في بلاد تكثر فيها الأخلاط منهم، كالبصرة وبغداد وأشباههما.

فإن أصاخ المتديّن في أعماله إلى هُزْء المستهزئين ـ الذي هو آية المباينة في الدين ـ لزمه التسلّل والنُّكوص عن كثير من أحكام دينه، ممّا تعزب عن البسطاء حكمه ومصالحه، فلا يحفلون به إلّا بالسخرية والازدراء، كالحجّ الذي ما برحت أعماله سخرية الساخر ـ منذ شُرعت ـ حيث لم يبلغ بهم العلم إلى فلسفة تلك الأحكام، وغاياتها الراقية، وهذه كتب غير المسلمين حافلة بالازدراء بها.

وقد ورد من هُزْء ابن أبي العوجاء[1] والديصانيّ بهاتيك الأعمال شيء كثير[2].

(١) انظر: الكافي ٤: ١٩٧، ح١ ففيه قول ابن أبي العوجاء للإمام الصادقعليه السلام: إلى كم تدوسون هذا البيدر، وتلوذون بهذا الحجر، وتعبدون هذا البيت المعمور بالطّوب والمدر، وتهرولون حوله هرولة البعير إذا نفر. وانظره في أمالي الصدوق: ٧١٥، ح٩٨٥، والتوحيد: ٢٥٢، ح٤، وعلل الشرائع ٢: ٤٠٣ ح٤ ومن لا يحضره الفقيه ٢: ٢٤٩، ح٢٣٢٥.

(٢) في الاحتجاج ٢: ١٤٢ اجتمع ابن أبي العوجاء، وأبو شاكر الديصاني الزنديق، وعبد الملك البصري، وابن المقفّع، عند بيت الله الحرام، يستهزؤون بالحاجّ ويطعنون بالقرآن... الخ.

وحاول بعضهم أن يجعلها من المضرّ بالصحّة، ويقول: إنّ ذبائح الهدي في الحجّ ـ التي تذهب بلا نفع، وتُبذل بإزائها الأموال الطائلة ـ لو تصرف أثمانها إلى سبيل المعارف؛ لكان هو الأوفق للعقل والمنطق.

وعلى هذا الوتر يضرب، وبقيثارته يغنّي؛ من يقول مثل ذلك في صرفنا الأموال الطائلة في إقامة الشعار الحسينيّ صلوات الله عليه.

وقد قال الله سبحانه: ﴿ **وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا** ﴾[١]، نزلت حيث كان اليهود يهزَؤون بالأذان، فلم يرفع سبحانه ـ لأمثال ذلك ـ حُكْمَ الأذان والحجّ، وتعدّد الزوجات، والطلاق ـ المُزْرَى بهما عند النصارى ـ إلى غيرها من الأحكام، ولا صَدَعَ به نبيّه ـ ولا امتنَعَ عنه المسلمون في أجيالهم.

وإنّ موقفنا في العزاء الحسينيّ كمواقفنا في تلك الأحكام، لا نبالي فيه بهَمْلَجاتِ المستهزئين.

ولو كان في مثلها عن أمرٍ مُزْدَجَر؛ فما بالهم لا يكفّون عن أضاليلهم؟ و﴿ **اللّهُ يَسْتَهْزِىءُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ**﴾[٢] و﴿ **إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ** ﴾[٣].

أم أنّ باءَهم تَجُرُّ وباءَنا لا تجرّ؟

---

(١) المائدة: ٥٨.

(٢) البقرة: ١٥.

(٣) هود: ٣٨.

وإنّ لغيرنا أحكاماً وعادات أجدر بها أن تكون سخرية لساخر، لكنّي أضرب عنها صفحاً حذار إيقاظ الفتنة، وإثارة الخلاف.

وأَحْرِ[١] بالجامعة الإسلاميّة، والعاطفة البشرية؛ أن تكونا مانعتين عن كلّ حزازة بين أبنائهما.

زبدة المخض: أنّ أمر التمثيل ممّا دان به الفريقان أهل السُّنّة والشيعة، واتّفقت عليه الملّتان المسلمون وغيرهم، وتطابق فيه الثقلان الجنّ والإنس، وجاء به العالمان المُلك والملكوت، وتوافقت عليه النشأتان الدنيا والآخرة، وأمضاه الشارع، وأخذ بناصره العقل والمنطق، وعَضَدَهُ الأصل المسلَّم في الشبهات التحريميّة الحكميّة.

وتلك فتاوى جمعٍ من أساطين الدين؛ نصوصٌ في ما أنهيناه، لكنْ لا بما أنّ المسألة ممّا شجر فيه الخلاف، كيف؟ وهي غير معنونة في أكثر كتب الفقهاء، كغير يسير من المسائل التي لم يَتَسَنَّ لهم ذكرها في الكتب.

فمنهم: العلاّمة كاشف الغطاء، فنفى البأس عنه وعن أمثاله من المظاهرات ـ إن لوحظ فيها الرجحانيّة من جهة العموم، لا بقصد الخصوصيّة والورود[٢]، كما قدّمناه ـ

ويروى عنه، وعن آية الله بحر العلوم قدس سره: أنّهما كانا يمدّان مقيمي

---

(١) أي: أجدر.

(٢) كشف الغطاء: ٥٤ قال: وجميع ما ذكر وما يشابهه إن قصد به الخصوصيّة كان تشريعاً، وإن لوحظ فيه الرجحانيّة من جهة العموم فلا بأس به.

التمثيل بالمساعدة، ويعضدانهم بالحضور والمشاهدة.

وأمّا الإمام المحقّق القمّي؛ فقد صرّح بإباحة جميع أقسامها ـ بل واستحبابها ـ في غير مورد من «جامع الشتات»[1].

وذكر شيخ الطائفة العلاّمة الأنصاريّ ـ في رسالة له تسمّى «سرور العباد» ـ: أنّها مباحة ما لم تستلزم محرّماً آخر؛ كالغناء، والضرب بالدفوف والمزامير[2].

وكذلك المولى الفاضل، الحبر البحر، المحقّق الدربنديّ في «أسرار الشهادة»[3].

وأمّا مجدّد مذهب الشيعة ورئاستها في القرن الرابع عشر، الميرزا محمّد حسن الشيرازيّ؛ فقد أقرّ أستاذَه على هذه الفتوى في الهامش.

وكان في «سامرّاء» تخرج من داره الجماهير ـ من الطلبة وغيرهم ـ عراة الصدور، مكشوفي الرؤوس، ومن خلفهم العلماء من تلمذته، والتبن ينثر على رؤوسهم، ومعهم التشبيهات؛ من نعشٍ محمول، وخيل مكلّلة بالنبال، وأعلام، وغيرها.

وفي يوم عاشوراء يخرج الشبيه من داره إلى الأزقّة والفجاج، وكان

(١) انظر: جامع الشتات ٢: ٣٧٨ ـ ٣٧٩.

(٢) سرور العباد: ٦١.

(٣) أسرار الشهادة ١: ١٩٣.

ذلك سنّة متّبعة منه حتّى بعد وفاته، فكان يقيمه خلفه آية الله الميرزا عليّ آغا، والميرزا محمّد تقيّ الشيرازيّ، فكانت الهيئة تخرج كما كانت، وفيها أنفار يضربون بالسلاسل، ومع المواكب نعش مجلّل بالسواد، وحوله الأعلام السود والخضر والحمر، وأمامه فرس مجلّلة بالسواد، وعليه سيف ودَرَقة، وفرس مكلّلة بالنبال بأجمعها.

هذا، ونفس الآغا يمشي ـ هو ومن لاث به؛ من المشايخ، والصدور ـ بلا عباء، وربّما كان يمضي معهم آية الله الميرزا محمّد تقيّ إذا لم يمنعه ضعف مزاجه.

وإنّ سيّدنا «الصائل»[(١)] ممّن شهد تلك المشاهد، وأحاط خُبراً بخبر تلك المجتمعات، ثم بعد لأْي من عمره أخذته الغِرّة، وساعدته الفترة.

وممّن أقرّ الشيخَ الأنصاريّ قدّس سرّه على فتواه المتقدّمة ـ من المحشّين ـ العلاّمة الشهير، والزعيم الخطير، المولى محمّد كاظم الخراسانيّ.

---

(١) يعني السيّد مهديّ الكاظمي القزويني المعروف بالكيشوان، صاحب مقالة: «صولة الحقّ على جولة الباطل» وهي مطبوعة [ضمن هذه المجموعة٢:١٦٥. الحسّون]، وقد ردّ عليه أيضاً العلامة الشيخ يونس [كذا، والصحيح: حسن المظفّر ابن الشيخ عبد المهدي ابن الشيخ إبراهيم (ت١٣٨٨هـ)، انظر ترجمته في هذه المجموعة١:١٣٤. الحسّون]. المظفّر رحمه الله في رسالة «نصرة المظلوم» وهي مطبوعة [ضمن هذه المجموعة ٢:٣٢٧. الحسون].

وقد نصّ على مثل ذلك شيخ الفقهاء، الشيخ زين العابدين المازندرانيّ الحائريّ؛ في «ذخيرة المعاد»(١).

وكان العلاّمة حجّة الدين الشيخ محمّد طه نجفقدس سره يقيم في داره ـ أيّام عاشوراء ـ مأتماً حافلاً بالعلماء وغيرهم، ويؤتى فيه ـ بعض أيّامه ـ شطر من الشبيه ـ بعلمه وإيعازه ـ وكذلك في مأتم العلاّمة الفقيه السيّد محمّد بحر العلوم.

وعدّ العلاّمة البحّاثة الميرزا أبو الفضل ابن المحقّق الميرزا أبو القاسم ـ صاحب تقرير بحث أستاذه آية الله الأنصاريّ ـ في «شفاء الصدور» ـ ممّا يقع يوم عاشوراء في بلاد الشيعة ـ: التشبيه، وتمثيل وقائع ذلك اليوم، وتمثيل الضريح المقدّس في بعض البلاد الهنديّة، قال: إن كلّها مشروع راجح في الشريعة المطهّرة، ثم طفق يبرهن على مدّعاه بكلّ سداد(٢).

ونقل الفاضل الدربنديّ عن الآغا عبد الحسين ابن الوحيد البهبهاني: أنّه حضر ـ بهمدان ـ مأتماً جيء فيه بشبيه القاسم بن الحسينعليهما السلام وعرسه، وفيه شيءٌ من الضرب بالطنابير والمزامير، فارتفع الضجيج والعويل، وكان الآغا ممّن كثر منه البكاء والنحيب، فقام عند انفضاض المجلس وعيناه متورّمتان، ولم يَنْهَ عن شيءٍ من ذلك(٣).

---

(١) انظر: إرشاد العباد إلى استحباب لبس السواد: ٥٣، نقلاً عن ذخيرة المعاد.

(٢) شفاء الصدور في شرح زيارة العاشور ٢: ٣٠٧ ـ ٣٠٩.

(٣) أسرار الشهادة ١: ١٩٣ ـ ١٩٤.

على أنّ تلك الواقعة ممّا لا نقطع بوقوعه، بل صرّح بعض بتفنيدها[١].

وفي «الدعاة الحسينيّة»[٢] تفاصيل تتعلّق بالمقام، لم يبارح فيها الخطّة التي سلكناها.

كلمة في تشبيه النساء:

لا أَنْبِسُ في كلمتي هذه ببنت شفة[٣]، غير أنّي أذكر لك كلماتٍ من أساطين الفقهاء:

إنّ لُباب ما عند الفقيه الإمام العلاّمة القمّي في «جامع الشتات»: الفرق في التشبّه بالنساء؛ بين ما إذا قصد التشبّه بهنّ والتمثّل في زيهنّ من حيث هنّ، وما إذا نوى التشبّه بفرد منهنّ لخصوصيّة فيه يريد إظهارها، كمن يتشبّه بزينب عليها السلام مثلاً ـ وهو قاصد لتجسيم حالها، ومزاياها، ومصائبها، ومناقبها للإبكاء. فهذا إنّما يتزيّى بزيّها ـ بعباءةٍ غير مُمَحّضة للنساء، أو قل: إنّها ممحّضة لهنّ ـ لِما عرفت، لا بما أنّها امرأة فحسب ـ وهو يريد أن يري نفسه امرأة ـ وهذا لا يقال فيه: إنّه تشبّه بالنساء[٤].

وتبعه على ذلك العالم العلم الفقيه الشيخ زين العابدين الحائريّ في

---

(١) انظر: الذريعة إلى تصانيف الشيعة ١٦: ١٠١، الرقم ١١٤.

(٢) في الذريعة ٨: ١٩٨، الرقم ٧٧٦ «الدعاة الحسينيّة» في حكم بعض أنواع التعزية، للمولى محمد علي بن خداداد النخجواني النجفي، المتوفّى بالحائر ١٣٣٤، وقد طبع على الحجر في ١٣٣١.

(٣) نبس: تكلّم. وبنتُ الشفة: الكلمةُ.

(٤) جامع الشتات ٢: ٧٥٠.

«ذخيرة المعاد»[1] وذكر: أنّه لا ضير فيه، بل هو ممدوح.

وكأنّهما يريدان صرف الأحاديث الناهية عن تشبّه الرجال بالنساء، والحرمة؛ إلى الصورة الأُولى، لانصرافٍ فيها، أو أخذاً بالقدر المتيقّن ـ بعد الإجمال في دلالتها ـ أو لتضييق دائرة الموضوع، كما صرّح به في «جامع الشتات»[2].

وحصر بعض مشاهير العصر[3] المحرّمَ ـ من التشبّه ـ بما إذا كان فيه خروج عن زيّ الرجال رأساً، وأخذٌ بزيّ النساء، دون ما إذا تلبّس بملابسها مقداراً من الزمان؛ بلا تبديل لزيّه، كما هو الحال في هذه التشبيهات.

وعدّ كاشفُ الغطاء ـ ممّا ليس فيه نصّ خاصّ، ولكن انطبق عليه عنوان عامّ يقصد في إتيانه الموافقة من جهته[4]، لا من جهة الخصوصيّة ـ تشبيهَ الحسين عليه السلام، أو رأسِهِ، أو الزهراءِ عليها السلام، أو عليّ بن الحسين عليه السلام، وباقي النساء؛ في محافل الرجال[5].

---

(١) ذخيرة المعاد: ٥٣٨.

(٢) جامع الشتات ٢: ٧٥٠.

(٣) هو المحقّق النائيني رحمه الله في فتواه الشهيرة في جواب مسائل أهل البصرة [المطبوعة ضمن هذه المجموعة ١: ٤٠٨ في رسالة نصرة المظلوم. الحسّون].

(٤) أي: من جهة العنوان العام.

(٥) كشف الغطاء ١: ٥٣ ـ ٥٤.

هذا ما عند القوم.

وهناك أقوام لا يرتضون ما ذكروه، ولست أنا في صدد النقض والإبرام، لأنّي أزفّ مقالتي هذه إلى عامّة إخواني في الدين الذين يعسر عليهم الخوض في العلميّات.

لكنّي أقول: لَأنْ يقف الإنسان في سيره على حدّ اليقين؛ خيرٌ له من أن يسترسل في عصبيّته، أو يَغْشَى الحبُّ بصيرَتَهُ، فلا يعلم إلى أين يلوي، وإلى ما يولّي وجهه؟

أمّا أصل التشبيه؛ فقد أسلفنا لك رجحانه، ووجه القول فيه، فاتّخذه طريقاً مَهْيَعاً(١).

وأمّا تشبيه النساء؛ فإنّي أُحَكّم فيه وجدانك، وحرّية ضميرك، وشهامتك. أفهل ترضى لك أن يبرز أحد بملأٍ من الناس على زيّ كريمات بيتك من أهلك، وبناتك، وأخواتك، وعمّاتك، وخالاتك ـ وهو يمثّل للعامّة حالاتهنّ وكلماتهنّ، وما جَرَت عليهنَّ الدواهي من المصائب ـ فيقال: زوجة فلان، أو بنت فلان، أو أخت فلان؟

إنّي على يقين منك أنّك تغار لهنّ، ولا ترضى بتلك الفضيحة.

إذاً، فهل يقدّر شيعيّ مؤمن بالأئمة الطاهرين صلوات الله عليهم أنّ نساءه أعزّ من مصونات حرم النبوّة؟

---

(١) [طريق مَهْيَع، كمَقْعَد: واسعٌ بَيّن مُنْبسط، وهو مَفْعلٌ من التَّهَيُّع: وهو الانْبساط. الحسّون].

أو أنّهنّ أعفّ وأَحْسَب[١] من كريمات بيت الإمامة؟

فما باله يرضى لهنّ بالصَّغار، ولا يرضى لأهله مثله[٢]؟

هذا ما لديّ.

وإن كان لما ذكروه وجه في روايات الباب؛ فإنّ غاية ما هنالك أحاديث لا تأبى الانصراف الذي ذكروه.

ففي «الكافي» بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث ـ: لعن الله المحلِّل والمحلَّل له، ومن تولّى غير مواليه، ومن ادّعى نسباً لا يعرف، والمتشبّهين من الرجال بالنساء، والمتشبّهات من النساء بالرجال[٣] ـ الحديث.

وفي «العلل» بإسناده عن زيد بن عليّ، عن آبائه، عن عليّ عليه السلام: أنّه رأى رجلاً به تأنيثٌ ـ في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله ـ فقال له: اخرج من مسجد رسول الله، يا مَن لعنه رسول الله، ثم قال عليّ عليه السلام: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله

---

(١) أي: أَفْضَلُ حَسَباً.

(٢) هذا الاستدلال غاية في الضعف، ومردود جملة وتفصيلاً؛ لأنّ تشبيه المصائب وما نال آل الله، خارج عن حيِّز الصَّغار، ولِمَ لا يرضى المظلوم أن تُعرض ظُلامة أهله، والله يوم القيامة يعرض مأساة فاطمة الزهراء عليها السلام وبيدها رأس ولدها المقطوع، على المَلأ من الملائكة والخلائق.

(٣) الكافي ٨: ٧٠، ح٢٧.

يقول: لعنَ الله المتشبّهين من الرجال بالنساء، والمتشبّهات من النساء بالرجال[١].

وفي حديث آخر: أخرجوهم من بيوتكم، فإنّهم أقذر شيء[٢].

وبالإسناد عن عليعليه السلام، قال: كنت مع رسول اللهصلى الله عليه وآله جالساً في المسجد، حتّى أتاه رجل به تأنيث، فسلّم عليه، فردّ عليه، ثم أكبّ رسول اللهصلى الله عليه وآله إلى الأرض يسترجع، ثم قال: مِثْل هؤلاء في أمّتي! إنّه لم يكن مثل هؤلاء في أمّة إلّا عُذّبت قبل الساعة[٣].

وفي «الجعفريّات» بإسناده عن عطاء، عن أبي هريرة، قال: لعن رسول اللهصلى الله عليه وآله المخنّثين من الرجال المتشبّهين بالنساء، والمترجّلات من النساء المتشبّهات بالرجال[٤] ـ الخبر.

وفي «مجمع البيان» عن أبي أمامة، عن النبيصلى الله عليه وآله قال: أربع لعنهم الله من فوق عرشه، وأمّنت عليه ملائكته: الذي يحصر نفسه فلا يتزوّج ولا يتسرّى[٥] لئلاّ يولد له، والرجل يتشبّه بالنساء وقد خلقه الله ذكراً، والمرأة تتشبّه بالرجال وقد خلقها الله أنثى[٦] ـ الحديث.

---

(١) علل الشرائع ٢: ٦٠٢، ح٦٣.

(٢) علل الشرائع ٢: ٦٠٢، ح٦٤.

(٣) علل الشرائع ٢: ٦٠٢، ح٦٥.

(٤) الجعفريّات: ١٤٧، وعنه في مستدرك الوسائل ٣: ٤٦١، ح٣٩٩٧.

(٥) يَتَسَرَّى: يتّخذ السَّراري ويُقارِبُهُنَّ.

(٦) مجمع البيان ٧: ١٤٠.

وفي كتاب «أبي سعيد العُصْفُريّ» ـ من أصول أصحابنا القدماء ـ بإسناده عن جوير بن نعير الحضرميّ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ـ لعن الله ـ وأمّنت الملائكة ـ على رجل تأنّث، وامرأة تذكّرت»[1] ـ الحديث.

(١) كتاب أبي سعيد العصفريّ: ١٨، وعنه في مستدرك الوسائل ٥: ٢٤٠، ح٥٧٧٦، ١٣: ٢٠٣، ح١٥١٠٨.

كلمة في خروج المواكب بحالاتهم المعلومة المُشْجية واختراقهم السكك والشوارع

لا ريب في رجحان ذلك، لاسيّما بعدما تحقّق لديك في أصل اللَّدْم، وأنّه من أعظم ما يُتقرّب به إلى الله زُلفى.

وذكر العلاّمة الشيخ زين العابدين المازندرانيّ في «ذخيرته»: أنّ المشارك معهم، والذي يمضي معهم؛ كلٌّ منهما مثاب ومأجور[1].

هذا مع قطع النظر عن الرقّة والبكاء والإبكاء، فإنّ كلاً منهما مطلوب على حِدَة... إلى آخره.

وعدّ في «شفاء الصدور» ـ ممّا هو مشروع راجح في الشريعة المطهّرة ـ: ما يقع في بلاد الشيعة؛ من المظاهرات يوم عاشوراء.

وعدّ منها: نشر الأعلام، وخروج المواكب، واللطم، والنوح، وأمثال ذلك[2].

---

(١) ذخيرة المعاد: ٥٣٨.

(٢) شفاء الصدور ٢: ٣٠٩.

وما برح ذلك مطّرداً بين الشيعة منذ عشرة قرون.

وأوّل من سَنّه وأمر به «معزّ الدولة» و«ركن الدولة» البويهيّان، فكانت المواكب تخرج بأمرهما ليلاً ـ ومعهم المشاعل ـ فتعود بغداد وفجاجها ضجّةً واحدةً، راجع «كامل» ابن الأثير[١].

فَعَل البُوَيْهِيَّان ذلك والزعامة الدينيّة والوجهة الروحيّة ـ يومئذٍ ـ لعُمُد المذهب ودعائمه: كالشيخ المفيد، والسيّدين[٢]، وابن قولويه، وأضراب هؤلاء.

وما كانت الشيعة ـ ملوكُها وسُوقتها[٣] ـ لتعدو لهم إشارة، ولا لتخالف لهم أمراً، وما كانوا ليقرّروهم على الباطل.

والسيّد الرضيّ هو الذي أدخل نفسه في زمرة الأعراب يوم عاشوراء، سنة زيارته لجدّه الحسين عليه السلام ـ وهم يلطمون وينوحون في هجمتهم عَدْواً على الحائر الحسينيّ صلوات الله عليه ـ وأنشأ مقصورته السائرة:

[من الرَّمَل]

كـربلا لا زلـتِ كرْبـاً وبَـلا   ما لَقِيْ عندكِ آلُ المصطفى[٤]

وبلغني أنّ العلاّمة صاحب «الرياض»[٥] هو الذي نضّد موكب العطّارين

---

(١) الكامل في التأريخ ٨: ٥٤٩.

(٢) يعني: الرضيّ والمرتضى رحمهما الله.

(٣) السُّوقة: الرعيّة من الناس.

(٤) ديوان الشريف الرضي ١: ٢٠، قالها وهو بالحائر الحسيني، يرثي جدّه سيّد الشهداء عليه السلام.

(٥) هو السيّد عليّ بن محمد بن عليّ الطباطبائي الحائريّ، المتوفّى سنة (١٢٣١هـ) صاحب كتاب «رياض السائل في بيان أحكام الشرع بالدلائل».

بكربلاء ـ المعروف إلى اليوم بحسن النيّة، وشدّة الإخلاص، وإحكـام اللّـدم حين ظعنهم[١] وإقامتهم ـ في ليالي عاشوراء.

وكان السيّد ـ بنفسه ـ يحمل المِشْعَل أمامهم، ويلطـمُ معهـم مـن العلمـاء والفضلاءِ عددٌ غير يسير.

وإلى اليوم يختلط معهم ـ مـن سـائر طبقـات النـاس، وأشـرافهم، وطلبـة العلم ـ ما لا تُستنزَر عدّتهم.

وكـان آيـة الله العظمـى الميـرزا محمّـد حسـن الشـيرازيّقَدَّسَرَّهُ مـن داره ـ بسامرّاء ـ تخرج مواكبُ اللّطم والتشبيه والقامات ـ بأمره وإشارته، وإعداده ـ ويخترقون الأزقّة، والعُراةُ في موكب الطم فُضلاءُ أصحابه والعلماءُ بعده.

ثم لم تُخْرَم تلك العادة ـ بعد وفاته ـ حتّى عادت سُنّةً متّبعة، والمواكـب تخرج كذلك، والمقيم لها: خلَفُهُ الصالح الميرزا علي آغا، وخليفته الناصـح: الميرزا محمّد تقيّ الشيرازيّقَدَّسَرَّهُ، وفيهم أنفار يضربون بالسلاسل.

وكان نفس الآغا ومـن لاثَ بـه ـ مـن المشـايخ والصـدور ـ يمشـون مع المواكب بلا عباء، وربّما خرج معهم الميرزا حيث لم يمنعه ضعف مزاجه.

ولـو وقفـت موقـف النَّصَـفة؛ لمـا وجـدت فارقـاً بـين مواكـب اللَّطـم، ومواكب الزُّوّار ـ من الأعراب ـ في «هوساتهم»[٢] التي ذكر الفاضل الحلّـي:

---

(١) الظَّعْن: السير.

(٢) مصطلح عراقـي، معنـاه الأهـازيج الشـعبيّة التـي يردّدهـا الـزُّوّار مـن أبنـاء جنـوب العـراق ووسطه.

أنّ الوحيد البهبهانيّ كان يختلط بهم تزلّفاً إلى الحسينعليه السلام، وهو مجدّد المذهب في القرن الثالث عشر.

إذا عطفتَ النظر إلى الأمصار جميعاً ـ والمواكب الحسينيّة تَطرُقُ فيها دُورَ العلماء، وهم بين مساعدٍ لهم بمال، ومُنيلهم بإعداد، وناشجٍ[١] ومستعبرٍ معهم ـ علمتَ أنّ أعمالهم تلك لا تبارح مرضاة زعمائهم الدينيّين.

وهذا النجفُ ـ قبّةُ الإسلام ـ الذي هو مثال كلّ جدّ ونشاط في التذكارات الحسينيّة، التي منها هذه المواكب، ولم تزل هي بمنتدى ومجمع مع أساطين الدين في دُورِهِم، وفي الصحن المقدّس.

وكان العلاّمة المحقّق الفاضل الشرابيانيّ ـ أيّام رئاسته ـ له موكب خاصّ به، حافل بالفضلاء من أهل العلم، يقدمهم هو رحمه الله، يخرج من داره ويأتي الحضرة العلويّة صلوات الله عليه، ويدور حول الحرم الشريف.

وكذلك المحقّق المدرّس الشهير الحاج الميرزا حبيب الله الرشتيّ، فكان يخرج في موكبه، ويخترق الأزقّة إلى الصحن الشريف.

وكان إذ ذاك لأهل العلم موكب آخر يقدمهم العلويّون، وأمامهم العلاّمة السيّد محمّد بحر العلوم، والسيّد حسين القزوينيّ، ثم بعدهم سائر الطلبة، ويقدمهم العلاّمة الشيخ محمّد طه نجف رحمه الله تعالى.

وكان الشيخ المقدّم الشيخ محمّد حسن آل ياسين يجلس في الفسحة

---

(١) نَشَجَ الباكي: غصّ بالبكاء في حلقه من غير انتحاب.

أمام داره بالكاظميّة، فتأتيه المواكب شُرّعاً، وهو يبكي بنُدْبتهم.

ورأيت ـ أنا ـ شيخ فقهاء عصره، شيخ الشريعة الأصفهانيّ قدس سره أمام موكب العلماء ليلة عاشوراء في النجف الأشرف.

لا أُطيل المقام بتعدد الأسماء والأفعال، وإنّما ذكرت هذه النبذة إعلاماً بأنّ خروج المواكب ما برح ـ منذ أُسّس ـ على طريقٍ مَهْيَع عند العلماء، وأساطين الذين.

ولا أحسب أنّ ذا مُسْكة[1] يحكّم ـ في أصله ـ على أصالة الإباحة شيئاً، ولا فيه ـ بالعناوين الثانويّة ـ على تأكّد الاستحباب حكماً.

ولو كان اللَّطْمُ مقصوراً على ما وراء الستار مُحْتكَراً[2] بين حيطان الدور؛ إذاً لخسرت الشيعة كثيراً ممّا ترومه من ذلك الاحتفال؛ من عموم الدعوة، وشمول التذكير، حسب ما سلف منّا آنفاً.

لو لم يكن لنا إلّا جواز أصل اللَّدْم، أو رجحانه؛ لكفانا مؤونة الحِجاج في إخراجه إلى الشوارع والجَوادّ، فإنّه ـ حيث جاز ـ لم يقصر حكمه على مكان خاصّ، فهو مطلق في سائر الحالات والمحالّ.

وإذا كانت دلائلُ استحبابه مطلقاً ـ لدى السير والخروج إلى محاشد الناس ـ آكدَ وأبلغَ؛ فلا شكّ في تأكّده عنده.

---

(١) المُسْكة: العقل.

(٢) مُحْتَكَر: محبوس.

بالله عليك، اعتبر وصيّة مولانا الباقر لابنه الإمام الصادقعليهما السلام ـ المرويّة في «الكافي» ـ: أن يوقف من ماله كذا وكذا؛ لنوادبَ يندُبْنه عشر سنين بمنى؛ أيّام منى[١].

وفي رواية أخرى:

أنّه أوصى لذلك بمثانمائة دينار[٢].

فهلاّ أوصى سلام الله عليه بحجّ، أو صدقة عنه؛ بها؟

وما هو مقدار الندبة؟

وماذا يصيب منها الفقيد؟

وإن كان ـ ولابدّ ـ فهلاّ أوصى أن يُنْدَبَ في النوادي الخاصّة، وفي ملأ من شيعته؟

لو أعطيتَ النَّصَفَةَ حقَّها؛ لقلت: إنّهعليه السلام أراد بذلك إشهار فضائله، وإدامة ذكره، وتذكير العامّة بأمره وإمامته، وذكرى سلفه، ولذلك حاول أنّ النوادب يندبنه بمنى؛ أيّامها.

محشد عامٌّ للسلمين، تأتيها الناس من كلّ فجّ عميق، ويُنْسَلُ[٣] إليها من كلّ حَدْبٍ، وليس لهم منتدىً يجمع شتاتهم غير هذا الموقف، فإذا كان

---

(١) الكافي ٥: ١١٧، ح١، تهذيب الأحكام ٦: ٣٥٨، ح١٠٢٥.

(٢) الكافي ٣: ٢١٧، ح٤، من لا يحضره الفقيه ١: ١٨٢، ح٥٤٦.

(٣) أي: يُخرجُ إليها وتُقصد بسُرعة.

هنالك أمر يُهتمّ به؛ تسرَّبَ حديثُهُ إلى أرجاء العالم، وسارت الركبان.

وكذلك أمْرُ الحسينعليه السلام وتذكاراته، فإنّ الغرض من الإشهار بها ليس هو استدرار الدُّمُوع والبكاء فحسب، فإنّ للشيعة فيها غايات هي أرقى ـ وأولى أن تبثّ ـ من ذلك، ألا وهي: تذكير الناس بالحسين، وإمامته، وسلفه، وأخلافه.

وأنّ ديناً فداه مثل الحسينعليه السلام بنفسه هو أولى أن يعتنقه الحرّ، ويبذل دونه النفس والنفيس.

وإرشادهم إلى أنّ من يعتقد للحسين إمامةً فهو أولى أن يُقْتَصَّ أثره في أخلاقه وآدابه، وإقدامه وإحجامه.

وتذكيرهم بما شجر بين أهل البيتعليهم السلام وشانئيهم؛ من الخلاف.

وموقف هؤلاء من الدين، وأولئك من الكفر.

إلى غيرها من الغايات الكريمة.

وهل تتسنّى لهم تلك الأغراض لو قُصِرُوا بها على النوادي والمآتم، من دون أن يشهد كلّ أحد في ملأ من الأشهاد؟ لا... لا.

إنّي واثق بحرّية ضميرك أنّك إذا تلوت ما سطرناه إلى هنا؛ لا يعتريك الشكّ في مجازفة الرجل في قوله: «الشريعة المقدّسة والعقل السليم قاضيان

بأنّ اللّطم محلّه المآتم، لا الطرق»... إلى آخره[١].

هبْ أنّه ـ بفضل شيخوخته وطعنه في السنّ[٢] ـ يحسب أنّ غيره لم يبلغ من العقل مبلغه، لكنْ أين ذلك الدليل الشرعيّ الذي خفي على علماء الدين، ومصلحي الأُمة ـ منذ ألف سنة تقريباً ـ ولا وصل إليه باعُنا؟!

على أنّ الاختبار ـ الذي به يُكرم الرجل أو يهان، وبه يمتاز الصدق من المَيْن[٣]، والأمانة من الميل ـ لم يكشف حتّى الآن عن رجحان مبلغه من العلم؛ على غيره.

في أيّة آية ـ أم أيّ حديث ـ ذُكر فيها اللطم؛ فعُيّن له محلّ؟

أم أيّة قاعدة أُصوليّة اقتضت ذلك؟ غير أصالة الإباحة القاضية في سائر أقسامه.

حَسِبَ أنّ تلك الكلمات الفارغة أورثت عند البسطاء تهويلاً، ولكن

---

(١) [هذا قول السيّد محمّد مهدي الموسوي القزويني البصري (ت١٣٥٨هـ) في رسالته «صولة الحقّ على جولة الباطل» المطبوعة ضمن هذه المجموعة ٢: ١٨٠، وتمام عبارته هي: «فاللطم إذاً في المأتم لن يترتّب عليه شيء من هذه، والشريعة المقدّسة والعقل السليم قاضيان بأنّ اللطم محلّه المآتم دون الطرقات، هرباً ممّا بيّناه، فعلى المتديّنين طاعة الشريعة والتمسّك بقولها؛ دفعاً للفتن وصيانة للنفوس» الحسّون].

(٢) [كان عمر المؤلّف عند كتابته لهذه الرسالة ثلاثاً وسبعين سنة؛ إذ ألّفها سنة ١٣٤٥هـ الحسّون].

(٣) المين: الكذب.

ماذا الذي يُتافِهُ[1] به العقلاءَ من العوامّ في نسبة ذلك إلى العقل السليم؟

وهل لـه مُنْتَـدَحٌ غيـرُ رفـعِ الصـوت، والإيمـاءِ بالعصـا واليـد، وتحريـك عُكَّازةِ التجهيل، وقعقعة الشِّنان[2]؟

نعم ربّما يغالط بما سبقه إليه صاحب كتاب «الـدين والشـؤون»: مـن أنّ تلك المواكب مؤتلفة ـ في كلّ مكان ـ من أوباشِ الناس وساقتهم، ويـرأس كلاًّ منها واحدٌ من أكابرهم، وهم يأخذون حِذْرَهم وأسلحتهم؛ من عصـيّ وقامات، وأخيراً طَفقُوا يأخذون معهم المسدّسات والبنادق، فتجري بيـنهم ـ حينما التقت الفئتان ـ حملات تـؤدّي إلـى الضـرب والجـرح، وكثيـراً مّـا احتدم بينهما القتال، فيثير ذلك الشحناءَ والضغائن في القلوب حتّى الأبد[3]... إلى آخره.

ويشاركه في المعنى كلام هذا الفاضل المعاصر[4]، لكنّـي أضـرب عنـه صفحاً، فقد كفانا الفاضل الحلّيّ مؤونة الجواب عنه.

لكنّي لا ألوم هذا الرجل على ما قذف بـه أولئـك الأقـوام ـ الـذين يربـو

---

(١) المُتافَهة: مفاعلة من تَفِهَ الرَّجُلُ: إذا كان قليل العقل.

(٢) في المَثَل: «ما يُقَعْقَعُ لي بالشِّنان»، القعقعة: حكاية صوت السلاح ونحوه. والشِّنان: جمع الشَّنّ وهو الجلد البالي. ومعنى المَثَل أنّه لا يُخْدَعُ ولا يُرَوَّعُ. انظر: لسان العرب ٨: ٢٨٦.

(٣) رسالة «دين وشؤون»، تأليف الحاج الشيخ أسد الله المامقاني، ألّفها سنة ١٣٣٦، وطبعها في اسطنبول، ثمّ أعيد طبعها في طهران سنة ١٣٧٥، انظر: الذريعة ١١: ١٨٥، الرقم ١١٤٣.

(٤) [يقصد به السيّد محمّد مهدي الموسوي القزويني البصري (ت١٣٥٨هـ). الحسّون]

عددهم على الملايين، في سائر أقطار الشيعة ـ بأنّهم أوباش الناس وساقتهم، ولم يخش بوادر ما اقترفه ـ في غده ـ من إهانة المؤمنين، والوقيعة فيهم، وهتك حرماتهم.

ولقد شاهدتُ وشاهَدَهُ غيري في بلاد كثيرة ـ في العراق وإيران ـ أنّ تلك المواكب مُنَضَّدَة من سائر طبقات الناس ـ من مقدّميهم، وأوساطهم، وساقتهم ـ شأن كلّ مُحتَشَدٍ عامّ، وانّ الحُبَّ الحسينيّ وما استفزّ الناس من لوعة ذلك المصاب؛ لا يدع شريفاً لا يستخفّه النزوع إلى أمثال تلك الأعمال.

ولا ألومه بما قَرَفهم[1] به ـ جميعاً ـ من حملهم السلاح للعَيْث والفساد.

ولقد شاهَدْتُهُمْ وشارَكْتُهُمْ في عملهم، وفيهم الصلحاء والأبرار.

ولَئِن اختلط بهم مَنْ هُمْ مِن غير سِنْخهم؛ فذلك الشأن في المجتمعات العامّة، كالحجّ والزيارة، والمآتم الحسينيّة صلوات الله عليه.

لكنّ الذي يهوّن الخطب: أنّ الغاية واحدة، والقصد واحد، وإن اختلفت النزعات والمشارب.

لكنّي أقول: إنّ مَصَبَّ الكلام يكون تارةً العملُ بما هو، وطوراً بلحاظ فاعله، وآناً بما يَطرأُ عليه من العوارض الخارجيّة.

أمّا إذا كان الوجه هو الأول؛ فلا شكّ أنّ ما سرده من التمويهات

---

(١) قَرَفَهُ بكذا: عابه أو اتّهمه.

الباردة لا يمسّ بشيءٍ ممّا نريد ـ من حُسْنِ نفس العمل ورُجْحانِهِ ـ كما أسلفنا ذلك بأوفى وجه.

وأمّا على الثاني؛ فإذا ثبت رجحان الفعل ومحبوبيّته؛ فلا نبالي بفاعليه أيَّ إنسانٍ كان.

هبْ أنّ له أعمالاً ذميمة، لكن ماذا الذي يَهُدُّ منها حُسْنَ عمله هذا، أو يُشَوِّهَ جماله؟

نعم، إذا كانت سيئاته مادّةً وأصلاً لإحسانه ـ كأن يسرق ويتصدّق، أو تزني وتبني ـ فعند ذلك يقال له:

[من الطويل]

لكِ الويل لا تزني ولا تتصدّقي(١)

وسرى اللوم منه إليه.

وأمّا إذا لم يكن هناك توقُّفٌ وإناطة؛ فلكلٍ من الفعلين حكمه؛ من مدح وذمّ، وثواب وعقاب.

وقد يؤيّد الله الدين بأقوامٍ لا خلاق لهم(٢)، وما نحن فيه من هذا القبيل،

---

(١) كتب أمير المؤمنين عليه السلام بهذين البيتين إلى معاوية؛ لمّا سمعه يبني مسجداً:

سمعتك تبني مسجداً من خيانَةٍ وأنتَ ـ بحمد الله ـ غير موفّق

كمُطْعِمة الأيتام من كدّ فرجها لكِ الويل لا تزني ولا تتصدّقي

انظر: بحار الأنوار ٣٤: ٤٣٠ ـ ٤٣١، ح ٦٩.

(٢) الكافي ٥: ١٩، آخر الحديث ١، تهذيب الأحكام ٦: ١٣٤، وفيهما بلفظ: «إنّ الله ينصر هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم».

فلا يضرّنا لو كانت المواكب مؤتلفة من ذُنابى الناس[١]، غير المبالين بالمآثم والجرائم.

وأمّا القول في الوجه الثالث ـ وهو الذي طمح إليه «الصائل الجائل»[٢] ـ فإنّ المحرِّم هو المحرَّم، وهو ذلك العارض؛ دون معروضه.

والذي يحذو خطّة الإصلاح يجب عليه تجزئة تلك الأعمال، وإزاحة الفاسد منها؛ بالعِظات البالغة، والنصائح الكافية، والحكمة العمليّة، والمجادلة الحسنة؛ مع المحافظة التامّة على إبقاء الصالح منها، والحثّ إليه، لاسيّما في مثل الشعار الحسيني الذي هو الجامع الوحيد بين شتات الشيعة، والمانع لهم عن الزيغ والإلحاد، والسبب الوحيد لتثبيت القلوب على الولاية والإيمان.

لا أن يقابل الجميع بما هو أدهى وأمرّ؛ من هُزْءٍ، وازدراء وتقحُّمٍ[٣]، حَسِبَ أنّه يمسُّ بكرامةِ هذا الشعار، وقد ذهب عليه أنّه لم يَهُدَّ إلاّ ركنَهُ، ولا أسقط إلاّ نفسَهُ، ﴿ **وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى** ﴾[٤].

على أنّ ما ذكره ـ من وقوع التلادم والتلاكم بين أهل محلّتين ـ ليس

---

(١) أي: أتباعهم وسفلتهم.

(٢) انظر كلامه في كتابه «صولة الحق على جولة الباطل»، المطبوع ضمن رسائل الشعائر الحسينيّة ١: ١٨٩ ـ ١٩٠. [وفي هذه الطبعة ٢: ١٧٩–١٨٠ الحسّون].

(٣) أي: احتقار.

(٤) طه: ١٢٧.

بحيث يعدّ لازماً عاديّاً لخروج المواكب، ولا مقصوداً لأهلها حيث يخرجون، حتّى يحكم عليها بحكمه، ويتحكّم «الصائل»[(١)] بتهويلاته.

نعم، ربّما يقع في بعض المواكب ـ في نحوٍ من عشر سنين مثلاً ـ بعضُ الشيء من بعض البسطاء ـ بلا قصد له من أوّل الأمر، وبلا رويّة ـ وكثيرٌ مثله في كلّ اجتماع عامّ؛ كمواسم الحجّ، ووقفات الزيارات، والجماعات.

فكم يحجّ كلّ سنة من الجهّال مَن لا قصد له إلّا السرقة واختلاس الأموال؛ بين تلك الروابي والثَّنِيَّات.

وكذلك في الزوّار وغيرها من المجتمعات التي يختلط فيها الحابل بالنابل.

وكم يقع فيها ـ جميعاً ـ من المضاربات، وموجبات الإحن، ومع ذلك ـ كلّه ـ فلم يختلج في بال أحد تبديل أحكامها، وكلّ ذلك بمرأىً ومسمع من علماء الأعصار.

وأنت ـ يا هذا ـ هل تحكم بالحظر فيها أجمع، أم لك مع الشعار الحسينيّ حسابٌ آخر؟!

كلمة حول الضرب بالطبول، ودقّ الصنوج(٢)، ونفخ الأبواق:

قال في «التذكرة» و«جامع المقاصد»: لفظة الطَّبْل تستعمل في طبل

(١) انظر كتاب «صولة الحق على جولة الباطل» المطبوع ضمن رسائل الشعائر الحسينيّة ١: ١٨٩ ـ ١٩٠. [وفي هذه الطبعة ٢: الحسّون].

(٢) الصنوج: جمع الصَّنْج، صحيفة مدوّرة من الصفر، يضرب بها على أخرى مثلها.

الحرب الذي يضرب به للتهويل.

وعلى طبل الحجيج والقوافل الذي يضرب به لإعلام النزول والارتحال.

وعلى طبل العطّارين، وهو سَفَطٌ لهم.

وعلى طبل اللَّهو، وقد فسّر بالكوبة الذي يضرب به المخنّثون، وسطها ضيّق وطرفاها واسعان، وهي من الملاهي[(١)].

قال في «التذكرة»: ولعلّ التمثيل بها أولى من التفسير[(٢)]... إلى آخره.

وفسّر في «القاموس» الكُوبَة: بالنرد، والشطرنج، والطبل الصغير[(٣)].

وفي «المجمع»: وقيل: البَرْبَط.

وعن أبي عبيدة: النرد؛ في كلام أهل اليمن[(٤)].

وفي «الصحاح»: الطبل الصغير المخصَّر[(٥)].

وإنّما جعل التمثيل بالكوبة أولى من التفسير؛ لأنّ طبل اللهو غير منحصر فيها، فإنّ من أقسامها «الكَبَر» بفتحتين، وهو ذو الوجه الواحد من الطبول.

---

(١) تذكرة الفقهاء ٢: ٤٨٣، جامع المقاصد ١٠: ١٠٧.

(٢) تذكرة الفقهاء ٢: ٤٨٣.

(٣) القاموس المحيط ١: ١٢٦.

(٤) مجمع البحرين ٤: ٨١.

(٥) الصحاح ١: ٢١٥.

ليس فيما سبرناه من الأحاديث ما يشمل الزجر عن الطبل على إطلاقه، بل ليس للطبل فيها ذكر أصلاً، وكذلك فتاوى الفقهاء.

قال في «التذكرة»: فإن أوصى بطبل حرب؛ صحّت الوصيّة فيه إجماعاً[١]، وأقرّه على نقل الإجماع في «جامع المقاصد»[٢].

قال في «التذكرة» أيضاً: لأنّ فيه منفعة مباحة[٣].

وكذا في الطبول إلّا طبل اللهو، فإن كان في الحال يصلح لطبل اللهو والحرب ـ معاً ـ صحّت الوصيّة به، لأنّ المنفعة به قائمة.

وكذا إن صلح للحجيج، أو لمنفعة مباحة في الحال؛ صحّت الوصيّة.

وإن لم يصلح إلّا للّهو، لكن يصلح لغيره ـ بعد تغييرٍ يبقى معه اسم الطبل ـ صحّت الوصيّة أيضاً، خلافاً للحنابلة، لأنّها عينٌ يمكن الانتفاع بها مع تغييرها وبقاءِ اسم المُوصَى به عليها، فصحّت الوصيّة بها، كما لو أوصى بعبدٍ مريض لا يمكن الانتفاع به في الحال.

وأمّا إن لم يمكن الانتفاع به إلاّ بعد تغييره عن صفته ـ بحيث لا يبقى اسم الطبل معه ـ فالأقرب الصحّة أيضاً، سواء كان لا ينتفع به إلّا برُضاضِهِ[٤]، أو ينتفع به مع بقاء تركيبه لا على هيئة الطبل الذي لا ينتفع به

---

(١) تذكرة الفقهاء ٢: ٤٨٣.

(٢) جامع المقاصد ١٠: ١٠٧.

(٣) تذكرة الفقهاء ٢: ٤٨٣.

(٤) الرُّضاض: دِقاق الشيء وفُتاته، أي: مارُضّ منه.

إلّا في اللهو.

سواء كان لرُضاضه قيمة مقصودة نفيسة؛ كما لو كانت من ذهب، أو فضّة، أو عود.

أو غير مقصودة ولا نفيسة، كنحاتة الخشب ـ إذا كان له نفع مّا وإن قلّ[1] ـ.. إلى آخره.

وذكر هذه الفروع في «جامع المقاصد»[2] عن «التذكرة» بتغيير يسير.

وذكر في «التذكرة » ـ بعد تأسيس الأصل ـ: أنّه إذا أوصى بما يقع اسمه على المحلّل والمحرّم، ولم ينصّ على أحدهما؛ صُرف إلى المحلّل، حملاً لفعل المسلم وقوله على الصحيح، وأصالة صحّة تصرّفاته في ماله.

والمحرّم لا يجوز التصرّف فيه؛ عملاً بالظاهر، وصوناً لكلام العاقل عن اللغو، وله عن التصرّف الفاسد.

فذكر: أن لو أوصى بطبلٍ من ماله ـ وله طبل لهو وطبل حرب ـ صُرف إلى طبل الحرب.

ولو تعدّدت الطبول المباح استعمالها، كان للموصى له واحد منها، إمّا بالقرعة، أو بما يخصّصه الورثة.

ولو لم يكن إلّا طبول محرمة؛ لم تصحّ الوصيّة، إلّا أن ينتفع برُضاضها، أو بإزالة صفتها[3]... إلى آخره.

---

(١) الكلام كلّه في تذكرة الفقهاء ٢: ٤٨٣.

(٢) جامع المقاصد ١٠: ١٠٧.

(٣) تذكرة الفقهاء ٢: ٤٨٣ ـ ٤٨٤.

وفي «جامع المقاصد»: أنّ ذلك حيث لا يكون في الوصيّة ما يمنع من ذلك، فلو أوصى بطبلٍ من طبوله ـ وللموصي طبل لهو وحرب ـ نُزّل على الحرب.

ولو لم يكن له إلّا طبل اللهو؛ فإن لم يصلح لغيره بطلت، لأنّ قوله: «من طبولي»، ينافي تحصيل طبلٍ من خارج، وإن صلح لغيره ـ ولو بتغييرٍ يبقى معه الاسم ـ صحّت الوصيّة[1].

وفيه أيضاً ـ في شرح قول العلّامة: «أمّا لو قال: طبلاً من مالي؛ فإنّه يشترى له طبل حرب» ـ: لأنّ الطبل المشترى [من ماله] تصدق عليه الوصيّة.

ولا فرق في ذلك بين أن يكون له طبل محرَّم ـ لا يقبل الإصلاح ـ وعدمه.

والظاهر أنّ قول المصنّف: «فإنّه يشترى له طبل حرب» ليس على جهة التحتّم، بل يكفي مطلق الطبل المحلّل؛ لصدق اللفظ عليها بالتواطُؤ.

نعم، لو دلّت القرينة على شيءٍ وجب الحمل عليه[2].

وقد خرجنا ـ بالإطناب في النقل ـ عن خطّتنا في هذه الرسالة.

وإنّما تحرّينا ذلك لإثبات أنّ إباحة أقسام الطَّبْل ـ ما عدا طبل اللهو ـ من المسلّمات المفروغ منها لدى الفقهاء، وأنّ القول الفصل في ذلك هو ما ذكره «جامع المقاصد» بما نصّه: فاعلم أنّ الطبل الذي الغرض المقصود منه

---

(١) جامع المقاصد ١٠: ١٣٦ ـ ١٣٧.

(٢) جامع المقاصد ١٠: ١٣٧.

أمر محلّل ـ كطبل الحرب الذي ليس المراد منه اللهو، بل التهويل في قلوب الأعادي ـ يجوز اقتناؤه، فإنّ بعض المحرّمات قد أبيحت في الحرب؛ كلبس الحرير، فما لم يكن غايته محرّمة، وليس في حدّ ذاته معصية؛ بطريق أولى[1]... إلى آخره.

إنّ الأحاديث الزاجرة ـ في المقام ـ مخصوصة بالطبول اللَّهْويّة؛ بأسمائها الخاصّة، كقول أمير المؤمنين عليه السلام في ما رواه في «الخصال» بإسناده ـ في حديث ـ: «يا نوف، إيّاك أن تكون عَشّاراً، أو شاعراً، أو شرطيّاً، أو عَريفاً، أو صاحب عرطبة ـ وهي الطنبور ـ أو صاحب كُوبة ـ وهو الطبل ـ فإنّ نبيّ الله صلى الله عليه وآله خرج ذات ليلة، فنظر إلى السماء، فقال: أما إنّها الساعة التي لا تردّ فيها دعوة، إلّا دعوة عريف، أو دعوة شاعر، أو دعوة عاشر، أو شرطيّ، أو صاحب عرطبة، أو صاحب كوبة»[2].

وروى الشيخ المفيد في «أماليه» بإسناده عن نوف ـ في حديث ـ قوله عليه السلام: «يا نوف، فإن استطعت أن لا تكون عريفاً، ولا شاعراً، ولا صاحب كوبة، ولا صاحب عرطبة؛ فافعل، فإنّ داود عليه السلام ـ رسول ربّ العالمين ـ خرج ليلة من الليالي فنظر في نواحي السماء، ثم قال: والله ـ ربِّ داود ـ إنّ هذه الساعة لساعة ما يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيراً إلّا أُعطاه، إلّا أن يكون عريفاً، أو شاعراً، أو صاحب كوبة، أو صاحب

(١) جامع المقاصد ١٠: ١٠٧.

(٢) الخصال: ٣٣٨، ح ٤٠، من باب السّتّة.

عرطبة»[١].

وفي «الكافي»[٢] بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنهاكم عن الزَّفْن[٣]، والمِزْمار، وعن الكُوبات، والكَبَرات»[٤].

وفي «الجعفريّات» بإسناده، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله «أنهى أمّتي عن الزَّفْن، والمزمار، والكوبات، والكبرات»[٥].

وعن «دعائم الإسلام»[٦] عنه صلى الله عليه وآله مثله؛ باختلاف يسير.

وعن القطب الراوندي في «لبّ اللّباب»[٧] عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: «إنّ الله حرّم الدَّفَّ، والكُوبة، والمزامير، وما يُلعب به».

وفي «مجمع البحرين»: وفي الخبر: أنّ الله حرّم الخمر والكوبة، قيل: هي النرد، وقيل: الطبل، وقيل: البَرْبَط[٨].

---

(١) أمالي المفيد: ١٣٣ ـ ١٣٤، ح١ من المجلس١٦.

(٢) الكافي ٦: ٤٣٢، ح٧.

(٣) أي: الرقص.

(٤) الكَبَرات: جمع الكَبَر، وهو الطبل.

(٥) الجعفريّات: ١٤٦، وعنه في مستدرك الوسائل ١٣: ٢١٦، ح١٥١٦٠.

(٦) انظر: دعائم الإسلام ٢: ٢٠٧، ح٧٥٤.

(٧) مستدرك الوسائل ١٣: ٢١٨، ح١٥١٧٠.

(٨) مجمع البحرين ٤: ٨١.

الأولى بسياق الخبر هو القول الأوّل، موافقةً لمساق الآية الكريمة[1]؛ من إرداف الخمر بالميسر.

فليس في المقام إطلاقٌ أو عمومٌ يعمّ أقسام الطُّبُول، أو مِلاكٌ يسري في الجميع.

فالمحكوم بالتحريم: هو الطَّبْل اللَّهْويّ فحسب، وهو نصّ الفتاوى.

فالأقسام الثلاثة الأُوَل كلّها مباحة ـ استعمالها، وبيعها وشراؤها، والإيصاء بها ـ والحكمُ فيها ـ أجمع ـ الإباحةُ الأصليّة المعتضدة بالإجماع المنقول في الإيصاء، فإنّ لازمه الماليّة المبيحة لجميع أنحاء التقلّب.

وما عن «**دعائم الإسلام**» عن جعفر بن محمّدعليهما السلام أنّه قال: مرّ بي أبي ـ وأنا غلام صغير، وقد وقفت على زمّارين وطبّالين ولعّابين أستمع ـ فأخذ بيدي وقال لي: «مُرَّ، لعلّك ممّن شمت بآدم، فقلت: وكيف ذلك يا أبه؟ قال: هذا الذي يُرَى كلّه من اللَّهو والغناء، إنّما صنعه إبليس شماتة بآدمعليه السلام حين أُخرج من الجنّة»[2].

ففيه ـ بعد الغضّ عن إرساله، وعن الكلام في أصل الكتاب، واشتماله على ما ينافي أُصول الشيعة؛ من وقوفهعليه السلام على زمّارين وطبّالين ولعّابين يستمع إليهم، وقولهعليه السلام: «لعلّك»... إلى آخره، وهمعليهم السلام معصومون في سائر أحوالهم، عليها يدرج صغيرهم، وينشأ ناشئهم، ويهرم كبيرهم ـ:

---

(١) وهي قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ** ﴾ الآية ٩٠ من سورة المائدة.

(٢) دعائم الإسلام ٢: ٢٠٩، ح٧٦٥.

أنّ في نفس الخبر شاهدَ صدقٍ على أنّ المراد منه طبل اللَّهْو؛ بقرينة احتفافه بزمّارين ولعّابين، وقوله عليه السلام: هذا الذي يرى كلّه[1]... إلى آخره.

على أنّ في رواية سماعة عن أبي عبد الله عليه السلام: أنّ ما صنعه إبليس وقابيل ـ شماتةً بآدم ـ الزَّفْن، والمزمار، والكوبات، والكبرات[2].

وقد عرفت أنّهما من الطبول اللهويّة.

الطبل الذي يضرب به في المواكب العزائية على النحو المتعارف؛ يحتمل أن يكون تمثيلاً لطبل الحرب الذي كان يضرب به في مشهد الطفّ، كما في «ذخيرة المعاد».

ويحتمل أن يكون للإعلام بحركة الموكب، ووقوفه واجتماعه، كما في «كشف الغطاء»[3].

ولذلك إنّهم يكفّون عن الضرب بعد الوقوف، وبعد الدخول إلى المآتم، والدُّور، ويبدأون به لدى الحركة والخروج، فقد شوهد كلا الطبلين

---

(١) بل في رواية الكليني في الكافي ٦: ٤٣١، ح٣ ما يدلّ على أنّ المقصود هو خصوص الطبول اللهوية التي يتلذَّذُ بها، فعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «لمّا مات آدم عليه السلام وشمت به إبليس وقابيل فاجتمعا في الأرض، فجعل إبليس وقابيل المعازف والملاهي شماتة بآدم عليه السلام، فكُلّ ما كان في الأرض من هذا الضرب الذي يتلذّذ به الناس فإنّما هو من ذاك». فلاحظ قيد التلذّذ.

(٢) لم نقف على رواية بهذا التصريح، وإنّما هي الرواية المذكورة آنفاً، ولعلّه حَمَل المعازف والملاهي على هذه الأربعة المذكورات.

(٣) كشف الغطاء ١: ٥٣ ـ ٥٤.

لدى أعراب «نجد» وهما والمضروب به في المواكب شرع سواء.

وأيّاً ما قصد، فلا إشكالَ في طروّ الرجحان عليه بعنوانه الثانويّ ـ وهو كونه من متمّمات الاحتفالات العزائيّة، ولوازمها المهمّة ـ ولذلك عدّه كاشف الغطاء ممّا يؤتى به بقصد الرجحانيّة من جهة العموم[١].

وذكر العلّامة الشيخ زين العابدين الحائريّ في «ذخيرة المعاد»: أنّه لو كان طبل حرب؛ وكان القصد فيه التذكير بجيوش المخالفين، وضربهم الطبول ـ حربيّة، أو لَهْويّة، كما ورد أنّهم كانوا يضربون بها عند قدوم مواكبهم وأنصارهم؛ سروراً وإعلاماً بذلك ـ فالإنصاف أنّه لا ضير فيه[٢]... إلى آخره.

وأمّا الضرب بالصُّنُوج؛ فهو الذي أراده كاشف الغطاء ـ في ما عدّه ممّا انطبق عليه عنوان عامّ، ولا دليل عليه بالخصوص، ولكن يُقصَد في الإتيان به الموافقة من جهة العموم ـ ممّا يُصنع في مقام تعزية الحسين عليه السلام؛ من دقّ طبل إعلام، أو ضَرْبِ نُحاسٍ.

وأطلق القول فيه العلّامة الحائريّ في «ذخيرته»[٣]: بأنّه لا ضير فيه ـ في ما يؤتى به في مقام التعزية ـ بل هو مطلوب ومحبوب.

ويقال: إنّ أوّل من أحدثه العلّامة المجلسيّ قدس سره في قرى إيران؛ إعلاماً

---

(١) كشف الغطاء ١: ٥٣ ـ ٥٤. وقد تقدّم ذكره من قبل.

(٢) ذخيرة المعاد: ٦٤٩.

(٣) المصدر السابق.

للقرى القريبة بإقامة العزاء، وفي البلاد الكبيرة؛ تنبيهاً لأهل المحلات ـ جميعاً ـ بها، فيأتيها روّاد الأجر والثواب.

ولم يبرح ـ منذ أُسّس ـ بمشهدٍ ومسمع من علمائنا، ولا مانع ولا وازع حتّى قال فيه من قال، فحالهُ كحالِ الطَّبْل الإعلاميّ، وهو من مقوّمات المواكب، ومحسّنات العزاء.

وليس في ما سبرناه ـ من كتب الحديث والفقه ـ حجّة تمنع عنه، أو ملاك يسري إليه، عدا ما في «مجمع البحرين» قال: في الحديث: «إيّاك والضرب بالصوانج، فإنّ الشيطان يَرْكُزُ معك، والملائكة تَنْفِرُ عنك»[1].

وهو من المراسيل التي أُخرجت من حيث لا يُعتنى فيه بالأسانيد، وإنّما الفرض فيه بيان اللّغات فحسب، فلا عبرة بمُنْفَرَدٍ به مثله.

على أنّ للصَّنْج أقساماً ليس في وسع الفقيه الحكم بإرادة أيّ منها.

وليس شمول اللفظ عليها على سبيل العموم، أو بإطلاقه على جامع يشملها أجمع، حتّى يُتَشَبَّث بإفادة الجمع المحلّى باللام، بل هو كلمة معرّبة أصلها بالفارسية «زنك»[2] وهو عندهم ما يتّخذونه من الصُّفْر قِطَعاً يضع الزافنُ كلَّ اثنتين منها على إصبعين من أصابع يديه: الإبهام والوسطى، فيضرب بإحداهما الأخرى، فترنّ رنيناً مطرباً.

والصنج ـ هذا ـ من أظهر مصاديق اللهو، وأصدق آلاته.

---

(١) مجمع البحرين ٢: ٦٣٧.

(٢) بالكاف الفارسيّة.

وكذلك ما يجعل في إطار الدفّ ـ من النُّحاس المُدَوَّرة صغاراً، وتسمّى بالصنوج ـ فهي من محسّنات الضرب بالدفوف، ومقوّمات الإطراب بها.

وأمّا ما يتّخذ من الصُّفْر صفحتين كبيرتين يضرب إحداهما الأخرى ـ كما هو المطّرد في المواكب العزائية، ـ فإنّما سُمِّيَ صنجاً لشبه بينه وبين ذلك الصنج اللَّهْويّ؛ في التدوير، والضرب، وأنّهما من الصُّفْر ـ والظاهر أنّه هو الذي ذكر الجوهريّ: أنّه تعرفه العرب[1]، وإن كان اللفظ فيه أيضاً معرّباً ـ كما نصّ به هو ـ قال: وأمّا الصنج ذو الأوتار فيختصّ به العجم[2].

وهذا الصنج العربيّ ـ على كيفيّته الدائرة عند أهل المواكب ـ في معزل عن الإطراب، فإنّك لا تحسّ عند ضربه في نفسك هزّةً، ولا فزّة[3]، بل لا تجد عندئذٍ إلّا تهويلاً وإرعاباً، فهو كالطَّبْل الحربيّ.

إذاً فحُكْمُهُ حُكْمُهُ، وليس من الملاهي.

بل ولا ضير فيه لو كان من الآلات المشتركة بين اللهو وغيره، كما سبق القول فيه في «الطَّبْل» الصالح لهما معاً.

فإذا كان استعماله ـ في المقام ـ لغير اللهو؛ جاز بلا ريب، وأبيح استعماله في غير المورد ـ ما عدا اللَّهْويّة ـ وجاز بيعة وشراؤه، والإيصاء به؛

---

(١) في الصحاح ١: ٣٢٥ الصنَّج الذي تعرفه العرب، وهو الذي يتّخذ من صفر يضرب أحدهما بالآخر.

(٢) الصحاح ١: ٣٢٥، قال: وهما [أي الصنج العربي والفارسي] مُعَرَّبان.

(٣) الفَزّة: الوثبة بالانزعاج.

لوجود المنفعةِ المحلَّلة المقصودةِ فيه المُثْبِتَةِ للماليّة، المُبيحةِ لأنحاء التقلُّب فيه.

وأمّا نفخ الأبواق؛ فليس هو من الملاهي في شيءٍ، ولا معدود من آلات اللهو المحرّمة.

ولم نعهد له ذكراً في نصّ ولا فتوى، عدا ما ذكر في بعض الكلمات المتأخّرة في العصر الحاضر، أو ما يقرب منه.

ومن طَرَق صوتُه[1] سمعَه علم أنّه في معزل عن الإطراب غايته، بل هو إلى التهويل والتنبيه أقرب، لخشونةٍ فيه، وارتفاعٍ في صراخه، ولذلك يستعمله الجنود إعلاماً لمواقيتهم، ولدى الحركة والسكون، وتنبيهاً للشؤون اللازمة، وكيفيّة الحركة الزحفيّة.

ثم تسرّب منهم إلى موكب السيوف، وبعض التمثيلات؛ لحكاية فيهما عن الحال الحربيّة.

إذاً؛ فلا فرق بينه وبين سائر آلات التنبيه والإعلام ـ صائتةً وغيرَ صائتة ـ كتحريكِ الرايات الصغيرة عند الجنود، والإشارات الخاصّة بينهم، وإطلاقِ المدفع عند الظُّهْر ـ كما هو المتداول في البلاد الإيرانيّة ـ ونفخ البوقات عند افتتاح أبواب الحمّاماتِ الدائرةِ في تلك البلاد، وتصفير الآلة الصغيرة المطّردة عند الحرس والشُّرَط، والإعلامِ بالبرق السائر، فالحُكْمُ في جميعها

---

(١) الضمير يعود للبوق.

الإباحة الأصليّة.

وحيث يكون ما نحن في البحث عنه؛ من متمّمات المواكب، فلا يعدوه الرُّجْحان والاستحبابُ؛ بما دلّ على استحباب تلك المظاهرات.

كلمة حول موكب السيوف:

وقد جرت بتنضيد هذه المواكب عادةُ الشيعة في سائر الأمصار، بمشهدٍ من علمائها ومرأىً، من غير نكير يُعزى إلى أحدهم.

أفتى بإباحة ذلك ـ ممّن عقد للمسألة ذكراً ـ آية الله الأنصاريّ في «سرور العباد»[١] حيث لا يؤدّي إلى التلف.

وأمضى هذه الفتوى؛ الكافلُ لزعامة الشيعة أجمع الميرزا محمّد حسن الشيرازيّ قدس سره في الهامش.

وتلميذه[٢] العلامة الخراسانيّ.

وكان في «سامرّاء» من داره يخرج هذا الموكب، وهو الذي يبذل أثمان أكفانهم وقد أفتى بذلك الرئيس الكبير الميرزا محمّد تقيّ الشيرازيّ.

وسيّد فقهاء عصره السيّد محمّد كاظم اليزديّ.

وكذلك الفاضل المحقّق الدربنديّ قدس سره في «أسرار الشهادة»[٣].

---

(١) سرور العباد: ٦١.

(٢) الضمير يعود للشيخ الأنصاري، فإنّ الشيخ محمّد كاظم الخراساني صاحب «الكفاية» من أجلّ تلامذته.

(٣) أسرار الشهادة ٣: ٣٣١.

وكان فقيه العترة الطاهرة عليهم السلام السيّد عليّ بحر العلوم في داره تضربُ أهلُ هذه المواكبِ رُؤُوسَها.

ولم تُخْرَم هذه العادة على عهد العلّامة السيّد محمّد بحر العلوم، وإلى اليوم.

وكان آية الله الوالد قدس سره قد عمل فيه رسالتين: عربيّة وفارسيّة، أصرّ فيهما بالجواز؛ ببراهين ساطعة.

وفي «الدعاة الحسينيّة»[1] شيءٌ من ذلك غير يسير.

ومن المبيحين لذلك ـ من حسنات الدهر، أكبر آيات العصر، وأقوى حججه ـ «الميرزا عليّ آغا» خلف آية الله العظمى الشيرازيّ.

فقد أثبت ذلك في أجوبة استفتاءاته، وأقرّ فاعليه بسامراء أيّام إقامته بها، وهو يومئذٍ غُرَّةُ جبينها، وكان رَهْنَ إشارته بسطُها وقبضُها.

وهو نوع من التشبيه الذي مرّ حكمه، فإنّهم يشبّهون ـ عندئذٍ ـ أنفسَهُم بشهداء الطَّفِّ، صافّين في حومة الحرب تحت مشتجر السيوف، ومشتبك الرماح، وقد سالت الدماء على وجوههم، ونحورهم، وثيابهم.

---

(١) «الدعاة الحسينيّة في حكم بعض أنواع التعزية» للمولى محمّد علي بن خداداد النخجواني النجفي، المتوفّى بالحائر وحُمل طرياً إلى النجف في أوائل ليلة الجمعة ١٧ شهر ربيع الثاني ١٣٣٤، وقد طبع على الحجر سنة ١٣٣١. انظر: الذريعة ٨: ١٩٨، الرقم٧٧٦.

ولذلك ترى أنّهم يتجوّلون في الأزقّة صفّاً غير مختلطين؛ بصفةٍ هي للحال الحربيّة والزَّحْفِ العسكريّ أشبه منه بغيرهما.

يفعلون ذلك تسجيلاً لما هُنالكَ من حقائق ومزايا، وإيقافاً للناس على خصوصيّات موقف يوم الطفّ، واستدراراً للدُّمُوع، وتثبيتاً للقلوب، كما عرفت، ويأتي إن شاء الله تعالى.

إذاً، فلا أحسب أن تتخطّاه أصالةُ الإباحةِ، بل المقامُ ممّا لا يعدوه الرجحانُ.

وأمّا الإيلام الحاصل منه المدّعى عدم جوازه عَبَثاً، أو مطلقاً، استناداً إلى أنّه ظُلْمٌ، وأنّ إيلام الغير حرام، فكذلك إيلام نفسه، فإنّه لا يملك حرمة نفسه حتّى يسلبها عنها، ولا مفصِّل في البين، ويؤيّده ثبوتُ الكفّارة لشقّ الجيب، وخدش الوجه، وجزّ الشعر في المصائب، وعدم جواز قتل النفس، وقطع العضو، وقد قال مولانا الحسين عليه السلام لأخته زينب عليها السلام: «لا تشقّي عليّ جيباً، ولا تخمشي عليّ وجهاً، ولا تدعي عليّ بالويل والثبور إذا أنا هلكت»[(١)].

إذا ثبت هذا كلّه؛ فلا إشكال في حرمة جرح الرأس، لأنّه من أشدّ مراتب الإيلام.

---

(١) الإرشاد ٢: ٩٤.

كلّ ذلك لا يجدي للمتحذلق نفعاً، فإنّا لا نسلّم حرمة الإيلام مطلقاً، ولا كونه من الظلم كذلك.

نعم، إذا كان عَبَثاً وبلا غايةٍ يحبّذُ العقلُ ذلك أمامَها؛ فهو مشمول عنوان الظلم، ولا شبهة ـ إذاً ـ في الحكم.

وأين هذا ممّا إذا صدر عن غرضٍ صحيح معقولٍ، كما وقع ذلك لرسول الله صلّى الله عليه وآله، فقد بلغ من إيلام نفسه وزجرها في سبيل العبادة أنّه كان يقوم الليل أجمع على أطراف أصابعه ـ وهو يصلّي ـ عشر سنين، حتّى تورّمت قدماه، واصفرّ وجهه، فعوتب على ذلك عتابَ رحمةٍ، بقوله عزّ من قائل: ﴿طه*مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾[1].

وقد كان يعلم أنّه يجزيه ما دون ذلك، لكنّه أحبّ أن ينال درجة هي فوق مقام الإجزاء، ولو كان محرّماً لما ارتكبه.

وأمّا العتاب؛ فهو رحمة وإرفاق، ولذلك صدّره بـ «طه» من أسمائه، أي: أيّها الطالب للحقّ، الهادي إليه[2].

وفي الحديث: أنّ الصادق عليه السلام كان يتعب نفسه في العبادة؛ بالجدّ، فقال له أبو جعفر عليه السلام: «بُنيّ، لا تتعب نفسك، إذا أحبّ الله عبداً قبل منه

---

(١) طه: ١ ـ ٢. وانظر: الاحتجاج ١: ٣٢٦، ووسائل الشيعة ٥: ٤٩٠ ـ ٤٩١، الباب٣.

(٢) معاني الأخبار: ٢٢، باب معنى الحروف المقطعة في أوائل السور من القرآن، ح١.

القليل»[١].

إنّ سياق الحديث قاضٍ بأنّه عليه السلام إنّما كان يتعب نفسه ذلك الإتعاب لامتثالِ كُلّيِّ العبادة، لا الأوامر الخاصّة الإلزاميّة، وإلّا لما ساغ من أبيه إشفاقه ذلك.

ولو لم يكن حقّاً لما فعل، لاسيّما مع علمه عليه السلام بقصّة جدّه صلى الله عليه وآله.

وعبادة السجّاد زين العابدين عليه السلام مشهورة، وقد كان يحصل في جبهته وركبتيه ثفنات كثفنة البعير، فيقطعها في كلّ سنة مرّتين ـ خمس ثفنات ـ وذلك من كثرة سجداته[٢].

وقد أحصى عليه ذكر سجوده ألفاً، ودموعه قد أَخْضَلَتْ[٣] لحيتَهُ[٤].

---

(١) في الكافي ٢: ٨٦، ح٤ عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: مرَّ بي أبي وأنا بالطَّواف وأنا حَدَثٌ وقد اجتهدتُ في العبادة، فرآني وأنا أتصابّ عرقاً، فقال لي: يا جعفر، يا بني، إنّ الله عزّ وجلّ إذا أحبَّ عبداً أدخله الجنّة ورضي عنه باليسير.

وفيه ٢: ٨٦، ح٥ عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: اجتهدتُ في العبادة وأنا شابٌّ، فقال لي أبي: يا بني دون ما أراك تصنع، فإنّ الله عزّ وجلّ إذا أحبّ عبداً رضي عنه باليسير.

(٢) انظر: دلائل الإمامة: ١٩٢، وعلل الشرائع ١: ٢٣٣، الباب١٦٧ «العلّة التي من أجلها سمّي علي بن الحسين عليه السلام ذا الثفنات»، ح١.

(٣) أي: بلّت.

(٤) انظر: الخصال: ٥١٧، أبواب العشرين وما فوقه، ح٤، وعلل الشرائع ١: ٢٣٢، الباب١٦٥ «العلّة التي من أجلها سمّي علي بن الحسين زين العابدين»، ح١٠، ومعاني الأخبار: ٦٤، ح١٧، وروضة الواعظين: ١٩٧.

وأعظم منه ـ عبادةً ـ أمير المؤمنين عليه السلام، التي منها: أنّه كـان يصـليّ كـلّ ليلة ألف ركعة[١]، ويغشى عليه سبعين غشوة.

وكان يلبس من اللباس ما خشن، ويأكل من الطعام ما جَشُب[٢].

أتحسـب أنّ مثـل تلـك العبـادات كـان يتسـنّى لهـم إتيانهـا بـلا إيـلامٍ لأنفسهم، ولا إتعاب لها؟

أم يذهب عليك أنّه ما كان مـن الـلازم علـيهم أن يشـقّوا علـى أنفسـهم بتلك المشاقّ المجهدة؟

غير أنّهم التزموا بذلك لغايات راقية لا تُنال إلّا بها، وإن لـم يـؤمروا بهـا أمراً خصوصيّاً، فكانوا يُمْدَحُونَ بها ذلك المحدحَ والثناءً الجميل.

فذلكة المقـام: هـو تسلّط العبـد علـى إيـلام نفسـه، وزجرهـا؛ لغـرض صحيح.

ولـو كـان مطلقـاً مـن الظلـم ـ الـذي اسـتقلّ العقـل بحرمتـه ـ لَمَـا جـاز تخصيصها بهذه الأفعال.

ولَمَا أباحت الشريعة المقدّسة مثل الفَصْد، والحِجامة، وقَلْع السنّ، وقَطْع

---

(١) في الكافي ٤: ١٥٤، ح١ عن الإمام الصادق عليه السلام: فإن اسـتطعت أن تصـلّي فـي كـلّ يـوم وليلة ألف ركعة فافعل، إنّ عليّاً عليه السلام في آخر عمره كان يُصلّي في كلّ يـوم وليلـة ألـف ركعة. وانظر: أمالي الصدوق: ٣٥٥، ح٤٣٧، والخصال: ٥١٧، ح٤.

(٢) هكذا وصفه ضرار بن ضمرة الليثـي رحمـه الله عنـد معاويـة لعنـه الله. انظـر: بحـار الأنـوار ٤١: ١٢٠، ح٢٨ عن إرشاد القلوب، ونظم درر السمطين: ١٣٥.

العضو، وسائر أعمال الجراحة حيث يناط العلاج بها.

ولمَا شُرِّعَ من الدين أحكامٌ كلّها إيلام وأتعاب، كالحدود والتعزيرات، والقصاص، وجملة من الأعمال.

وأمّا ثبوت الكفّارة ـ بخدش الوجه، وجزّ الشعر، وشقّ الجيب ـ فهو حكم تعبّدي خاصّ لا يقاس به.

وربما يكون الأوّلان من تغيير الخلق المبغوض لله سبحانه ـ بنصّ القرآن الكريم[1] ـ فحرمتهما ليست لجهة الإيلام إذاً.

وليس من هذا القبيل؛ إدماءُ النَّواصي الذي لا يوجب تشويهاً، ولا يفوّت منفعة، ويلتئم بأسرع وقت.

وإنّ الوجه ممّا يُقْبَل به إلى الله تعالى، فله مزيد احترام، حتّى إنّه ورد النهي عن ضرب وجه الحيوان المملوك[2]، فلعلّ في خدشه هتكاً لحرمته، ولذلك حرّمه الشارع.

---

(١) قال تعالى على لسان الشيطان في الآية ١١٩ من سورة النساء ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللّهِ﴾.

(٢) انظر: جامع أحاديث الشيعة ١٦: ٨٧٠ ـ ٨٧٢، الباب٩ جواز وسم المواشي في آذانها وغيرها، وكراهة وسمها في وجوهها. ومنها ما رواه السيّد الراوندي في نوادره بإسناد صحيح عن الإمام الكاظم عليه السلام، عن آبائه، عن علي عليه السلام، قال: «نهى رسول الله صلى الله عليه وآله أن توسم الدوابّ في وجهها فإنّها تسبّح بحمد ربّها». ومثله في الجعفريات، وزاد: «وأن يُضرب وجهها».

وليس منه ما نحن فيه، وإن هي إلّا دماءٌ تجري سُوَيعَةً، ثم تُزال وتُزاح بالماء.

وشقّ الجيب ـ على أنّه لا ربط له بالمقام ـ فإنّ حرمته مخصوصة بالزوجة والولد، ولعلّ من الحكمة فيها أنّه من الجزع المنهيّ عنه في غير مصائب أهل البيت عليهم السلام.

وأمّا وصيّة الحسين عليه السلام؛ فهي نهي تنزيهٍ، لجواز شقّ الجيب في الأخ والأب إجماعاً[1]، وقد فعلته زينب عليها السلام قبل هذا الكلام، وبعده ـ في مجلس يزيد، وهي عالمة غير معلَّمة ـ وبمحضر من ابن أخيها السجّاد.

وقال مولانا الصادق عليه السلام: «لقد لطمن الخدود، وشققن الجيوب الفاطميّات؛ على الحسين بن علي عليهما السلام، وعلى مثله تلطم الخدود، وتشقّ الجيوب»[2].

وسيأتي ذكره وإسناده إن شاء الله تعالى.

وقد صدر مثل الدعاء بالويل والثبور؛ من عقائل بيت الوحي سلام الله عليهنّ وهنَ بعين السجّاد، وبمشهد منه.

من ذا الذي يجسر على الحكم بالحرمة، والحال هذه؟!

وأمّا خمش الوجه ـ الواقع بين ذينك ـ فأجْدِرْ به أن يكون على

---

(١) انظر: مفتاح الكرامة ٤: ٢٩٢، عند قول المتن: «ويحرم نبش القبر، ونقل الميّت بعد دفنه، وشق الرجل الثوب على غير الأب والأخ».

(٢) تهذيب الأحكام ٨: ٣٢٥، ح١٢٠٧.

سياقهما لاسيّما وقد وقع البدأة بشقّ الجيب ـ الذي عرفت حاله ـ وخُتم بالدعاء، فهو إشفاق منه عليه السلام وإرفاق لأخته عليها السلام تسليةً لها، وتثبيتاً لقلبها، كما يفعله أولوا الأرحام عند تفاقم المصاب.

ومن السائغ أن يكون مطمحُ النهي إلى أنّ تلك الأحوال إذا صدرت من أهل الفقيد ـ في مثل ذلك الموقف الفظيع ـ فهي من بواعث الذلّ والهوان.

وأمّا إذا كان عويلاً، ونحيباً، وتظلّماً، وبثّاً للمآثر فحسب ـ كما فعل أهل البيت عليهم السلام ذلك كلّه ـ فهو يكشف عن عظم الفادح، وأهميّة المقام.

فهو ـ إذاً ـ من الأمور المطلوبة، وأعظمُ منه إذا فعلَ ذلك الأجانبُ.

ربّما يتشبّث الزائغ عن جَدَد السبيل؛ بحرمة إيذاء النفس مطلقاً.

أمّا إيذاء الغير؛ فبالأدلّة الأربعة.

وأمّا **إيذاء النفس**؛ فلم نجد من الأدلّة الشرعيّة ما يصلح لتخصيص الحكم، أو تقييده به.

ودعوى الإجمال أو الانصراف ممّا لا شاهد له.

والشهيد قدس سره قد أشمل حرمة الإعانة للمحرّم؛ على إعانة النفس له أيضاً[١]، والناس مسلّطون على أموالهم لا على أنفسهم وأحكامهم، ولو كان؛ فهو فيما يعود إلى نفعها.

نعم، لو ثبت إجمال الدليل أو انصرافه، وكان المناط ظنّيّاً، كان المقام

(١) انظر: مفتاح الكرامة ١٢: ١٩٩.

من الشبهة الحكميّة التحريميّة مورداً لأصالة البراءة، كما قال به جمع، لكنّه كما ترى.

ولا شبهة أنّ جرح الرأس من أظهر مصاديق إيذاء النفس، فهو حرام[١].

ولقد خبط هذا القائل خبط عشواء، وإن هو إلّا كحاطب ليل، قد خلط صالحاً بآخر سيِّء[٢].

إنّ المتيقّن من حرمة الإيذاء؛ هو ما كان عن ظلم، وبلا حقّ، ولا داعٍ معقول، و إلّا فقد ثبت من الشرع أحكام لا تُبارِحُ الإيذاءَ، كسائر أحكام الحدود والتعزيرات، والقصاص، والجهاد، وبعض مراتب النهي عن المنكر، والأمر بالمعروف، والتأديب، إلى غيرها.

ومن مسلّماته: ما أوعزنا إليه؛ من الفصد، والحجامة... إلى آخره.

ولو كان للعقل هناك حُكْمٌ مستقلٌّ؛ فهل تقول بتخصيصه بهذه؟ ولا أظنّك تقول، إلّا أن...

ولم نجد من الكتاب والسنّة ما يدلّ على إطلاق التحريم فيه.

وأمّا الإجماع؛ فلو وجدنا محصَّلاً، أو أذعنّا به منقولاً؛ فهو دليل لُبِّيٌّ، والمتيقَّنُ منه ما ذكرناه.

إذاً، فمورد الحكم ما إذا كان خلواً من غاية ترتضيها الشرائع والعقول،

---

(١) إلى هنا ينتهي ما تشبّث به الزائغ.

(٢) أخذه من قوله تعالى في الآية ١٠٢ من سورة التوبة: ﴿ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا ﴾.

ولا إجمالَ ولا انصرافَ.

وبهذا كلّه تعرف سقوط ما طغى فيه هذا القائل ورسب.

وهناك من يُسِرُّ عليك حَسْواً في ارتغاء[1]، فيقول ـ بعد أن لم يتسنّ له التقحّم بتلك العناوين ـ: إنّ جرح الإنسان نفسه حرام، مع قط النظر عن تينك الجهتين.

لكنّه ـ بعد ما تلوناه عليك إلى هنا ـ لا يلبث حتّى يعود صفر الكفّ ممّا لفّقه.

من ذا الذي يقول: إنّ الجرح مطلقُه حرام؟!

أليس من الشرع إباحة أمور كلّها جروح، وتشريع أحكام لا ينفكّ ذلك عنها، كما سلفت الإشارة إليها.

وأيّ حِجىً[2]، يرتضي لمن لا حريجة له عن إسالة كمّيّة من دمه، أو شقّ عضو منه ـ لمرضٍ أو غرض صحيح ـ أن يدعها، ويُغضي عن مغبّته المحمودة؟

لا والله، لا يرضى صاحبه ذلك، و«لأمرٍ مَا جَدَعَ قَصيرٌ أنْفه»[3].

---

(١) الحَسْو: الشرب. والارتغاء: شرب الرَّغوة. وهو مَثَلٌ يُضرب لمن يريك أنّه يُعينك وإنّما يجرّ النفع إلى نفسه. انظر: مجمع الأمثال ٢: ٤١٧، المثل ٤٦٨٠.

(٢) الحِجَى: العقل والفطنة.

(٣) هذا مثل يضرب لمن يحمل نفسه على مشقّة عظيمة للظفر ببغيته. انظر: مجمع الأمثال ١: ١٥٧، وخزانة الأدب ٩: ٣٢٣.

نعم، لو كان الجرح عن ظلم، وبلا توخّي غاية صحيحة؛ استقلّ العقل بتحريمه، كما في الإيلام والإيذاء، وهو معقد الإجماع المنقول في «قواعد»[١] شيخنا الشهيدقُدِّسَ سِرُّه مقتصِراً عليه؛ من الدليل.

خلاصة المقام: أنّ طبيعة الجرح لا يمكن الحكم عليها بشيء أو[٢] ينطبقَ عليها عنوان الغاية المتوخّاة منه.

فإن كانت ظلماً؛ فهو حرام.

وإن كانت توصّلاً إلى حسنة؛ فيتبعُهُ حكمُها؛ من وجوب أو ندب.

ومن البديهيّ أنّ الغاية في المقام هي إيصال النفس إلى المثوبات الجزيلة؛ بالإبكاء، وإحياء أمر الأئمّة الطاهرينعليهم السلام وتذكير الناس بمصالح النهضة الحسينيّة، وأياديه على الأُمّة، وحقوقه عليهم.

وفيه رمز يشير إلى سنّة التفاني في سبيل جامعتهم، ويوقف الناس على خطّة التهالك دون دينهم الذي به عزّهم ومَنَعَتهم، وكرم أخلاقهم، وحميد صفاتهم.

وفيه مُذَكِّر عن أولئك، وأنّهمعليهم السلام كيف سنّوا للناس سنن الشهامة والإباء، وأوقفونا ـ بلسان حالهم ومقالهم ـ على سَنَن الطريق إلى العزّ والمجد، ولم يرتضوا ـ لمن يقتصّ أَثَرَهُمْ ـ أن يحتذي مثال سفلة الناس

---

(١) القواعد والفوائد ١: ٦١، ضمن القاعدة ٣١ «لأنّه وسيلة إلى ضررهم وهو حرامٌ إجماعاً».
وانظر: ١: ٢٣٢ «فائدة» ضمن القاعدة: ٧١.

(٢) أو ـ هنا ـ بمعنى إلى، وينتصب المضارع بعدها بأنْ مضمرة، نحو: لألزمنّك أو تفيَني حقّي.

وساقتهم، أو يعنوا لكلّ هَوْنٍ وصَغار.

عمـدة مـا هنالـك؛ هـو الإلفـات إلـى الوجهـة الدينيّـة، وتفـانيهم فيهـا، والإيقاف إلى قصد السبيل من تلك الجهة.

إنّ غايةً كهذه ممّا لا يلائم خطّة صاحب كتاب «الدين والشؤون» الذي يقول: إنّ مفاسد هذا العمل، وعمل التمثيل؛ غير خافية على أحد.

على أنّهما من اللهو واللعب واللغو، وأنّ الأوّل يؤدّي ـ في الأغلب ـ إلى السرف في نزف الدم، والإضـرار بالصـحة، وإتـلاف الـنفس، ويكـون مبـدأً لمفاسد اجتماعيّة، ومنشأ لمعايب أخلاقيّة... إلى آخره[1].

أمّا كونه والتمثيل من اللهو... إلى آخره، فقد عرفت محلّة من الحقيقـة؛ بذكر غاياتهما الراقية، وآثارهما المطلوبة.

وأمّا تأدية ضرب الرؤوس إلى ما ذكر؛ فالحَكَمُ فيها جميع أفراد البشر.

سَلْهم من الذي يقول منهم: إنّ أحداً قتله نزف الـدم ـ عندئـذٍ ـ أو أضـرّ بصحته؟ بل المعلوم لدى العامّة ـ من أحوال هؤلاء ـ أنّهم يجرحون الجروح الكبيرة، ويسيل منهم الدم الكثير، حتّى أنّ كثيراً منهم لا يـدع الـدمُ موضـعاً منه إلّا وقد صبغه، وبعضهم يقعون مغمىً عليهم، لكنّهم بمجـرّد أن يـدخلوا الحمّـام يخرجـون منـه إلـى أعمـالهم وحاجـاتهم، أو إلـى مجـالس الـذكر والعزاء، أو إلى مواكب اللطم، أو نحو ذلك، حتّى كأنّهم لم يصنعوا شيئاً.

---

(١) دين وشؤون: ٥٥.

مع أنّ تلك الجراحات لو أصيب الرجل بواحدٍ منها؛ لاحتاج إلى أن ينام بالفراش أيّاماً، وربّما أهلكه نزيف الدم، لكنّا ـ عوضاً عن ذلك ـ نجدهم ـ نوعاً ـ أقوياء الأبدان، طوال الأعمار.

ولو كنتَ في «أذربيحان» و«قفقاسيا» يوم عاشوراء؛ إذاً لراعَتْكَ هيبة الموقف وأدهشك ما تراه منهم؛ من تحكّم السيوف في الهامات، وأنّها كيف يغمد فيها، ويشقّ الجلد والعظم، فينفلق انفلاقاً، ثم بعد سويعة يطرقون الأزقّة والشوارع كأنّهم نُشِطُوا من عِقال[1]، حتّى إنّ كثيراً منهم لو أنّهم لا يفعلون ذلك لأضرّ بصحّتهم.

هذا ما عرفه كلّ أحد من حال هؤلاء، ونتيجة ما سمعناه من الشيوخ مذاكرةً. وإن اتّفق أنّ واحداً منهم مات في قرنٍ واحدٍ ـ مثلاً ـ فذلك غير ذاتيّ للعمل، ولا مقصود منه، فلا تسري الحرمة منه ـ على فرض صدوره عن عمد ـ إليه.

وهذا مماشاة وتسالم، وإلّا فالحقيقة الناصعة في المقام هو ما أسلفناه.

وبه تعرف مقدار قول القائل «الصائل»: «لكثرة ما شاهدناه وشاهده غيرنا من الأموات في كلّ سنة»[2].

ليته أشار إلى واحدٍ ممّن شاهد معه.

---

(١) كأنّما أُنشط من عقال: أي: حُلّ وأُطلق، يقال للآخذ بسرعة في أيّ عملٍ كان.

(٢) «صولة الحق على جولة الباطل» المطبوع ضمن رسائل الشعائر الحسينيّة ١: ١٩١. [وفي هذه الطبعة ٢:١٨١ الحسّون]

ولَئِنْ كان له ظلٌّ من الحقيقة؛ فلماذا يقول كلُّ من رأيناه وسمع مقالته: إنّه إفك مفترى، ولِمَ لم نسمع بذلك، ولا شاهدناه؟ ولسنا بأقصر من غيرنا باعاً، ولا بأقلّ منه اطّلاعاً.

وليت شعري أيَّ سنةٍ يريدُ بقوله: «كلّ سنة»؟

أهي من سنيّ أعمار هذا العصر، فلِمَ لم يشاهده غيره؟!

أو ممّا قبله من الأجيال الغابرة، فلمَ لم يُنْهَ إلينا خبره، واختصّ به هذا القائل؟!

وإن كان يقدّره في السنين القادمة، فحبّذا لو صَدَقَتِ الأحلام.

إذا أَحَطْتَ خُبراً بما تلوناه إلى هنا؛ بَانَ لك سقوطُ الاستدلال بالضَّرر المنفيّ بقوله صلى الله عليه وآله: «لا ضرر ولا ضرار»(١).

وأمّا الحاصل منه؛ بشقّ الجلد، ونزف الدم ـ الذي لا يزيد على الفَصْد، والحجامة، وأمثالهما، وسريعاً مّا يلتئم ـ فليس فيه ضرر يُحْفَلُ به.

والعقلاء لا يعدّون الضَّرَرَ اليسيرَ المتدارَكَ ـ المُعْقِبَ نفعاً كثيراً ـ ضرراً.

على أنّ لنا أن نلتزم في أخبار نفي الضَّرر بأنّها نفي الإلزام، لا نفي المصلحة، فلا ينافي أن تكون هناك مصلحة أغضى عنها الشارع ـ لما في مقدِّماتها من طفيف الضرر ـ إرفاقاً بالمكلّف، فلو استسهلها ـ عندئذٍ ـ لنال تلك المصلحة.

بلغني أنّ رجلاً ـ ممّن عمد إلى مناواة الحزب الحسينيّ ـ أخذ يصول في غلوائه؛ بما ذكره الفقهاء في دية «الحارصة» من الشّجاج والجِراح

---

(١) وسائل الشيعة ١٨: ٣٢، ح٢٣٠٧٣ و٢٣٠٧٤ و٢٣٠٧٥.

ـ وهي التي تقشر الجلد ـ وهل هي «الدامية»؟ قال الشيخ: نعم، وقال المحقّق: الرواية ضعيفة، والأكثرون على أنّ الدامية غيرها، وهي رواية منصور بن حازم عن أبي عبد الله عليه السلام... إلى آخره.

وعلى أيّ حالٍ، ففي «الحارصة» بعير، وفي «الدامية» على الرواية الثانية ـ وهي التي تأخذ في اللحم يسيراً ـ: بعيران[1].

فحَسِبَ أنّ ذلك يكشف عن الحرمة مطلقاً، ولكن ذهب عليه أنّ الشارع إنّما جعل الدية على من شَجَّهُ عُدْواناً.

وأمّا إذا كان الفاعل نفسه، أو الغير ـ بإذنه ـ لمصلحةٍ مُسَوِّغة؛ فهو خارج عن إطلاق كلام الفقهاء، و إلّا فلا معنى لتغريمه على نفسه.

وأمّا قول صاحب «الدين والشؤون»: إنّه يكون مبدأً لمفاسدَ اجتماعيّة... إلى آخره، فهو كقول صاحب «الصولة»: إنّه فعل همجيّ وحشيّ[2].

ومَقِيلُ الكُلِّ من الحقّ والسداد واحدٌ.

وهل هو ـ حسب ما قرّرناه في فلسفة النهضة الحسينيّة، والاحتفال بها بهذا ونحوه ـ إلّا من أرقى عوامل الاجتماع، وأكبر أسبابه؟

غير أنّه ـ كأمثاله ـ ممّا يحصر الجامعة بالدين، حيث يستلفت الأنظار

---

(١) انظر: شرح اللمعة الدمشقيّة ١٠: ٢٦٨ ـ ٢٦٩.

(٢) «صولة الحقّ على جولة الباطل»، المطبوع ضمن رسائل الشعائر الحسينيّة ١: ١٩١. [وفي هذه الطبعة ٢: ١٨١ الحسّون].

إليه، والى أسبابه ودعاته، ومساعيهم.

ولعلّ من هذه الوجهة يَمَسُّ بمقاصد صاحب «الدين والشؤون»، فطفق يناطحه:

[من البسيط]

كنـاطحٍ صَـخْرَةً يومـاً ليُوهِنَهـا فلَمْ يَضِرْها وأوْهى قَرْنَه الوَعَلُ[1]

وإنّي لا ألوم الرجل، فإنّ عليه لوماً أكبر من هذا.

لكن لا ينقضي تعجّبي من صاحب «الصولة» المقتحم ذلك الاقتحام، ومن المستبعد أن لا يعرف من حقّ هذه الاحتفالات ما ذكرنا، وعلى أيّ حالٍ:

[من الطويل]

فإن كان لا يَدْرِي فتلكَ مُصِيبةٌ وإن كان يدري فالمُصيبةُ أعْظَمُ[2]

وأمّا الجهة الأخلاقيّة؛ فلا شكّ أنّ تلك المظاهرات من أقوى أسباب التذكير بأخلاق أئمّة الدين عليهم السلام الكريمة، كما بيّنّاه في ما سبق منّا، وستزداد بذلك بصيرة إن شاء الله تعالى.

ثمّ إنّ صاحب «الدين والشؤون» لم يُرضه ذلك كلّه؛ حتّى أخذ يَمَسُّ بجانب المقيمين لهذه المظاهرة، وقذفهم بالتهاون بالصلاة والصيام، وارتكاب المعاصي والملاهي ـ طول سنتهم ـ تعويلاً على شفاعة أهل

(١) ديوان الأعشى: ٦١.

(٢) بيت شعر مشهور، مجهول القائل.

البيت عليهم السلام، وذلك بإغراء من خطباء المنابر، معتقدين أنّ تلك الأعمال تغنيهم عن أداء الفرائض، والإتيان بالوظائف الشرعيّة، ويحسبون أنّ الذنب مهما بلغ فإنّه مغفور بشفاعتهم، فيكون من موجبات التجرّي وارتكاب المعاصي.

النتيجة: أنّها موجبة لفساد أخلاق العامّة، وتوليد أمراض اجتماعيّة مزمنة.

وقال: إنّ أولئك لمّا يفرغوا من عملهم صبيحة عاشوراء، فإنّهم بعد الظهيرة من ذلك اليوم يعمدون إلى سطوح الحمّامات، ويقضون الوقت بالمقامرة... إلى آخره[١].

ليتني كنت أدري، هل هو مراقب ـ طول السنة ـ لأولئك الكثيرين، حتّى يحيط خُبراً بأفعالهم؟!

أم أنّه يتهجّس رجماً بالغيب؟

نعم، إنّ الرجل قد منّته بواعثه أمراً، فلم يجد إليه طريقاً معقولاً، فحاول المسيس بكرامة هذه الأعمال؛ بما لا يوجب شيئاً من ذلك، وقد علم بعدم وجود حاكم مبسوط اليد فيعزّره على قذفه، ولم يَخْشَ بوادر ما تُوُعِّدَ به على مثل تلك الأقوال فانتهزها فرصاً.

ولَئِن غاضيناك على تهويلك، وسلّمنا أنّ لهم أعمالاً رديئة ـ كما لا

---

(١) دين وشؤون: ٥٦.

يخلو عنها غير المعصوم ـ فهل نسالمك على تسرية القبح والذمّ منها إلى أعمالهم الصالحة؟

وأيّ مناط بينهما حتّى يُسوَّى بينهما في الحكم؟

وأنت ـ يا هذا ـ هل تقول مثل ذلك لو بَذَلَ المتهاوِنُ ـ في صلواته وصيامه ـ شيئاً من ماله؛ في ما تبغيه وترتضيه من معارفك ومدارسك، أو سَعَى في تشييدها، وَبَذَلَ مجهوده في سبيلها؟

مالي أرى غير يسير من هؤلاء المساعدين لنظريّاتك؛ لا يعرفون من الدين موضع أقدامهم، وأراك تحبّذ مساعيهم، وتنشّطهم على العمل، ولا تقول لهم: إنّ أعمالكم تلك ـ السيئة ـ تزري بحسناتكم هذه؟

أم أنّك تبصر القذى في عين غيرك، ولا تبصر الجذع في عينك[1]؟

ثمّ مَن الذي أنبأك أنّهم يقتحمون المعاصي ـ تعويلاً على عموم الشفاعة ـ وهم يتلون ليلهم ونهارهم أنّهم عليهم السلام: ﴿**لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى**﴾[2]، و﴿**إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**﴾[3].

نعم، لهم حسن الظنّ ببارئهم ومواليهم؛ لِما علموا منهم من الرأفة والإشفاق، ومن مكانتهم عند الله تعالى، وتزلّفهم لديه؛ بحيث لا يدع

(١) وفي الحديث النبويّ: يبصر أحدكم القذى في عين أخيه وينسى الجذع في عينه. كنز العمّال ١٦: ١٢٢، ح٤٤١٤١.

(٢) الأنبياء: ٢٨.

(٣) المائدة: ٢٧.

القنوط ـ الذي هو من الكبائر ـ أن يبلغ منهم مبلغه، وعليهم ذنوب وتبعات لا تبارحها الجِبِلَّة البشرية ـ إلاّ من عصمه الله ـ صدرت منهم عفواً، وبلا قَصْدِ تَجَرٍّ[١]، وهم على وَجَل من مغبّاتها الوخيمة، فلا يدعهم يمرحون بَطَراً بالإخبات بالنجاة، فهم ـ في كلّ حين ـ بين الخوف والرجاء، كما ينبغي للعبد أن يكون عليه.

وماذا تنقم عليهم، غير أنّ لهم بمواليهم ذلك الاعتقادَ الجازمَ؟ وهم الشفعاء المشفَّعون، وحلقة الاتّصال بين الله ـ سبحانه ـ وعبيده، وإليهم إياب الخلق، وعليهم حسابهم[٢] ﴿**مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ**﴾[٣].

وخطباء المنابر لا يلقون إليهم إلّا تفصيلاً من هذه الجمل، وشطراً من مناقب أئمّتهم صلوات الله عليهم أجمعين.

خلاصة القول: أنّ ارتكابهم المعاصي لا ارتباط له باعتقاد عموم الشفاعة.

وإن أبيتَ إلّا ذلك، وأبيتَ عمومها؛ فهب أنّهم أخطأوا في اعتقادهم، لكن ما مسيس ذلك بشيء من هذه المظاهرة المطلوبة؟

---

(١) مخفّفة «تَجَرُّؤٍ».

(٢) في الزيارة الجامعة قولهعليه السلام: وميراث النّبوّة عندكم، وإياب الخلق إليكم، وحسابُهُ عليكم، وفصل الخطاب عندكم. عيون أخبار الرضاعليه السلام ١: ٣٠٦، من لا يحضره الفقيه ٢: ٦١٢، ح٣٢١٣.

(٣) الأنعام: ٥٢.

إنّ هذا كمن اعتقد أنّ المأكل الكذائيّ مُشْبعٌ أو مُرْوٍ، وهو في الواقع يشبع ولا يروي، فهل يحسبن من ذي دُرْبَةٍ أن يقول ـ حين أكله ـ إنّه لا يشبعه، لأنّه يحسب أنّه يرويه وهو لا يرويه؟

فقل في المقام: إنّها لا تحطّ ذنوبهم، وهل لك أن تقول: إنّه لا ينالهم نصيبهم من مثوبات العمل وآثاره الوضعيّة؟

فعلى المتضلّع بأعباء الإصلاح أن يبيّن لهم جهة الخطأ، لا أن يحرمهم الثواب، ويكفّهم عن العمل، فيوردهم المرعى الوبيل.

إذا عرفت ذلك كلّه؛ تجلّى لك سخافة ما استنتجه، وقد أسلفنا تفصيل القول في ذلك.

تقريب:

روى ابن قولويه في «كامل الزيارة» بإسناده عن معاوية بن وهب، عن أبي عبد الله عليه السلام ـ في حديث طويل في زيارة الحسين عليه السلام ـ: «لا تدعه لخوف من أحد، فمن تركه لخوف؛ رأى من الحسرة ما يتمنّى أنّ قبره كان بيده»[1].

«وفيه» بإسناده عنه عليه السلام: «يا معاوية، لا تدع زيارة قبر الحسين عليه السلام لخوف، فمن تركه رأى من الحسرة ما يتمنّى أنّ قبره كان عنده، أما تحبّ أن يرى الله شخصك وسوادك في مَن يدعو له رسوله الله صلى الله عليه وآله وعليّ،

(١) كامل الزيارات: ٢٣٠، ح٣٣٨. وهو أتمّ في ثواب الأعمال: ٩٤ ـ ٩٦.

وفاطمة، والأئمّة عليهم السلام؟»[(١)].

ولهذه الروايات أسانيد جمّة ذكرها في «الكامل»[(٢)].

وروى الشيخ في «التهذيب»[(٣)] بإسناده مثل ذلك، وفي نسخته: «أنّ قبره كان عنده».

وفي بعض نسخ الرواية الأولى: «نَبَذَه»، بدل: «بيده».

وفي «البحار»: أنّ الأظهر أنّه تصحيف «عنده»، أي: يتمنّى أنّه قتل لزيارته وقبره عنده، أو يكون القبر حاضراً عنده فيزوره في تلك الحالة.

قال: والأوّل أظهر[(٤)].

وقال في معنى الحديث ـ على نسخة «بيده» ـ: أي يتمنّى أن يكون زاره متيقّناً للموت، حافراً قبره بيده.

أو يكون كناية عن أن يكون سبباً لقتل نفسه من جهة زيارته عليه السلام.

أو المعنى: أنّه يتمنّى أن يكون الخروج من القبر باختياره، فيخرج ويزور[(٥)].

قلت: والأوّلان أظهر.

---

(١) كامل الزيارات: ٢٢٧، ح٣٣٥.

(٢) انظر: أيضاً كامل الزيارات: ٢٤٣، ح٣٦١. وانظر: بحار الأنوار ٩٨: ٨ ـ ١٠، ح٣٠ ـ ٣٧.

(٣) تهذيب الأحكام ٦: ٤٧، ح١٠٣.

(٤) بحار الأنوار ٩٨: ٩ «بيان».

(٥) بحار الأنوار ٩٨: ٩ نفس البيان المشار إليه.

وروى ابن قولويه ــ أيضاً ــ بإسناده عن زرارة، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: ما تقول في مَن زار أباك على خوف؟ قال: «يؤمنه الله يوم الفزع الأكبر، وتلقّاه الملائكة بالبشارة، ويقال له: لا تخف ولا تحزن، هذا يومك الذي فيه فوزك»[١].

وبإسناده عن ابن بكير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت له: إنّي أنزل الأَرَّجان[٢]، وقلبي ينازعني إلى قبر أبيك، فإذا خرجت فقلبي مشفق وجِلٌ حتّى أرجع؛ خوفاً من السلطان، والسُّعاة، وأصحاب المسالح[٣]، فقال: «يا ابن بكير، أما تحبّ أن يراك الله فينا خائفاً؟ أما تعلم أنّه من خاف لخوفنا أظلّه الله في ظلّ عرشه، وكان محدّثه الحسين عليه السلام تحت العرش، وآمنه الله من أفزاع يوم القيامة؟ يفزع الناس ولا يفزع، فإن فزع وقّرته الملائكة، وسكّنت قلبه بالبشارة»[٤].

وبإسناده عن محمّد بن مسلم ـ في حديث طويل ـ قال: قال أبو جعفر محمّد بن عليّ عليهما السلام: «هل تأتي قبر الحسين عليه السلام»؟ قلت: نعم، على خوفٍ ووجَل، فقال له: «ما كان من هذا أشدّ فالثواب فيه على قدر الخوف، ومن

---

(١) كامل الزيارات: ٢٤٢ ـ ٢٤٣، ح٣٥٩.

(٢) الأرّجان: بلدة بفارس، بينها وبين الأهواز ستّون فرسخاً، وبينها وبين شيراز ستّون فرسخاً. انظر معجم البلدان ١: ١٤٣. في زماننا هي بلدة بهبهان من محافظة خوزستان.

(٣) المسالح: جمع المسلحة، أي: المَرْقَب.

(٤) كامل الزيارات: ٢٤٣، ح٣٦٠.

خاف في إتيانه آمَنَ الله روعته يوم [القيامة، يوم] يقوم الناس لربّ العالمين، وانصرف بالمغفرة، وسلّمت عليه الملائكة، وزاره النبيّ صلى الله عليه وآله ودعا له، وانقلب بنعمة من الله وفضل لم يمسسه سوء واتّبع رضوان الله»[١].

قصر بعضهم الخوف على بعض مراتبه، كتلف مالٍ، أو ذهاب اعتبارٍ ووجاهة، ونحو ذلك؛ لِمَا تحكّم في نظره من عدم جواز ما فوق ذلك.

لكنّ العلّامة الكبير الشيخ جعفر التستريّ قدس سره في «الخصائص الحسينيّة» قد أشمله لما عدا تلف النفس؛ من جرح وغيره من الأضرار البدنيّة، ـ ولو مع عدم ظنّ السلامة ـ وذكر أنّ ذلك من خصائص مولانا الحسين عليه السلام كالجهاد معه[٢].

وذهب شيخنا العلاّمة الشيخ خضر بن شلاّل النجفيّ في «مزاره» إلى شموله الخوفَ على النفس أيضاً، ورتّب عليه استفادة جواز اللَّطم عليه، والجزع لمصابه ـ بأيّ نحوٍ كان ـ ولو علم أنّه يموت من حينه، فضلاً عمّا لا يُخْشَى منه الضرر على النفس؛ الذي قد يكون عند كثير من الناس أَهْوَنَ من المال الذي قد قامت ضرورة المذهب على مزيد فضل بذلِهِ في مصابه وزيارته[٣].

أمّا شموله للأضرار البدنيّة ـ من جرح ونحوه ـ فممّا لا شكّ فيه، لاسيّما

---

(١) كامل الزيارات: ٢٤٤ ـ ٢٤٥، ح٣٦٣.

(٢) الخصائص الحسينيّة: ٢٩٨.

(٣) أبواب الجنان وبشائر الرضوان: ٢٩١ ـ ٢٩٢.

مع حذفِ المتعلَّق في الخوف؛ المُعَمِّمِ لحكمه، وأنّ الشيعة ما كانت تتأبّى ـ وحتّى اليوم ـ من الأضرار الماليّة والاعتباريّة.

وقد علم ذلك منهم من شهد تأريخهم، وأحاط خُبْراً بأحوالهم والعلائق الودّيّة بينهم وبين أئمّتهم عليهم السلام.

ولعلّ بعضاً منهم كان لا يسمح بمثل الجروح، إمّا لشبهة اعترضته، أو لضعف في قلبه، أو نحو ذلك، فَحَثُّوا عليهم السلام على ذلك؛ إزاحةً للشُّبَهِ، وتنشيطاً للقلوب.

وفي بعض الأحاديث: التصريح بأنّ الخوف هنالك هو القتل، وهو المعهود من عادات متغلّبي تلك العصور(١).

إذا جاز تعريض النفس للجرح وسائر الأضرار؛ في سبيل الزيارة وإن هي إلّا تعظيمٌ للشعائر الدينيّة الحسينيّة، واحتفال بأمره، ومواساة له عليه السلام بما في طَوْق المكلّف، وقد أسلفنا إباحة مثل ذلك إذا كان عن قصد صحيح يحبّذه العقل، كما في مثل المقام ـ.

---

(١) انظر كامل الزيارات: ٢٢١، ح ٣٢٤ ففيه قول الحسين ابن بنت أبي حمزة الثمالي: خرجت في آخر زمان بني مروان إلى زيارة قبر الحسين عليه السلام مستخفياً من أهل الشام... فقلت له: عافاك الله ولِمَ لا أصِلُ إليه وقد أقبلتُ من الكوفة أُريد زيارته فلا تَحُلْ بيني وبينه، وأنا أخاف أن أصبح فيقتلوني أهل الشام إن أدركوني.

وفي: ٢٤٠، ح٣٥٧ قول السائل للإمام الصادق عليه السلام: فما لِمن قُتِلَ عنده ؛ جار عليه سلطانٌ فقتله؟ قال عليه السلام: أوّل قطرة من دمه يغفر له بها كلّ خطيئة.

إذا جاز ذلك؛ فالحكم ـ في ما يساوقه في الغاية، أو هي فيه أعظم وأجلى ـ سارٍ، سائغٌ.

بل لا مُنْتَدَحَ عنه، لاسيّما بعد قولهعليه السلام ـ في بعض متون الحديث ـ: «ما كان من هذا أشدّ فالثواب فيه على قدر الخوف»[1]، الظاهر في أنّ الاحتفال بالشعار الحسينيّ مهما بلغ واشتدّ فالأجرُ فيه على قدر المشقّة، ما عدا قتل النفس المعلوم خطره.

لو كانت الطبيعةُ محرَّمةً؛ لما جاز فردٌ منه، وسَفَرُ الزيارة لا خصوصيّة فيه.

فمِلاكُ الحرمة واحدٌ، وهو الجامع بين الجرح وتعريض النفس له، ولا فرقَ بينهما إذا كانت مقدّمات التعريض اختياريّة.

وحيث مَنَعْنَا حُرْمَةَ الملاك المذكور ـ حيث لم يكن عن عبث، وبلا حقّ ـ فلا شبهة في شُمُولِ الأخبار له.

كلمة في مواكب اللَّطْم واللَّدْم[2]:

وهي معروفة لدى كلّ أحد.

لا أقنع في تجويزها بأصالة الإباحة، التي كنّا نتّكل عليها لو لم نقف في المقام على برهان ساطع.

---

(١) كامل الزيارات: ٢٤٤، ح٣٦٣.

(٢) اللَّدم: اللطم، وقيل: اللطم الضرب على الخدّ ببسط الكف، واللكم: بقبض الكفّ، واللدم: بكلتا اليدين.

روى شيخ الطائفة في «التهذيب» ـ صحيحاً ـ عن خالد بن سَدير، عن مولانا الصادق عليه السلام قوله: «لقد لطمن الخدود، وشققن الجيوب الفاطميّاتُ؛ على الحسين بن عليّ عليهما السلام وعلى مثله تلطم الخدود، وتشقّ الجيوب»[1].

وفي زيارة الناحية المقدّسة المرويّة في «المزار الكبير» للشيخ محمّد بن المشهديّ الحائريّ ـ من مشايخ ابن نما، ومَن في طبقته من فقهائنا ـ قول مولانا الحجّة عليه السلام ـ يصف حال النساء ـ: «برزن من الخدور، ناشرات الشعور، على الخدود لاطمات»[2]... إلى آخره.

ورواها الشيخ المفيد في «مزاره»[3].

وفي الزيارة التي زار بها المرتضى علم الهدى جدَّه الحسين عليه السلام ـ المذكورة في «مصباح الزائر» لرضيّ الدين ابن طاووس قدّس سرّهما ـ ما يقرب من تلك العبارة[4].

فإن كانت هذه رواية؛ وإلّا فناهيك بمثل السيّد ناقلاً، وما كان ليباهت وهو يخاطب جدّه بمثل ذلك الكلام.

وروى ابن نما عن قرّة بن عيس التميميّ، قال: نظرتُ إلى النسوة ـ لمّا مررن بالحسين ـ صِحْنَ، ولطمن خدودهنّ[5]... إلى آخره.

---

(١) تهذيب الأحكام ٨: ٣٢٥، ح١٢٠٧.

(٢) المزار، لابن المشهدي: ٥٠٤.

(٣) بحار الأنوار ٩٨: ٣٢٢ عن مزار المفيد.

(٤) مصباح الزائر: ٢٣٣، وفيه: «برزن من الخدور، للشعور ناشرات، وللخدود لاطمات».

(٥) مثير الأحزان: ٦٤.

وفي قصيدة دِعْبِل الخزاعيّ ـ شاعر أهل البيتعليهم السلام، المرويّة في كتب المناقب والحديث والأدب، وذكَرَها برُمَّتها الإربليّ في «كشف الغمّة»[١] ـ قوله:

[من الطويل]

أفاطمُ لو خِلْتِ الحُسَينَ مُجدَّلاً   وقد ماتَ عَطْشاناً بشَط فُراتِ

إذاً للَطَمْتِ الخَدَّ فاطِمُ عِندَهُ   وأجْرَيْتِ دَمعَ العَيْن بالوَجَناتِ

وفي رواية الصدوق: أنّه لمّا قرأها لطمت النساء، وعلا الصراخ من وراء الستر، وبكى الرضاعليه السلام حتّى أُغمي عليه مرّتين[٢].

أيحسب الظانّ أنّ دعبلاً نسب إلى الزهراءعليها السلام محظوراً ـ وهو بمحضر من الإمام ـ فسكت عنه؟

أو أنّ النساء فعلن محرّماً، فأقرّه عليهنّ الرضاعليه السلام؟

إذا ثبتت مشروعيّة اللَّطم؛ فهي لا تبارحُ الاستحبابَ، لاسيّما بعد قولهعليه السلام: «وعلى مثله تلطم الخدود».

ومتى تحقّق ذلك؛ فلا فرق في ذلك بين الخدّ والصدر، والملاك واحد. وشُبْهَةُ المجازف ـ بمنعه ـ واحدةٌ؛ من إيذاء وإيلام ونحوهما.

---

(١) كشف الغمّة ٣: ١١٤. وهي من عيون قصائد دعبل الخزاعي، بل لا تضارعها قصيدة في حرارة الرثاء الحسيني.

(٢) انظر: عيون أخبار الرضاعليه السلام ١: ٢٩٤ ـ ٢٩٦، ح٣٤، والغدير ٢: ٣٥ عن الأغاني ١٨: ٢٩، والمنتخب للطريحي: ٢٧.

والطبيعة تتحقّق بتحقّق الفرد، إلّا أن يمنع عنها مانعٌ يحصر حكمها بتلك الحصّة المتحصّصة بالفرد الخارجيّ، ودون إثباته خرط القتاد.

وإذا جاز لطم الخدّ ـ الذي هو ألطف أعضاء الإنسان، وفيه الباصرة التي هي مظنّة الضرر في أمثال المقام، ونفس الخدّ أقرب إلى التأثّر والانفعال من غيره ـ فهو في الصّدْرِ أولى.

لا ريب أنّ لدم الصدور ـ في مواكب منضّدة على الطرز المألوف، تَقْدُمُها الأعلام، أو هي والمشاعل؛ مشفوعاً بالندب والعويل ـ من أظهر مصاديق الإبكاء، وإحياء أمر أئمّة الدين والتذكير بمصابهم ومساعيهم، والتنفير عن أعدائهم، والحزن لحزنهم، فيشمله ما ورد فيها جميعاً، وناهيك به حجّة ساطعة على استحبابه.

وإن هو إلّا من الأداء لحقّ الحسين عليه السلام الواجب على الرجال والنساء؛ في رواية ابن قولويه ـ بإسناده ـ عن مولانا الصادق عليه السلام[1].

وفي حديثٍ آخر عنه ـ بروايته أيضاً ـ: «حقّ الحسين عليه السلام فريضة من الله واجبة على كلّ مسلم ومسلمة»[2].

وبإسنادٍ آخر له؛ عنه صلوات الله عليه ـ في حديث ـ: «حقّ الحسين

---

(١) كامل الزيارات: ٢٣٧، ح٣٥٤، وفيه قول الإمام الصادق عليه السلام لأمّ سعيد الأحمسيّة: «زوريه، فإنّ زيارة قبر الحسين واجبة على الرجال والنساء».

(٢) كامل الزيارات: ٢٣٧ ـ ٢٣٨، ح٣٥٥.

مفروض على كلّ مسلم»[١].

التـذكير لا يلـزم أن يكـون قوليّـاً، فربّمـا يكـون الفعـل ـ لتقارنـه بخصوصيّات ـ أشدّ تذكيراً، فيشمل مثل هذه المواكب.

على أنّ في ندبهم وندائهم تذكيراً قوليّاً.

ربما يلقي عليك مَن لا حريجة له مـن الـدين؛ كلمـاتٍ لـيس فـي وُسْعك التفصّي[٢] عنها بادئ بَدْء، كأن يقول: إنّ في لدم الصدور إيلاماً لها، أو إيذاءً، وربما أدّى إلى نزف الدم.

لكنّني أَلْفِت ـ هاهنا ـ اعتبـارَك إلـى مـا سـلف فـي بـاب جـرح الـرأس بالسيوف والقامات، فإذا كانت تلك الشُّبَهُ موهونـةً هنالـك؛ فهـي فيمـا هاهنـا أخفّ وأضعف.

إنّ صاحب كتاب «الدين والشؤون» لم يكفه ذلـك كلّـه، حتّـى زاد فـي الطين بلّة، فحاول أن يجعلـه مـن المضـرّ بالصـحّة، فَعَـزَا[٣] إلـى أحـد أطبـاء قسطنطين أنّه يورث داءً في القلب والرِّئة.

قال: ولو شرّح أبدان أغلب الإيرانيّين لعُلم وشوهد أنّ سبب مـوتهم هـو ذلك الداء، لإكثارهم من اللدم ـ أيّام عاشوراء ـ على قلوبهم وأكبادهم.

ولو لم يكن علّةً تامّة للموت؛ فهو علّة ناقصة له لا محالة[٤].

---

(١) كامل الزيارات: ٣٥٧، ح٦١٥.

(٢) التّفصّي: التَّخلُّص.

(٣) عَزَا: نَسَبَ.

(٤) دين وشؤون: ٥٧.

يا أبعد الله الوقاحة، وقبّح الإفك.

أليس هؤلاء الذين يقول عنهم ويباهت فيهم -وهم المعدودون بالملايين- بمسمع ومنظر من الأمم؟

أين ذلك الرجل الذي أخبر أنّ واحداً منهم قضى بذلك الداء العضال؟

إنّ مقتضى ما قَرَفَ بِهِ[1] قُدْسَ هذا العمل؛ شيوع ما ذكره -من المرض- في الإماميّة، وليس ممّا تخفى آثاره؛ من الصُّفْرَة والنُّحُول وغيرهما، حتّى يُتافِهَ القائلُ: بأنّه لا يبين عليهم علائمه.

ولماذا لم يتعرّض الصيدليّون -وأهل الصحافة، والباحثون عن خصوصيّات البلدان- إلى أنَّ البلاد الإيرانيّة تطفح بتلك العلّة المُمِضَّة؟

وهل شيعة إيران وقفقاسيا والعراق -المولعون بهذه الاحتفالات- أقصر من غيرهم أعماراً؟

أم أوهى قوىً؟

أم أضعف أبداناً؟

ولو كان لما يدّعيه ظلٌّ من الحقيقة؛ فلِمَ لم يَقْضِ على تلك الألوانِ الطيّبة -البيضِ المُشْرَبَةِ بالحمرة- والسِّمن المعتدل، والمزاج المستقيم، والصّحّة الموصوفة، والأعمار الطبيعيّة أو الطويلة؟

أم تقول: تلك الأهواء تؤثّر هاتيك الآثار، وتقتضي بطول الأعمار؟

---

(١) قَرَفَهُ بالشيء: عابه به وانتقصه.

إذاً، فحبّذا هذا المرض.

ثم إنّ هذا الرجل لم يُرْضِهِ ذلك كلّه، حتّى قال: إنّ كلاً من اللَّطم والنداء كان من شعائر الجاهليّة الباقية عند العرب، ثم تسرّب منهم إلى الإيرانيين[١].

وحبّذا لو أعلمنا بإسناد هذه الرواية، لكنّه لو طولب بذلك لبان أنّه حدّثته به هواجسه، وحملته على روايتها بواعثه.

هذه السِّيَرُ والآثار ـ المتكفّلة لبيان عوائد الجاهليّة ـ خالية عن ذلك، وأقرب ما يمكنك اقتناؤه وسَبْره كتاب «بلوغ الأرب»[٢] فقد استوفى فيه ما كانت للجاهليّين؛ من عادات وآداب وأخلاق، وبِدَع وخرافات، وليس فيه ممّا اختلقه عين ولا أثر.

إنّ هذه الفرية ممّا يدلّنا على جهل الرجل بالتأريخ، فإنّ الباحث عن تواريخ الأمم والقرون يجد في تأريخ أُخريات القرن الرابع من «كامل ابن الأثير»[٣]: أنّ معزّ الدولة وركن الدولة البويهيّين هما المؤسّسان لتنضيد المواكب، وكانت الشيعة قبلهما تَرْسُفُ[٤] في قيود الأسر، قد تحكّمت فيها وطأة العبّاسيّين، وقبلهم الأمويّين، لا يتسنّى لهم من التذكارات الحسينيّة إلّا

---

(١) دين وشؤون: ٥٧.

(٢) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، تأليف: محمود شُكري الآلوسيّ البغداديّ.

(٣) الكامل في التأريخ ٨: ٥٤٩.

(٤) رَسَف الرجل: مشى مشي المقيَّد.

المآتم السرّيّة.

ثم لمّا انحلّ عنهم عقال الضغط والاضطهاد ـ بفضل استفحال أمر الديالمة، واستئصال شأفة العبّاسيّين، وقوّة شكيمة الفاطميّين بمصر، ونبوغ رجال دينيّين منهم ـ رأوا أنّ من المتحتّم عليهم إقامة تلك الشعائر ـ بثّاً للدعوة، وتعميماً للنهضة، وإقامة للمذهب، وإشاراً للأمر ـ عبر العناوين اللازمة لها، المندوب إلى كلٍّ منها في الشريعة المقدّسة.

فما برح الأمر كذلك، حتّى تَسَنَّم أريكةَ الملك ذَوُوها؛ من آل محمّد صلى الله عليه وآله «الصفويّون»، وما كانوا ـ يوم ظعنهم وإقامتهم ـ يَعْدُونَ للعلماء أمراً، ولا يتخطّون للشَّرْع إشارة.

وكان قد نَبَغَ[1] ـ بفضل إعدادهم ومساعيهم ـ رجالٌ مصلحون، فنشر هؤلاء وأولئك من مآثر العترة الطاهرة ما كان سَتَرَهُ عداء المتغلّبين، ومنها: هذه المواكب الحسينيّة.

ثم ـ من بعدهم ـ ما برحت الأيّام تُدِرُّ حَلَبَها[2] لملوك الشيعة وعلمائها في إيران، وكلٌّ من الحزبين يعضد هاتيك التذكارات، حتّى بلغ من أمرها ما بلغ.

خلاصة القول: إنّ الشيعة ما كانت تعرف شيئاً من اللَّدْم ولا غيره ـ عربها، والأعاجم ـ فأين هو عن عادات الجاهليّين الباقية في العرب؟

---

(١) أي: ظهر.

(٢) الحَلَب: اللبن المحلوب.

هب أنّ ذلك من عادات الجاهليّة، فهل هو من عاداتهم الوثنيّة؟

أو من عباداتهم التي فنّدها الشارع؟

وهل هو من بِدَعهم وأضاليلهم، وأحاديثهم الخرافيّة؟

أم تقول: إنّ كلّ عادة كانت قبل الإسلام فهي بدعة وضلالة؟

نقول على الأوّل: إنّ فعلهم ذلك ما كان ممّا يتزلّفون به إلى بارئهم، ولا كانوا يأتون به تقرّباً إلى أوثانهم، ولم يأتوا به تشريعاً، فيكون بدعة موبقة.

وإنّما كان ذلك ـ لو كان ـ لِما جرت عليه الجِبِلَّة البشريّة؛ من الجزع، وضرب النفس عند اشتداد المصاب، وفقد الأحباب.

إنّ عادةً جاهليّة هذا شأنها إذا لم نظفر من الشارع على نهي صريح عنها ـ بل شملها إطلاقات وعناوين ـ ما الذي يردعنا عن اتّباعها؟

وعلى الثاني: أنّ من الباهظ أن يُلْتَزَمَ بذلك، حتّى في ما لم يكن من شؤون كفرهم وبدعهم الإلحاديّة، أو عوائدهم الهمجيّة، أو عقائدهم الخرافيّة.

وحسبك بالطواف وأضرابه، والبيوع وغيرها؛ ممّا بقي محفوظاً تحت عواصف الإلحاد.

ولَئِنْ كان حقّاً ما تقول؛ فلماذا أمضاها الشارع؟

غاية ما هنالك أنّه أضاف إلى بعضها شروطاً، وأزاح عن الأُخر عللاً وموانع.

ومن تَقَوُّلِ الرَّجل في المقام: ما عزاه إلى الحسين عليه السلام من أنّه قال لأخته زينب: لا تجزّي عَلَيَّ شعركِ، ولا تخمشي وجهك، ولا تلطمي صدرك، ولا تشمتي الأعداء.

ثم قال: ـ في ذيل هذه الرواية ـ: إنّ جزّ الشعر، وخمش الوجه، والجزع المفرط، قد ذمّتها الشريعة المقدّسة، لأيّ ميّت كان[1].

وأولى له من اقتحامه ـ بإطلاق الحكم بعد الرواية ـ أن يرشد القرّاء إلى إسناد حديثه ذلك، ومن ذا الذي أخرجه من علماء المسلمين؟

وأنّى له ذلك؟

وإنّما الموجود ما أسلفنا روايته؛ من قوله عليه السلام: «لا تشقّي عليّ جيباً، ولا تخمشي عليّ وجهاً، ولا تدعي عليّ بالويل والثبور إذا أنا هلكت»[2].

وقد مرّ وجه الكلام فيه.

وعلى فرض ثبوت هذا الكلام؛ فأين منه الدلالة على ما توخّاه؟

وهو وصيّة شخصيّة منه إليها، بعثته إليها عاطفة الرحم.

وكثيراً مّا يجري مثلها بين أولي الأرحام، وذوي الأواصر القريبة ـ عند إقبال المصاب ـ تثبيتاً للقلوب، وتسلية عن المصيبة.

على أنّ المراد من ذلك ـ بقرينة ما في آخره؛ من ذكر شماتة الأعداء ـ: هو ما يبعث إليها؛ من موجبات الذلّة والهوان.

---

(١) دين وشؤون: ٥٧.

(٢) الإرشاد ٢: ٩٤.

والمذكورات ـ في روايته المُخْتَلَقَة ـ ربّما أدّت إليها؛ إذا صدرت من أهل الميّت.

وحاله كحال كريمات الهدى، وهُنَّ رهائنُ الأسر، وفي حَلَق السَّبي، تبغي بهنّ الأعداء كُلَّ صَغار، وترقبُ منهنّ كُلَّ مهانة؛ لتُشِيَعها وتزيدَ بذلك على مصابهنّ مصاباً.

فأين هذا من فعل الغير الذي هو تضجّر وتذكير، وتظلّم وتنفير، وبيان حال، وإثبات حقائق، وإزاحة شبهات ؟ كما عرفت كلّ ذلك تفصيلاً.

ولقد باهَتَ في قوله: إنّ جزّ الشعر... إلى آخره.

ويشهد عليه بذلك ما رواه المفيد، وابن قولويه في «الكامل»[(١)] وشيخ الطائفة في «الأمالي»[(٢)] بأسانيدهم، عن مولانا الصادق عليه السلام: «كلّ الجزع والبكاء مكروه، ما سوى الجزع والبكاء لقتل الحسين عليه السلام».

وفي خبر مِسْمَع بن عبد الملك ـ المرويّ في «كامل الزيارة» ـ: أنّ الصادق عليه السلام قال له: «أفما تذكر ما صُنع به»؟ ـ يعني الحسين عليه السلام ـ قال: بلى، قال: «فتجزع»؟ قلت: إي والله، وأستعبر لذلك حتّى يرى أهلي أثر ذلك عليَّ، فأمتنع من الطعام والشراب حتّى يستبين ذلك في وجهي، قال: «رحم

---

(١) كامل الزيارات: ٢٠١ ـ ٢٠٢، ح٢٨٦ عن الإمام الصادق عليه السلام، بلفظ: «إنَّ البكاء والجزع مكروه للعبد في كُلّ ما جزع، ما خلا البكاء والجزع على الحسين بن علي عليهما السلام فإنّه فيه مأجور».

(٢) أمالي الطوسيّ: ١٦٢، آخر الحديث ٢٦٨، رواه عن المفيد، عن ابن قولويه.

الله دمعتك، أما إنّك من الذين يعدّون من أهل الجزع لنا، والذين يفرحون لفرحنا، ويحزنون لحزننا، ويخافون لخوفنا، ويأمنون إذا أمنّا»[١] ـ تمام الخبر.

وقد دلّت الرواية الأولى ـ بحكم الاستثناء ـ على أنّ الجزع للحسين عليه السلام محبوب في الشرع ـ بأقسامه ـ حيث ذكرت أنّه مكرُوهٌ كُلُّه في غيره، فيجب أن يكون سائغاً فيه كلّه.

ومن مراتبه وأقسامه: لطم الخدود، ولدم الصدور، والضرب بالسلاسل على الظهور، وبالسيوف على الرؤوس... إلى غيرها، ما لم يصل حدّ القتل.

الجزع إنّما يُعَدُّ إفراطاً إذا كان زائداً على مقدار من يُجزع له.

أمّا الحسين عليه السلام ـ الذي لا يُدرك مدى فضله ـ فمهما بلغ الجزع فيه؛ فهو دون مقداره.

ونحن لو قتلنا أنفسنا ـ جزعاً عليه ـ فإنّ ذلك لا يكافِئ مساعيه في سبيل نجاتنا، وتشييده ديناً أبقاه لأجلنا ونجاحنا، غير أنّ القتل محظور، فلا حرج في ما دونه.

ثم إنّه استرسل في جماحه، ولم يُقنعه ما صعّد وصوّب، حتّى قال: إنّ نوع هذه الأعمال ـ في حدّ ذاته ـ نوعٌ من الرقص الذي ليس فيه فائدة فنّيّة، ولا ميزة صناعيّة، وهو معدود من الملاهي المنهيّ عنها، واللعب المذموم... إلى آخره[٢].

---

(١) كامل الزيارات: ٢٠٣ ـ ٢٠٦، ح ٢٩١.

(٢) دين وشؤون: ٥٨.

ما كان بالحسبان أن يرقب ذو لبّ انتفاع الصيدليّ من تلك الأعمال، أو غيرها من العبادات؛ في فنّه، والساعاتيّ في صنعته، والعطّار في حرفته، والكاتب في مهنته.

ولقد علم حتّى البسطاء أنّ القُرُبات إنّما هي طرق ووسائل إلى تهذيب النفوس، وتزكية الأخلاق، وحفظ عالم الاجتماع، ولا دخل لها في شيء من الحِرَف والصنائع.

وقد تعاور هتافنا في هذه الرسالة بأنّ الانتفاع الفعليّ بتلك الأعمال إنّما هو من الجهة الاجتماعيّة، والسياسية الدينيّة، والإلفات إلى حفظ جامعة الدين التي ما حفظها قوم إلّا ودام لهم العزّ والفخار، وكانوا بين الأمم الراقية مثالاً للقوّة والمَنَعة والسَّداد، والأُبّهة والحِفاظ، فلا تُغمَز لهم قناة، ولا تُقرَع لهم صفاة.

وهل تبغي فائدةً هي أرقى من هذه؟

أو ميزةً هي أحظى من أن يُحْفَظَ بها شرفُكَ، ويبقى بها كيانك؟

وحبّذا لو بيّن لنا من أيّ أقسام الرقص هي؟

وأيّ منها يشبهها؟

مهلاً يا ابن وُدِّي، إن كنت تريد تلويث تلك الأعمال؛ فعلّك تجد إليه طريقاً معقولاً، ولا تجد.

وأنْ يقف الإنسان على حقيقة راهنة ـ ولو على ضدّ مبتغاه ـ خير له من

أن يرمي القول على عواهنه(١)، وعلى الأقلّ فالسكوت أَسْتَرُ لعارك، وأَغْمَرُ لعَوارِك(٢).

ما هكذا تُورَدُ يا سَعْدُ الإِبلْ(٣)

وأمّا النهي والذمّ؛ فإن أراد بهما الخصوصيَّيْن فلا عجب، فقبل هذا قال إفكاً، وشهد زوراً.

وإن يُرد العمومات والإطلاقات ـ كما يرشح ذلك من مجالي كلماته ـ فقد بان مقدار هذا القول من الحقيقة، وأنّها مشمولة لعناوين كثيرة من المرغّبات.

فلا تغرّنّك ورطات القالة، ولا تذهب بحلمك هَلَجَاتُ(٤) المتهوّسين.

ومن كلمات هذا الرجل ـ في المقام ـ قوله: إنّ تلك المواكب المؤتلفة من اللادمين وأهل السلاسل؛ إذا اشتدّ بهم الحال، وحمي الوطيس؛

---

(١) يقال: رمى الكلام على عواهنه، أي أرسل الكلام على ما حضر منه وعجل من خطإ وصواب، ولم يبال أصاب أم أخطأ.

(٢) العَوار: النقص والعيب.

(٣) هذا عجز بيت لمالك بن زيد بن مناة يخاطب أخاه سعداً، صدره:

أوردها سَعْدٌ وسَعْدٌ مشتمِلْ

هو مَثَلٌ يضرب لكُلّ من أورد حجة يعلم بطلانها وعدم فائدتها في المورد. انظر: جمهرة الأمثال ١: ٩٣، المثل ٧٩ «أوردها سعد وسعد مشتمل»، ومجمع الأمثال ١: ٨٦، المثل ٤١٠ «آبَلُ من مالك ابن زيد مناة».

(٤) الهَلْجُ: أضغاث الأحلام.

طفق كلٌّ منهم يلطم صدره، وآخر يضرب بسلسلته ـ وهو لا يبغي إلّا التفوّق على صاحبه ـ بِشِدّةٍ يُبْقي محلّه مسودّاً كوجوه أهل البدع، وكثيراً مّا يتدفّق منه الدم، ثم بعد أن فرغوا من عملهم أخذ كلٌّ يتحمّس على صاحبه، ويبرز له أثر شجاعته(١).

وقال في موضع آخر: إنّ أولئك الأقوام فيهم أخلاط لا يقصدون من فعلهم إلّا السمعة، وإظهار شخصيّته للأبكار والأرامل(٢).

وليت شعري، من أين علم بضمائر أولئك ونيّاتهم، وأنّهم لم يقصدوا إلّا المغالبة والرياء؟

وهل هو إلّا تهجُّسٌ ورجمٌ بالغيب، وإساءة ظنّ بالمؤمنين؟!

ولِمَ لَمْ يضع فعل أخيه على أحسنه؟

فيحتمل أنّه إنّما يجدّ في الضرب واللَّطْمِ لما يتجلّى له في مخيّلته؛ من عظم الفادح، وشدّة الحال، فيهيج فيه الحزن، وتستفزّه لوعة المصاب، فيُستثار إلى ذلك من دون اختيار منه، أو باختياره حيث يرى المقام حَرِيّاً لما هو أشدّ من ذلك وأعظم.

أو أنّه يرى أنّ بذلك تحسيناً لصورة الحال، وتعظيماً لمجالي ذلك الاحتفال، وأنّه مهما جدّ في فعله واشتدّ؛ فهو أَدْخَلُ في المقصود، وأَثْبَتُ للغاية المتوخّاة منه، وهو كما يرى.

---

(١) دين وشؤون: ٥٨.

(٢) المصدر السابق.

أو أنّه يريد ـ مع ذلك كلّه ـ تنشيط أصحابه بمثل جدّه واجتهاده؛ بتلك الحكمة العمليّة.

وكلّ هذه أعمال عباديّة تُقَرِّبُ العبد إلى الله زلفى.

ولِمَ لَمْ يسوّغ أن يكون إظهار فعلته لصاحبه، وما حسبه عُجباً وتحمّساً ـ لو صدق في نقله ـ من باب التحديث بما خوّله الله من نعمته؛ بالحظوة بهذا العمل الشريف، امتثالاً لقوله سبحانه: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[1].

أو أنّه يريد تشجيع المُخاطَب لمثل عمله، فيكون دالّاً على الخير وكفاعله، وكلٌّ من ذينك القصدين يوجب تزلّفاً وتقرّباً.

وإن كنّا نتغاضى ـ بالمسالمة معه على ما قرفهم به ـ فإنّ لنا في ما هاهنا مرحلتين:

الأُولى: ما يترتّب على هذه التظاهرات؛ من إحياء أمر الأئمّة الطاهرين عليهم السلام وذكرى مآثرهم وفجائعهم، وإبكاء الموالين لهم، وما في نهضاتهم من فوائد اجتماعيّة، ولهم من أخلاق كريمة، ومساعٍ مشكورة، ولأعدائهم من ملكات ذميمة، ومبادٍ إلحاديّة، إلى غيرها ممّا يترتّب عليها ترتّباً طبيعيّاً.

إنّ هذا الكشف والتبليغ لا تناط استفادتهما منها على القصد وإخلاصه، فإنّها مستتبعة لنفس الموجودات الخارجيّة، والمظاهر المشهودة التي هي

(١) الضحى: ١١.

المذكّرة لذلك التأريخ العظيم فحسب، والنيّة ـ التي هي من الأعمال القلبيّة ـ لا مدخل لها في شيء من ذلك.

وهو ـ حيث لم يَخْلُصْ قَصْدُهُ ـ لا يتجاهر به في هتافه، ولا ينوّه بمدح يزيد مشفوعاً بذكر الحسين عليه السلام، ولو عزوت إليه ذلك القصد لجَبَهَك بالردّ، وتجهّم أمام اقترافك ذلك الإثم.

إذاً فلا يظهر من مجالي عمله إلّا أنّه شعار حسينيّ، واحتفال بمصابه، وإقامة لعزائه.

وإنّك إذا بنيت مسجداً، وعمّرت مشهداً؛ فهل يتوقّف تحسين البناء وإحكامه على إخلاصك للنيّة؟

أم أنّ الذي يدخل في ذلك هو إكمال عُدّته، وإعداد مقدّماته؛ من لَبِن، وأخشاب، وتجصيص، وإعمال للرويّة في بنائه؟

وهل الذي يرغِّبُ الناسَ للصلاة فيه؛ نيّتُكَ الخالصة، أم تهيّؤُ المسجد وتجلّيه لهم على هيئته؟

نعم، هنالك مرحلة أخرى: وهي جهة استحقاقك لمزيد الثواب، وترتّب الأجر على عملك، فيشترط فيه نيّة التقرّب المحضة.

والذي لا يحافظ على هذه الجهة؛ فإنّما يعاتَب على عدم استزادته من الثواب، لكنْ له العتبى على صنيعه المؤثّر أثره.

هب أنّه لا يثاب بقصدٍ، فهلّا يؤجر على آثار عمله ـ وقد أجهد نفسه، ورضي العَنَتَ فيه ـ؟

حاشا فضل ربّنا أن لا يثيبهم، كمن أغاث هالكاً بأَكْلَةٍ، أو شُرْبَةٍ ماء ـ وقد كاد أن يُودَى به[١] من السَّغِب أو الظَّمَأ ـ فأمسك على رمقه، وحفظ حياته، فهل تنتظر في إطراء الرجل حتّى تستبين عندك نيّته؟

لا... لا، تَمْدَحُهُ ولا تنتظر.

ثم إنّ الرجل أخذ يطفو ويرسب في غمرات الجهل، حتّى تدافعت به إلى هذا القول: إنّ تلك المواكب ـ من أهل اللطم، والسلاسل، والشموع، والقامات ـ يدخلون المشاهد والمساجد وهم حفاة، ملطّخة أرجلهم بالكثافات[٢] والأطيان والدم يجري عليهم من غير اكتراث ولا مبالاة فترى الرجل منهم يقع تارةً، وينتصب أخرى، فيدخلونها بهوساتهم، ضاربين بأرجلهم، فيتلوّث بذلك صحنها، وسطحها، وفرشها، وعرشها؛ بالأطيان والدماء.

هذا، وقد أكّدت الشريعة المطهّرة على تنظيفها وتطهيرها، ونحن نعتقد أنّ المساجد بيوت الله، فالالتزام بالتديّن يقضي بمراعاة حرمتها، والمواظبة على تنظيفها... إلى آخره[٣].

هبْ أنّ شيئاً ممّا ذكره واقع، لكن ماذا الذي يمسّ منها بتلك المواكب، ونفس اللَّدْم، والنّداء، والنُّدبة، والخروج إلى الشوارع؟

---

(١) أودى به: أهلكه.

(٢) بمعنى الأوساخ.

(٣) دين وشؤون: ٥٩.

أوَ ليس من شأن المصلح ـ إذاً ـ تنبيههم على ما يُـزْرِي بشأنها، ويَحُطُّ من مقدارها؛ اتّفاقاً؟

وهل له الإزراء بأصل الفعل؛ بما يعرضُ لهُ أحياناً؛ غيرَ ذاتيّ له وغير مقصود فيه التنقيصُ من حُرْمَةِ المَحَلّ؟

ثمّ إنّ أهل القامات لا يدخلون المشاهد، ولا المساجد، وإن كانوا يخرجون ـ في بعض البلاد ـ من المساجد نادراً، فإنّهم إنّما يضربون حيث يخرجون، فلا يسيل الدم إلّا وهم في خارجها، وإنّما يفعلون ذلك لأنّهم يبغون للضَّرب محلاً شريفاً.

وأمّا الباقون؛ ففي الأغلب لا يكون في أرجلهم ما يَسْري منها إلى غيرها، وإن كان ذلك أحياناً؛ فليس ذلك من النجاسة الشرعيّة الواجبة إزالتها، وإنّما هي أوساخٌ مجتمعة.

وأكثرُ منها يكون في الروضات المقدّسة؛ في أيّامِ الزيارات، وازدحامِ الزوّار في المساجد ـ لدى إقامة المآتم والجماعات ـ لكنّه سرعان ما يُكْسَح ويُقَمّ ما هنالك، ولذلك رجال موظّفون.

ومثله لا يحقّق عنوان الإهانة المحرَّم، لاسيّما في مثل تلك الأيام والحالات التي تُخْرَم فيها العادات، وتنفصم عُرى الرسوم والآداب.

وأمّا الهوسات؛ فلا يكاد شيء منها يقع في نفس المشاهد والروضات المقدّسة.

نعم، يكون فيها الهجمة والانكباب على الضرائح المطهّرة، والنداء بما

يقال عند تسلية المصاب ـ خطاباً لصاحب القبر الذي لا يعزب عنه محلّهم وأصواتهم ـ أو عند عظم الفادح، وربما يكتفون بقولهم: «يا حسين، يا حسين»، ونحو ذلك.

وقد ورد في الهجمة على عليّ عليه السلام: «أنّها تمحو سبعين كبيرة» رواه العلامة السيّد مهدي القزويني قدس سره في «فلك النجاة»[1].

وهي لا تكون إلّا من فرط الحبّ، وتحكّم عظم المصيبة في القلب، ولهم في ذلك أسوة بربّات خدر الرسالة؛ في ما يقول عنهنّ الحجّة المنتظر عليه السلام، وعجّل فرجه في زيارة الناحية المقدّسة: «برزن من الخدور ناشرات الشعور» إلى قوله عليه السلام: «وبعد العزّ مذلّلات، وإلى مصرعك مبادرات»[2]. وإن هو إلّا بِدارٌ كما ابتدرن، وهجمة كما هجمن؟

ولو كان في مثلها إساءة للأدب مطلقاً؛ لما شَرَعَ ـ سبحانه ـ الهرولةَ بين الصفا والمروة، والناس ـ عندئذٍ ـ مجموعون لربّ العالمين، نُصْب عين بارئهم، خاضعين متذلّلين.

وتلك الحال مِنْ أهمّ ما تراعى فيه الآداب، وهي من عادات البيئة في مثل تلك الحالات، والآدابُ والرسومُ تختلف باختلاف المحالِّ

---

(١) فلك النجاة في أحكام الهداة من الواجبات والمستحبات المتعلّقة بالصلاة وغيرها من العبادات إلى آخر الحج والمزار، للسيّد محمّد مهدي بن الحسن الحسيني القزويني الحلّيّ النجفي، (ت ١٣٠٠هـ)، طبع طبعات حجريّة. انظر: الذريعة ١٦: ٣١٣، الرقم ١٤٣٤.

(٢) المزار لابن المشهدي: ٥٠٤، بحار الأنوار ٩٨: ٣٢٢ عن مزار المفيد، مصباح الزائر: ٢٣٣.

والاعتباراتِ، فلا تعدّ إساءة للأدب، مع قطع النظر عن الرواية.

والضرب بالأرجل هو من لوازم هذه الهجمة، وسوف نذكر عن السيّد الرضيّ والوحيد البهبهانيّ ـ قدّس سرّهما ـ مثل ذلك.

لا ترى أولئك الرجال ـ في سائر أطوارهم في المشاهد المقدّسة ـ إلاّ خاشعين خاضعين متذلّلين، كأنّ صاحب المشهد نُصْب أعينهم.

ومع هذه ـ كلّها ـ لا يتحاشون من نحو ذلك، حيث يقتضيه المقام عند دخول المواكب إلى المراقد الشريفة، حيث لا يرونه منافياً للآداب.

وأمّا الهوسات ـ في الخارج ـ لدى الدخول والخروج من الصحن الشريف، أو المأتم، أو الدور؛ فكلّ ذلك مباح، لم يرد من الشرع ما يدلّ على منعه، وهي من أطوار العزاء والعادات المباحة، فتشملها الإطلاقات جميعاً.

لم يفهرس لنا الشَّارعُ أفرادَ المظاهرات الحسينيّة السائغة؛ حتّى تقف دونها، وإنّما هي إطلاقات وعمومات تحذو حذوها ريثما سَرَتْ، وأنّى وَقَفَتْ؛ ما لم يصدّنا وازع شرعيّ ـ كما في الغناء ونحوه ـ ولسنا نبالي أنها تلائم خطّة فلان أم لا.

وكذا الحال في جملة من الكلّيات الواردة في الشريعة المطهّرة، كإعانة البرّ والتقوى، أو إعانة أهل العلم مثلاً، فقد وُكِلَ تمييز صغرياتهما إلى العاملين بها.

فلم يرد أمر خاص بتعمير المدارس والرباطات إلّا بذلك الإطلاق،

وعليه فَقِسْ.

وأمّا أنّه يقع تارةً وينتصب أخرى؛ فلو صدق فهو حال من أنهكه الحُزْنُ، وبلغ منه الحُبُّ، ولا مانع منه، ولا حزازة فيه إن شاء الله تعالى.

كلمة حول تفريق الشموع:

لم يَحْظَ إخواننا العراقيّون بهذه المظاهرة الباهرة، وإنّما شاع تداولها في بلاد «أذربيجان».

وإنّما تعرّضنا لذكرها ـ هنا ـ لما وجدناه من إزراء بعض زعانفة العصر بها، ولإرشاد هؤلاء بالأخذ بها؛ كإخوانهم الإيرانيّين، فإنّ النزعة واحدة، والقصد واحد.

وكيفيّة ذلك: أنّهم يجتمعون ليلة عاشوراء زرافات وجموعاً مؤتلفين؛ من أشراف الناس، وأوساطهم، وساقتهم.

وكان وليّ العهد ـ أيّام إقامته بتبريز ـ يدخل معهم، ويختلط بهم كأحدهم، ومِثْلُهُ غيرُهُ من أركان الدولة وأعيان الحكومة، والكلّ هنالك شَرَعٌ سواء، فلا حاكم ولا محكوم، ولا رئيس ولا مرؤوس، وهم يطرقون الأزقّة والطرقات بلا حذاء ولا عباء، وقد شدّوا رؤوسهم ـ بدل القلانس، والتيجان، والبُرْنُس ـ بعصابة سوداء، وكلٌّ منهم بيده شمعة موقدة، ومعه شموع كثيرة، فيأمُّون المساجد، فيضع كلّ واحد منهم ـ في كلّ مسجد دخلوه ـ شمعةً واحدة ممّا عنده، حتّى يأتوا على واحد وأربعين مسجداً، ثم يتفرّقون وهم يندبون الحسين عليه السلام ـ في سيرهم ـ أشجى ندبة وأرقّها،

وكذلك عند أبواب المساجد؛ ندبةً مخصوصةً بتلك الليلة، ومناسِبةً لتلك الحالة، ندبةً تستدرّ الدموع، وتذيب الحوايا والقلوب، وتُسَعِّرُ جمرات الوجد بين حنايا الضلوع.

فلو مررت على تلك المساجد؛ إذاً لوجدت المنابر والمحاريب فيها شُعْلَةً واحدة، غير أنّ الموظّفين لخدمة المسجد يجمعون تلك الشموع، ويقسّطونها على ليالي السنة، فيوقد كلّ ليلة منها ما تقضى به حاجة المسجد للمصلّين جماعةً أو فرادى، وللعبّاد والناسكين.

والمشهود في اجتيازهم في السكك والشوارع؛ أنّهم لا يسيرون إلّا الهُوَيْنا[١]، سير الواله الحزين، سير من أنهكه المصاب، وأضناه الحزن، وهم في تلك الحالة شُعْث غُبْر، كأنّ سيّدهم الحسين عليه السلام نُصْب أعينهم، وهو تحت مشتجر السيوف، ومختضد[٢] الرماح.

وأحسب أنّ من أسّس هذا العمل دارت في خَلَده نكتةٌ حَرِيّةٌ بالذكر، حقيقةٌ لأن يُقتدى به لأجلها، وفيها طرف من التشبيه، ألا وهي: تهيئة تلك الشموع للّيلة الحادية عشرة؛ لتستضيء بها حرم النبوّة، حيث إنّ الحسين عليه السلام يقتل يوم العاشر، هو وصحبه، وتستباح رحاله، فتظلّ عقائل بيت الوحي ـ إذا جنّ الليل ـ في ظلمة داجية، فهؤلاء الشيعة يهدون ـ لذلك ـ إليهنَّ الشُّمُوعَ.

---

(١) الهُوَيْنا: التُؤَدة والرفق.

(٢) خَضَد العودَ: أي كسره ولم يَبِنْ.

وأظنّ أنّي لم آل جهداً في بيان وضعيّة هذا الموكب، حتّى كأنّي أريتك إيّاه ببصرك، أو ألمستكه بيدك.

وشهيدي على ذلك كلّ أهل «أذربيحان» والله من فوقهم على ذلك شهيد.

لكنّ الهوى والعصبيّة عملا بصاحب كتاب «الدين والشؤون» فعمد إلى الحطّ من عملهم.

وحيث أعياه التقلّب والتحوير؛ رماهم بأنّهم إذا أخذوا في السير يمشون سراعاً لا يبالون، فإن استقبلهم أحد ـ حين ذاك ـ فربّما وقع بينهما تصادم؛ بترك المستقبِل ملقىً على الأرض جريحاً وهم لا يشعرون[1].

هذا ما عند الرجل، وذلك ما وصفتُهُ لك من أحوال القوم، فانظر هل تسمح لك النَّصَفة أن تقول بإمكان المصادمة بينهما في مشيهم ـ ذلك ـ الرويد؟

كلمة حول الضرب بالسلاسل:

تداول تنضيد هذا الموكب في البلاد الإيرانيّة أوّلاً، ثم تسرّب منها إلى البلاد العراقيّة.

ولا إشكال في جوازه ورجحانه، لشمول ما سلفت الإشارة إليها؛ من الإطلاقات والعمومات في الاحتفال بالشعار الحسينيّ صلوات الله عليه

---

(١) دين وشؤون: ٦٠.

علانيةً. والمناطُ في جميع ذلك واحد، ولا مخرجَ عنه ما لم ينته إلى حرام بيّن، وهو مُنْتَفٍ في المقام، حتّى في ما إذا احمرّ محلّ الضرب، أو اسودّ، أو أُدمي، كما بسطنا القول فيه في «مواكب السيوف واللدم».

فإذا جاز إدماء العضو ـ هنالك ـ متقصّداً؛ فهو في ما قد يكون اتّفاقيّاً ـ من غير قصد ـ أولى، فهو كالإدماء الذي ربما يتّفق في لدم الصدور.

والحُكْمُ فيه الإباحة الأصليّة ـ كبقيّة المظاهرات الحسينيّة ـ ثم الرجحان وتأكّد الاستحباب بتلك العناوين السالفة، بل قيل: إنّ انطباقها عليه أجلى من انطباقها على مواكب اللدم.

فلا يهولنّك ما بدر إليه بعضُ من لا حريجة له من الاعتبار: من إلقاء عناوين موحشة ليس في وسع البسيط التفصّي[1] عنها، كأن يقول: إيذاء، إيلام، جرح، ظلم، حرام يقيناً.

وآخر يُسمعك ألفاظاً هائلة: همجيّة، وحشيّة، الوجدان الصحيح لا يقبل ذلك، وأنّه خلاف العقل والمنطق.

ويشترك الجميع في أنّها أَفْرَغُ من قَلْبِ أُمِّ مُوسى[2].

كلمة حول الاحتفال بمقتل الحسين عليه السلام:

من الأصول المسلَّمة بين الأمم: الاحتفال بذكرى الرجال العظام،

---

(١) التَّفَصِّي: التَّخَلُّص.

(٢) أخذاً من قوله تعالى في الآية ١٠ من سورة القصص: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا﴾

وادّكار مآثرهم أيّام مواليدهم، ووفياتهم؛ إخلاداً لذكرهم، وإبقاءً لآثارهم، وإرشاداً للناس لأن يقتصّوا أَثَرَهم، ويحتذوا مثالهم.

كان هذا هو الطريق المَهْيَع في سائر العصور والأجيال؛ في كلّ زعيم دينيّ، أو عالم كبير، أو فلكيّ شهير، أو مكتشف بارع، أو مَلِك قد أبدع في تنظيم مملكته.

إنّ تلك الاحتفالات هي أكبر العوامل في تأبين ذكرهم، وإخلاد مآثرهم، وبثّ مشروعاتهم.

وإن كانوا هم عِلَلاً محدثة لتلك السنن والمناهج؛ فهي عِلَلٌ مُبْقِيَةٌ لها.

وقد بالغوا في الاعتداد بالذكرى؛ حتّى إذا لم يكن المدَّكَر من سنخهم، أو أهل نحلتهم، فإنّ الغاية المتوخّى نشرها وإبقاؤها هي ما كان مشتركاً بين الجميع.

إنّ عمدة الاحتفال هي لَفْتُ الأنظار إلى جهة المدَّكَر ـ ولو من غير جهة التذكير ـ فكلّما كان أَشَدَّ لَفْتاً؛ فهو أبلغ في الإفادة.

فإذا كان قولاً؛ فهو لا يُذَكِّر إلّا الحاضرين.

وإذا كان ـ مع ذلك ـ فِعْلاً، وله مقارنات؛ من عجّة وضوضاء، أو ما يروق في الأنظار؛ من عَبْرة، أو تعجّب، أو ضحك... [1].

---

(١) هذا آخر ما ظفرنا به من هذه الكلمة بقلم المؤلّف العلامة الأُوردبادي قدس سره.

(١٠)

الآيات البيّنات

في قمع البدع والضلالات

«المواكب الحسينيّة»

تأليف

الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء

(١٢٩٤ هـ ـ ١٣٧٣ هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد حمد الله، والصلاة على أنبيائه وأوليائه، يقول ناشر هذه الطُرف، وحاشر هذه التُحف، العبد الفقير إلى ربّه محمّد ابن المرحوم الشيخ عبد الحسين آل كاشف الغطاء:

إنّ أُستاذنا الأعظم، حامل أمانة الشرع الشريف، وكافل سدانة الدين الحنيف، آية الله والحجّة وصراطه والمحجّة، الشيخ شيخ محمّد حسين آل كاشف الغطاء أدام الله بركات إفاضاته وأيام إفاداته، مازال منذ ثلاثين عاماً يناضل عن دين الإسلام ويحامي ويذب عنه، قد أوقف نفسه سحابة عمره، في سدّ ثغوره، وتشييد سوره، وإعلاء نوره، ودفع كلّ واردة سوء ترد عليه، وقطع كلّ يد تمدّ بالعدوان إليه.

وقد اشتهر وانتشر من مؤلّفاته في تلك المقاصد والمناحي مالم تكتحل عين الدهر بمثلها، نحو كتاب «الدين والإسلام»، و«المراجعات الريحانية» ممّا بلغت تخوم الأرض وجازت أقاصي المعمور.

ولكن في هذه البرهة الأخيرة، حيث نهض بأعباء الزعامة الدينيّة، واستوى على منصّة الفتوى والمرجعيّة، واستغرقت أوقاته الثمينة العناية بمصالح العامّة وقضاء حوائج الناس، والبحث والتدريس، وتوسيع نطاق التأليف في علم الفقه، والتوسّع في أدلّته.

كلّ ذلك ممّا عاقه عمّا كان عليه من الدفاع الديني، والجهاد الإسلامي، وبثّ الدعوة والإرشاد لعامّة الخلق إلى دين الحقّ.

ولكنّنا كنّا ولا نزال، حرصاً على استثارة كنوز معارفه، والاستنارة بأنوار علومه، وثقة منّا بأنّه في صناعة النقد والردّ وتحقيق الحقّ وتمزيق الأباطيل لايبارى ولايجارى، وله المزبر(١) الذي لا يشقّ غباره، ولا يدرك في السباق شأوه(٢)، الآخذ بأعنّة البراعة في الإنشاء لفظاً ومعنى وعلماً وعملاً، مع الإحاطة بأسرار العلوم وغوامض الفنون، وخفايا المعارف وكنوز الشريعة وبواطن الدين وظواهره.

لذلك كنّا نترصّد أيّ فادحة ترد على الدين وتريد أن تصدّع بيضة الإسلام وتقضي على أُمهات عقائد المسلمين، حتّى إذا عثرنا بها انتهزنا فرصة من أوقاته، وفراغاً من ساعاته، فعرضناها عليه، أو قدّمناها إليه، متعرّضين بذلك في قمعها ودفعها لنفحات كلمه، أو رشحات قلمه، ثمّ نعود إليه ثانياً وثالثاً حتّى نجمع من إفاضاته ومحاضراته في ذلك الموضوع جملة كافية في إزاحة العلّة ودفع تلك المضلّة.

---

(١) المِزْبَرُ: القلم. الصحاح ٢: ٦٦٧ «زبر».

(٢) الشأوُ: الغاية والأمد. الصحاح ٦: ٢٣٨٨ «شآ».

من ذلك عندما نشرت الصحف فتوى علماء المدينة لقاضي الوهابيّة «ابن بليهد» التي تذرّع بها إلى هدم قبور أئمّة البقيع سلام الله عليهم[1] حينما

---

(١) في سنة ١٣٤٤هـ استفتى قاضي القضاة في الحجاز الشيخ عبد الله بن بليهد علماء المدينة المنورة في جواز البناء على القبور، وتقبيل الأضرحة، والذبح عند المقامات حيث يتناول الزائرون لها تلك اللحوم. فأجاب العلماء - وكان عددهم خمسة عشر شخصاً - بعدم جواز ذلك، ووجوب منعه ومعاقبة من يفعله.

وقد نُشرت هذه الفتوى في أكثر الصحف الصادرة آنذاك، كجريدة أُمّ القرى الصادرة في مكّة المكرّمة، وجريدة العراق الصادرة فيه.

وكان الهدف الرئيسي من هذه الفتوى هو تهيئة الرأي العامّ لهدم المراقد في الحرمين الشريفين، وفعلاً فقد تمّ في الثامن من شوال من تلك السنة هدم قبور الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام في بقيع الغرقد في المدينة المنورة، وفي مقبرة المعلّى في الحجون في مكّة المكرّمة، والمراقد الموجودة في الطائف.

وقد ضمّ بقيع الغرقد في المدينة المنورة عشرة آلاف مرقد من مراقد الصحابة والشهداء والأئمّة من أهل البيت عليهم السلام، منها: مرقد الإمام الحسن المجتبى عليه السلام سبط رسول الله صلى الله عليه وآله ومرقد الإمام السجّاد زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام، وابنه الإمام محمّد الباقر عليه السلام، ثمّ ابنه الإمام جعفر الصادق عليه السلام. وهم عند عمّهم العبّاس بن عبد المطلب تحت قبّته التي كانت مشادة.

وعلى رواية أنّ هناك مرقد الصدّيقة الزهراء عليها السلام، وكذلك مراقد عمّات الرسول صلى الله عليه وآله وزوجاته - عدا السيّدة خديجة الكبرى والسيّدة ميمونة بنت الحارث - وعقيل بن أبي طالب، وإبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وآله والإمام مالك بن أنس، ونافع شيخ القرّاء، وحليمة السعديّة.

كما طال الهدم مرقد عمّ الرسول صلى الله عليه وآله حمزة بن عبد المطّلب، وغيره من شهداء أُحد، مثل مصعب بن عمير، وجعفر بن شمّاس، وعبد الله بن جحش.

⇦

تلوناها عليه صار يلقي علينا محاضرة في ردّها وتفنيدها في كلّ اسبوع مرّة أو مرّتين، وكانت تنشر في جريدة النجف شذوراً ونتفاً.

ولمّا شاعت الشبهة في مواكب عزاء الحسين عليه السلام، وقامت لها عواصم بلاد الشيعة وقعدت، وبالأخصّ بلاد البصرة، تواردت عليه البرقيات مستفتين عن جواز تلك المواكب وعدم جوازها، فكتب فيها بقلمه الشريف جملة جوابات قالعة لجراثيم[1] الشبهة، وجادعة[2] لخراطيم الضلالة.

⇨

وقد امتدّ التدمير إلى مرقد حبر الأُمّة عبد الله بن عبّاس في الطائف، وقد كانت عليه قبّة مشادة لا تزال صورتها موجودة على صفحات التاريخ.

وعندما امتدّ الزحف العسكري إلى مكّة المشرّفة عمدوا إلى آثارها فدمّروها، وهدموا المراقد الشريفة في مقبرة المعلّى في الحجون، فهدّموا قبّة عبد المطّلب جدّ النبيّ صلى الله عليه وآله ومرقد عمّه أبي طالب.

كما دخلوا إلى مدينة جدّة فهدّموا قبّة حوّاء أُمّ البشريّة الأُولى وخرّبوا قبرها، كما طال الهدم بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، ومنزل فاطمة الزهراء عليها السلام، ومنزل حمزة بن عبد المطّلب، ودار الأرقم ابن أبي الأرقم، ومكان العريش التاريخي الذي أشرف منه رسول الله صلى الله عليه وآله على معركة أُحد.

انظر: مقدّمة كتاب «دعوة الهدى إلى الورع في الأفعال والفتوى»، المطبوعة سنة ١٤٢٠هـ في دار المحجّة البيضاء في بيروت.

(١) الجُرثومة: الأصل. الصحاح ٥: ١٨٨٦ «جرثم».

(٢) أي: قاطعة. انظر: الصحاح ٣: ١١٩٣ «جدع».

وكنّا ذات يوم سألناه أن يلقي علينا شيئاً من شأن مذهب «البهائيّة» المعروفين بالبابيّة، فألقى علينا نبذة وافية في شرح حالهم ومقدار جهلهم وضلالهم.

ثمّ أحببنا أن نضمّ تلك الشذور النفيسة والأعلاق الثمينة، التي عقمت أمهات الكتب والمؤلّفات الغابرة والحاضرة عن الإتيان بواحدة من مثلها، أحببنا أن نضمّها في مجموع يؤلّف شتاتها، ويجمع متفرّقاتها.

وبعد أن وفّق الله لجمعه، رغبنا في نشره وطبعه نصرة للحقيقة، وخدمة للحقّ والفضيلة، وإخماداً للنائرة، وقطعاً لدابر الفساد والفتنة إن شاء الله.

وقد أعاننا على نشره بعض أعاظم العلماء في عواصم بلاد الشيعة، شكر الله مساعيه وغرّ أياديه[١].

ثمّ استجزنا شيخنا الأعظم أدام الله أيامه في ذلك، فتكرّم بالإجازة، وإن كان جملة منها قد طُبع منفرداً، وقد جمعناها هنا مع ما أضافه إليها ثانياً، ويليق أن يوسم هذا المجموع الزاهر بـ «الآيات البيّنات في قمع البدع والضلالات» فاغتنمه علقاً[٢] ثميناً، وفرقاناً مبيناً، فرقاناً بين الحقّ والباطل، وتبياناً للهدى من الضلالة، ولله الحمد والمنّة على ذلك.

كتب مدّ الله ظلّه في أجوبة الأسئلة الواردة إليه عن فتواه في المواكب الحسينيّة - زادها الله عزّاً وكرامة - عدّة مقالات، وكتب مطوّلة ومختصرة ومتوسطة، ونحن ننتخب منها ثلاثاً على ذلك النسق.

---

(١) أي: بيضاء أياديه، وهو كناية عن الكرم وحسن الفعل. انظر: الصحاح ٢: ٧٦٧ «غرر».

(٢) العِلقُ، بالكسر: النفيس من كلّ شيء. الصحاح ٤: ١٥٣٠ «علق».

وكان أوّل استفتاء ورد إليه في النجف من جماعة من ذوي الفضل وهذا صورته:

«ما يقول مولانا حجّة الإسلام شيخنا الشيخ محمّد حسين - مدّ الله ظلّه العالي على رؤوس الأنام - في المواكب المشجية التي اعتاد الجعفريّون اتّخاذها في العشر من المحرّم الحرام تمثيلاً لفاجعة الطفّ، وإعلاماً لما انتهك فيها من حرمة الرسولﷺ في عترته المجاهدين بالتمثيل للشهداء وجهادهم، وما جرى عليهم وما جرى على الأطفال من القتل والقسوة، وبإعلانهم الحزن لذلك الفادح بأنواعه: من ندب ونداء، وعويل وبكاء، وضرب بالأكفّ على الصدور وبالسلاسل على الظهور. فهل هذه الأعمال مباحة في الشرع الأزهر أم لا؟ افتونا مأجورين».

فكتب دامت بركاته ما نصّه:

بسم الله الرحمن الرحيم

قال سبحانه وتعالى: ﴿**ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ *لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى**﴾[1].

ولا ريب أنّ تلك المواكب المحزنة وتمثيل هاتيك الفاجعة المشجية، من أعظم شعائر الفرقة الجعفريّة شيّد الله أركانها.

(١) الحجّ (٢٢) : ٣٠ - ٣١.

ونحن إذا لم نقل باستحبابها ورجحانها؛ لتوفّر الأدلّة من الأخبار والأحاديث المتظافرة المشعرة بمحبوبيّة تلك المظاهرات لأهل البيت (عليهم السلام)، فلا أقل من القول بالجواز والإباحة.

وما يتداول ويستعمل فيها من ضرب الطبول ونحوه، غير معلوم اندراجه في ما علم حرمته من آلات اللهو والطرب، نعم لو عُلم كونها منها فاللازم تنزيه تلك الأعمال الشريفة ممّا يشينها ويحبط أجرها وفضلها الجسيم.

وما أحسب التعرّض للسؤال عن تلك الأعمال التي استمرت السيرة عليها منذ مئات من السنين، وذلك بمشاهدة أعاظم العلماء لها وصلحاء أهل الدين، مع عدم النكير من واحد منهم، لا حديثاً ولا قديماً، مع أنّها بمرأى منهم ومسمع.

ما أحسب وضعها في مجال السؤال والتشكيك إلّا دسيسة أمويّة أو نزعة وهّابيّة، يريدون أن يتوصّلوا بذلك إلى إطفاء ذلك النور، الذي أبى الله إلّا أن يتمّه ولو كره الكافرون.

كما أنّي لا أرتاب في أنّه لو تَمّت لهم هذه الحيلة ونجحت - لا سمح الله - هذه الوسيلة وعُطّلت تلك المواكب والمراسم في سنتين أو ثلاث، سرى الداء واستفحل الخطب وتطرّقوا إلى السؤال والتشكيك في ما يقام في بلاد الشيعة من المآتم، وجعلوا ذلك باباً إلى إماتة تلك المحافل

والمحاشد التي بإحيائها إحياء الدين، وبإماتتها إماتة ذكر الأئمّة الطاهرين عليهم السلام.

ومن له أقلّ إلمام ووقوف على المجتمعات والجمعيّات التي عقدت في هذه الأعصار في مصر ودمشق وغيرهما، وما أصبحت تنشره من المقالات والمؤلّفات في إحياء ذكر بني أُميّة، وتنزيههم، وتبرير أعمالهم، وتبرّئهم من قتل الحسن والحسين عليهما السلام، والتنويه بذكر يزيد، وأنّه من الخلفاء الراشدين والأئمّة المرضيين، عرف من أين سرى هذا السمّ الخبيث، وجاءتها تلك البليّة، التي تريد أن تقضي على حياة الشيعة وتزهق روح الشريعة، ولا يروج هذا إلّا على السذّج والبسطاء والمغفّلين الذين يقتلون الدين باسم الدين من حيث لا يشعرون.

فالرجاء والأمل من جميع إخواننا المؤمنين - ثبّتهم الله بالقول الثابت وأيّدهم بروح منه - ترك الخوض في مثل هذه الأُمور المتسالم عليها خلفاً عن سلف، والتي هي من أعظم الوسائل إلى نيل الشفاعة، والدخول في سفينة النجاة وأبواب الرحمة.

وليصرفوا أوقاتهم الثمينة في الاتّفاق والتعاضد والتعاون على البرّ والتقوى في ما يعود إلى إصلاح شؤون دينهم ودنياهم، وجمع كلمتهم على الحقّ والهدى إن شاء الله تعالى، ولا يخوضوا في ما يوجب اختلاف الأُمّة وتفرقة الكلمة، والله ولي التوفيق وبه المستعان.

ثمّ تتابعت البرقيّات من البصرة وغيرها سائلين منه دام علاه، طالبين فتواه في تلك الأعمال، فكتب إليهم كتاباً أبسط من الجواب المتقدّم، وقد طبع في مطبعة الكاظميّة بالبصرة، وانتشر بصورة منشور منفرد في عامّة الأطراف، ونحن نذكر ذلك المنشور بحروفه المطبوعة حفظاً له:

بسم الله الرحمن الرحيم

وله الحمد والمجد، والصلاة على أُمناء وحيه وأُمراء أمره ونهيه.

صورة ماورد من النجف الأشرف من الفتوى لجناب المصلح الكبير والداعية الشهير، صاحب كتاب «الدين والإسلام» العالم الربّاني والزعيم الروحاني، كبير مشاهير العصر، وعظيم فقهاء المصر، حجّة الإسلام والمسلمين، وعميد الإيمان والمؤمنين، زعيم زعماء الحقيقة، ورئيس رؤساء المذهب والطريقة، وحيد...[١] وكبير نواب الدست الإمامي من العرب، ورجل رجال الدعوة في القرن الرابع عشر، الآية الكبرى في العالم الإسلامي، الشيخ محمّد الحسين كاشف الغطاء دام مجده، حين سُئل عن عنوان المواكب التي تندب الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام في الشوارع والطرقات وما اشتملت عليه:

إلى إخواننا المؤمنين وعباد الله الصالحين من السادة الأشراف والأماجد الكرام: السيّد هاشم البعّاج، والسيّد عبد الباقي البعّاج، والحاج داود العطيّة، وعبد الواحد العطيّة، والملاّ جعفر أدام الله حراستهم وتوفيقهم.

---

(١) وردت هنا كلمة غير مقروءة.

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وتحياته.

وردتنا برقيّتكم، فأزعجتنا غاية الإزعاج، وما كنّا نظنّ أنّ الأمر يبلغ إلى هذه المنزلة.

ثمّ وردنا بعد ذلك كتاب من السيّد الأمجد السيّد هاشم أدام الله عزّه، في طيّة الرسالة ذات الاسم الخشن الهائل، وكنّا كتبنا في جواب السيّد الأعزّ السيّد فاخر البعّاج حفظه الله، ما كنّا نأمل أن يعود حاسماً لتلك المشاجرة التي هي من أضرّ الحوادث في الحال الحاضر علينا معشر المؤمنين.

ويكفينا عن وقوع الخلاف بيننا تهاجم الأعداء علينا من كلّ ناحية ومكان، ويلزم علينا اليوم أن تكون حادثة المدينة وهدم قبور أئمّة البقيع سلام الله عليهم، هي الشغل الشاغل لنا عن كلّ خلاف، الداعية لكلّ تعاضد بيننا وائتلاف.

أمّا الحكم الشرعي في تلك المظاهرات والمواكب، فلا إشكال في أنّ اللطم على الصدور، وضرب السلاسل على الظهور، وخروج الجماعات في الشوارع والطرقات بالمشاعل والأعلام مباحة مشروعة، بل راجحة مستحبّة، وهي وسيلة من الوسائل الحسينيّة، وباب من أبواب سفينة النجاة.

وأمّا الضرب بالطبول والأبواق وأمثالها ممّا لا يُعدّ من آلات اللهو والطرب، فلا ريب أيضاً في إباحتها ومشروعيّتها للإعلام والإشعار وتعظيم الشعار.

وأمّا الضرب بالسيوف أو الخناجر والإدماء، فهو كسوابقه مباح بمقتضى أصل الإباحة، بل راجح بقصد إعلان الشعار للأحزان الحسينيّة. نعم، إلّا أن

يعلم بعروض عنوان ثانوي يقتضي حرمة شيء من تلك الأعمال الجليلة، مثل كونه موجباً للضرر بتلف النفس، أو الوقوع في مرض مزمن.

أمّا الألم الذي يزول بسرعة، فلا يوجب الحرمة.

وكذلك الخروج في الشوارع، إذا أوجب الفساد بالمقابلة أو المقاتلة فهو حرام أيضاً.

وهذه عوارض وقتيّة وموارد شخصية، لا يمكن ضبطها، وليس على الفقيه إلّا بيان الأحكام الكليّة، أمّا الجزئيّات فليست من شأن الفقيه ولا من وظيفته، على أنّ استلزامها للفساد أحياناً لا يوجب تحريمها أبداً.

أمّا الشبيه، فلا ريب أنّ أصل تشبّه شخص بآخر مباح جائز، كيف وقد ألقى الله سبحانه شبه نبيه عيسى عليه السلام على أبغض خلقه وهو يهوذا الإسخربوطي، الذي نمّ على عيسى عليه السلام عند اليهود وحرّضهم على قتله[1]، كما أشار إليه سبحانه وتعالى بقوله ﴿**وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـكِن شُبِّهَ لَهُمْ**﴾[2].

---

(١) ففي حديث طويل عن أبي جعفر الصادق عليه السلام أنّه قال: «... إنّ اليهود جاءت في طلب عيسى عليه السلام من ليلتهم، فأخذوا الرجل الذي قال له عيسى عليه السلام: «إنّ منكم لمن يكفر بي من قبل أن يصبح اثنتي عشرة كفرة»، وأخذوا الشاب الذي ألقي عليه شبح عيسى فقتل وصلب...»، تفسير القمّي ١: ١٠٣، رفع عيسى.

(٢) النساء (٤) : ١٥٧.

وكان أمين الوحي جبرائيل عليه السلام يتشبّه بدحية الكلبي إذا حضر في السدّة النبوية[(١)].

والملائكة تشبّهت يوم بدر بأمير المؤمنين صلوات الله عليه[(٢)].

نعم، خروج النساء سوافر محرّم، سواء كان في الشبيه أو غيره، وهذا لا يقتضي حرمة الشبيه، بل ينبغي ويلزم التجنّب عنه بنفسه. ولو أنّ كلّ راجح يستلزم محرّماً أو يقع فيه محرّم تركناه، لبطلت سنن الشريعة وقوّضت دعائم الدين.

ولكن يلزم على اُمناء العلم وحملة الشريعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالموعظة الحسنة والقول الليّن، فإنّها أنجع[(٣)] وأنفع في تهذيب الأخلاق وإصلاح النفوس.

---

(١) عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إنّ أبا ذر أتى رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه جبرئيل في صورة دحية الكلبي وقد استخلاه رسول الله صلى الله عليه وآله...».

الكافي ٢: ٥٨٧، حديث ٢٥، باب (دعوات موجزات لجميع الحوائج).

(٢) عن زيد بن وهب، قال: سمعت عليّاً عليه السلام يقول وقد ذكر حديث بدر ومجيء عمّه إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: «والله يا رسول الله، ما أسرني إلّا ابن أخي علي بن أبي طالب...».

فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «صدق عمّي ذاك ملك كريم».

فقال العبّاس: لقد عرفته بجلحته وحسن وجهه.

فقال له: «إنّ الملائكة الذين أيّدني الله بهم على صورة علي ابن أبي طالب؛ ليكون ذلك أهيب لهم في صدور الأعداء...». الفصول المختارة: ٢٤٩، كلام في شجاعة أمير المؤمنين عليه السلام.

(٣) وقد نجع فيه الخطاب والوعظ والدواء: أي دخل وأثّر. الصحاح ٣: ١٢٨٨، «نجع».

ووصيّتي ونصيحتي ورغبتي وطلبتي من كافّة إخواننا المؤمنين البصريّين خصوصاً، ومَن في سائر الأقطار عموماً، أمران مهمّان:

الأوّل: تنزيه المواكب الحسينيّة الشريفة من كلّ ما يشينها ويدنّسها ويخرج بها عن عنوان مظاهر الحزن والفجيعة، إذ ليس الغرض من تكرار فاجعة الطفّ كلّ سنة بل كلّ يوم، اللهو واللعب بقصّة من الأقاصيص وعجيبة من الأعاجيب، بل في ذلك من الحِكم السامية والأسرار المقدّسة ما يقصر عنه اللسان ويضيق به البيان.

فاللازم تطهير تلك المواكب الشريفة عن كلّ ما يمسّ شرفها وكرامتها، حتّى يترتّب عليها آثارها المشروعة وغاياتها الشريفة، التي من أجلها وفي سبيلها بذل الحسين - أرواحنا فداه - نفسه وأفلاذ قلبه وأعزّ أهل بيته وأصحابه، حتّى جرى عليه من زوابع[1] الفجائع مالم يجرِ على بشر، ولا نحسبه يجري على أحد من بعده.

الأمر الثاني: ولعلّه أهم من الأوّل، ألّا وهو رفض هذه الخلافات والمشاجرات التي لا تعود إلّا بالضرر المبيد والضعف المهلك علينا معشر المؤمنين، إنّما اللازم المحتّم علينا -سيّما في مثل هذه الأعصار - أن نكون يداً واحدة أمام العدو الذي لا يزال يجدّ ويدأب في هدم بيوت ﴿**أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ**﴾[2].

---

(١) جمع زوبعة، قال الجوهري: ومنه سمّي الإعصار زوبعة. الصحاح ٣: ١٢٢٤، «زبع».
والمراد: أنّه جرت عليه أعاصير الفجائع.

(٢) النور (٢٤) : ٣٦.

ولعمر الله والحقّ لئن استمر هذا الحال من تخاذلنا، وتضارب بعضنا ببعض، وتكالب الأعداء علينا من كلّ حدب وصوب، لنذهبنّ ذهاب أمس الدابر[1]، ولا يبقى لهذه الطائفة أثر ولا عين.

فالله الله يا عباد الله الصالحين في جمع الكلمة، ولمِّ الشعث، وتدارك الخطر قبل فواته، ورتق[2] الفتق قبل اتساعه، ونبذ تلك المشاجرات المفرّقة والمؤجّجة لنيران العداوة، المحرقة على غير طائل.

كونوا ـ يا عباد الله ـ إخواناً في دين الله، رحماء بينكم، أشدّاء على أعدائكم[3]، ولا تعكسوا الآية، فإنّ ذلك أربح وأنجح وأفضل وأجمل في الدنيا والآخرة، والله سبحانه وليّ التوفيق لنا ولكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وأرجو أن يكون هذا القدر على اختصاره يغني عن تأليف الرسالة، وعسى مع سنوح الفرصة أن يوفّق الله سبحانه لذلك إن شاء الله.

١٧ صفر سنة ١٣٤٥هـ

طبعت بالمطبعة الكاظميّة في البصرة

---

(١) دبر النهار وأدبر: ذهب. وأمس الدابر: الذاهب، وقالوا: مضى أمس الدابر وأمس المدبر،وهذا من التطوّع المشام للتأكيد ؛ لأنّ اليوم إذا قيل فيه: أمس، فمعلوم أنّه دبر، لكنّه أكّده بقوله: الدابر. ويقال: هيهات، ذهب فلان كما ذهب أمس الدابر، وهو الماضي لا يرجع أبداً. لسان العرب ٤: ٢٧٠ «دبر».

(٢) رتقت الفتق أرتقه فارتتق أي: التأم. الصحاح ٤: ١٤٨٠، «رتق».

(٣) حيث قال تعالى: ﴿**مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ**﴾، الفتح (٤٨) : ٢٩.

وحيث لم تنحسم الشبهة، ولم تبرأ العلّة، ولم تُمسك ألسنة المعارضين بتلك البيّنات الشافية، لذلك تظاهرت وتظافرت عليه البرقيّات من عدّة جهات يرغبون إليه في أن يكتب ما هو أبسط من ذلك، فعززّهما بثالث، لم يبق للشبهة مجالاً ولا للشكّ موضعاً، وكتب بقلمه دامت بركاته ما نصّه:

بسم الله الرحمن الرحيم
وله المجد والكبرياء

إلى عموم إخواننا المؤمنين من أهالي البصرة ونواحيها - وفّقهم الله جميعاً للعمل الصالح، والمتجر الرابح، والسعي الناجح إلى سعادة الدارين، وفوز النشأتين إن شاء الله - بتوسّط الأمجدين السيّد هاشم البعّاج والحاج داود العطيّة أدام الله لهم السلامة والكرامة.

سألتم أعزّكم الله - في عدّة برقيّات وردت إلينا منكم ومراسلات تتابعت لدينا عنكم - عن المواكب الحسينيّة زاد الله شرفها، وعمّا يجري فيها من ضرب الرؤوس والصدور بالسلاسل والسيوف والإدماء، وقرع الطوس والطبول، والشبيه، أو الخروج في الشوارع والأزقّة بالهيئات المتعارفة والكيفيّات المتداولة في أكثر بلاد الشيعة - نصرها الله - سيّما في العتبات المقدّسة دام شرفها.

ولعمري، ما كنتُ أحسب أنّ هذا الموضوع يُعرض على مطرقة النقد والتشكيك، أو يُطرح في منطقة السؤال والترديد. كيف، وقد مرّت عليه الدهور

والأحقاب، وخضعت له أساطين الملّة وأعلام الشريعة في جميع الأعصار والأدوار، ما أنكره منكر، ولا اعترضه معترض، وهو بمرأى منهم ومسمع، ومنتدى ومجمع.

وقد كان يجري في القرن الماضي أزمنة السيّد بحر العلوم وكاشف الغطاء - قدّس الله أسرارهما - من التشبيهات التي كانت تسمّى «الدائرة» ما هو أوسع وأشيع وأكثر وأوفر ممّا يجري في هذه العصور، وفضلاً عن سكوت أُولئك الأساطين كانوا يمدّونهم بالمساعدة، ويعضدونهم بالحضور والمشاهدة، وفي كشف الغطاء(١) وجامع الشتات(٢) للمحقّق القمي وغيرهما من أقرانهما ما يشهد بذلك أكبر شهادة.

دع عنك هذه الشواهد والمشاهد، وانظر إلى المسألة من وجهها العلمي، ومن حيث القواعد والأدلّة:

أمّا أوّلاً: فالأُصول الأوليّة تقضي بإباحة جميع تلك الأعمال، وعلى مدّعي الحرّمة إقامة الدليل عليها، والأصل مع المنكر ومطالبته بالدليل تضليل.

وأمّا ثانياً: فكلّ واحد من تلك الأعمال على الإجمال ممّا يتخرّج لمشروعيّته وجه وجيه عند المتضلّع الفقيه، من عمومات الأدلّة ومحكمات القواعد المعقولة والمنقولة.

---

(١) كشف الغطاء ١: ٥٣ - ٥٤، المقام الثاني: في ما يتعلّق بجملة العبادات بالمعنى الأخص.

(٢) جامع الشتات ٢: ٧٨٧.

اللطم واللدم

مَن ذا يشكّ ويرتاب في رجحان مواساة أهل بيت الرحمة وسفن النجاة، والتأسّي بهم في الأفراح والأتراح والضرّاء والسرّاء؟!

أو من ذا يشكّ أنّ أهل البيت - سلام الله عليهم - قد لطموا في فاجعة الطفّ وجوههم، ولدموا صدورهم، وقرح البكاء خدودهم وعيونهم؟! وفي زيارة الناحية المقدّسة «فبرزنَ من الخدور ناشرات الشعور لاطمات الخدود سافرات الوجوه»[1].

ولا تقل: إنّ هذا مخصوص بيوم الطفّ وما قاربه، فقد روى الصدوق رضوان الله عليه أنّ دعبل لمّا أنشد الرضا عليه السلام تائيّته المشهورة التي فيها: «إذاً للطمت الخدّ فاطم عنده» لطمت النساء، وعلا الصراخ من وراء الستر، وبكى الرضا عليه السلام في إنشاد القصيدة حتّى أُغمي عليه مرّتين[2].

---

(١) المزار: ٥٠٤، زيارة أخرى في يوم عاشوراء خرجت عن الناحية، باختلاف يسير.

(٢) لم نعثر على نصّ للشيخ الصدوق بهذا العنوان، ولكن نقل أبو الفرج الأصفهاني هذه الواقعة بهذه الكيفيّة في الأغاني ٢٠: ١٦٢، دعبل وعلي بن موسى الرضا عليه السلام، ونقلها

⇦

فإذا جاز للرضا عليه السلام أن يتعرّض لسبب الإغماء الذي هو أخ الموت، فلماذا لايجوز لشيعته ضرب الرؤوس والظهور ولدم الصدور وأمثالها ممّا هو دون الإغماء بكثير؟!



عنه بهذا النصّ المرحوم الأميني في الغدير ٢: ٣٥٠ والسيّد محسن الأمين في أعيان الشيعة ٦: ٤١٥.

خروج المواكب في الطرقات

بزغت شمس هذه الحقيقة المكنونة من عهد يناهز الألف سنة، أعني من زمن معزّ الدولة وركن الدولة، حيث أمرا بخروج مواكب العزاء يندبون سيّد الشهداء سلام الله عليه، وبأيديهم المشاعل ليلاً، حتّى تعود بغداد وطرقاتها ضجّة واحدة، وذلك في أُخريات القرن الرابع، على ما ذكره ابن الأثير في كامله في مواضع[1].

وكان ذلك العصر الزاهي حافلاً بأكابر علماء مذهب الإماميّة: كالشيخ المفيد، وابن قولويه، والسيّدين الإمامين المرتضى والرضي نوّر الله مراقدهم، وكان ملوك آل بويه قيد إشارة أُولئك الأساطين ورهن أوامرهم ونواهيهم.

---

(١) قال ابن الأثير: «في هذه السنة [٣٥٢هـ] عاشر المحرّم، أمر معزّ الدولة الناس أن يغلقوا دكاكينهم ويبطلوا الأسواق والبيع والشراء، وأن يظهروا النياحة، ويلبسوا قباباً عملوها بالمسوح، وأن يخرج النساء منشرات الشعور، مسودات الوجوه، قد شققن ثيابهنّ، يدرن في البلد بالنوائح، ويلطمن وجوههنّ على الحسين بن علي رضي الله عنهما، ففعل الناس ذلك، ولم يكن للسنية قدرة على المنع منه لكثرة الشيعة، ولأنّ السلطان معهم»، الكامل في التاريخ ٨: ٥٤٩، ذكر عدّة حوادث سنة ٣٥٢هـ.

ويقول في ذكر أحداث سنة ٣٥٨هـ : «عمل أهل بغداد ما قد صار لهم عادة من إغلاق الأسواق وتعطيل المعايش وإظهار النوح والمآتم بسبب الحسين بن علي رضوان الله عليهما»، نفس المصدر صفحة: ٦٠٠.

وحسبك ما شاع وأخذ بمجامع الأسماع من أنّ السيّد الرضي ورد لزيارة جدّه الحسين عليه السلام يوم عاشوراء في بعض السنين، فرأى جماعة من الأعراب يعدون[1]، وهم ينوحون ويلطمون متهافتين للهجوم على الحائر الحسيني، فدخل في زمرتهم، وأنشأ في ذلك الحال على البديهة قصيدته الغرّاء المشهورة التي يقول في براعتها:

كــــربلا لازلـــت كربـــاً وبـــلا   مـــالقي عنـــدك آل المصـــطفى[2]

---

(١) أتاه عَدْواً: وهو مقارب الهرولة ودون الجري. تاج العروس ١٩: ٦٥٨ «عدو».

(٢) هذا البيت مطلع «المقصورة الحسينيّة» المعروفة، وهي أشهر ما نظمه الشريف الرضي رحمه الله، فإن كان شعره على كثرته، وسعة أغراضه، وسموّ معانيه، ورفعة منزلته الأدبيّة، معروفاً عند الأدباء، فإنّ مقصورته هذه تداولتها الأجيال الواسعة قراءة وسماعاً منذ عصره إلى عصرنا الحاضر، بل وإنّ الكثير منهم قرأها أو سمعوها وإن لم يعرفوا القائل.

وقد ناقش البعض في نسبتها إلى الشريف الرضي، بل قام بحذفها من ديوانه!!! محتجّاً ببعض المعاذير الواهية، كما فعل الدكتور عبد الفتاح محمّد الحلو في تصديره لديوان الشريف، الذي نشرته له وزارة الإعلام أيام حكومة صدام حسين.

ومن هذا يتّضح أنّ الأحقاد الأموية لا زالت باقية ليومنا هذا، يتوارثها الأبناء عن الآباء، وأنّ كربلاء لازالت لهذا اليوم كرباً وبلا.

ونورد هنا القصيدة كاملة تعميماً للفائدة:

⇦



كـــربلا، لا زلـــت كربـــاً وبـــلا ما لقي عندك آلُ المصطفى
كــم علــى تربــك لمّــا صــرعوا من دم سال ومـن دمع جـرى
كـم حصـان الـذّيل يـروي دمعها خـــدّها عنـــد قتيـــل بالظّمـــا
تمســـح التـــرب علـــى إعجالهـــا عـن طلـى نحـر رميـل بالـدّما
وضـــــيوف لفـــــلاة قفـــــرة نزلــوا فيهــا علــى غيــر قِــرى
لـم يـذوقوا المـاء حتّـى اجتمعـوا بحدى السيف على ورد الـردى
تكســف الشــمسُ شُموســاً مــنهمُ لا تـــدانيها ضـــياءً وعُلـــى
وتنُـوشُ الـوحشُ مـن أجسـادهم أرجـل السـبق وأيمـان النـدى
ووجوهـــاً كالمصـــابيح، فمـــن قمـر غـاب، ونجـم قـد هـوى
غيّـــرتهن اللّيـــالي، وغـــدا جـاير الحكـم علـيهنّ البلـى
يـــا رســـول الله لـــو عـــاينتهم وهــم مــا بــين قتلــى وســبا
مــن رمــيض يُمنــعُ الظّــلّ، ومــن عــاطش يُسـقى أنابيـب القنـا
ومســـوق عـــاثر يُســـعى بـــه خلفَ محمول على غيـر وطا
متعــب يشــكو أذى الســير علــى نقب المنسـيم، مجـزول المطا
لـــرأت عينـــاك مـــنهم منظـــراً للحشى شـجواً، وللعـين قـذى
لـــيس هـــذا لرســـول الله، يـــا أمّــة الطغيــان والبغــي، جــزا
غـارسٌ لـم يـألُ فـي الغـرس لهـم فـــأذاقوا أهلـــه مـــر الجنـــى
جــزّرُوا جــزر الأضــاحي نسـله ثــمّ ســاقوا أهلــه ســوق الإمــا





معجــلات لا يــوارين ضــحى　　سُنن الأوجه أو بيض الطلى
هاتفــات برســول الله فــي　　بهر السعي، وعثرات الخُطى
يــوم لا كســر حجــاب مــانعٌ　　بذلة العين ولا ظل خبا
أدرك الكفــر بهــم ثاراتــه　　وأزيـل الغـيّ مـنهم فاشـتفى
يــا قتــيلاً قــوّض الــدهر بــه　　عمُـد الـدين وأعـلام الهـدى
قتلــوه بعــد علــم مــنهمُ　　أنّـه خـامس أصـحاب الكسـا
وصــريعاً عــالج المــوت بــلا　　شــدّ لحيــين ولا مــدّ ردا
غســلوه بــدم الطعــن، ومــا　　كفّنـوهُ غيـر بوغـاء الثـرى
مرهقــاً يــدعو، ولا غــوث لــه　　بــأب بــرّ وجــدّ مصــطفى
وبــأُمّ رفــع الله لهــا　　علمـاً مـا بـين نسـوان الـورى
أيّ جــدّ وأب يــدعوهما　　جـدّ، يـا جـدّ، أغثنـي يـا أبـا
يــا رســول الله يــا فاطمــة　　يـا أميـر المـؤمنين المرتضـى
كيــف لــم يســتعجل الله لهــم　　بانقلاب الأرض أو رجم السما
لــو بســبطي قيصــر، أو هرقــل　　فعلـوا فعـل يزيـد، مـا عـدا
كــم رقــاب مــن بنــي فاطمــة　　عرقت ما بينهم، عـرق المـدى
واختلاهــا الســيفُ حتّــى خلتهــا　　سلمَ الأبـرق، أو طلـح العـرى
حملــوا رأســاً يُصــلّون علــى　　جــدّه الأكــرم طوعــاً وإبــا
يتهــادى بيــنهم لــم ينقضــوا　　عمـم الهـام، ولا حلـوا الحبـى





ميّـــتٌ تبكـــي لـــه فاطمـــةٌ ... وأبوهـــا، وعلـــيّ ذو العُلـــى

لـــو رســـول الله يحيـــا بعـــدهُ ... قعـــد اليـــوم عليـــه للعـــزا

معشـــر مـــنهم رســـول الله والـــ ... ـكاشفُ الكرب، إذا الكربُ عرى

صـــهرهُ البـــاذلُ عنـــه نفســـهُ ... وحسـام الله فـي يـوم الـوغى

أوّلُ النـاس إلـى الـداعي الـذي ... لـم يقـدّم غيـره لمّـا دعـا

ثـمّ سـبطاه الشـهيدان، فـذا ... بحسـا السّـمّ، وهـذا بـالظبى

وعلـيٌّ، وابنـهُ البـاقر، والصـ ... ـادقُ القـول، وموسـى والرضـا

وعلـــيٌّ، وأبـــوهُ وابنـــهُ ... والـذي ينتظـر القـوم غـدا

يـا جبـال المجـد عـزّاً وعُلـى ... وبـدور الأرض نـوراً وسـنا

جعـل الله الـذي نـابكمُ ... سـبب الوجـد طـويلاً والبُكـا

لا أرى حـزنكم يُنسـى، ولا ... رُزءَكم يُسلى، وإن طال المدى

قـد مضـى الـدهرُ، وعفـى بعـدكم ... لا الجـوى بـاخٌ، ولا الـدّمَع رقـا

أنـتم الشـافون مـن داء العمـى ... وغـداً سـاقون مـن حـوض الـروا

نـزل الـدين علـيكم بيـتكم ... وتخطـىّ النـاس طُـراً، وطـوى

أيـن عـنكم للـذي يبغـي بكـم ... ظـل عـدن دونهـا حـرّ لظـى

أيـن عـنكم لمضـل طالـب ... وضـح السـبل وأقمـار الـدّجى

أيـن عـنكم للـذي يرجـو بكـم ... مـع رسـول الله فـوزاً ونجـا

يـوم يغـدُو وجهُـهُ عـن معشـر ... معرضـاً ممتنعـاً عنـد اللقـا



ولولا خروج المواكب في الطرقات لبطلت الغاية، وفسدت الثمرة، وانتفى الغرض المهم من التذكار الحسيني، بل ومن الشهادة الحسينيّة، كما يعرفه كلّ متعمّق في الأسرار.

وأمّا ترتّب بعض المحرّمات عليه من فتنة وفساد ومضاربه ومقاتلة، فذلك لا يستوجب حرمة الخروج الراجح، فإنّ حرّمة الشيء لا توجب حرمة ما يقع فيه، ومن تغنّى في القرآن لا يقال له: إنّ قراءة القرآن حرام، بل التغنّي بالقرآن حرام. فليس الخروج حراماً، بل المضاربة والمقاتلة محرّمة أينما كانت.

⇦

شاكياً منهم إلى الله، وهل ... يفلحُ الجيلُ الذي منهُ شكا

ربّ! ما حاموا، ولا آووا، ولا ... نصروا أهلي، ولا أغنوا غنا

بدّلوا ديني، ونالوا أسرتي ... بالعظيمات، ولم يرعوا ألَى

لوولي ما قد ولوا من عترتي ... قائم الشرك لأبقى ورعى

نقضوا عهدي، وقد أبرمتهُ ... وعُرى الدّين، فما أبقوا عُرى

حُرمي مستردفاتٌ، وبنو ... بنتي الأدنون ذبحٌ للعدى

أتُرى لست لديهم كامرء ... خلفوه بجميل إذ مضى

ربّ! إني اليوم خصمٌ لهمُ ... جئتُ مظلوماً وذا يوم القضا

ضرب الرؤوس والظهور بالسيوف والسلاسل

لاريب أنّ جرح الإنسان نفسه وإخراج دمه بيده في حدّ ذاته من المباحات الأصليّة، ولكنّه قد يجب تارةً، وقد يحرم أخرى، وليس وجوبه أو حرمته إلّا بالعناوين الثانويّة الطارية عليه وبالجهات والاعتبارات.

فيجب كما لو توقّفت الصحّة على إخراجه، كما في الفصد والحجامة.

وقد يحرم، كما لو كان موجباً للضرر والخطر من مرض أو موت.

وقد تعرض له جهة تُحسّنه ولا توجبه، وناهيك بقصد مواساة سيّد أهل الإبا وخامس أصحاب العبا، وسبعين باسل من صحبه وذويه، حسبك بقصد مواساتهم وإظهار التفجّع والتلهّف عليهم وتمثيل شبح حالتهم مجسّمة أمام عيون محبّيهم، ناهيك بهذه الغايات والمقاصد جهات محسّنة وغايات شريفة ترتقي بتلك الأعمال من أخسّ مراتب الحطّة إلى أعلى مراتب الكمال.

وإنّ الأُولى بـالطفّ مـن آل هاشـم تأسّـوا فسـنّوا للكـرام التأسّـيا[١]

أمّا ترتّب الضرر أحياناً بنزف الدم المؤدّي إلى الموت، أو إلى المرض المقتضي لتحريمه، فذاك كلام لا ينبغي أن يصدر من ذي لبّ، فضلاً عن فقيه أو متفقّه:

أمّا أوّلاً: فلقد بلغنا من العمر ما يناهز الستّين، وفي كلّ سنة تقام نصب أعيننا تلك المحاشد الدمويّة، وما رأينا شخصاً مات بها أو تضرّر، ولا سمعنا به في الغابرين.

وأمّا ثانياً: فتلك الأُمور على فرض حصولها إنّما هي عوارض وقتيّة، ونوادر شخصيّة، لا يمكن ضبطها ولا جعلها مناطاً لحكم أو ملاكاً لقاعدة، وليس على الفقيه إلّا بيان الأحكام الكليّة، أمّا الجزئيات فليست من شأن الفقيه ولا من وظيفته، والذي علينا أن نقول: إنّ كلّ من يخاف الضرر على نفسه من عمل من الأعمال يحرم عليه ارتكاب ذلك العمل.

ولا أحسب أنّ أحد الضاربين رؤوسهم بالسيوف يخاف من ذلك الضرب على نفسه ويقدم على فعله، ولئن حرم ذلك العمل عليه فهو لا يستلزم حرمته على غيره.

---

(١) تاريخ الطبري ٦:٥، أحداث سنة إحدى وسبعين، والبيت لمصعب الزبيري حينما خذله قومه، فوقف وقال هذا البيت.

وأمّا ما ورد في الأخبار[(١)]، وذكره الفقهاء في كتاب الحدود والدّيات[(٢)]، من أقسام الشجاج كـ«الحارصة»: وهي التي تقشر الجلد[(٣)]، وفيها بعير، و«الدامية»: وهي التي تأخذ من اللحم يسيراً[(٤)] وفيها بعيران، وهلم جرا إلى «الهاشمة»[(٥)] وفيها عشرة، فمعلوم أنّ المراد مالو جناه إنسان على آخر عدواناً لا ماإذا فعله الإنسان بنفسه، ضرورة أنّ الإنسان لا يملك على نفسه شيئاً، وهذا ممّا لا أظنّه يخفى على جاهل فضلاً عن فاضل.

هذا، وأنّ بالأصل الذي شيّدناه من أنّ المباح قد تعرض له جهات محسّنة، يتّضح لك الوجه في جميع تلك الأعمال العزائيّة في المواكب الحسينيّة.

---

(١) الكافي ٧: ٣٢٦، باب (دية الجراحات والشجاج).

(٢) راجع على سبيل المثال جواهر الكلام ٤٣: ٣١٧، (المقصد الثالث - في الشجاج والجراح)، وقد ذكر أحكام كلّ منها على وجه التفصيل.

(٣) قال الجوهري: الحارصة: الشجة التي تشقّ الجلد قليلاً، الصحاح ٤: ١٠٣٢ «حرص».

(٤) قال الجوهري: الدامية: الشجة التي تدمي ولا يسيل، الصحاح ٦: ٢٣٤١ «دما».

(٥) الهاشمة: شجة تهشم العظم، أو التي هشمت العظم، تاج العروس ١٧: ٧٥٥ «هشم».

ضرب الطبول ونفخ الأبواق وقرع الطوس

كلّها أُمور مباحة، فإنّك أيّها السامع تحسّ - وكلّ ذي وجدان - أنّها لا تُحدث لك بسماعها طرباً ولا خفّة ولا نشاطاً، بل وبالعكس توجب هَولاً وفزعاً وكمداً وحزناً، فإذا قَصَد منها الضاربُ الإعلامَ والتهويلَ ونظمَ المواكب وتعديلَ الصفوف والمناكب، حَسُنت بهذا العنوان، ورجُحت بذلك الميزان.

الشبيه ومواكب التمثيل

مباح في حدّ ذاته وإن كان بتشبيه الأدنى بالأعلى، والسافل بالسامي، والشريف بالعامي، وذي الميّزة بالعادي.

كيف لا، وقد ألقى الله تعالى شبه نبيّه وروحه عيسى عليه السلام على أبغض خلقه إليه «يهوذا الإسخربوطي» الذي نمّ على عيسى وحثّ اليهود على صلبه.

وكان أمين الوحي جبرئيل عليه السلام يتشبّه بدحية الكلبي إذا حضر عند السدّة النبويّة.

وتشبّهت الملائكة بأمير المؤمنين عليه السلام يوم بدر.

وروى السيّد ابن طاوس رضوان الله عليه في كتاب «الإقبال» في فضل زيارة النبيّ صلى الله عليه وآله يوم المولود ما نصّه: وفي حديث عن الصادق عليه السلام - وذكر زيارة النبيّ صلى الله عليه وآله فقال - «إنّه يسمعك من قريب ويبلغه عنك من بعيد، فإذا أردت ذلك فمثّل بين يديك شبه القبر واكتب عليه اسمه، وتكون على غسل، ثمّ قم قائماً وقل وأنت متخيّل بقلبك مواجهته»[١] انتهى.

إلى كثير من أمثال ذلك ممّا يضيق المقام عن تعداده، كما يضيق المقام عن تعداد الحكم والمصالح والفوائد المترتّبة على تلك المواكب التمثيلية، ولعلّها أحد أسرار الشهادة ومفادات الإمام سلام الله عليه بنفسه وبأعزّ الأنفس على وجه الأرض.

إنّ تلك الأُسرة السامية قد مثّلت للناس مقام استهانة النفس، واحتقار هذه الحياة الفانية في جنب تلك الحياة السرمديّة والسعادة الأبديّة، وبذل كلّ عزيز إزاء العزّة والإباء.

علّمت الناس البسالة والإقدام والتفاني في الحفيظة ومجانبة الخضوع والذلّة، وما للنواميس الإلهية وللدين من القداسة والتعظيم الذي تهون عندها تلك الأرواح المقدّسة والأعراض المصونة.

---

(١) إقبال الأعمال ٣: ١٢٣، الفصل ١٢، في ما نذكره من زيارة رسول الله صلى الله عليه وآله.

علّمت الناس قوّة العزائم التي تهون عندها العظائم، وتسهل دونها المصاعب.

ولعمر الله والحقّ، إنّ تعطيل تلك المظاهرات والمواكب لا يلبث رويداً حتّى يعود ذريعة إلى سدّ أبواب المآتم الحسينيّة، وعندها - لا سمح الله - لا يبقى للشيعة أثر ولا عين، ولتذهبنّ الشيعة ذهاب أمس الدابر، فإنّ الجامعة الوحيدة والرابطة الوثيقة لها هي المنابر الحسينيّة والمآثر العلويّة.

وما تلك الهنابث[1] والوساوس إلّا من جرّاء هاتيك الدسائس، نزعة أمويّة ونزغة وهّابيّة، يريدون إحياء ذكر بني أُميّة وإزهاق الحقيقة المحمديّة ﴿**وَيَأْبَى اللّهُ إِلّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾[2].

ويحسن هنا أن نورد لك ما ذكره جدّنا الشيخ الأكبر في كتاب «كشف الغطاء» فإنّه قد أحرز جوامع التحقيق، وتكفّل بإيصالك إلى الحقيقة من أقرب طريق، قال قدّس سرّه ما نصّه:

«وأمّا بعض الأعمال الراجعة إلى الشرع، ولا دليل عليها بالخصوص، فلا تخلو من أن تدخل في عموم الدليل، ويقصد بالإتيان بها الموافقة من جهته، لا من جهة الخصوصيّة، كقول: أشهد أنّ عليّاً وليّ الله، لا بقصد الخصوصيّة ولابقصد النصوصيّة؛ لأنّهما معاً تشريع، بل بقصد الرجحان الذاتي أو

---

(١) الهنابث: الأُمور والأخبار المختلطة، يقال: وقع بين الناس هنابث، وهي أُمور وهنّات، لسان العرب ٢: ١٩٨ «هنبث».

(٢) التوبة (٩) : ٣٢.

الرجحان الفرضي؛ لما ورد من استحباب ذكر اسم علي متى ذكر اسم النبيّ»[1].

---

(١) منها ما عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: «إنّ الله عزّ وجلّ لمّا خلق العرش كتب عليه: لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله، علي أمير المؤمنين. ولمّا خلق الله عزّ وجلّ الماء كتب في مجراه: لا إله إلا الله، محمّد رسول الله، علي أمير المؤمنين، ولمّا خلق الله عزّ وجلّ الكرسي كتب على قوائمه: لا إله إلا الله، محمّد رسول الله، علي أمير المؤمنين. ولمّا خلق الله عزّ وجلّ اللوح كتب فيه: لا إله إلا الله، محمّد رسول الله، علي أمير المؤمنين. ولمّا خلق الله إسرافيل كتب على جبهته: لا إله إلا الله، محمّد رسول الله، علي أمير المؤمنين. ولمّا خلق الله جبرائيل كتب على جناحيه: لا إله إلا الله، محمّد رسول الله، علي أمير المؤمنين. ولمّا خلق الله عزّ وجلّ السماوات كتب في أكنافها: لا إله إلا الله، محمّد رسول الله، علي أمير المؤمنين. ولمّا خلق الله عزّ وجلّ الجبال كتب في رؤوسها: لا إله إلا الله، محمّد رسول الله، علي أمير المؤمنين. ولمّا خلق الله عزّ وجلّ الشمس كتب عليها: لا إله إلا الله، محمّد رسول الله، علي أمير المؤمنين. ولمّا خلق الله عزّ وجلّ القمر كتب عليه: لا إله إلا الله، محمّد رسول الله، علي أمير المؤمنين. وهو السواد الذي ترونه في القمر، فإذا قال أحدكم: لا إله إلّا الله محمّد رسول الله، فليقل: علي أمير المؤمنين عليه السلام». الاحتجاج ١: ٢٣١، أفضل منقبة لعلي عليه السلام.

ومنها ما عن أنس، قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «لمّا عرج بي رأيت على ساق العرش مكتوباً: لا إله إلا الله، محمّد رسول الله أيّدته بعلي نصرته بعلي»، أخرجه الحاكم في شواهد التنزيل ١: ٢٩٤، حديث ٣٠٠، وقريب منه ما في كنز العمّال ١١: ٦٢٤، حديث ٣٣٠٤٠، والمعجم الكبير للطبراني ٢٢: ٢٠٠، من إسناد هبار بن الأسود، وفي نظم درر السمطين: ١٢٠، مناقب الإمام أمير المؤمنين، وأمالي الصدوق: ٢٤٨، حديث ٣١٢.

ومنها ما عن فاطمة الزهراء عليها السلام، قالت: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لمّا عرج بي إلى السماء صرت إلى سدرة المنتهى ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾، النجم (٥٣) :٩، فأبصرته بقلبي ولم ⇦

إلى أن قال: «وكما يصنع في مقام تعزية الحسين عليه السلام من دقّ طبل إعلام، أو ضرب نحاس، وتشابيه صور، ولطم على الخدود والصدور؛ ليكثر البكاء والعويل». ثمّ ختم الفصل بقوله: «وجميع ما ذكر وما يشابهه إنّ قصد به الخصوصيّة كان تشريعاً، وإن لوحظ فيه الرجحانيّة من جهة العموم فلابأس فيه»[1] انتهى.

ولكنّك عرفت ممّا قدّمناه أنّ بعض تلك الأُمور قد وردت فيها نصوص بالخصوص، مثل اللطم واللدم، فضلاً عن البكاء والعويل.

⇨

أره بعيني، فسمعت أذاناً مثنى مثنى وإقامة وتراً وتراً، فسمعت منادياً ينادي: يا ملائكتي وسكّان سماواتي وأرضي وحملة عرشي، اشهدوا أنّي لا إله إلّا أنا وحدي لا شريك لي، قالوا: شهدنا وأقررنا.

قال: اشهدوا يا ملائكتي وسكّان سماواتي وأرضي وحملة عرشي، بأنّ محمّداً عبدي ورسولي، قالوا: شهدنا وأقررنا.

قال: اشهدوا يا ملائكتي وسكّان سماواتي وأرضي وحملة عرشي بأنّ علياً وليي وولي رسولي وولي المؤمنين بعد رسولي، قالوا: شهدنا وأقررنا». تفسير فرات الكوفي: ٣٤٣، حديث ٤٦٨.

ومنها ما رواه الكليني عن ابن طريف عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إنّا أوّل أهل بيت نوّه الله بأسمائنا، إنّه لمّا خلق السماوات والأرض أمر منادياً، فنادى أشهد أن لا إله إلّا الله – ثلاثاً – أشهد أن محمّداً رسول الله – ثلاثاً – أشهد أن علياً أمير المؤمنين حقّاً – ثلاثاً –»، الكافي ١: ٤٤١، حديث ٧، باب مولد النبيّ صلى الله عليه وآله ووفاته.

(١) كشف الغطاء ١: ٥٣ – ٥٤، المقام الثاني: فيما يتعلّق بجملة العبادات بالمعنى الأخص.

فذلكة المقام وخلاصة الفتوى

إنّ واقعة الطفّ وما جرى فيها من زوابع الفجائع، واقعة خرقت النواميس الطبيعيّة والغرائز البشريّة، فضلاً عن الشرائع الإلهية.

وما رأت عين الدهر ولا سمعت واعية الأزمان بواقعة مثلها، ولا تسمع بمثلها أبداً، وكما أنّها أخذت بمجامع الغرابة والتفرّد في بابها، فكذلك أحكامها غريبة الشكل، عديمة النظير، بديعة الأُسلوب، متفرّدة في بابها.

الجزع والبكاء في المصائب - مهما عظمت - قبيح مكروه، ولكن صادق أهل البيت سلام الله عليه وعليهم يقول في حديث معتبر: «البكاء والجزع كلّه مكروه إلّا على الحسين صلوات الله عليه»[1].

---

(١) ونصّ الحديث: قال عليه السلام: «إنّ البكاء والجزع مكروه للعبد في كلّ ما جزع، ما خلا البكاء والجزع على الحسين بن علي عليهما السلام، فإنّه فيه مأجور»، كامل الزيارات: ٢٠١، حديث ٢٨٦.

شقّ الجيوب على الفقيد وخمش الوجوه محرّم في الأشهر، ولكن صادق أهل البيت سلام الله عليه يقول في حديث وثيق: «على مثل الحسين فلتُشقّ الجيوب ولتُخمش الوجوه ولتلطم الخدود»(١).

إيذاء النفس وإدماء الجسد مرغوب عنه مذموم، سيّما من الأعاظم وأرباب العزائم، والحجّة عجّل الله فرجه يقول في زيارة الناحية: «فلأندبنّك صباحاً ومساءً، ولأبكينّ عليك بدل الدموع دماً»(٢).

وقد سبقه إلى ذلك جدّه زين العابدين عليه السلام، ففي بعض روايات المجلسي على ما يعلق ببالي من زمن متقادم أنّ زين العابدين كان أحياناً إذا قدّم إليه قدح فيه ماء بكى حتّى يملؤه دماً(٣).

وعلى هذه الوتيرة فاسحب وجر سائر الأعمال التي يؤتى بها بقصد الحزن والتوجّع لفاجعة الطفّ، وأنّها ـ لعمر الله ـ باب الرحمة الواسعة، وسفينة النجاة من كلّ هلكة. ومَن ذا يقدر على سدّ باب رحمة الله، أو يقطع أعظم الذرائع والوسائل إلى الله؟!

---

(١) قال عليه السلام: «وقد شققن الجيوب، ولطمن الخدود الفاطميّات على الحسين بن علي عليهما السلام، وعلى مثله تلطم الخدود وتشقّ الجيوب»، تهذيب الأحكام ٨: ٣٢٥، حديث ١٢٠٧.

(٢) المزار: ٥٠١، زيارة أخرى في يوم عاشوراء صدرت عن الناحية.

(٣) بحار الأنوار ٤٦: ١٠٦، حديث ١، الباب السادس (حزنه وبكائه على أبيه)، نقلاً عن مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ٣: ٣٠٣، باب إمامة علي بن الحسين عليه السلام. وفي كلا المصدرين «دمعاً» لا «دماً».

ولكن رغبتي إلى إخواني المؤمنين ووصيّتي إليهم ومسألتي منهم أمران:

الأوّل: تنزيه تلك المواكب المقدّسة من كلّ ما يشينها ويدنّسها، ممّا يوجب إلقاح الفتنة والفساد من المقابلة والتفاخر وحبّ الغلبة وتفوّق قبيل على قبيل، وأمثال ذلك من الأخلاق الذميمة.

فإنّ تلك الأعمال أعمال إلهيّة، ولها غايات روحية، فلا تدعو للشيطان سبيلاً إلى إحباط أجرها ومحو أثرها وغاياتها.

الثاني: وهو أهم وأعظم، ألا وهو المحافظة على اتّفاق الكلمة، ونبذ الخلاف والتفرّق، ولتكونوا يداً في حفظ هذه الجامعة المقدّسة التي أوشكت أن تنحل عراها وتضمحلّ قواها.

ومَن تدبّر في حالة الشيعة الحاضرة يجدها وخيمة العاقبة ذميمة المغبّة، تكاد تقضي على حياتها وتؤدّي إلى هلاكها، يعرف ذلك أهله من ذوي التدبّر والمعرفة.

وهذه حادثة المدينة وفاجعة أئمّة البقيع، كفى بها ذلاً وهواناً لنا معشر الإماميّة، وكان يجب أن تكون هي الشغل الشاغل لنا عن كلّ خلاف ونزاع، وتنابذ وافتراق.

فالله الله يا عباد الله المؤمنين في جمع الكلمة، ولم الشعث[1]، ورتق الفتق، ووحدة العدّة والقوّة، فإنّها أربح وأنجح وأفضل وأجمل في الدنيا

(١) الشعث بالتحريك: انتشار الأمر، يقال: لمَّ الله شعثك، أي جمع أمرك المنتشر. الصحاح ١: ٢٨٥ «شعث».

والآخرة، وما أُريد إلّا الإصلاح ما استطعت، وما توفيقي إلّا بالله عليه توكّلت وإليه أُنيب.

محاضرة زاهرة وكلمات باهرة

ألقى علينا عمّنا الحجّة والآية، وعلم الهداية، الشيخ السابق الذكر أدام الله ظلّه العالي، ذات يوم محاضرة نفيسة، وجدناها تتعلّق أشدّ العلاقة بالفتوى المتقدّمة، فأحببنا إلحاقها بها ونشرها هنا، وأن نضمّ ما صدر من فمه إلى جنب ما صدر من قلمه، تعميماً للفائدة وخدمة للحقيقة ونشراً للمعارف الدينية، قال دامت بركاته:

إنّ مَن أمعن النظر وسبر(١) غور(٢) الوقائع التاريخية في بدء الدعوة المقدّسة الإسلاميّة، وفلسفة نشوئها وارتقائها وبدء انتشارها واعتلائها، وجد أقوى الأسباب العاديّة بعد العناية الربانيّة، هو سيف أمير المؤمنين صلوات الله عليه ومواقفه المشهورة ومساعيه المشكورة، بحيث لولا كفاحه وصفاحه لما اخضرّ للإسلام عود، ولما قام له عمود.

---

(١) سبرت الجرح أسبره: إذا نظرت ما غوره. الصحاح ٢: ٦٧٥ «سبر».

(٢) غور كلّ شيء قعره. الصحاح ٢: ٧٧٣ «قعر»، والمعنى أن الناظر إلى أعماق الوقائع التاريخية.

وكذلك من أعطى التدبّر حقّه وأمعن النظر في أسباب انتشار مذهب التشيّع واتّساع نطاقه، وارتفاع رواقه، لم يجد له سبباً حقيقيّاً، وسرّاً جوهريّاً، سوى شهادة أبي عبد الله الحسين –صلوات الله عليه – بذلك الشكل الغريب، والوقع الهائل.

ولولا شهادته سلام الله عليه لكانت الشريعة أمويّة، ولعادت الملّة الحنيفيّة يزيدية، فحقّاً أقول: إنّ الإسلام علوي، والتشيّع حسيني.

أقول وحقاً ما أقول: إنّ مَن ليس له حبل ولاء خاصّ إلى علي صلوات الله عليه، فليس من الإسلام على شيء، ومن ليس له حبل ولاء خاصّ بالحسين سلام الله عليه فليس من التشيّع على شيء.

ولعلّ من هنا تجد أنّ لكلّ شيعي علقة خاصة مع الحسين عليه السلام ليست له مع غيره من سائر الأئمّة سلام الله عليهم، مع أنّه يعتقد بإمامتهم وفرض طاعتهم.

نعم، وقد كان لنفس النبيّ صلى الله عليه وآله ولذات الأئمّة عليهم السلام علقة خاصة بالحسين بخصوصه ليست لبعضهم مع بعض، فلقد كانت لهم لهجة خاصة بذكره، يعرفها من أنس بأخبارهم، ووقف على بعض أسرارهم.

وهذه ميّزة قد امتاز سلام الله عليه بها، ومزيّة قد تفرّد هو فيها. وكانوا جميعاً يشيرون إلى أنّ الحسين عليه السلام هو مستودع ذلك السرّ الإلهي الذي يستبين به الدين، ويميز الله به الخبيث من الطيّب، والحقّ من الباطل.

وما تبيّن الرشد من الغي والهدى من الضلال إلّا بالحسين سلام الله عليه، و إلّا فقد ارتبك الأمر بعد النبيّ ﷺ على عامة المسلمين واختلط الحابل بالنابل[١] والحقّ بالباطل، سيّما بعد صلح أخيه الحسن سلام الله عليه، الذي كان أيضاً بأمر من الله سبحانه، ولكن نهض الحسين سلام الله عليه تلك النهضة الباهرة، فقشع سحب الأوهام، وانتزع النور من الظلام، وأصحر بالهدى لطالبه، وبالحق الضائع لناشده.

وهذه إحدى المزايا التي امتاز بها وتفرّد، وكان من قبله من الأئمّة ومن بعده يشيرون إليها، ويدلّون الناس عليها، وكانت نسبته إليهم في ذلك على حدّ قول القائل:

ولستَ تَرى في محكمِ الذكر سورةً   تقومُ مقام الحمدِ والكلُّ قرآنُ[٢]

(١) هذا من أمثال العرب، قال اليوسي: الاختلاط معروف، والحابل الذي يصيد بالحبل، والنابل الذي يصيد بالنبل، فيضرب ذلك في اختلاط الرأي. زهر الأكم في الأمثال والحكم ١: ٢٢١.

(٢) أحد أبيات قصيدة ابن قلاقس المصري، وهو نصر بن عبد الله بن عبد القوي اللخمي الإسكندري الأزهري، المعروف بابن قلاقس، ولد في الإسكندرية عام ٥٣٢هـ، ثمّ انتقل إلى القاهرة، توفّي في عيذاب - وهي قرية متوسطة بين مصر والحجاز واليمن - عام ٥٦٧ هـ، ونذكر تمام القصيدة تعميماً للفائدة:

لأيــة حــال فــيضُ دمعــك هتــانُ   وما هذه نعم ولا تلك نعمانُ

أكــلُّ مكــان للبخيلــة منــزلٌ   وكلُّ حمول للبخيلة إظعانُ

⇦



و إلّا فهــل أســررت رأي مــتمّم فبان على آثارهم عندما بانوا
ســقى الله نعمــان الأراك مــدامعي وقلت ولو أنّ المدامع طوفانُ
ديــارٌ بهــا للسُــمر غــابٌ وللظِبــا جداولُ أنهار وللجرد غزلانُ
إذا رتعــت آرامهــا قلــت وجــرةٌ وإنّ ربضت آسادها قلت خفانُ
نعمــت بهــا والعــيش أخضــر يــانعٌ وغصن الصبا لدنُ المعاطف ريّانُ
فما نهدت عن شرعة الحبُ ناهدٌ ولا أوهن الشمل المجمّع وهنانُ
أمّــا وبــدور فــي غصــون تمايلــت وما هي أقمارٌ ولا تلك أغصانُ
لقد جبت عرض البيد وهي فسيحةٌ ودست عرين الليث والليثُ غضبانُ
ولا صــــاحبٌ إلّا تنســــم نفحــــة هزرت لها عطفي كأنّي نشوانُ
يميـل إليهـا أخـدعُ الصـبّ كبكـبٌ ويلوي لها عطف المتيّم ثهلانُ
فعجـتُ مـع الشـوق المبـرّح طوعـه ولي كلّما لام العواذل عصيانُ
فلمّــا رأيــتُ الــدار حيّيــتُ ربعهــا وللطرف إنكارٌ وللقلب عرفانُ
وقلـتُ لهـا قلبـي كأهلـك قـد نـأى فها أنت إطلالٌ وها أنا جُثمانُ
فــأين أفنــانُ القــدود وقــد هفــت فأشجت لطير الحلي فيهنّ ألحانُ
ليــالي تــزري بالكواكــب أكــؤسٌ تداورُ بالشمس المنيرة ندمانُ
تصــــرّمُ ذاك العــــيش إذا تــــذكراً شببتُ له بين الأضالع نيرانُ
فـإن كنـت مـن مـاء الجزيـرة راويـاً فإنّي إلى عذب العذيب لظمآنُ
وقـد أقطـعُ البيـداء والبـدرُ فـارسٌ له الليلُ طرفٌ والكواكبُ خُرصانُ





بمنجرد في الوعر وعل وفي النقا عقابٌ وفي سهل البسيطة سرحانُ
سرى وكأنّ الريح ملءُ حزامه بها وكأنّي في مطاهُ سليمانُ
وأخضر مرهوب الغرار إذا بكى فحاملهُ طلق الأسرّة جذلانُ
وأرقط إمّا نسبة حين ينتمي فصقرٌ وإمّا نصبة فهو بستانُ
وروضٌ به للنهر تجري مجرّة وللزهر غذتهُ المواطرُ شهبانُ
وقد أتلعت أجيادها قلل الربى فقلّدها للنور ذّر وعقيانُ
يعبّر عن نشر الأثير كأنما تجرُّ على تلك الرُبى منه أردانُ
أغرّ له حالا نوال وفتكة ففي السلم مطعامٌ وفي الحرب مطعانُ
من القوم ما غير الظبي لبيوتهم أساسٌ ولا غيرُ الذوابل أركانُ
إذا جرّدوا بيض السيوف فما لها سوى أرؤس الصيد البهاليل أجفانُ
ظماءُ حروب من قلوب عداتهم لهم قلبٌ والسمهرية أشطانُ
رعوا من يواليهم وراعوا عداتهم فأقوامهم عزوا وأضدادهم هانوا
تكفلهُم للمجد أفضل كافل وغذتهم من صفوة الفضل ألبانُ
صفا منهم جودٌ عميمٌ ومنظرٌ وسيمٌ وعرضٌ لا يشابُ وأذهانُ
إذا صمتوا خفوا وإن نطقوا هُدوا وإنّ نزلوا زانوا وإن ركبوا صانوا
أجاروا وما جاروا وأولوا وما ألوا ومنّوا وما منّوا ومانُوا وما مانوا
وكم سقت الأعداء كأساً مريرةً صوارم تثنيهم صريماً ومرانُ
سوام رعوا نبت الرماح فهوموا عجافاً وما كلُّ المسارح سعدانُ
تميمٌ تمامٌ فضلهُم غير أنّهُ أعزّ وما ذلوا وأوفى وما خانوا
ولست ترى في محكم الذكر سورةً تقومُ مقام الحمد والكلُّ قرآنُ





لهم شرفٌ يزدادُ فخراً بذكره ... فهم المعالي ناظر وهو إنسانُ

له قلمٌ كالصّل لكن لعابه ... لباغي الندى شهدٌ وللقرن ذيفانُ

إذا جال يوماً فالأنامل سابحٌ ... ومنخرقُ الطُرس المنمّقُ ميدانُ

فلله منه واحدٌ بين قومه ... وهم بين أحياء القبائل وحدانُ

يجودُ ويخفي جودُه فيذيعهُ ... ثناءً وما بالمسك يعبقُ كتمانُ

أحبّ المعالي فاغتدت وهي طوعُه ... ومن شيم المحبوب مطلٌ وليّانُ

وأسعد بالندب السعيد فللعلى ... تجمّع شمل لا دنا منه فرقانُ

فللمجتلي شمسٌ وبدرٌ تألّقا ... وللمُجتدي سيحانُ فاض وجيحانُ

ومن عجب أن قسم الفضل فيهما ... ولا واحدٌ في قسمة منه نقصانُ

علاهُم سماءٌ والأمير محمّدُ ... بها قمرٌ طلقُ الأسرة ضحيانُ

طلاقتهُ دلت على طيب أصله ... وفي الفجر وضاحاً على الصبح عنوانُ

ليهنكم العيدُ السعيدُ وإن غدا ... بفضلكم يزهو جلالاً ويزدانُ

إذا كنتم عيداً لنا كلّ مدّة ... فقد بات شوّالٌ سواءً وشعبانُ

أقامت على جودي جودك فاكتفت ... سفينة آمالي وللبخل طوفانُ

لساني غوّاصٌ وفكري بحرُه ... وشعري درٌّ يُستفادُ ومرجانُ

إذا اختال فيه لا بسوه فحلّةٌ ... تزينُ ومن بعض الملابس أكفانُ

تقصّر عن نعماك أولادُ جفنة ... ويقصّرُ عن إدراك شأوي حسّانُ

ويتفرّع من هذه المزيّة مزايا تفوت حدّ المدّ، ويحصر عنها لسان الحصر.

كان من مزاياه التي انفرد بها وامتاز عن غيره فيها، أنّه ربّما رآه وكلّمه أعدى عدوّ له، فانقلب أكبر محبّ له.

وحسبك بحديث زهير بن القين، وكان عثمانياً، أبغض شيء إليه أن ينازل الحسين عليه السلام في منزل، فلما اجتمع به وكلّمه بضع كلمات حتّى طلّق الدنيا وزوجته، وفداه بنفسه(١)، ولا تحسب أنّ هذه من منفردات الشيعة ورواياتهم، فإنّ في كتب علماء السنّة قد يوجد ما هو أعجب من ذلك.

---

(١) ففي اللهوف قال السيّد بن طاووس: «ثمّ سار عليه السلام فحدّث جماعة من بني فزارة وبجيلة قالوا: كما [كنّا] مع زهير بن القين لمّا أقبلنا من مكّة فكنّا نساير الحسين عليه السلام حتّى لحقناه، فكان إذا أراد النزول اعتزلناه فنزلنا ناحية، فلمّا كان في بعض الأيّام نزل في مكان لن نجد بدّاً من أن ننازله فيه.

فبينا نحن نتغدّى من طعام لنا إذ أقبل رسول الحسين عليه السلام حتّى سلّم، ثمّ قال: يا زهير بن القين، إنّ أبا عبد الله الحسين عليه السلام بعثني إليك لتأتيه، فطرح كلّ إنسان منّا ما في يده حتّى كأنّما على رؤوسنا الطير.

فقالت له زوجته - وهي ديلم بنت عمرو - : سبحان الله! أيبعث إليك ابن رسول الله عليه السلام ثمّ لا تأتيه؟ فلو أتيته فسمعت من كلامه.

فمضى إليه زهير بن القين، فما لبث أن جاء مستبشراً قد أشرق وجهه، فأمر بفسطاطه وثقله ومتاعه فحوّل إلى الحسين عليه السلام، وقال لامرأته: أنت طالق، فإنّي لا أحبّ أن يصيبك ⇦

هذا مجد الملك بن شمس الخلافة، أحد وزراء العلماء في مصر، المتوفّى في حدود الستمائة، على ما ذكره ابن خلكان في ترجمته، ذكر في كتاب له ألّفه في محاسن المحاضرة وآداب المسامرة فقال:

«إن عصام بن المصطلق وكان شاميّاً أمويّاً، قال: دخلت المدينة فرأيت الحسين بن علي سلام الله عليهما ومعه غلمانه وحاشيته، فأعجبني سمته ورواؤه وحسنه وبهاؤه، وأثار الحسد ما كان يخفيه صدري لأبيه من البغض، فجئت إليه وقلت له: أنت ابن أبي تراب؟

فقال: «نعم».

فبالغت في شتمه وشتم أبيه، فنظر إليّ نظر عاطف رؤوف برقّة ورحمة، ثمّ قال: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم **﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ * وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لاَ يُقْصِرُونَ﴾**[1].

⇨

بسببي إلّا خير، وقد عزمت على صحبة الحسين عليه السلام لأفديه بنفسي، وأقيه بروحي، ثمّ أعطاها مالها وسلّمها إلى بعض بني عمّها ليوصلها إلى أهلها.

فقامت إليه وبكت وودعته وقالت: كان الله عوناً ومعيناً، خار الله لك، أسألك أن تذكرني في القيامة عند جدّ الحسين عليه السلام.

فقال لأصحابه: من أحبّ أن يصحبني، وإلّا فهو آخر العهد منّي به». اللهوف في قتلى الطفوف: ٤٤، خروج الحسين عليه السلام من مكّة إلى العراق.

(١) الأعراف (٧) : ٢٠٠ – ٢٠٣.

ثمّ قال لي: «خفّض عليك، أستغفر الله لي ولك، إنّك لو استعنتنا لأعناك، ولو استرفدتنا لرفدناك، ولو استرشدتنا لأرشدناك».

قال عصام: فندمت على ما قلت، وتوسّم منّي الندم على ما فرط مني فقال: ﴿**لاَ تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾[١].

ثمّ قال عليه السلام: «أمن أهل الشام أنت»؟

قلت: نعم.

فقال: «شنشنة أعرفها من أخزم[٢]، حيّانا الله وإيّاك، انبسط إلينا في حوائجك وما يعرض لك تجدنا عند أفضل ظنّك إن شاء الله».

قال عصام: فضاقت عليّ الأرض بما رحبت ووددت لو أنّها ساخت بي، ثمّ انسللت من بين يديه لواذاً، وما على وجه الأرض أحبّ إليّ منه ومن أبيه»[٣]انتهى ما علق بخاطري من ذلك الكتاب.

---

(١) يوسف (١٢) : ٩٢.

(٢) الشنشنة بالكسر: الطبيعة والخلق، وأخزم بالزاي رجل من طي مات أخزم هذا وترك بنين، فوثبوا يوماً على جدّهم فأدموه فقال:

إنّ بنيّ زملوني بالدم	من يلق أساد الرجال يُكلَم
ومَن يكن ذا أود يُقوَّم	شنشنة أعرفها من أخزم

لأنّه كان عاقاً كذلك. زهر الأكم والأمثال والحكم ١: ٣٥٥.

(٣) لم نعثر على هذا الكتاب لكن القصّة مشهورة، فقد ذكرها ابن عساكر في تاريخه، تاريخ مدينة دمشق ٤٣: ٢٢٤، في ترجمة علي بن محمّد أبو الحسن الحوطي، رقم ⇦

وكم لهذه الواقعة من نظائر لا يسعها المقام، ولكن من عرف للحسين عليه السلام بعض هاتيك المزايا والخصوصيات لاشكّ أنّه يستقلّ في عزائه الكثير، ويستحقر الأمر الخطير، ويرى دون ما يستحقّه كلّ تلك الشعائر والمظاهرات، والمواكب والنزعات.

نعم، وإذا كان الشامي الأموي بنظرة واحدة وكلمات معدودة يعود وما على وجه الأرض أحبّ إليه من الحسين وأبيه، فما عذر الشيعي في إبداء الوهم والتشكيك في المواكب الحسينيّة والشؤون العزائيّة؟!

وأمّا ـ والله ـ لولا استمرار تلك الشعائر؛ وقيام أعواد هذه المنابر، واستدامة التوجّع والتفجّع، لانطمست أعلام التشيّع، ولكنّي أختم كلمتي هذه بالآية الشريفة التي استشهد بها سلام الله عليه، حيث قال: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ * وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لاَ يُقْصِرُونَ**﴾[(١)].

نسأله تعالى أن يمنّ علينا بنفوذ البصيرة، ونزع بذور الأغراض من لوح السريرة، لنرى الحقائق كما هي إن شاء الله، والسلام.

⇦

٥٠٧٨، وذكرها القرطبي في تفسيره ٧: ٣٥٠، ذيل قوله تعالى: ﴿**إنّ الذين اتقوا إذا مسّهم...**﴾.

(١) الأعراف (٧) : ٢٠١ – ٢٠٢.

انتهى ما ألقاه علينا من المحاضرة والخطبة شيخنا الحجّة نفعنا الله بإفاداته، ومتّعنا بطول بقائه إنّ شاء الله، والسلام عليكم أيّها المؤمنون جميعاً ورحمة الله وبركاته[1].

(١) في آخر الطبعة المستقلّة لهذه الرسالة «المواكب الحسينيّة»، كتبت عبارة: «الناشر محمّد ابن الشيخ عبد الحسين آل كاشف الغطاء - النجف الأشرف - المطبعة العلويّة».

(١١)

الأنوار الحسينيّة والشعائر الإسلاميّة

تأليف

الشيخ عبد الرضا كاشف الغطاء

(ت١٣٨٧هـ)

الجزء الأوّل

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاء اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا﴾[1]

هديتي هذه أقدّمها إلى إخواني المسلمين كافة، وقد ألّفتها على غير سوء نيّة ولا عصبيّة، وإنّما هي الحقيقة أطلبها وأجول خلفها وأحوم عليها، فإن أدركتها فبفضل المولى جلّ شأنه وكرمه، وإن شذذتُ عنها وأخطأتها فلا غرو ولا عجب، فالعالم يهفو، والجواد يكبو، والسيف قد ينبو.

فرجائي إلى أهل الأدب والفضيلة أن ينبّهوني تنبيه رأفة على هفواتي وسقطاتي، ويوقفوني على مواضع عثراتي وزلّاتي، وأنا معترف بعجزي عن الاضطلاع بهذا العبئ الثقيل، وبقصور الباع في الوقوف على كلمات الأئمة الأطهار والفقهاء الأبرار ، والإحاطة في الأخبار، مع أنّ الذهن مشغول، ومن الزمان مذهول، وفي السفر معلول، وذهن القارئ والمتصفّح فارغ.

---

(١) المزمل (٧٣): ١٩.

وإن تلقّيت بعين الاعتبار والقبول فذاك هو المأمول، ومن الله المسـؤول ﴿مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ * إِنْ هُــوَ إِلَّـا ذِكْــرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾[1].

﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[2]

(١) ص (٣٨): ٨٦ ـ ٨٧.

(٢) هود (١١): ٨٨.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[1]

﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[2]

والحمد لله على ما هدانا للإسلام، ومَنَّ علينا بدينه الذي ارتضاه لملائكته وأنبيائه ورسله، وأمرهم بنشره في الأنام.

والصلاة والسلام على من لا نبيّ بعده محمّد بن عبد الله، سيّد الأنبياء والمرسلين ، وعترته الطيبيّن الطاهرين وصحبه المرضيّين ، ولعنة الله والملائكة والناس أجمعين على منكري فضائلهم والساعي لإطفاء نورهم من الآن إلى قيام يوم الدين.

---

(١)الصفّ (٦١): ٨.

(٢) الشعراء (٢٦): ٢٢٧.

المقدّمة

أما بعد، سلام عليكم عباد الله الصالحين ورحمة الله وبكاته.

ثم لا يخفى على إخواننا المسلمين القاطنين في مدينة بمبيء وغيرها من المناطق الهندية الجنوبية والشمالية، وجلّ الأقطار الإسلامية، لما دفعتني لهوات الأسفار في البحار والقفار ، حتى قذفتني المقادير على ساحل بمبئي، فألقيت بها العصى واستقرّ بي النوى، فصرت بها أنيساً، وبأفاضلها وأشرافها مأنوساً، إلى أن هلّ شهر المحرّم، فسدل على الأنام أثواب الحداد؛ لما أصيب به سيّد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام.

وأنا إذ ذاك في تيار أفكاره وعوائد تذكاره، إذ همزني بعض أصاحبي وأحبائي القاطنين من التجار والروحانيين في مدينة بمبئ، الوقوف على أعداد محزنة من الصحائف الفارسية لبعض الصحافيين من المسلمين القاطنين في القارة الهنديّة المنتمين إلى الشيعة الاثني عشريّة، وغيرهم من الذاكرين والواعظين على أعواد المنابر، وإذا بهم يريدون أن يتوصلوا بعقائدهم الفاسدة وتحاريرهم السامجة أن يكونوا مصداق ما تقدّم من الآية الشريفة.

يا للذل ويا للعار من فعل أولئك الفسقة الفجار ﴿قَاتَلَهُمُ اللّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[١].

وليتني دريت ما سبب هذه القسوة والجفاء للأئمة النجباء، هل جرّد الرحمن من قلوبهم الإيمان والعواطف، فتركها كالصخر لا تؤثّر فيه العواصف؟! ﴿ فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾[٢].

يدَّعون الإسلام إفكاً وزورًا، كَذِبَت أُمّهاتكم بادِّعاها[٣].

وإليك أيّها الراغب في الوقوف على الصحيفة الأولى المشهورة بجريدة...[٤] الصادرة في (...) ذات عدد ٢٧ و٢٨ المؤرّخة يوم الثلاثاء شهر تير ماه الموافق سنة ١٣٠٦ شمسي، طبقاً إلى ١٩ محرم الحرام سنة ١٣٤٦هـ، طبقاً إلى ١٩ جولائي سنة ١٩٣٧ ميلادي.

وإليك أيّها الناظر ما نصّه في جريدته صفحة ١٤ و٣٠ منها، مستفتياً من العلماء الأعلام عن المواكب الحسينية والشعائر الإسلامية، وقد برهن

---

(١) التوبة (٩): ٣٠.

(٢) المنافقون (٦٣): ٣.

(٣) من ضمن تخميس للشاعر الشيخ جابر الكاظمي ، موسوعة أدب المحنة، أو شعراء المحسن ابن علي ، للسيّد محمّد علي الحلو: ١٦٤:

يا طغام الأنام زِدتم فجورًا ... وأبيتم في الدِّين إلّا كُفورًا

لكم الويل كم أتيتم أمورًا ... تدَّعون الإسلام إفكاً وزورًا

كَذبت أمّهاتكم بادِّعاها

(٤) في الذريعة ٢: ٤٢٤ ـ ٤٢٥: ((ردّ فيه على ما في بعض الجرائد الفارسيّة الصادرة في الهند مثل حبل المتين والإبلاغ، في المنع من مراسم العزاء لسيّد الشهداء عليه السلام)).

بزخاريفه وأعلن بدسائسه الباطلة في جريدته، بأنّ اللطم على الصدور مؤثّر لضيق النفس، والبكاء مضرّ للعين، وهما نوع من التهلكة ، واستدلّ بالآية الشريفة.

وثمة الصحيفة الثانية، أعني بها جريدة (...) ذات عدد ١٣٥ المؤرّخة ٦ محرّم الحرام سنة ١٣٤٦، طبقاً إلى ٦ شهر جولائي سنة ١٩٣٧ ميلادي، فتطلعت على مقال عنوانه (...) وإذا هو قد حذا حذو صاحب الجريدة الأولى.

وإليك بيان قوله، ما نصّه في جريدته الصفحة الأولى والثانية منها، منتقداً على الشعائر الإسلاميّة، ومستدّلاً بالآية القرآنيّة قوله تعالى: ﴿ **وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ**﴾[1]، ونشر حكايته الرومانية المحتوية على الكذب والبهتان، وافترائه على فقراء طهران، وانتقاده على ملوك إيران السادة الصفويّة والسلسلة الهاشمية.

فلمّا وقع نظري عليها وعلمت ما أراد بنشرها، جاش صدري، وغلت نار الحميّة للحقّ في فؤادي، وتنمّر قلمي، وفارت محبرتي بِنَقْسي[2]، واستعرض لي متصدّياً طَرْسي[3]، وتزاحمت تتراكم على ذهني وجوه النظر والبيان لردّ

---

(١) البقرة (٢): ١٩٥.

(٢) المداد: النقس، تقول منه : مددتُ الدواة . الصحاح ٢: ٥٣٧ «مدد».

وفرضة الدواة : موضع النقس منها. المصدر السابق ٣: ١٠٩٧ «فرض».

(٣) الطرس: الصحيفة ، ويقال: هي التي مُحيت ثم كتبت. الصحاح ٣: ٩٤٣ «طرس».

هـذه الفريـة والبهتـان، وازددت علـى مـا أنـا فيـه مـن الوجـد والأحـزان، فتصاعدت لذلك حسراتي، وازدادت زفراتي، فإنّ العنوان يرمز غالباً على المعنون، فأطلقت عنان النظر؛ رغبة بذلك العنوان في مضمار ذلك البيان برؤية وإمعان، وإذا جُلّه بل كلّه لا يتجاوز صريح الكذب وقبيح المين(١) على العلم وحملته العلماء الأعلام.

وقصدهم من الحكايات الكاسدة والدسائس الفاسدة، إلقاح فتنة عمياء، وبثّ بذور النفاق والإرتداد، والتعصّب المذهبي بين إخواننا المسلمين.

وإليك ذلك أيّها القارئ، فاضحك أو فابك.

قالت الجريدتان: الأولى (...) في صحيفة ١٤ و٣٠ منها، وكذلك الأخرى (...) في صحيفة الأولى منها والثانية ـ ولا أنقل إلّا عنهما، ولا أنتقد إلّا عليهما، وعلى من ينضوي إليهما، لا يهمّني من قال، وإنّما يهمني المقال، بعد أن ذكرتا اعتياد الجعفريين، بل جلّ الإسلام والمسلمين، في العشرة الأُولى من محرّم الحرام على إقامة المآتم والبكاء، واللطم على الصدور، وضرب السلاسل والقامات والسيوف، وتنظيم المواكب المتجوّلة في الأزقة والشوارع، الحاملة للأعلام والمشاعل الكهربائية ليلاً، وتدفّق الجماهير عراة الصدور حاسرة الرؤوس في الأقطار، تندب الشهيد المظلوم أبا عبد الله الحسين ـ:

---

(١) المين: الكذب. الصحاح ٦: ٢٢١ «مين».

«وقد زعم بعض أهل الدست الملوكي في المناطق الهنديّة الجنوبيّة[*] وما يضارعها ، وبعض مدّعي العلم القاطنين بها، وبعض الذاكرين والواعظين على أعواد المنابر في مدينة بمبئ وغيرها، بهذه الحقيقة، وأدركوا بهذه العقول السقيمة السخيفة، ما لهذه الأعمال من التأثير السيء في سمعة الإسلام في العالم وفي نظر الأجانب، فقاموا يستنكرون إتيانها، وينهون عنها بغير حجّة ولا برهان ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآَخِرَةِ فَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ**﴾[1].

﴿**أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللّهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ**﴾[2].

﴿**فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ**﴾[3]».

فهلمّوا معي معاشر المؤمنين والمسلمين من الهنود وغيرهم نسأل من الجريدتين: ما أرادتا؟

ومن أهل الدست الملوكي في المنطقة الهندية الجنوبيّة المقيمين فيها: ما مرادهم من الأعمال التي قام العلماء باستنكار إتيانها والنهي عنها

(*) أعني بها حيدر آباد (دكن) والمقيمين فيها من الذين أفتوا بأنّ خروج المواكب العزائية غير مباحة في الشرع ، وبعد أن استحصلت حكومة دكن فتياهم سجنت بعض أهل العزاء الحسيني طبقاً للفتيا ﴿ **قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ** ﴾.

(١) البقرة (٢) : ٨٦.

(٢) الأعراف (٧): ٩٩.

(٣) البقرة (٢): ٧٩.

واستهزاء الأجانب بها؟ ﴿**وَلاَ تَلْبِسُواْ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُواْ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾(١).

فما هذه التهلكة؟! أهي المآتم والتعازي؟!

أو اللطم والبكاء؟!

أم المواكب المنظّمة الحاملة للأعلام والمشاعل الكهربائية؟!

أم هي الجماهير المتدفّقة العراة الصدور الحاسرة الرؤوس؟!

فإن قالتا: المقال الأول، فغفرانك اللهمّ من هذه الجرأة على العلم والعلماء والفرية والبهتان ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ**﴾(٢).

وهذه العرب بأبوابكم، والعجم بدياركم، وجلّ البلدان وأهل المذاهب والأديان، وعموم الأمصار من النجف وجلّ العراق وإيران، وقارة الهند وأمريكا وبرلين ومصر وفلسطين، وجلّ الأقطار والعواصم، تقيم المآتم الحسينية وتأمر بإقامتها، وتتسابق إليها وتتنافس، ولم نسمع بمنكر ولا مستنكر لها أو مستهزئ، فضلاً عن محرّم ناهٍ عنها ﴿**فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**﴾(٣).

---

(١) البقرة (٢): ٤٢.

(٢) الحجّ (٢٢):٣.

(٣) يونس (١٠): ٣٥.

﴿فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[١].

وكيف؟! وهذه كتب الشيعة والسنّة مشحونة بالأحاديث المستفيضة عن أئمتناعليهم السلام، الحاثّة على عزاء الحسين بن عليعليهما السلام والاستقامة على البكاء، وإظهار الحزن والجزع والأسى، بما هو غنيّ عن البيان، يظفر به من له أدنى إلمام بكتبهم ومجاميعهم في ذلك الموضوع ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾[٢].

وحسبكم أيّها الضالون من واضح الدلالة والبرهان بما نطق به الفرقان، وذلك قوله تعالى في كتابه الحميد وكلامه المجيد: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ * لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾[٣].

ودونكم الأخبار الواردة ، كالمروي في التهذيب عن خالد بن سدير، عن الإمام الصادقعليه السلام وفيه: «وقد شققنَ الجيوب ولطمنَ الخدود الفاطميات على الحسين بن عليعليهما السلام، وعلى مثله تلطم الخدود وتشقّ الجيوب»[٤].

وإذا كان لطم الخدود مندوباً، كان لطم الصدور والحزن والجزع والبكاء أولى بالرجحان، وسيأتي لك البيان مفصّلاً في بعض المقامات الآتية.

---

(١) النحل (١٦): ٤٣.

(٢) الحجّ (٢٢): ١.

(٣) الحجّ (٢٢): ٣٢ و٣٣.

(٤) التهذيب ٨: ٣٢٥ حديث ١٢٠٧، نقلاً عن أحمد بن محمّد بن داود القمّي في نوادره.

وبالحق أقسم وأقول: إنّ تلك المواكب في كونها مظهر الحزن والجزع، وفي كون اللطم والبكاء بها وبغيرها صلة للرسول صلى الله عليه وآله وإسعاداً للعذراء البتول عليها السلام، وتمثيل هاتيك الفاجعة المشجية من أعظم الشعائر الإسلاميّة والفرقة الجعفريّة، ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾[١]

وأيم الله، لا أريد بكلمتي هذه أن أزلزل بأولئك النفر في مراكزهم، مهما كبر على الأمة الهنديّة الجنوبيّة شيء من أقوالهم وأعمالهم ﴿ **فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ** ﴾[٢].

أريد أن يتدبّروا قبل أن يتهوروا.

أريد أن يتعلّموا أكثر ممّا علموا ﴿ **إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ**﴾[٣] .

أريد أن تسعد بهم الأمة الهنديّة أكثر ممّا تشقى ﴿**وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا**﴾[٤].

---

(١) الحشر (٥٩): ١٨ و١٩.

(٢) سورة ص (٣٨): ٨٤.

(٣)الصافات (٣٧): ٢٤.

(٤) مريم (١٩): ٧٦.

أريد أن يكونوا أذكياء لا بسطاء بلهاء ؛ لئلا تنطلي عليهم دسائس أمويّة، ولمزة أجنبية(*)، وغمزة وهابيّة وعقائد بابيّة بهائية (**).

أريد أن يتحرزوا من دسائس الباطل ووساوس الضلال من ﴿**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ**﴾[1].

أريد أن يتنبّهوا ؛ لئلاّ تموّه عليهم الحقائق بألسنة المكر والخداع والنفاق، فكم قتلوا الدين بالدين، وقتل من الحقائق بسيف التمويه وكلمات المفسدين والمضلّين ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وإذا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ * وإذا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ**﴾[2].

أريد أن يتحذّروا من الذين يضعون أنفسهم مواضع المصلحين من هذه الأمة المرحومة، ثم هم يفسدون أكثر مما يُصلحون ، ويهدمون أكثر مما

(*) المراد باللمزة الأجنبية: الهيئة البلشفكية.

(**) اعلم أيّها القارئ، بعد التحقيق والبيان عن جملة الإخوان أنّ صاحب الجريدة الأولى والثانية قد اتضح لنا كالشمس في رابعة النهار أنّهما لا مبدأ لهما ولا مذهب، ولو أردنا أن نشرح ما لهما لطال المقام، ولكن ضربنا صفحاً طلباً للاختصار، وسأقدّم لك ترجمة كلّ فرد من هؤلاء المنتقدين على الشعائر في الجزء الثالث.

(١) البقرة (٢): ١٦.

(٢) البقرة (٢): ٢٠٤ ـ ٢٠٦.

ينبون، وهم لا يعقلون ﴿ وإذا **قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ** ﴾[١].

فمهلاً مهلا ورويداً رويدا، على هونك، فنحن نعرفك وما أنت عليه من هذه العقائد الباطلة ﴿ **أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ**﴾[٢].

ألم تعلم أيّها الضالع، أنّ الواثبين والمراقبين والحاسبين اليوم بالمرصاد، وكما تدين تدان، وكما تفعل تجازي، وكما تَنقد تُنقد، ومن غرس المدارات أجتنى السلامة.

مـا دمـت حيّـاً فـدار النـاس كُلّهـم   فإنّما أنت في دار المدارات
من يدرِ داري ومن لا يدر سوف يرى   عمّا قليل نَدَيماً للندامات[٣]

ومن أطلق لسانه ندم، ومن صانه سلم، ومن غرس الكذب والبهتان على العلماء الأعلام اجتنى اللعنة مدى الأيام.

ومن لم يصانع في أمور كثيرة   يضرس بأنياب يوطأ بمنسم[٤]

---

(١) البقرة (٢): ١١ ـ ١٢.

(٢) محمّدﷺ (٤٧): ٢٩.

(٣) البيتان لأبي سليمان الخطابي البستي، المتوفّى سنة (٣٨٣ أو ٣٨٨هـ) راجع : الكنى والألقاب ، للشيخ عباس القمّي ٢: ٢٠٧ «الخطابي».

(٤) قاله زياد بن حنظلة في قضية غزو الشام، فتمثل الإمام عليعليه السلام وكأنّه لا يريده، فأجابه:

متى تجمع القلب الذكي وصارما   وأنفا حميّا تجتنبك المظالم

راجع: تاريخ الطبري ٣: ٤٦٥ «استئذان طلحة والزبير عليّاًعليه السلام».

وإذا جهلت فاسأل، وإذا زللت فأرجع، وإذا أسات فاندم. طوبى لمن كان بصره في قلبه، والويل لمن كان قلبه في بصره، وأحذر من يوم تقول فيه ﴿ **رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا** ﴾[١].

مـا دمـت حيّاً فـدار النـاس كُلّهـم فإنّمـا أنـت فـي دار المـدارات
من يدرِ داري ومن لا يدر سوف يرى عمّـا قليـل نَـدَيماً للنـدامات[٢]

* * *

إذا أنـت لـم تـرع البـروق اللوامعـا ونمت جرى من تحتك السيل سائحا
غرسـت الهـوى بـاللحظ ثـم احتقرتـه فأهملتـه مستأنسـاً متسـامحا
ولـم تـدر حتـى أينعـت شـجراته وهبـت ريـاح الهجـر فيـه لوافحـا
وأمسـيت تسـتدعي مـن الصـبر عازبـا عليـك وتسـتدني مـن النـوم بارحـا[٣]

الهوى عسوف ، والعدل مألوف، والإنصاف موصوف، الهوى ملك غشوم ومتسلّط ظلوم، الهوى إله يعبد من دون الله ﴿ **أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ** ﴾[٤].

---

(١) طه (٢٠): ١٢٥.

(٢) البيتان لأبي سليمان الخطابي البستي، المتوفّى سنة (٣٨٣ أو ٣٨٨هـ) راجع : الكنى والألقاب ، للشيخ عباس القمّي ٢: ٢٠٧ «الخطابي».

(٣) الأبيات لابن حيوس. راجع كتاب : ذمّ الهوى، لابن الجوزي ١: ١٠٠ فصل وقد أكثر الشعراء في وصف البلايا التي حلّت بالناظرين.

(٤) الفرقان (٢٥): ٤٣.

﴿وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاء أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾(١).

فخالف هواك فإنّ الهوى يقود النفوس إلى ما يعاب(٢)

من قلَّ حياؤه كثر ذنبه، من لم يصلحه الخير أصلحه الشر، ذكّر نفسك بما فيها فأنت أعلم بمحاسنها ومساوئها.

تذكرة النصح

قال الله تعالى في كتابه الحميد وكلامه المجيد ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى * سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَى * وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى * الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى * ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى * قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى﴾(٣).

أيها الناس ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ﴾(٤).

---

(١) الحديد (٥٧): ١٤.

(٢)البيت للشبراوي المتوفى سنة (١١٧١هـ) وكان من الشعراء المرموقين في عصره، والبيت الذي قبله هو:

إذا ما تحيّرت في حالة ولم تدر فيها الخطأ والصواب

ذكره صاحب كتاب مجاني الأدب في حدائق العرب ١: ١٠، لرزق الله ابن شيخو المتوفّى (١٣٤٦هـ).

(٣) الأعلى (٨٧): ٩ ـ ١٤.

(٤) آل عمران (٣): ١٩.

وأيّ دين أحسن من هذا الدين، الذي هو صفوة الأديان لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[1].

وقال صلى الله عليه وآله في بعض خطبه: «أيها الناس إنّ الأيام تطوى، والأعمار تفنى، والأبدان تبلى، وإنّ الليل والنهار يتراكضان البريد، يقرّبان كلّ بعيد، ويخلقنان كلّ جديد، وفي ذلك عباد الله ما ألهى عن الشهوات، ورغّب في الباقيات الصالحات»[2].

وقال صلى الله عليه وآله: «الدين النصيحة»[3].

وها نحن نأتي في مقالنا هذا على نبذة نوجّهها إلى كافة إخواننا المسلمين في القارة الهنديّة وغيرها أينما كانوا.

ورائدنا في توجيهها ما نتوخّاه في درجها من الوجوب والامتثال لأمر الله تعالى، ونرجوا ممّن تلقاها وأمعن بالنظر إليها من العالم الإسلامي وطوائفه، أن ينظر بعين الاعتبار والتبصّر وإمعان الفكر والتدبّر، فالتذكير يصقل القلوب ويكبح جماح النفوس ويرفع عنها أدران العيوب.

ومنزلة التذكير في تهذيب العقول وإرشادها إلى سلوك سواء السبيل، ليست بالمنزلة التي تحتاج إلى مزيد تعريف أو إطالة تنويه، وكفى بإرشاد

---

(١) البقرة (٢): ١٣٢.

(٢) أدب الدنيا والدين، للبغدادي الماوردي (ت٤٥٠هـ) ١: ١١٧ الباب الثالث في أدب الدين.

(٣) دعائم الإسلام، للقاضي النعمان ٢: ٤٧ حديث ١١٥.

كتاب الله الحكيم منوّهاً على مزاياه العديدة، وماله من الأثر الصالح في تكثير وجوه المساعي الحميدة.

إنّ الذي نقوله ها هنا وننبّه الأفكار عليه، لم يكن بالأمر الذي لم يتضح للعقول المفكّرة والأفئدة المستبصرة؛ لأنّه لم يزل من المدركات بالبداهة، ولا يستطيع أحد إنكاره.

ولكن بعض الواضحات قد تنصرف الأذهان عن تقديرها حقّ قدرها، إمّا بالإغواء من مضلّ فاسق، يضع مكان ما به الرشاد أمراً مموّهاً، بقصد صرف الأنظار عمّا يعمّ به الانتفاع ويحسن به التأسي والاتباع، فيظن المتعلّقون به أنّهم على بيّنة من الأمر، وطريق من الرشد في تمسكهم بذلك الأمر المموّه.

وإمّا أن يكون انصراف الأذهان عن الهدى والنجاة لغفلة عن تعقّل الضار، وما ينتج من إهمال الاحتراز عن الوقوع فيه، وتقاعد الهمم عن التمسّك بالنافع والتشبث بأسبابه؛ ركوناً على السلامة، وذهولاً عن الحذر من مواقف الندامة، واغتراراً بالحاضر، وأعراضاً عن التوقّي من سوء العواقب؛ لاستتار شبحه المخيف عن الناظر.

وفي كلتا الحالتين لاغناء عن التذكير، وإيقاضها من سِنة الغفلة، بالإرشاد النافع، وبيان إعراض الداء وما ينبغي من الدواء، ووسائل عاجل

الشفاء، ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**﴾[١].

فإلى م لا تثقّف عقولنا التجارب، ولا توقفنا العبر والمثلات، وقد أصبحت ملء السمع والبصر وعداد الرمل والحجر ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾[٢].

حتّام أيها المسلمون؟! وإلى متى هذه الغفلة أيّها المؤمنون؟! تطمع فينا عادية هذا الدهر، فلا يأتي علينا يوم واحد إلّا ويوقفنا أمام رزيّة جديدة وبلية شديدة ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾[٣].

ألم يكفه بالأمس ما أنزله بالمشاهد المقدّسة في البقيع من الخطب الفادح والعمل الفاضح؟! الذي ملأ صدور المسلمين قيحاً، وفجّر عيونهم دماً، ولا يزال الشغل الشاغل لأفكارهم وخواطرهم، حتى جاءنا اليوم يريد أن يزيد على الأبالة ضغثاً، وأن يذر على الجرح ملحاً، فيبتزّ من أيدينا أغلى مجوهراتنا وأعزّ مقدّساتنا، ألا وهي المظاهرات الإمامية، والأنوار الحسينيّة،

---

(١) الحجرات (٤٩): ٦.

(٢) المائدة (٥): ٥٧.

(٣) آل عمران (٣): ٨٥.

والشعائر الإسلاميّة ، التي اعتاد الشيعة القيام بها كلّ عام في العشرة الأولى من محرّم الحرام، حزناً على سبط الرسولﷺ وقرة عين البتول الحسين بن عليعليه السلام.

وذلك كاللطم على الصدور في النوادي والمجامع والأزقة والشوارع، والضرب على الظهور بالسلاسل، وإدماء الرؤوس بالقامات والسيوف، وتمثيل فاجعة الطف بالصورة التي يسمّونها بالشبيه.

وما كان أجدرنا بالتغاضي تجاه هذه العادية الطارية، لولا ما اكتنفها من الهتاف العالي، المنبعث عن كثير الألسن والأقلام، التي أخذت على نفسها أن ترحّب بكلّ عادية تأمل من ورائها القضاء على شيء من المقدّسات الدينيّة، مهما كبر ذلك بعين الله وعين رسولهﷺ.

﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[1].

وما أدري وليتني كنت دريت، ما الذي يؤلم أولئك الهاتفين من تلك الأنوار الحسينية، والشعائر الإسلاميّة ، والدعائم الدينيّة، ولمّا يلطم لهم صدر بين الصدور، أو يقرع لهم ظهر بين الظهور، أو يدم لهم رأس بين الرؤوس، أفلغيرهم تراهم يرثون ويتوجّعون؟!

---

(١) المائدة (٥): ٥٠.

﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[1].

﴿لاَ جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرونَ﴾[2].

---

(١) المطفّفين (٨٣): ١٤.

(٢) النحل (١٦): ١٠٩.

الجواب: نقول وبالله التوفيق

قال الله تبارك وتعالى في محكم كتابه: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾[1].

أصلحك الله وهداك وعافاك وشافاك، لقد فاتك علماً كثيراً، وضيّعت على نفسك من التاريخ شيئاً كبيراً، وعجبت من جهلك وتهوّرك وانتقادك على غير علم بالأخبار، واستهزاؤك بالعلماء الأبرار، لقد طاش عقلك وخاب سهمك، ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾[2].

وقوله جلّ شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُم﴾[3].

وقوله عزّ ذكره: ﴿يُخَادِعُونَ اللّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُم﴾[4].

---

(١) الإسراء (١٧): ٣٦.

(٢) فاطر (٣٥): ٤٣.

(٣) يونس (١٠): ٢٣.

(٤) البقرة (٢): ٩.

وما كنت أحسب أيّها المنتقد أن يجري قلمك بتلك المجاري الباطلة والأقوال العاطلة، فويل لك بما نطق به لسانك، وأف لك ممّا كتبت يداك، أنسيت قوله تعالى: ﴿ **الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾[١].

وفي الصافي بصحيفة (٢٨٢) ما نصّه، وفي الخصال عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: «أشدّ العمى من عمي عن فضلنا، وناصبنا العداوة بلا ذنب سبق إليه منّا»[٢].

وإنّي لا أجيبك على غضاضة، ولكن الحقّ أحقّ أن يُتّبع، وبه المستعان.

أما قولك في صحيفة ١٤ من جريدتك: «إنّ البكاء مضرّ للعين»، فليتني دريت أكان انكفّ بصرك من كثرة البكاء، أم معجزة لأهل العزاء؟! ولا أحسب مثلك إلّا كما قال القائل:

قل للذي يدّعي في العلم فلسفة   حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء[٣]

دع عنك الأخبار الواردة في عمومات رجحان البكاء والإبكاء والتباكي على سيّد الشهداء عليه السلام، فدونك أقوال الأطبّاء، ومنهم الشهير

---

(١) يس (٣٦): ٦٥.

(٢) الخصال، للصدوق: ٦٣٣ حديث الأربعمائة.

(٣) تاريخ دمشق، لابن عساكر ٢٣: ٣٠١ الرقم ٢٧٩٧، والبيت لأبي نؤاس المتوفّى سنة (٢٠٠هـ).

صاحب الآيات الحكيمة الطرابلسي في كتابه المذكور بصحيفة ٣٧٧ ما نصّه في بيان صحة العين ما ملخصه:

«لو لم تخرج دموع العين من الأجفان لاعتلّت العين وذهب نورها، فإنّ مثلها كمثل الشحمة البيضاء إن لم يذر عليها الملح خبثت ونتأت، كذلك العين إن لم يخرج منها ماؤها لأنكفّ نورها كما نرى في كثير من الناس». انتهى قوله.

وقال الدكتور اليوناني نافليون في كتابه المعروف بهداية الأطباء المترجم بالفارسيّة والعربيّة بصحيفة ٤٥٠ ما نصه:

«إنّ للعين عرقاً يقال له الجاذب، ومعنى الجاذب: يجذب ماء الدماغ للعين، فيكمن ذلك الماء النازل من الدماغ في طبقات الأجفان، فإذا انكمش القلب وتحرّكت الجوارح واضطرب الانسان، اضطربت الأجفان وسقط ذلك الماء من العينين، فبعد سقوطه تكون العينان في راحة، وإذا بقي الماء ولم يسقط منها ولّد بها عرقاً يسمّى السبل، فيستولي ذلك العرق على نور العين فيعميها، ويكون هو السبب الوحيد لانكفافها» انتهى قوله.

وحسبك تذكرة الأنطاكي الصغرى بصحيفة ١٧٧، ودونك أيضاً معاني البيان في ترجمة الإنسان بصحيفة ٣٩٠ إلى الدكتور الشيرازي المتوفّى سنة ٨٩٠، وكذلك صاحب كتاب التشريح لابن الفارسي المتوفّى سنة ٩٩٠ بصحيفة ٣٣٠ من كتابه.

فالكلّ منهم على منهاج واحد، كما نصّ به نافليون وصاحب الآيات وغيرهم من الحكماء، بأنّ خروج الدمع من العين، بل التكليف التام لإخراجه هي الصحة التامة لها، وإن بقي الماء فيها يكون سبب انكفافها. انتهى ما قالوا.

ولو أردتُ أن أذكر لك أقوال الأطباء لطال المقام، ولكن ضربنا صفحاً خوفاً من الإطالة، فأخبرني أيّها المحرّر الشهير من أين أخذت؟! وعن أيّ حكيم استندت؟! وبأيّ آية استدللت؟! ﴿**فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ * الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ**﴾[1] .

وقولك أيضاً بصحيفة ١٤ من جريدتك: «إنّ اللطم مؤثّر للأمراض من شدّة ألم الضرب».

فعجب قولك هذا أيّها المنتقد ﴿**هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ**﴾[2]، فإنّي مذ نشأت وأدركت لليوم، ما رأيت ولا سمعت أنّ واحداً اعتلّ من اللطم على الحسين بن علي عليه السلام، لقد سألت من ذوي الحنكة ممّن جاوز الستّين والسبعين والثمانين من ثقات الإسلام القاطنين في النجف وباقي العتبات المشرّفة وغيرها كإيران وعموم

---

(١) الطور (٥٢): ١١ ـ ١٢.

(٢) الرعد (١٣): ١٦.

البلدان، وكلّ أنكر أن يكون رأى أو سمع أنّ واحداً من أولئك اللاطمين تألّم من اللطم، أو كان سبباً لمرضه.

فعسى أن يكون قولك طيفاً سوّلته لك الأحلام، أو خيالاً جسّمته لك الأوهام، أو حقيقة واقعة في الجيل الواحد مرّة واحدة، اتفاقاً: أنّ اللاطم كان مريضاً.

ولئن احتججت بكونه إضراراً بالنفس وجاذباً لها الأمراض، فإنّ جلّ أولئك اللاطمين، الذين يلطمون بالمواكب الحسينيّة، لا يعترفون لك بتلك الحجّة، ألا فاحفهم بالسؤال واستخبرهم الحال، فسوف تجد منهم إلّا منكراً أو مدّعياً للانتفاع ﴿ **فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكَ تَتَمَارَى** ﴾[١]، فكن من النادمين قبل أن تذلّ وتخزى ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** ﴾[٢].

وأمّا بيانك أنّ البكاء واللطم إضرار للنفس وإيقاع في التهلكة، واستدللت بالآية الشريفة على غير علم بها، فما أدري أفي صحوٍ كتبت ذلك، أم في محو؟! أقول: فوربك الحقّ ﴿ **أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ** ﴾[٣].

---

(١) النجم (٥٣): ٥٥.

(٢) آل عمران (٣): ١٠٢.

(٣) الرعد (١٣): ١٩.

وحسبك ما رواه الصافي في المقدّمة الخامسة بصحيفة ٩، ممّا جاء في المنع من تفسير القرآن بالرأي والسير فيه ما نصّه: روي عن النبيﷺ أنّه قال: « من فسّر القرآن برأيه فأصاب الحقّ فقد أخطأ»[١].

وعنهﷺ: «من فسّر القرآن برأيه فليتبوّأ مقعده من النار»[٢].

وعنهﷺ، وعن الأئمة القائمين مقامه عليهم الصلاة والسلام: «إنّ تفسير القرآن لا يجوز إلّا بالأثر الصحيح والنص الصريح»[٣].

وفي تفسير العياشي: عن أبي عبد اللهعليه السلام: «من فسّر القرآن برأيه: إن أصاب لم يؤجر، وإن أخطأ فهو أبعد من السماء»[٤].

وفيه وفي الكافي عن الصادقعليه السلام، عن أبيهعليه السلام، قال: «ما ضرب رجل القرآن بعضه ببعض إلّا كفر»[٥].

فما أسوأ حالاً مَن كانت هذه حالته، وما أقبح من كانت هذه سيرته، فإنّه خسر آخرته ودنياه، وأخطأ طريق السلامة والنجاة، وآثر العمى على الهدى، ﴿**فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى**﴾[٦].

---

(١) مجمع البيان ١: ٣٩ ضمن مقدّمة الكتاب: روت العامّة عن النبيﷺ ... الحديث، تفسير الصافي ١: ٨ ديباجة الكتاب.

(٢) كتاب المنخول، للغزالي ٤٢٧، أصول السرخي ٢: ١٢١، عوالي اللآلي ٤: ١٠٤ حديث ١٥٤.

(٣) مجمع البيان ١: ٣٩، ضمن مقدّمة الكتاب، وسائل الشيعة ٢٧: ٢٠٤ حديث ٣٣٦٠٩.

(٤) تفسير العياشي ١: ١٧ حديث ٤.

(٥) الكافي ٢: ٦٣٢ حديث ١٧.

(٦) طه (٢٠): ١٢٤.

فتيقّظ من غفلتك واسلك طريق منفعتك ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾[١]، وولّي وجهك قبل التوبة ، فهي سلّم السعادة والمرجع الوحيد للإفادة والاستفادة، وتمسّك بقوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾[٢].

واعتبر بمن كان قبلك ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾[٣] ، فلعبت بهم أيدي الحوادث، وتبصّر في عاقبة أمرك، وطالع خاتمة عملك، ولا تسلك سبيل المضلّين، ولا تقدم على أمر حتى تتعرّف موارده ومصادره وتتبيّن مضايقه ومآزقه، فإذا أخذت له الأهبة وأعددت له العدّة، فلجّ أبوابه غير هيّاب، وباشره غير مرتاب، وإلّا يكون مصداق مثلك أيّها المنتقد كقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[٤].

ثمّ هب أنّك لا إلمام لك بشيء من كتب الشيعة والسنّة، لتعرف شيئاً من مقامات ذلك الإمام عليه السلام ومركزه من المحيط الاسلامي، ولكن أفلا

---

(١) طه (٢٠): ١١١.

(٢) طه (٢٠): ٨٢.

(٣) يوسف (١٢): ١١١.

(٤) الجمعة (٦٢): ٥.

سنح لك النظر في كتب الأخبار والتفاسير، لتكون على بصيرة من أمرك ومحيطاً بقلمك.

يا للأسف، لقد أتعبت نفسك، وأضعت وقتك، وكان الوقت أعزّ من إضاعته في أمثال ذلك، وكفاك ما أذكره لك من تفسير هذه الآية الشريفة، وإليك ما نصّ به مجمع البيان بصحيفة ١٢٣ في معناها أربعة وجوه:

«الأول: أنّه أراد (لا تهلكوا أنفسكم بأيديكم) بترك الإنفاق في سبيل الله، فيغلب عليكم العدو.

الثاني: عن ابن عباس وجماعة من المفسّرين أنّه عنى: لا تركبوا المعاصي باليأس عن المغفرة.

الثالث: أنّ المراد بها لا تقتحموا الحرب من غير نكاية في العدو ولا قدرة.

الرابع: أنّ المراد بها : ولا تسرفوا في الإنفاق»[1].

ودونك جلّ التفاسير كالصافي وتفسير علي بن إبراهيم القمّي وغيره.

وإليك مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات عبد الله النسفي في صحيفة ١١١ من الجزء الأول المطبوع بمطبعة السعادة بجوار محافظة مصر سنة ١٣٢٦[2].

---

(١) تفسير مجمع البيان ٢: ٣٥ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ البقرة (٢): ١٩٥.

(٢) تفسير النسفي ١: ٩٥ تفسير سورة البقرة.

وكذا الزمخشري في الجلد الأول من تفسيره بصحيفة ٢٥٢، المطبوع بالمطبعة الكبرى الأميرية ببولاق سنة ١٣١٨هـ[١].

وكذا السيّد الشريف علي بن محمّد بن علي أبي الحسين الجرجاني المتوفّى سنة ٨١٦هـ ما نصّ بتفسيرها في هامش الكشّاف بصحيفة ٢٥٢.

وحسبك البيضاوي في تفسيره بصحيفة ١٤٢ من الجلد الأول المطبوع بمطبعة اسطنبول[٢].

ودونك تفسير الجلالين بصحيفة ١٣٨، وجُلّ المفسّرين من الشيعة والسنّة على هذا النحو المذكور[٣].

ولو أردنا أن نضرب على هذا الوتر، ونجري على ذا النهج، لفاتنا العدّ وأعيا الإحصاء، ولسنا نريد جمع شيئ من هذا النمط في هذا السلك.

وإنّما أوردنا على العجالة نموذجاً منه ممّا سنح على الخاطر من بقايا الحفظ، وما اقتبسنا من الكتب والأخبار وإن كنت على سفر.

فما كان حسباني أن يغيب عنك وعن الكتّاب معناها ﴿**وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً**﴾[٤].

﴿**وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا**﴾[٥].

---

(١) تفسير الزمخشري ١: ٣٤٣، تفسير سورة البقرة، مطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٨٥هـ.

(٢) تفسير البيضاوي ١: ١٢٨، تفسير سورة البقرة، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، ١٤١٨هـ.

(٣) تفسير الدرّ المنثور ١: ٤٩٩ سورة البقرة، طبعة دار الفكر ـ بيروت.

(٤) الإسراء (١٧): ٧٢.

(٥) الإسراء (١٧): ٨١.

اللطم واللدم والبكاء والجزع

﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾[1].

إنّ هذا التذكار بحدوده المرموزة ثمّة من مظاهر المودّة في القربى، التي هي أجر الرسالة، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ **قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾[2].

لا يشكّ أحد من عقلاء الجعفريّة وعرفائها أنّ اللطم واللدم والبكاء والجزع لمصاب سيّد الشهداء عليه السلام من الشعائر المذهبيّة، وهذا ما لا شكّ فيه ولا ريب.

وفي الأمالي للشيخ الصدوق قدس سره، وكذا ما رواه صاحب الكافي بصحيفة ١١٧ ما نصّهما: إنّ الرضا عليه السلام قال للريّان بن شبيب «إن سرّك أن تكون معنا في الدرجات العلى من الجنان، فاحزن لحزننا وافرح لفرحنا»[3].

---

(١) الحاقّة (٦٩): ٥١.

(٢) الشورى (٤٢): ٢٣.

(٣) الأمالي، للصدوق ١٩٣ حديث ٢٠٢.

وقول علي عليه السلام في حديث الأربعمائة: «إنّ الله تبارك وتعالى أطلع إلى الأرض فاختارنا واختار لنا شيعة ينصروننا، ويفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا، ويبذلون أموالهم وأنفسهم فينا، أولئك منّا وإلينا» الحديث[١].

وفي الكافي أيضاً وجلّ كتب الأخبار، وفي البياض الفخري بصحيفة ٢١ ما نصّه: روي عن الصادق عليه السلام أنه «إذا هَلّ هلال عاشوراء اشتدّ حزنه وعظم بكاؤه على مصاب جدّه الحسين بن علي عليه السلام، والناس ياتون إليه من كلّ جانب ومكان يعزّونه بالحسين عليه السلام، ويبكون وينوحون معه على مصاب الحسين عليه السلام»[٢].

وفي العيون بصحيفة ٧٠، وكذا الفخري بصحيفة ١٦ ما نصّهما: روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «أيّما مؤمن ذرفت عيناه على مصاب جدّي الحسين عليه السلام حتى تسيل على خده بوّأه الله في الجنّة غرفاً يسكنها أحقاباً، وأيّما مؤمن مسّه أذى فينا صرف الله عن وجهه الأذى يوم القيامة وآمنه من سخط النار»[٣].

وفيهما عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «من ذُكرنا عنده ففاضت عيناه ولو مثل جناح الذباب غفر الله ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر»[٤].

---

(١) الخصال، للصدوق ٦٣٥ حديث الأربعمائة.

(٢) راجع: مستدرك سفينة البحار ٧: ٢١٢، نظر الحسين عليه السلام إلى زوّاره يوم القيامة.

(٣) كامل الزيارات: ٢٠١ حديث ٢٨٥، الباب ٣٢، ثواب من بكى على الحسين عليه السلام.

(٤) المحاسن ، للبرقي ١: ٦٣ حديث ١١٠.

وعنهعليه السلام قال: «من بكى وأبكى فينا مائة فلة الجنّة، ومن بكى وأبكى خمسين فله الجنّة، ومن بكى وأبكى ثلاثين فله الجنّة، ومن بكى وأبكى عشراً فله الجنّة، ومن بكى وأبكى واحداً فله الجنّة ، ومن تباكى فله الجنّة، ومن لم يستطع أن يبكي فليقشعر جلده من الحزن»[١].

وحسبك ما رواه صاحب الكافي رضوان الله عليه، وكذا السيّد ابن طاووس رضوان الله عليه في كتاب الإقبال بصحيفة ١٥ بسند موثوق، ما نصّه:

روي عن الريّان بن شبيب، قال: دخلت على الرضاعليه السلام في أول يوم من المحرّم، فقال لى : «يا ابن شبيب، أصائم أنت»؟

فقلت: لا.

فقالعليه السلام: «إنّ هذا اليوم هو اليوم الذي دعا فيه زكرياعليه السلام ربّه عز وجل فقال ﴿**رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاء**﴾[٢] فاستجاب به، وأمر الملائكة فنادت زكريا وهو قائم يصلّي في المحراب ﴿**أَنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى**﴾[٣].

فمن صام هذا اليوم ثم دعا الله عزّو جلّ، استجاب الله له كما استجاب لزكرياعليه السلام.

---

(١) راجع: كامل الزيارات: ٢١١ حديث٣٠٣، ثواب الأعمال للصدوق ٨٤ ثواب من أنشد في الحسينعليه السلام شعراً، وكلاهما نحوه مع زيادة في صدره « من أنشد في الحسينعليه السلام شعراً...».

(٢) آل عمران (٣): ٣٨.

(٣) آل عمران (٣): ٣٩.

يابن شبيب، إنّ المحرّم هو الشهر الذي كان أهل الجاهليّة فيما مضى يحرّمون فيه الظلم والقتال لحرمته، فما عرفت هذه الأمّة حرمة شهرها ولا حرمة نبيّهاﷺ، لقد قتلوا في هذا الشهر ذريّته، وسبوا نساءه، وانتهبوا ثقله، فلا غفر الله لهم ذلك أبداً.

يابن شبيب، إن كنت باكياً لشيء فابك للحسين بن علي بن أبي طالبعليه السلام، فإنّه ذبح كما يذبح الكبش، وقُتل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلاً ما لهم في الأرض شبيه، ولقد بكت السماوات والأرض لقتله، ولقد نزل إلى الأرض من الملائكة أربعة آلاف لنصره، فوجدوه قد قتل، فهم عند قبره شعث غبر إلى أن يقوم القائمعليه السلام، فيكونون من أنصاره، وشعارهم: يا لثارات الحسينعليه السلام.

يابن شبيب، لقد حدّثني أبي، عن أبيه، عن جدّهعليه السلام: أنّه لما قتل جدّي الحسين أمطرت السماء دماً وتراباً أحمر.

يابن شبيب، إن بكيت على الحسينعليه السلام ثمّ تصير دموعك على خديك غفر الله لك كلّ ذنب أذنبته.

يابن شبيب، إن سرّك أن تلقى الله عزّ وجلّ ولا ذنب عليك فزر الحسينعليه السلام.

يابن شبيب، إن سرّك أن تسكن الغرف المبنيّة في الجنّة مع النبيّﷺ فالعن قتلة الحسين.

يابن شبيب، إن سرّك أن تلقى الله ولا ذنب عليك فزر الحسينعليه السلام.

يابن شبيب، إن سرّك أن يكون لك من الثواب مثل ما لمن استشهد مع الحسين عليه السلام فقل متى ما ذكرته: يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً...»[١].

وفي الكافي أيضاً ما نصّه: روي أنّه لمّا أخبر النبي صلى الله عليه وآله ابنته فاطمة عليها السلام بقتل ولدها الحسين عليه السلام وما يجري عليه من المحن، بكت فاطمة عليها السلام بكاءً شديداً، وقالت: يا أبتي متى يكون ذلك؟

قال صلى الله عليه وآله: في زمان خال منّي ومنك ومن أبيه، فاشتدّ بكاؤها، وقالت: يا أبة فمن يبكي عليه؟ ومن يلتزم بإقامة العزاء له؟

فقال النبي صلى الله عليه وآله: يا فاطمة، إنّ نساء أمتي يبكون على نساء أهل بيتي، ورجالهن يبكون على رجال أهل بيتي، ويجدّدون العزاء جيلاً بعد جيل في كلّ سنة» الحديث[٢].

أقول: إنّ المراد بالنصرة في الرواية المتقدّمة وغيرها ما يشمل الحزن والبكاء واللطم واللدم والجزع، كما أنّ صاحب الخصائص الحسينيّة يعدّ البكاء على الحسين عليه السلام نصرة له، مدّعياً أنّ النصرة في كلّ وقت بحسبه، فالبكاء واللطم في الشوارع أولى أن يعدّ نصرة وبذلاً للنفس في سبيل الأئمة الأطهار، وهذا ما لا ينكره إلّا المبغضين لأهل البيت عليهم السلام والمعاندين لهم عليهم اللعنة والعذاب إلى يوم الدين.

---

(١) الأمالي، للصدوق: ١٩٢ حديث ٢٠٢، حديث الرضا عليه السلام عن يوم عاشوراء.

(٢) بحار الأنوار ٤٤: ٢٩٣ حديث ٣٧.

يـا أهـل بيـت محمّـد دمعـي لكـم ‏ ‏ جـار وقلبـي مـا حييـت كئيـب[1]

وكما قال ملاّ رومي صاحب المثنوي في البكاء:

گريه بر هر درد بی درمان دواست ‏ ‏ جشم گريان چشمهٔ فيض خداست[2]

وحسبك ما نصّت به كتب الشيعة أجمع، وكذا ما رواه القاضي ابن قتيبة الدينوري المتوفّى ٢٧٠هـ في كتابه المعروف «عيون الأخبار» بصحيفة ١٧٩ ما نصّه: «عن كعب الأحبار، حين أسلم في أيام خلافة عمر بن الخطاب، وجعل الناس يسألونه عن الملاحم التي تظهر في آخر الزمان، فصار كعب يخبرهم بأنواع الأخبار والملاحم والفتن التي تظهر في العالم.

ثم قال: وأعظمها فتنة وأشدّها مصيبة لا تنسى إلى أبد الآبدين، مصيبة الحسين بن علي عليه السلام، وهو الفساد الذي ذكره الله تعالى في كتابه المجيد حيث قال: ﴿ **ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ** ﴾[3].

وإنّما فتح الفساد بقتل هابيل ابن آدم عليه السلام، وختم بقتل الحسين عليه السلام.

---

(١) من قصيدة تقع في ٨٤ بيتاً للشاعر مغامس بن داغر الحلّي المتوفّى حوالي ٥٨٥، أنشأها في رثاء سيّد الشهداء عليه السلام، وقال السيّد جواد شبر رحمه الله: إنّها تناهز اثنين وتسعين بيتاً، ومطلعها:

كيـف السـلامة والخطـوب تنـوب ‏ ‏ ومصـائب الـدنيا عليـك تصـوب

انظر: المنتخب للطريحي: ١٩٢، البابليات ١: ١٣٤، أدب الطف ٤: ٢٩٩.

(٢) ورد في كتابه «المثنوي»، وترجمته:

البكاء دواء لكلّ ألم لا داء له ‏ ‏ والعين الباكية هي منبع للفيض الإلهي

(٣) الروم (٣٠): ٤١.

أو لا تعلمون أنه يفتح يوم قتله أبواب السماوات، ويؤذن للسماء بالبكاء فتبكي دماً، فإذا رأيتم الحمرة في السماء قد ارتفعت فاعلموا أنّ السماء تبكي حسيناً.

فقيل: يا كعب، لمَ لا تفعل السماء كذلك ولا تبكي دماً لقتل الأنبياء ممّن كان أفضل من الحسين عليه السلام؟

فقال: ويحكم! إنّ قتل الحسين أمر عظيم، وإنّه ابن سيّد المرسلين صلى الله عليه وآله، وإنّه يقتل علانية مبارزة ظلماً وعدواناً، ولا نحفظ فيه وصيّة جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو مزاج مائه وبضعة من لحمه، يذبح ب عرصة كربلاء، فوالذي نفس كعب بيده، لتبكينه زمرة من الملائكة في السماوات السبع، لا يقطعون بكاءهم عليه إلى آخر الدهر.

وإنّ البقعة التي يُدفن فيها خير البقاع، وما من نبي إلّا ويأتي إليها ويزورها ويبكي على مصابه، ولكربلاء في كلّ يوم زيارة من الملائكة والجن والإنس، فإذا كانت ليلة الجمعة ينزل إليها تسعون ألف ملك يبكون على الحسين ويذكرون فضله، وأنّه يُسمّى في السماء: حسيناً المذبوح، وفي الأرض: أبا عبد الله المقتول، وفي البحار: الفرخ الأزهر المظلوم.

وأنّ يوم قتله تنكسف الشمس بالنهار، ومن الليل ينخسف القمر، وتدوم الظلمة على الناس ثلاثة أيام، وتمطر السماء دماً، وتدكدك الجبال، وتغطط البحار، ولولا بقيّة من ذريّته وطائفة من شيعته الذين يطلبون بدمه ويأخذون بثأره، لصبّ الله عليهم ناراً من السماء أحرقت الأرض ومن عليها.

ثـمّ قـال كعـب: يـا قـوم، كـأنكم تعجبـون بمـا أُحـدّثكم فيـه مـن أمـر الحسينعليه السلام، وأنّ الله تعالى لم يترك شيئاً كان أو يكون من أول الدهر إلـى آخره إلّا وقد فسّره لموسىعليه السلام، وما من نسمة خلقت إلّا وقـد رفعـت إلـى آدمعليه السلام في عالم الذر وعرضت عليه، ولقد عرضت عليه هـذه الأمـة ونظـر إليها وإلى اختلافها وتكالبها على هذه الدنيا الدنيّة.

فقال آدمعليه السلام: يا ربّ، ما لهذه الأمة الزكيّـة وبـلاء الـدنيا وهـم أفضـل الأمم؟

فقال له: يا آدم، إنّهم اختلفوا فاختلفت قلوبهم، وسيظهرون الفسـاد فـي الأرض كفساد قابيل حـين قتـل هابيـل، وإنّهـم يقتلـون فـرخ حبيبـي محمّـد المصطفى، ثمّ مثّل لآدم مقتل الحسينعليه السلام ومصرعه ووثوب أُمة جدّه عليه، فنظر إليهم فرآهم مسودّة وجوههم، فقال: يا ربّ، أبسط عليهم الانتقام كمـا قتلوا فرخ نبيّك الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام»[١].

وناهيك ما نطقت به التفاسير وجلّ التـواريخ للشـيعة والسـنّة، وإليـك مـا رواه صـاحب المجمـع والصـافي وعلـي بـن إبـراهيم، وكـذا البيضـاوي والزمخشري وابن النسفي وغيـرهم: أنّ رسـول اللهصلى الله عليه وآله بلـغ بـه الحـزن علـى ولده إبراهيم حتى جزع وبكى[٢].

---

(١) بحار الأنوار ٤٥: ٣١٥ ـ ٣١٦. نقلاً عن بعض مؤلّفات أصحابنا مرسلاً.

(٢) تفسير البيضاوي ٣: ٣٠٥، تفسير النسفي ٢: ٢٠١، تفسير الزمخشري ٢: ٤٩٧ تفسير سورة يوسفعليه السلام، الآية ٨٤.

وإليك أيضاً رواية الماوردي الشافعي المتوفّى سنة ٤٥٠هـ في كتابه أعلام النبوة بصحيفة ٤٥: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله بكى على ولده الحسين وهو في دار الدنيا قبل قتله ما نصه:

«عن عائشة، قالت: دخل الحسين بن علي عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يُوحى إليه، فبرك على ظهره وهو منكب، فقال جبرئيل عليه السلام: يا محمّد إنّ أمتك ستفتن بعدك، ويقتل ابنك هذا من بعدك ، ومدّ يده فأتاه بتربة بيضاء، وقال: في هذه الأرض يقتل ابنك الحسين عليه السلام، اسمها الطفّ.

فلمّا ذهب جبرئيل عليه السلام خرج رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أصحابه والتربة بيده ـ وفيهم أبو بكر وعمر وعلي وحذيفة وعمار وأبو ذر ـ وهو يبكي، فقالوا : ما يبكيك يا رسول الله؟

فقال لهم: أخبرني الأمين جبرئيل أنّ ابني الحسين يقتل بعدي بأرض الطفّ، وجاءني بهذه التربة، فأخبرني أنّ فيها مضجعه»[1] فبكوا لبكائه.

فياهل ترى (ياسرحوب) أنّ علياً عليه السلام لم يشارك النبيّ صلى الله عليه وآله بالبكاء، وكلّ منهما ثكلى؟! أم أنّ باقي الصحابة يحجمون عنه مع فعل النبي صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام له، بل من الضروري أن الكلّ اشتركوا في البكاء عليه.

---

(١) أعلام النبوّة ١: ١٣٧، من إنذاره صلى الله عليه وآله في أحكام أخبار الآحاد، طبعة دار ومكتبة الهلال ـ بيروت ١٤٩هـ.

فانظر أيّها الضالّ عن الطريق، وهل هذا إلّا عين إقامة العزاء، وأيّ عزاء!! المقيم له المختار، والباكي عليه كبار الصحابة الأبرار.

وإذا ثبت رجحان البكاء عليه وإقامة العزاء في حياته، فيثبت بالأولوية رجحانهما بعد وفاته، ﴿ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴾[١]، إي وربّ إنه الحقّ ﴿ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾[٢]، ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾[٣].

وناهيك ما طفحت به كتب السير والتواريخ في تيارها الجارف: كابن الأثير في تاريخه، وصاحب الغزوات في كتابه، والشبلي في تاليفه، والدينوري في أخباره: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لما رجع من غزوة أحد سمع النياح والبكاء في بيوت الأنصار على قتلاهم، ولم يسمع نائحة على عمّه حمزة عليه السلام، جعل النبيّ صلى الله عليه وآله يبكي، ويقول: أنت يا عم، غريب في هذه المدينة، فلما سمعت الأنصار قول النبيّ صلى الله عليه وآله بعثوا نساءهم إلى بيت حمزة ينحن عليه، فلمّا سمع النبيّ صلى الله عليه وآله دعا لهن ولأزواجهن بالخير[٤].

وحسبك كامل ابن الأثير أيضاً ما نصّ به في حوادثه، أنّ البكّائين خمسة[٥].

---

(١) المطفّفين (٨٣): ١٢.

(٢) الأنعام (٦): ١٣٤.

(٣) الجاثية (٤٥): ٧.

(٤) راجع: الطبقات الكبرى، لابن سعد ٣: ١٨ حمزة بن عبد المطّلب، وسنن سعيد بن منصور ٢: ٣٢٥ حديث ٢٩١٠، والسيرة النبوية لابن هشام ٣: ١٠٥، والروض الأنف ٦: ٢٤، وذخائر العقبى: ١٨٣، والفصول المهمّة: ٩٢.

(٥) الكامل في التاريخ ٢: ٢٧٧ في ذكر غزوة تبوك.

وكذا ما نصّ به أحمد بن علي الطريحي المتوفّى بشيراز سنة ١١٤٨هـ في كتابه المعروف بالبياض الفخري بصحيفة ٤٦ و٤٧ ما نصّه:

روي عن الإمام الصادقعليه السلام أنه قال: «البكّاؤون خمسة: آدم ويعقوب ويوسف وفاطمة وعلي بن الحسين صلوات الله عليهم، فأمّا آدم فبكى على الجنة حتى صار في خديه أمثال الأودية...»[(١)].

وروى صاحب زهر الكمال بصحيفة٩٩ ما نصّه: لمّا خرج آدمعليه السلام من الجنّة انحدر ببلدة من بلاد الهند تسمّى سرنديب[(*)]، وبقي يبكي على

---

(١) انظر: روضة الواعظين ، للفتّال النيسابوري: ١٧٠، تفسير العيّاشي ٢: ١٨٨ حديث ٦٠.

(*) قال ابن الأثير في ا لجلد الأول من الكامل بصحيفة ١٣ في بيان الموضع الذي أُهبط فيه آدمعليه السلام ما نصّه: عن ابن عباس وقتادة وأبي العالية: أنّه اهبط بالهند على جبل يقال له «نود» من أرض سرنديب (نود بضم النون وسكون الواو وآخره دال مهملة)، وهكذا وجدناه في تفاسير ومعجم البلدان.

وأمّا ما ذكره ابن بطوطة في رحلته المسمّاة (تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) ما نصّ به في ذكر جبل سرنديب بصحيفة ١٦٩ قوله: وهو من أعلى جبال الدنيا، رأيناه من البحر وبيننا وبينه مسيرة تسع، ولما صعدناه كنا نرى السحاب أسفل منّا، قد حال بيننا وبين رؤية أسفله، وفيه كثير من الأشجار التي لا يسقط لها ورق، والأزاهير الملونة والورد الأحمر على قدر الكف.

ويزعمون أنّ في ذلك الورد كتابة يقرأ منها اسم الله تعالى واسم رسولهصلى الله عليه وآله.

وفي الجبل طريقان إلى القدم: أحدها يعرف بطريق (بابا)، والآخر بطريق (ماما)، يعنون آدم وحواءعليهما السلام، إلى آخر ما ذكر في رحلته.

وأمّا اسمها في العصر الحاضر عن دائرة المعارف الانكليزية في الجزء الثاني بصحيفة ٣٤٠ ما ملخصه: سرنديب أو (سرانديب) أو (سيلان).

واسمها الوطني الهندي (سنقالا)، وهي جزيرة تبعد من خمسين إلى ستين ميلاً عن الساحل ⇦

مصيبته مدّة طويلة، حتى نقل أنّه ظهرت أسنانه بمحاكه ولم يبق لها لحم يقيه، فمنّ عليه الملك الجليل بأرسال جبرئيل عليه السلام فكشف له عن بصره حتى أراه ساق العرش، فرأى أنواراً ساطعة كالنجوم اللامعة، فتلاها وإذا هي: محمّد وعلي وفاطمة والحسن والحيسن والأئمة من ولده عليهم الصلاة والسلام حصن من دخله كان آمناً.

فقال: يا أخي جبرئيل هل خلق الله خلقاً أكرم منّي؟

قال: نعم هؤلاء.

قال متى خُلقوا؟

قال: قبل السماوات والأرضين وقبلك بألفي عام، ولولاهم ما خلقك الله يا آدم، وهم من ولدك.

فقال: اللهمّ يا مَن شرّفت هذا الولد على الوالد اغفر لي خطيئتي، فغفر له[1].

⇨

الشرقي الجنوبي الهندي، وتنفصل من الهند بواسطة خليج منار، وبوغاز باك، وكذلك بسلسلة رملية مسماة (قنطرة آدم عليه السلام)، وغير ممكن العبور عليها بسهولة إلّا ببواخر صغيرة.

والجزيرة يبلغ طولها نحو ٢٧٠ ميلاً من الشمال إلى الجنوب، وعرضها نحو ١٠٠ ميلاً، ومساحتها ٢٥٣٦٤ ميلاً مربعاً، وهي تصغر عن جزيرة اسكتلندة بنحو سدس، وشكل هندستها على شكل تفاحي الوضع، وتبعد عن بمبئ ٩٠٠ ميلاً ، وعن مدراس ٥٨٠ ميلا، وعن كللته ١٢٢٠ ميلاً، وعن عدن ٢١٣٠ ميلاً، وعن سنقابورة ١٥٧٠ ميلاً.

وعاصمتها مدينة كلمبوا، وكان عدد سكان الجزيرة في سنة ١٩١٠م أربع ملايين نفساً، وهي من ملل مختلفة أكثرهم هنود وثنيون، والباقي أقسام شتى من المذهب.

(١) ذكر نحوه في علل الشرائع ، للصدوق ٢: ٤٩٢ باب ٢٤١ علّة الطيب وسببه.

وروى صاحب (الدر الثمين) أيضاً بصحيفة ١٣٥ في تفسير قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[(١)] أنّه رأى ساق العرش وأسماء النبيّ والأئمّة عليهم السلام، فلقّنه جبرئيل، وقال له: قل: يا حميد بحقّ محمّد، يا علي بحقّ علي، يا فاطر بحقّ فاطمة، يا محسن بحقّ الحسن، يا قديم الإحسان بحقّ الحسين. فلما ذكر الحسين عليه السلام سالت دموعه وانخشع قلبه، وقال: يا أخي جبرئيل، في ذكر الخامس ينكسر قلبي وتسيل عبرتي.

قال جبرئيل عليه السلام: ولدك هذا يصاب بمصيبة تعظم عندها المصائب.

فقال: يا أخي وما هي؟

قال: يُقتل عطشاناً غريباً وحيداً فريداً، ليس له ناصر ولا معين، ولو تراه يا آدم وهو يقول: وا عطشاه، وا قلّة ناصراه، حتى يحول العطش بينه وبين السماء كالدخان، فلم يجبه أحد إلّا بالسيوف وشرب الحتوف، فيذبح ذبح الشاة من قفاه، ينهب رحله أعداؤه، وتشهر رؤوسهم هو وأنصاره في البلدان...، فبكى آدم عليه السلام مع جبرئيل عليه السلام بكاء الثكلى[(٢)].

يا قتيلاً بكاه آدم حقّاً ونعاه من السما جبرئيل

---

(١) البقرة (٢): ٣٧.

(٢) انظر: بحار الأنوار ٤٤: ٢٤٥ حديث٤٤.

وبكـــى الجـــان والملائـــك جمعـــاً   أيّ عـــين دموعهـــا لا تســـيل[١]

وأما يعقوب، ففي الصافي بصحيفة ٢٤٥ عن المجمع وغيره ما نصّه:

سئل الإمام الصادق عليه السلام: ما بلغ حزن يعقوب عليه السلام على يوسف عليه السلام؟

قال: بلغ سبعين ثكلى، حتى دقّ عظمه ونحل جسمه من شدّة الحزن والبكاء، ولم يزل متأسفاً جازعاً حزيناً مريضاً حتى تقوّس ظهره من الهمّ، مشرفاً على الهلاك، باكياً ليله ونهاره من فراق يوسف إلى لقائه عشرين سنة[٢].

وحسبك نصّ القرآن في إظهار حزنه ﴿**قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾[٣].

وفي تفسير علي بن إبراهيم كما رواه صاحب الصافي والمجمع[٤].

وإليك أيضاً ما رواه الصافي وغيره، فيما كتبه يعقوب عليه السلام إلى يوسف عليه السلام يذكر له الحزن والجزع والبكاء عليه قبل الاجتماع معه[*].

---

(١) انظر: المنتخب للطريحي: ١٤٠.

(٢) راجع تفسير العيّاشي ٢: ١٨٣ حديث ٦٥ نحوه.

(٣) يوسف (١٢): ٨٦.

(٤) راجع: تفسير مجمع البيان ٥: ٤٥٠، وتفسير الصافي ٣: ٤١ (سورة يوسف).

(*) في الصافي بصحيفة ٢٤٦ ما نصّه: في المجمع عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث: إنّ يعقوب كتب إلى يوسف عليه السلام: بسم الله الرحمن الرحيم، إلى عزيز مصر ومظهر العدل وموفي الكيل، من يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن، صاحب نمرود الذي ⇦

ودونك الجزء الثاني من تفسير أبي البركات عبد الله النسفي بصحيفة ٩٢ ما نصّه: «ما جفّت عينا يعقوب عليه السلام من وقت فراق يوسف إلى حين لقائه ثمانين عاماً، وما على وجه الأرض أكرم على الله من يعقوب عليه السلام»[1].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه سأل جبرئيل عليه السلام: «ما بلغ من وجد يعقوب على يوسف؟

قال عليه السلام: وجد سبعين ثكلى.

⇨

جمع له النار ليحرقه بها، فيجعلها الله عليه برداً وسلاماً وأنجاه منها.

أخبرك أيّها العزيز، إنّا أهل بيت لم يزل البلاء إلينا سريعاً من الله، ليبلونا عند السرّاء والضرّاء، وإنّ المصائب تتابعت عليّ منذ عشرين سنة، أولها أنّه كان لي ابن سمّيته يوسف، وكان سروري من بين ولدي وقرّة عيني وثمرة فؤادي، وإنّ إخوته من غير أمّه سألوني أن أبعثه معهم يرتع ويلعب، فبعثته معهم بكرة، فجاؤوني عشياً يبكون، وجاؤوا على قميصه بدم كذب، وزعموا أنّ الذئب أكله، فاشتدّ لفقده حزني، وكثر على فراقه بكائي، حتّى ابيضت عيناي من الحزن.

وإنّه كان له أخ، وكنت به معجباً، وكان لي أنيساً، وكنت إذا ذكرت يوسف ضممته إلى صدري، فيسكن بعض ما أجد في صدري، وإن إخوته ذكروا أنّك سألتهم عنه وأمرتهم أن يأتوك به، فإن لم يأتوك به منعتهم الميرة، فبعثته معهم ليمتاروا لنا قمحاً، فرجعوا إليّ وليس هو معهم، وذكروا أنّه سرق مكيال الملك، ونحن أهل بيت لا نسرق، وقد حبسته عنّي وفجعتني به، وقد اشتد لفراقه حزني، حتّى تقوّس ظهري، وعظمت مصيبتي مع مصائب تتابعت عليّ، فمنّ عليّ بتخلية سبيله وإطلاقه من حبسك، وطيّب لنا القمح، واسمح لنا في السعر، وأوف لنا الكيل، وعجّل سراح آل إبراهيم. الحديث.

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل ٢: ٢٠٢، تفسير فخر الدين الرازي ١٨: ١٩٦ سورة يوسف.

قال: فما كان له من الأجر؟

قال: أجر مائة شهيد، وما ساء ظنّه بالله ساعة».

وكذا الزمخشري والبيضاوي وتفسير الجلالين، الكلّ منهم يروي كما نصّ به النسفي في تفسيره[١].

وأمّا يوسف عليه السلام.. فبكى على أبيه يعقوب حتى تأذّى به أهل السجن، فقالوا: إمّا تبكي بالليل وتسكت بالنهار، أو تبكي نهاراً وتسكت ليلاً، فصالحهم على واحد منهما.

وأمّا فاطمة عليها السلام فبكت على رسول الله صلى الله عليه وآله حتى تأذّى بها أهل المدينة، وقالوا لها: قد آذيتنا بكثرة بكائك، فكانت تخرج إلى مقابر الشهداء، فتبكي حتى تقضي حاجتها (وتشتفي من البكاء) ثم تنصرف»[٢].

وفي بعض الأخبار والتواريخ: أنّ علياً عليه السلام بنى لها بيتاً مخصوصاً لبكائها خارج المدينة، وسمّاه ببيت الأحزان، إلى أن قضت نحبها عليها السلام معصّبة الرأس ناحلة الجسم[٣].

---

(١) زبدة التفاسير، لفتح الله الكاشاني ٣: ٤٠٣ (سورة يوسف)، تاريخ الطبري ١: ٢٥٠ ذكر يعقوب عليه السلام وأولاده.

(٢) الأمالي، للصدوق: ٢٠٤ حديث ٢٢١ البكّاؤون خمسة، روضة الواعظين، للفتّال النيسابوري: ٤٥٠ مجلس في ذكر الحزن والبكاء.

(٣) راجع فتح القدير ٦: ٢٥٣ نحوه، المناقب لابن شهرآشوب ٣: ١٣٧ باب مناقب فاطمة عليها السلام.

وأمّا علي بن الحسين عليه السلام فإنّه بكى على أبيه الحسين عليه السلام أربعين سنة، وما وضع بين يديه طعام إلّا بكى، حتى قال مولى له: جُعلت فداك يابن رسول الله، إنّي أخاف عليك أن تكون من الهالكين، قال: ﴿ **إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ** ﴾[1].

وكفاك ما رواه الطريحي في كتابه الفخري بصحيفة ١٢٦ ما نصّه: فقد روي عن الباقر عليه السلام أنّ زين العابدين عليه السلام كان مع علمه وصبره، شديد الجزع والشكوى لهذه المصيبة والبلوى، وأنّه بكى على أبيه كما تقدّم أربعين سنة، بدمع مسفوح وقلب مقروح، يقطع نهاره بصيامه وليله بقيامه، فإذا أحضر له الطعام لإفطاره ذكر قتلاه، ونادى : وا أباه، ثمّ يقول: قتل ابن رسول الله عطشاناً وأنا آكل طيباً وأشرب بارداً، ثمّ يبكي كثيراً حتى يبلّ ثيابه بدموعه.

وفي الفخري أيضاً في الصحيفة المذكورة: إنّه قيل لعلي بن الحسين عليه السلام: إلى متى هذا البكاء يا مولاي؟

فيقول لهم عليه السلام: يا قوم، إنّ يعقوب النبيّ فقد سبطاً من أولاده الاثني عشر، فبكى عليه حتى ابيضّت عيناه من الحزن، وابنه حيّ في دار الدنيا، ولم يعلم أنه مات[*]، وأنا قد نظرت بعيني إلى أبي وسبعة عشر من أهل بيتي

---

(١) راجع كامل الزيارات: ٢١٣ حديث ٣٠٦ بكاء عليّ بن الحسين عليهما السلام، والأمالي للصدوق: ٢٠٤ حديث ٢٢١ البكاؤون خمسة.

(*) وفي الصافي ٢٤٥ ما رواه عن الكافي والعلل والعياشي والقمي، ما نصّه: عن الباقر عليه السلام أنّه ⇦

قتلوا ساعة واحدة، فترون حزنهم يذهب من قلبي، وذكرهم يخلو من لساني، وشخصهم يغيب عن عيني، لا والله لا أنساهم حتى أموت[١].

وفي جلاء العيون بصحيفة ٢٣٠ ما نصّه: إنّ زين العابدين عليه السلام كان إذا أخذ إناء ليشرب يبكي حتى يملؤه دماً[٢].

أقول: وهذا من غرائب الأخبار، فإنّ العيون لا تسيل دماً، ولذلك كنت أحتمل الزيادة والنقصان في العبارة ووقوع التحريف فيه، وإنّ الصحيح «دمعاً» بدل «دماً»، لكنّي وجدت المخطوط والمطبوع من الجلاء وغيره

⇨

سئل: إنّ يعقوب عليه السلام حين قال لولده: اذهبوا فتحسّسوا من يوسف، أكان علم أنّه حيّ وقد فارقه عشرين سنة، وجرى ما جرى عليه من الحزن والجزع والبكاء؟

قال: نعم علم أنّه حيّ.

قيل: وكيف علم؟

قال: إنّه دعا في السحر أن يهبط عليه ملك تريال، وهو ملك الموت، فقال له تريال: ما حاجتك يا يعقوب؟

قال: أخبرني عن الأرواح تقبضها مجتمعة أو متفرّقة؟

فقال: بل متفرقة، روحاً روحاً.

قال: فمرّ بك روح يوسف؟

فقال: لا.

فعند ذلك علم أنّه حيّ، فقال لولده: اذهبوا فتحسّسوا من يوسف وأخيه.

(١) راجع: مثير الأحزان، لابن نما الحلّي: ٩٣ باب في الأمور اللاحقة لقتل الحسين عليه السلام.

(٢) راجع: بحار الأنوار ٤٦: ١٠٨ حديث١ في قول الصادق عليه السلام: «بكى علي بن الحسين عليهما السلام عشرين سنة».

كما هو مروي فيه، وعليه فأقرب التوجيهات أن يقال: إنّ العيون وإن لم تبك دماً لكنّها لكثرة البكاء والاحتراق تتقرّح أجفانها، فإذا أشتدّ البكاء تتفجّر القروح دماً ويمتزج بالدموع، فهو إذا سال في الإناء يسيل كأنّه دم، ويصدق حينئذٍ أن يقال: (يملأ الإناء دماً).

وحسبك ما رواه ابن الأثير في حوادثه في الجزء الثاني بصحيفة ٦٢: إنّ أمير المؤمنين وسيّد المتقين علي ابن أبي طالب عليه السلام بكى على رسول الله صلى الله عليه وآله عشرين سنة، حتى قال له أبو ذر وسلمان: جعلنا فداك! إنّنا نخاف عليك من كثرة البكاء، فقال لهم عليه السلام «إنما أشكو بثي وحزني...».

وناهيك ناسخ التواريخ بصحيفة ٧٧٧ من الجلد الثاني ما نصّه عن جلاء العيون والمجلسي من عدّة طرق، أصّحها ما في الكافي بصحيفة ١٢٨ بسندٍ موثوق عن الإمام الصادق عليه السلام في ضمن وصية أبيه الباقر عليه السلام إليه، قال لي: يا جعفر، أوقف من مالي الخاصّ بقدر ما يفي للنائحين والباكين والنادبين بنحو عشر سنوات، يجرون ذلك عليَّ ويتظلّمون لي، وهذا يكون في وقت موسم الحاج في منى[(١)].

أقول: إنما أراد بقوله عليه السلام: في موسم الحجّ؛ لأنّ منى في تلك الأيام هي أعظم المجامع لطوائف المسلمين القاصدين إلى مكة المشرّفة ﴿**مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ**﴾[(٢)]، فلمَ اختار ندبته فيها؟! وهلا أوصى أن يندب في بيته، أو

---

(١) الكافي ٥: ١٧ حديث ١.

(٢) الحجّ (٢٢): ٢٧.

في ميدان واسع في المدينة، أو في البقيع حيث محلّ قبره وتربته؟ ألست تعتقد أنه يرمز بذلك إلى تنبيه الناس على فضائله وإظهارها، وليتذكر أولياؤه العارفون.

ومن مجموع ذلك تثبت عقائدهم ويدوم ذكره الجميل فيما بينهم.

قال شيخنا الشهيد الأول في كتابه ذكرى الشيعة، بعد إيراد الخبر المزبور:

«أراد بذلك تنبيه الناس على فضائله وإظهارها ليقتدى بها، وليعلم الناس ما كان عليه أهل هذا البيت لتقتفى آثارهم» إنتهى[(١)].

فانظر أيّها القارئ متأملاً إلى آخر كلامه هذا، الذي يريد أنّ ندبته بتلك المجامع سبب لظهور التشيّع في الناس؛ لارتفاع الاتقاء بعد موته سلام الله عليه.

ومن هذا تعرف أنّ النوادي الخاصة محلّ عزاء من لا شرف له، لا كالحسين عليه السلام وأبنائه، ولا فضل له، ولا قرب لفضلهم وقربهم، ولا مظلوميّة له كمظلوميتهم، فإنّ أوقع المحال لندبتهم المجامع العمومية كمنى وغير منى.

وناهيك كتاب الإقبال بصحيفة ٣٨ ما نصّه بإسناده إلى عبد الله بن جعفر الحميري، قال: حدّثنا الحسن بن علي الكوفي، عن الحسن بن محمّد

(١) ذكرى الشيعة ٢: ٥٩ البحث الرابع : النياحة.

الحضرمي، عن عبد الله بن سنان، قال: دخلت على مولاي أبي عبد الله جعفر ابن محمّد عليه السلام يوم عاشوراء، وهو متغير اللون ودموعه تنحدر على خدّيه كاللؤلؤ، فقلت له: يا سيدي، ممّا بكاؤك لا أبكى الله عينيك؟ فقال لي: «أما علمت أنّ في مثل هذا اليوم أُصيب الحسين عليه السلام»؟

فقلت: بلى يا سيّدي، وإنّما أتيتك مقتبساً منك علماً ومستفيداً منك لتفيدني فيه.

قال: «سل عمّا بدا لك وعمّا شئت».

فقلت: ما تقول يا سيدي في صومه؟

قال: «صمه من غير تبييت، وأفطره من غير تشميت، ولا تجعله يوماً كاملاً، ولكن أفطر بعد العصر بساعة ولو بشربة من ماء، فإنّ في ذلك الوقت من ذلك اليوم تجلّت الهيجاء عن آل رسول الله عليه وعليهم السلام وانكشفت الملحمة عنهم وفي الأرض منهم ثلاثون صريعاً يعزّ على رسول الله صلى الله عليه وآله مصرعهم».

قال: ثم بكى بكاء شديداً حتى اخضلّت لحيته بالدموع[1].

وفي الكافي بسند موثوق ما نصّه: روي عن سيّد البشر صلى الله عليه وآله أنّه قال: «من ذكر الحسين عنده فخرج من عينه من الدموع مقدار جناح ذبابة كان ثوابه على الله تعالى، ولم يرض له بدون الجنة»[2].

---

(١) إقبال الأعمال، لابن طاووس ٣: ٦٥ في ألفاظ الزيارة المنصوص عليها يوم عاشوراء.

(٢) كامل الزيارات: ٢٠٩ حديث٢٩٧ ثواب من قال في الحسين عليه السلام شعراً فبكى أو أبكى.

وناهيك ما رواه صاحب كتاب الإمامة بصحيفة ٣٨١ ما نصه: إنّ الرضا عليه السلام لما أراد التوجّه إلى خراسان جمع عياله وأمرهم بالنياحة عليه قبل وصول القتل إليه، كما هو مذكور في زيارته المعروفة بالجواديّة ما نصّها: «السلام على من أمر أولاده وعياله بالنياحة عليه قبل وصول القتل إليه»[1].

وحسبك قصّة الخليل إبراهيم عليه السلام مع الذبيح إسماعيل عليه السلام ما نصّ به الصافي بصحيفة ٤٠٥ في سورة الصافّات، وفي المجمع أيضاً بصحيفة ٦٧٠ وفي العيون أيضاً ما نصّه عن الرضا عليه السلام، قال: «لمّا أمر الله تبارك وتعالى إبراهيم عليه السلام أن يذبح مكان ابنه إسماعيل عليه السلام الكبش[*] الذي أنزله عليه،

---

(١) بحار الأنوار ٩٩: ٥٣ زيارته عليه السلام في شهر رجب، نقلاً عن بعض مؤلّفات قدماء أصحابنا.

(*) وفي الصافي بصحيفة ٤٠٥ ما نصّه في قوله تعالى: ﴿**وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ**﴾: وذلك بكبش أملح يأكل في سواد ، ويشرب في سواد، وينظر في سواد، ويمشي في سواد، ويبول ويبعر في سواد، وكان يرتع قبل ذلك في رياض الجنّة أربعين عاماً، وما خرج من رحم أُنثى، وإنّما قال الله تعالى له «كن» فكان بقدرته، ليفتدي به إسماعيل عليه السلام، فكلّ ما يذبح بمنى فهو فدية لإسماعيل عليه السلام إلى يوم القيامة.

وفي الصافي أيضاً ما نصّه: سئل الرضا عليه السلام عن العلّة التي من أجلها دفع الله عزّ وجلّ الذبح عن إسماعيل، قال عليه السلام: هي العلّة التي من أجلها دفع الله الذبح عن عبد الله بن عبد المطلب، وهي كون النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمة من صلبهما، فببركة النبيّ والأئمة دفع الله الذبح عنهما، فلم تجر السنّة في الناس بقتل أولادهم، ولولا ذلك لوجب على الناس كلّ أضحى التقرّب إلى الله تعالى بقتل أولادهم، وكلّ ما يتقرّب الناس من أضحية فهو فدية لإسماعيل إلى يوم القيامة.

⇦

تمنّى إبراهيمعليه السلام أن يكون يذبح ابنه إسماعيلعليه السلام بيده، وأنّه لم يؤمر بذبح الكبش مكانه؛ ليرجع إلى قلبه ما يرجع إلى قلب الوالد الذي أعزّ ولده بيده، فيستحق بذلك درجات أهل الثواب على المصائب.

فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا إبراهيم، من أحبّ خلقي إليك؟

قال: يا رب ما خلقت خلقاً هو أحبّ إليّ من حبيبك محمّدصلى الله عليه وآله.

فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا إبراهيم أفهو أحبّ إليك أو نفسك؟

قال: بل هو أحبّ إليَّ من نفسي.

قال عزّ وجلّ: فذبح ولده ظلماً على أيدي أعدائه أوجع لقلبك، أو ذبح ولدك بيدك في طاعتي؟

قال: يا ربّ، بل ذبحه على أيدي أعدائه أوجع لقلبي.

قال عزّ وجلّ: يا إبراهيم، فإنّ طائفة تزعم أنّها من أمّة محمّدصلى الله عليه وآله ستقتل الحسينعليه السلام ابنه من بعده ظلماً وعدواناً كما يذبح الكبش، فيستوجبون بذلك سخطي.

فجزع إبراهيمعليه السلام لذلك، وتوجّع قلبه وأقبل يبكي، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا إبراهيم، قد فديت جزعك على ابنك إسماعيلعليه السلام لو ذبحته بيدك بجزعك على الحسين وقتله، وأوجبت لك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب، فذلك قوله الله عزّ وجلّ: ﴿**وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ**﴾[1].

⇨

وفي الكافي عنهعليه السلام: «لو خلق الله مضغة هي أطيب من الضأن، لفدى بها إسماعيلعليه السلام».

(١) الصافات (٣٧): ١٠٧، عيون أخبار الرضاعليه السلام ١: ١٨٧ حديث١ باب ما جاء عن الرضاعليه السلام في

⇦

وفي الأمالي للشيخ الطوسي رضي الله عنه، وفي العيون أيضاً عن الرضا عليه السلام قال: «إنّ جدّي أمير المؤمنين عليه السلام بكى عند مروره بأرض كربلاء في بعض حروبه بعد النبيّ صلى الله عليه وآله»[1].

وكذا ورد في أخبار الفريقين: أنّ من بكى للحسين عليه السلام وأبكى أو تباكى فله الجنة[2].

وروى صاحب زهر الكمال بصحيفة ٤٥، وكذا صاحب الدر الثمين، وفي الكافي أيضاً، فالكلّ على رواية واحدة ما نصّها: عن أبي هارون المكفوف، أنه قال: قال لي الصادق عليه السلام: «يا أبا هارون، أنشد لي في الحسين عليه السلام شعراً»؟

فأنشدته قصيدة، فبكى بكاءً شديداً، وكذلك أصحابه، فقال عليه السلام «زدني قصيدة أخرى»، فأنشدته فبكى طويلاً، وسمعت أيضاً نحيباً من وراء الستر من أهل بيته، ولم أزل أسمع نحيب عياله وأهل بيته حتى فرغت من إنشاد القصيدة، فلمّا فرغت، قال لي: «يا أبا هارون، من أنشد في الحسين عليه السلام شعراً فبكى وأبكى واحداً كتب الله له الجنة»[3].

⇨

تفسير قوله تعالى: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾، تفسير الصافي ٤: ٢٧٩.

(١) ثواب الأعمال، للشيخ الصدوق: ٨٣ ثواب من أنشد في الحسين عليه السلام شعراً فبكى وأبكى، وكامل الزيارات: ٢٠٨ حديث ٢٩٧ نحوه.

(٢) الإرشاد، للشيخ المفيد ١: ٣٣٢.

(٣) راجع الصواعق المحرقة ٢: ٥٦٩ و٥٧٠، وعمدة القاري ١٦: ٢٤١، وتفسير ابن كثير ٩: ١٦٢.

وحسبك من واضح الدلالة وقاطع البرهان ما رواه الصدوق في كتابه بصحيفة٥٥، وكذا صاحب الكافي، وشيخنا الطوسي في أماليه بصحيفة ٢٤٥، فالكلّ منهم على رواية واحدة، وإليك ما نصّها:

عن دعبل الخزاعي، قال: دخلت على سيّدي ومولاي علي بن موسى الرضاعليه السلام في مثل هذه الأيام، فرأيته جالساً جلسة الحزين الكئيب وأصحابه من حوله، فلمّا رآني مقبلاً، قال: «مرحباً بك يا دعبل، مرحباً بناصرنا بيده ولسانه»، ثمّ إنّه وسّع لي في مجلسه وأجلسني إلى جانبه، ثم قال لي: «يا دعبل، أحبّ أن تنشدني شعراً، فإنّ هذه الأيام أيام حزن كانت علينا أهل البيت، وأيام سرور كانت على أعدائنا خصوصاً بني أمية.

يا دعبل، مَن بكى وأبكى على مصابنا ولو واحداً كان أجره على الله.

يا دعبل، مَن ذرفت عيناه على مصابنا وبكى لما أصابنا من أعدائنا، حشره الله معنا في زمرتنا.

يا دعبل، مَن بكى على مصاب جدّي الحسين غفر الله له ذنوبه البتة».

ثمّ نهضعليه السلام وضرب ستراً بيننا وبين حرمه، وأجلس أهل بيته من وراء الستر؛ ليبكوا على مصاب جدّهم الحسينعليه السلام، ثمّ التفت إليَّ وقال لي: «يا دعبل، إرث الحسين، فأنت ناصرنا ومادحنا مادمت حيّاً، فلا تقصّر عن نصرنا ما استطعت يا دعبل».

قال دعبل: فاستعبرت وسالت عبرتي، وأنشأت أقول:

أفاطم لو خلت الحسين مجدّلاً   وقد مات عطشاناً بشطّ فرات

إذاً للطمـــت الخـــدّ فـــاطم عنـــده وأجريـت دمع العين فـي الوجنـات

قـال دعبـل: لطمـت النسـاء وعـلا الصـراخ مـن وراء السـتر، وبكـى الرضاعليه السلام في إنشاد القصيدة حتى أُغمي عليه مرّتين»[١].

ودونك (يا سرحوب)[*] ما رواه الشيخ المفيد رضي الله عنه في زيارة الناحية المقدّسة لحضرة صاحب الأمر عجّل الله فرجه في مفتاح الجنان بصحيفة ٤٥٢ ما نصّها. «فلأندبنّك صباحاً ومساءً، ولأبكينّ عليك بدل الدموع دماً، حسرةً عليك وتأسّفاً على ما دهاك وتلهّفاً، حتى أموت بلوعة المصاب وغصّة الاكتياب»[٢].

وفي الناحية المقدّسة أيضاً في صحيفة ٤٥٥ من المفتاح: «برزن من الخدور، ناشرات الشعور، على الخدود لاطمات، الوجوه سافرات»[٣].

فتبصّر أيّها القارئ، فإذا جاز لآدمعليه السلام البكاء على الجنّة حتى ظهرت أسنانه بمحاكه.

وجاز لإبراهيم الخليلعليه السلام الجزع والبكاء على الحسينعليه السلام قبل أن يخلق في دار الدنيا.

---

(١) الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ٢٠: ١٦٢، معجم الأدباء ١١: ٩٩.

(*) وسرحوب: شيطان أعمى ، يسكن في سواحل البحر.

(٢) المزار، للمشهدي: ٥٠١.

(٣) المصدر السابق: ٥٠٤.

وجاز ليعقوب عليه السلام أن يبلغ به الجزع والبكاء ذلك المبلغ على فراق يوسف، وما على وجه الأرض أكرم على الله من يعقوب، وهو على علم من حياة يوسف عليه السلام، ومع ذلك بلغ به الحزن والجزع والبكاء ما قد عرفت.

وجاز ليوسف عليه السلام البكاء في السجن على فراق أبيه كما تقدّم ذكره.

وجاز لرسول الله صلى الله عليه وآله البكاء على عمّه حمزة وولده إبراهيم وبكائه على الحسين عليه السلام حين أخبره جبرئيل عليه السلام كما ورد في أخبار الفريقين ذلك.

وجاز البكاء لعليّ عليه السلام وفاطمة عليها السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله.

وجاز لعليّ بن الحسين عليه السلام البكاء والحزن ـ كما ذكرته لك ـ أربعين سنة.

وإلى الباقر عليه السلام في وصيّته بالندب والبكاء والنياح عليه كما تقدّم.

وإلى الرضا عليه السلام بجمعه لأهل بيته والنياحة عليه قبل وصول القتل إليه، وجاز له أن يتعرّض للإغماء الذي هو أخو الموت.

وإذا ثبت وقوع ذلك ورجحان البكاء عليه وإقامة العزاء في حياته، فلمَ لا يجوز لشيعته تعظيم الشعائر الإسلاميّة والأنوار الحسينيّة ؛ لقوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ**﴾[1].

---

(١) الحجّ (٢٢): ٣٢.

وأيّ شعار لله أعظم من التذكار للشعائر الحسينيّة، التي عظّمها صلوات الله عليه يوم الطف لإحياء دين جدّهﷺ، ببذل نفسه وجمع من ولده وإخوته وأرحامه وأحبّته وأعمامه، ونهب ثقله وسبي عياله وأطفاله على يد أشر الخلق وأرذلهم وأعصاهم لله سبحانه وتعالى ابن مرجانة (لعنة الله عليه) ، كما اعترف بتوقّف بقاء طريقة جدّه على بذل نفسه المقدّسة والأنفس الزاكية بمن معه.

وأيّ مودة أعظم من إقامة العزاء، والبكاء عليه وكشف الرؤوس والصدور، واللطم واللدم في المجامع والشوارع، وتجسيم ما جرى على آل الرسولﷺ في كربلاء، ممّا لا ريب ولا شكّ ولا إشكال فيه، في كونه من أعظم الشعائر الإسلاميّة والعبادات المندوبة، وجزى الله القائمين بهذه الشعائر عن أنفسهم وعن الإسلام خيراً.

فلقد يحسب الجاهل الغبيّ أنّ جلّ ما يقصده المتظاهرون من تلك الأعمال الطيّبة، ليس إلّا إيلام أجسامهم وأرواحهم، ولم يعلم ذلك الجاهل الغبي بأنّ لهم في تلك الأعمال أسراراً ورموزاً تعود عليهم بأكبر الفوائد وتتقدّم بهم في جميع شؤونهم الأدبيّة والاجتماعيّة والسياسيّة.

كيف لا! وهذا التذكار الحسيني ليلقي عليهم في كلّ سنة من دروس التضحية والمفادات في سبيل الحقّ، ما يوصلهم إلى ميادين الرقيّ والتسنّم إلى أوج العمران الأدبي الديني الاجتماعي السياسي.

حتى لقد أدركت فلسفة ذلك التذكار كثيراً من مستشرقي فلاسفة الغرب، وكتبوا عنه وحرّروا في مؤلّفاتهم فصولاً طويلة ومقالات ضافية، ومنهم الدكتور جوزف الفرنسوي في كتابه « الإسلام والمسلمون» بصحيفة ٤٤، فقد ذكر في جملة كلام له مسهب يتعلّق ببيان فلسفة مأتم الحسين عليه السلام ما نصّه مترجماً إلى العربية عن الترجمة الفارسية بقلم أحد العلماء في بيان قوله:

«ومن جملة الأمور السياسيّة التي أظهرها أكابر فرقة الشيعة بصبغة مذهبيّة منذ قرون، وجلبت لهم قلب البعيد والقريب، هي قاعدة التمثيل باسم الشبيه في مأتم الحسين عليه السلام، وقد قرّر حكماء الهند التمثيل لأغراض ليس هذا موضع ذكرها، وجعلوه من أجزاء عباداتهم، فأخذته أوربا وأخرجته بعامل السياسة بصورة التفرّج، وصارت تمثّل الأمور المهمة السياسية في دور التمثيل للخاصّة والعامّة، وجلبت القلوب بسببه، وأصابت بسهم واحد غرضين معاً: تفريج النفوس، وجلب القلوب في الأمور السياسية.

والشيعة قد استفادت من ذلك فوائد كاملة، وأظهرته بصبغة دينيّة، ويمكن القول بأنّ الشيعة قد أخذت ذلك من الهنود، وكيف كان فالأثر الذي ينبغي أن يعود من التمثيل إلى قلوب الخواص والعوام قد عاد.

ومن المعلوم أنّ تواتر إقامة المآتم، وذكر المصائب الواردة في فضل البكاء على مصاب آل محمّد، إذا انضمّت إلى تمثيل تلك المصائب، تكون

شديدة الأثر، وتوجب رسوخ عقائد خواصّ هذه الفرقة وعوامّها فوق التصوّر. وهذا هو السبب الذي أوجب أن لا نسمع من ابتداء ترقّي مذهب الشيعة إلى الآن أن ترك بعضهم دين الإسلام، أو دخل في سائر الفرق الإسلاميّة.

هذه الفرقة تقيم التمثيل على أقسام مختلفة، في مجالس خصوصيّة وأمكنة معيّنة، وحيث إنّ الفرق الأخرى قلّما تشترك معهم في المجالس، ولم يزل هذا العمل يزداد إليه توجّه الأنظار من الخاصّ والعام حتى قلّد الشيعة فيه بعض الفرق الإسلاميّة والهنود، واشتركوا معهم في ذلك، وهو في الهند أكثر رواجاً من جميع الممالك الإسلاميّة، كما أنّ سائر فرق الإسلام هناك أكثر اشتراكاً مع الشيعة في هذا العمل من سائر البلدان، ويغلب على الظنّ أنّ أصول التمثيل بين الشيعة قد تداول من زمن الصفويّة(*) الذين هم أول من نال السلطنة بقوّة المذهب وأجاز العلماء والرؤساء الروحانيون هذه الأصول.

(*) وهنا أودّ أن أقفك أيّها القارئ على بضعة كلمات في ابتداء السلطنة الصفويّة والسلسلة الهاشمية ونسبهم، وإليك ما رواه تاريخ ميرزا حيرت الإيراني مترجمة من تاريخ (سرجان ملكم) الانكليزي بصحيفة ٢٣٣ المطبوع بمطبعة بمبئ سنة ١٣٢٣هـ ما نصّه:

أوّل الصفويّة شاه إسماعيل المتوفّى سنة ٩٣٠، وهو ابن سلطان حيدر ابن سلطان جنيد ابن شيخ إبراهيم ابن خاجه علي ابن شيخ صفيّ ـ وإليه نسبوا بالصفويّة ـ وهو ابن شيخ أمين الدين جبرئيل ابن شيخ صالح ابن قطب الدين بن صالح الدين بن محمّد بن حافظ بن عوض الخواصّ بن فيروز شاه بن ⇦



محمّد بن شرف شاه بن محمّد بن إبراهيم بن جعفر بن محمّد بن إسماعيل بن محمّد بن أحمد الأعرابي ابن أبي محمّد القاسم ابن أبي القاسم حمزة ابن الإمام موسى الكاظم عليه السلام.

وفي هديّة الزائرين لمؤلّفها القمي الحاج شيخ عباس، المطبوعة بمطبعة تبريز سنة ١٣٢٤ ما نصّه بصحيفة ٣٤٠: إنّ أبا القاسم حمزه ابن الإمام موسى الكاظم عليه السلام ، وقبره في الريّ ممّا يقارب شاه عبد العظيم الحسني، وكان يزور قبره في حياته.

ولأبي القاسم حمزة إخوة، منهما السيّد أحمد المعروف شاه چراغ، والسيّد مير محمّد ، فإنهما أخوان من أُمّ واحدة، وقبرهما في شيراز يبعد الأول عن الثاني بنحو مأتي متر.

وكذا ما نصّ به صاحب عمدة الطالب في نسب آل أبي طالب عليه السلام بصحيفة ١٧٥: إنّ أبا القاسم حمزة ابن الإمام موسى الكاظم عليه السلام، وقد كرّر ذكره أيضاً ونسبه وما أعقب من الأولاد بصحيفة ٢٠٣.

وإليك ما رواه صاحب هدية الزائرين بصحيفة ٣٤١ ما نصّه:

أمّا الحمزة المعروف في جزيرة جنوب الحلّة وبين دجلة والفرات مزار مشهور أنّه قبر الحمزة ابن الإمام موسى الكاظم عليه السلام، والناس يزورونه ويذكرون له كرامات كثيرة.

ولكن هذه الشهرة لا أصل لها، بل إنّما هو حمزة بن قاسم بن علي بن حمزة بن حسن بن عبد الله (أو عبيد الله) بن العباس بن علي بن أبي طالب عليه وعلى آبائه أفضل الصلاة والتحية.

وممّا رواه عمدة الطالب بصحيفة ٣٢٣ في ترجمة العباس بن علي عليه السلام وذكر أولاده الصلبيّة، إلى أن ذكر الحمزة بن القاسم تفصيلاً، كما نصّ به صاحب هدية الزائرين.

هذا ما كان من نسب الصفوية.

وأما عدد ملوكهم أربعة عشر ملكاً، وفي بعض التواريخ ثلاثة عشر ملكاً، أولهم شاه إسماعيل، وآخرهم شاه حسين، وفي زمانه انقرضت دولة الصفويّة سنة ١١٣٥ عند هجوم الأفغان على إيران، وذلك لمّا رأى استيلاء الضعف عليه، وأن لا طاقة له في النهوض في قبالة الأفغانيين، وانسحب من الدست الملوكي وسلّمه إلى الأفغانيين.



ومن جملة الأمور التي أوجبت رقيّ هذه الفرقة وشهرتهم في كلّ مكان، هو تعرّفهم، بمعنى أن هذه الطائفة قد جلبت إليها قلوب سائر الفرق من حيث الجاه والقوّة والشوكة والاعتبار بواسطة المآتم والمجالس والشبيه واللطم والدوران وحمل الألوية والرايات في عزاء الحسينعليه السلام.

ومن الأمور الطبيعيّة المؤيّدة لفرقة الشيعة في تأثير قلوب سائر الفرق، هو إظهار مظلوميّة أكابر دينهم، وهذا التأثير من الأمور الفطريّة؛ لأنّ كلّ أحد بالطبع يأخذ بيد المظلوم ويحبّ نصرة الضعيف والمظلوم على القويّ، والطبائع البشريّة أميل إلى الضعيف والمظلوم ولو كان محقّاً، لاسيّما إذا مرّت عليه السنون والأعوام»(*).

⇨

وإن قلت أيّها القارئ: إنّهم سادة موسويّة لماذا يُطلق على بعض أجدادهم بالمشيخة.

أقول: بما أنّي عثرت على بعض كتب التأريخ وبعض سير الملوك، ما رواه صاحب السير الملوكيّة بصحيفة ٣٧٧ المطبوع بمطبعة إسلامبول سنة ١٣١٨ مارتية ، طبقاً إلى سنة ١٣١٦هـ ما نصّه:

إنّ الصفويّة في ابتداء أمرهم كانوا مرشدين، وإنّما نالوا السلطنة في إيران باسم الدين، إلى أن أدركوا بغيتهم، ولما تمكّنوا على السلطة الإيرانية بثّوا العدل والإنصاف، وشتّتوا الجور والفساد، وشيّدوا العتبات المشرفة والشعائر الإسلاميّة والمآتم الحسينيّة في القطر الإيراني وغيره من الأقطار مهما تمكنوا، وقد تشهد لهم بذلك جلّ التواريخ الإسلاميّة وغيرها، حتّى نالوا الدرجة الوحيدة في الذكر الجميل، وهكذا يكون الذكر وإلّا فلا. انتهى.

(*) وسأقدّم لك أيّها القارئ الكريم بسنوح الفرصة بعدئذٍ رسالة ثانية تمثّل لك التاريخ نصب عينيك منذ المائة الثالثة والرابعة إلى يومنا هذا إن شاء الله تعالى.

وهؤلاء مصنّفوا أُوروبا مع أنّهم لا يعتقدون بهم يذعنون بالمظلوميّة لهم ، ويعترفون بظلم وتعدّي قاتليهم، وعدم رحمتهم، ولا يذكرون أسماءهم إلّا مشمئزّين، وهذه الأمور الطبعيّة لا يقف أمامها شيء، وهذا السرّ من المؤيّدات الطبيعيّة لفرقة الشيعة.

وناهيك منهم ذلك الحكيم الألماني المسيو ماربين، فقد ذكر في جملة كلام له طويل في كتابه (السياسية الإسلاميّة) ما نصّه معرّباً عن الترجمة الفارسيّة أيضاً بصحيفة ٧٧:

«إنّ عدم معرفة بعض مؤرّخينا بحقيقة الحال، أوجب أن ينسبوا في كتبهم طريقة إقامة الشيعة لعزاء الحسين إلى الجنون، ولكن جهلوا مقدار تغيير هذه المسألة وتبديلها في الإسلام، فإنّا لم نرَ في سائر الأقوام ما نراه في شيعة الحسين من الحسيّات السياسيّة والثورات المذهبية بسبب إقامة عزاء الحسين.

وكلّ من أمعن النظر في رقيّ شيعة عليّ عليه السلام، الذين جعلوا إقامة عزاء الحسين شعارهم في مدّة مائة سنة، يذعن بأنّهم فازوا بأعظم الرقيّ، فإنّه لم يكن قبل مائة سنة من شيعة علي والحسين عليهما السلام في الهند إلّا ما يعدّ بالأصابع، واليوم هم في الدرجة الثالثة من حيث الجمعيّة إذا قيسوا بغيرهم، وكذلك هم في سائر نقاط الأرض.

وإذا قسنا دعاتنا مع تلك المصارف الباهضة والقوّة الهائلة بالشيعة، نرى دعاتنا لم يحظوا بعشر ترقيات هذه الفرقة، وإن كانت قسسنا تحزن القلوب بذكر مصائب المسيح، ولكن لا بذلك الشكل والأسلوب المتداول بين شيعة الحسين، ويغلب على الظنّ أنّ سبب ذلك هو أنّ مصائب الحسين أشدّ حزناً وأعظم تأثيراً من مصائب المسيح.

وإنّي اعتقد بأنّ بقاء القانون الاسلامي، وظهور الديانة الإسلاميّة، وترقّي المسلمين هو مسبّب عن قتل الحسين وحدوث تلك الوقائع المحزنة.

وهكذا ما نراه اليوم بين المسلمين من حسن السياسة وإباء الضيم، ما هو إلاّ بواسطة عزاء الحسين، وما دامت في المسلمين هذه الملكة والصفة، لا يقبلون ذلًّا ولا يدخلون في أسر أحد.

ينبغي لنا أن ندقّق النظر فيما يذكر من النكات الدقيقة الحيويّة في مجالس إقامة العزاء، ولقد حضرت دفعات في المجالس التي يذكر فيها عزاء الحسين في إسلامبول مع مترجم، فسمعتهم يقولون: الحسين الذي كان إمامنا ومقتدانا، ومَن تجب طاعته ومتابعته علينا، لم يتحمّل الضيم، ولم يدخل في طاعة يزيد، وجاد بنفسه وعياله وأولاده وأمواله في سبيل حفظ شرفه وعلوّ حسبه ومقامه، وفاز في قبال ذلك بحسن الذكر والصيت في الدنيا، والشفاعة يوم القيامة والقرب من الله، وأعداؤه قد خسروا الدنيا والآخرة.

فرأيت بعد ذلك وعلمت، أنّهم في الحقيقة يُدرّس بعضهم بعضاً علناً، بأنّكم إن كنتم شيعة الحسين وأصحاب شرف، إن كنتم تطلبون السيادة والفخر، فلا تدخلوا في طاعة أمثال يزيد، ولا تحملوا الذل، بل اختاروا الموت بعزّة على الحياة بذلّة، حتى تفوزوا بحسن الذكر في الدنيا والآخرة، وتحظوا بالفلاح.

ومن المعلوم حال الأمّة التي تُلقى إليها أمثال هذه التعاليم من المهد إلى اللحد، في أيّ درجة تكون من الملكات العظيمة والسجايا العالية.

نعم ، هكذا أمّة تحوي كلّ نوع من أنواع السعادة والشرف، ويكون جميع أفرادها جنداً متدافعين عن عزّهم وشرفهم، هذا هو التمدّن الحقيقي اليوم، هذا هو طريق تعليم الحقوق، هذا هو معنى تدريس أُصول السياسة».

فحط علماً إلى ما ذكره ذاناك المستشرقان الغربيان عن فلسفة تلك المظاهرات العزائية والمآتم الحسينية والمحافل الجعفريّة والشعائر الإسلاميّة، التي تقوم بها الطائفة الشيعيّة، بل الفرقة الإسلاميّة من عام إلى آخر، تذكاراً لذلك الإمام الشهيد عليه السلام، وأنت ترى أنّهما قد فطنا إلى كثير من أسرارها الخفيّة ورموزها المختبئة حتى عن كثير من أبنائها وأصدقائها.

وليتك (يا سرحوب) وليت فلاسفتنا الأقربين(*) قد أدركتم ولو طرفاً يسيراً ممّا أدركه أولئك الفلاسفة الأبعدون، كي يتعلّموا بأنّ تلك المظاهرات الحسينيّة هي من أهمّ المقدّسات الطائفيّة والنواميس المذهبيّة، التي لا يمكن

(*) أعني بهم علماء حيدر آباد دكن، كثّر الله أمثالهم ونوّر بصائرهم.

القضـاء عليهـا بقـوّة التمويـه مهمـا أفـرغ عليـه مـن مبرقشـات الثيـاب، وأنّـى للمموّهين أن يقضوا على عادة يمتدّ بها التأريخ منذ زمن آل بويه إلى اليـوم يزيد على تسع قرون؟! كما يرشدك إليه ابن الأثير فيمـا ذكـره فـي حـوادث بعض السنين على عهد ملوك آل بويه.

وإليك أيّها المنصف ما نصّ به فـي كاملـه بصـحيفة ١٩٧، وكـذا أيضـاً بصحيفة ٢٠٠ ، وكرّر الذكر ثالثاً بصحيفة ٢١٥ في الجزء الثامن ما نصّه:

«في هذه السنة عاشر المحرم، أمر معزّ الدولـة ـ وركـن الدولـة ـ النـاس بخروج المواكب العزائيّـة، وأن يغلقـوا دكـاكينهم ويبطلـوا الأسـواق والبيـع والشراء، وأن يظهروا النياحة، ويلبسـوا قبابـاً عملوهـا بالمسـوح، وأن يخـرج النساء منشرات الشعور مسودات الوجوه، قد شققن ثيابهن، يـدرن فـي البلـد بـالنوائح ويلطمـن وجـوههن، والكـلّ نـادبين سـيّد الشـهداء الحسـين بـن علـيعليه السلام، وبأيـديهم المشـاعل لـيلاً، حتـى تعـود بغـداد وطرقاتهـا ضـجة واحدة»[1].

وكان ذلك العصر حافلاً بأكابر علماء مذهب الإماميّة كالشـيخ المفيـد، وابن قولويه، والسيّدين النقيبين الشريفين المرتضى والرضـي، وكـان ملـوك آل بويه طوع أولئك الأساطين ورهن أمرهم ونواهيهم.

وحسـبك مـا شـاع وذاع وأخـذ بمجـامع الأسـماع فـي البقـاع مـا رواه صاحب عمدة الأخبار بصحيفة ٤٣٣ ما نصّه: إنّ السيّد الرضـي ـ رضـوان الله

(١) الكامل في التاريخ ٨: ٥٤٩ ذكر حوادث سنة ٣٥٣.

عليه ـ ورد لزيارة جدّه الحسين عليه السلام مع جمع من تلامذته يوم عاشوراء سنة ٩٦ بعد الثلثمائة، فرأى جماعة من الأعراب يعدون وهم ينوحون ويبكون ويلطمون، متهافتين للهجوم ـ كتهافة الفراش على النور ـ على القبر الشريف، فدخل هو ومَن معه في زمرتهم، وأنشأ في الحال قصيدته العصماء المشهورة التي يقول في براعتها:

كربلا لا زلت كرباً وبلا   ما لقي عندك آل المصطفى[1]

وفي نور الأبصار بصحيفة ٣٤٤ بعد أن ذكر ترجمة الإمامين السيّدين النقيبين المرتضى والرضي[*] ـ رضوان الله عليهما ـ ثمّ ذكر بأنّهما زارا جدّهما الحسين عليه السلام وأقاما مأتماً تسعة أيام في كربلا، يبكون وينوحون على الحسين عليه السلام، والناس تفد إليهما من كلّ مكان.

ومن ذلك تعرف أنّ الإنكار على تلك الأنوار الحسينيّة والشعائر الإسلاميّة لم ينبعث في الحقيقة إلّا عن الجهل بالتاريخ.

ولا ريب أنّ ذلك دخل الهند وغيره إلّا عن المذهب الباطل، وهو مذهب الوهابي[**] النجدي، الذي اعتاد الإنكار على أيّ عمل مستحدث،

---

(١) راجع: مناقب ابن شهرآشوب ٣: ٢٦٧ باب إمامة الحسين عليه السلام.

(*) وفي عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، بعد أن ذكر ترجمة النقيبين المرتضى والرضي، ثمّ ذكر أنّ السيّد الرضي رضوان الله عليه توفّي يوم٦ محرّم الحرام سنة ٤٠٦، ودفن في داره ، ثمّ نقل إلى مشهد جدّه الحسين عليه السلام بكربلاء فدفن هناك.

(**) وإليك ما ذكره شيخ الإسلام أحمد بن زيني دحلان في خلاصته: إنّ محمّد بن عبد الوهاب الذي تُنسب إليه الفرقة الوهابيّة، كان يكره الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله، ويتأذّى ⇦

⇨

بسماعها، وينهى عن الإتيان بها ليلة الجمعة، وعن الجهر بها على المنائر والمنابر، ويؤذي من يفعل ذلك ويعاقبه أشدّ العقاب، حق أنّه قتل رجلاً أعمى كان مؤذّناً صالحاً ذا صوت حسن، نهاه عن الصلاة على النبي صلّى الله عليه وآله وصحبه وسلّم في المنارة بعد الأذان، فلم ينته وأتى بالصلاة على النبيّ فأمر بقتله فقتل.

ثم قال: إنّ الربابة في بيت الخاطئة ـ يعني الزانية ـ أقلّ إثماً ممّن ينادي بالصلاة على النبي صلى الله عليه وآله في المنابر والمنائر والمآذن، ويلبس على أصحابه وأتباعه بأنّ ذلك كلّه محافظة على التوحيد. فما أفضع قوله، وما أشنع فعله؟!

إلى أن قال ابن دحلان: وكان ينهى عن الدعاء بعد الصلاة ويقول: إنّ ذلك بدعة.

قال: وكان يخطب الجمعة في مسجد الدرعيّة، ويقول في كلّ خطبة: ومَن توسّل بالنبيّ فقد كفر.

قال: وقال له رجل: إنّ التوسّل مجمع عليه عند أهل السنّة حتى ابن تيمية، فإنّه ذكر فيه وجهين، ولم يذكر أنّ فاعله يكفر، حتى الرافضة والخوارج والمبتدعة كافة فإنّهم قائلون بصحة التوسّل به صلى الله عليه وآله ، فلا وجه لك في التكفير أصلاً.

فقال محمّد بن عبد الوهاب : إنّ عمر استسقى بالعباس فلم يستسق بالنبيّ صلى الله عليه وآله.

ومقصد محمّد بن عبد الوهاب بذلك أنّ العباس كان حيّاً، وأنّ النبيّ ميتاً، فلا يستسقى به.

فقال له ذلك الرجل: هذا حجّة عليك، فإنّ استسقاء عمر بالعباس إنّما كان لإعلام الناس صحّة التوسّل بغير النبيّ صلى الله عليه وآله، فكيف تحتجّ باستسقاء عمر بالعباس، وعمر هو الذي روى حديث توسّل آدم عليه السلام بالنبيّ صلى الله عليه وآله قبل أن يخلق؟! فالتوسل بالنبيّ صلى الله عليه وآله كان معلوماً عند عمر وغيره، وإنّما أراد عمر أن يبيّن للناس ويعلّمهم صحة التوسّل بغير النبي صلى الله عليه وآله.

فبهت وتحيّر، وبقي على عماوته وعدواته وبغضه للنبيّ صلى الله عليه وآله . هذا ما ذكره ابن دحلان في خلاصته.

(*) وإليك ما ذكره شيخ الإسلام أحمد بن زيني دحلان في خلاصته: إنّ محمّد بن عبد الوهاب الذي تُنسب إليه الفرقة الوهابيّة، كان يكره الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله ، ويتأذّى بسماعها، وينهى عن الإتيان بها ليلة الجمعة، وعن الجهر بها على المنائر والمنابر، ويؤذي من يفعل ذلك ويعاقبه أشدّ العقاب، حق أنّه قتل رجلاً أعمى كان مؤذّناً صالحاً ذا صوت حسن، نهاه عن الصلاة على النبي صلّى الله عليه وآله وصحبه وسلّم في المنارة بعد الأذان، فلم ينته

⇦

بالرغم ممّا عليه طريقة عامة المسلمين وكافّة أهل الدين والاستخفاف بالنبيّ الأمين والأئمة الطاهرين.

وليتك (يا سرحوب) تتدبر ما تقول، وتحسب ما تكتب، وتشعر بما تنشر وتحرّر. وعليه فانظر إنّ الغاية من اللطم واللدم والبكاء والجزع على سيّد الشهداء عليه السلام في المجتمعات المحزنة، وإظهار تلك المصائب المفجعة

⇨

وأتى بالصلاة على النبيّ فأمر بقتله فقتل.

ثم قال: إنّ الربابة في بيت الخاطئة ـ يعني الزانية ـ أقلّ إثماً ممّن ينادي بالصلاة على النبي صلى الله عليه وآله في المنابر والمنائر والمآذن، ويلبس على أصحابه وأتباعه بأنّ ذلك كلّه محافظة على التوحيد. فما أفضع قوله، وما أشنع فعله؟!

إلى أن قال ابن دحلان: وكان ينهى عن الدعاء بعد الصلاة ويقول: إنّ ذلك بدعة.

قال: وكان يخطب الجمعة في مسجد الدرعيّة، ويقول في كلّ خطبة: ومَن توسّل بالنبيّ فقد كفر.

قال: وقال له رجل: إنّ التوسّل مجمع عليه عند أهل السنّة حتى ابن تيمية، فإنّه ذكر فيه وجهين، ولم يذكر أنّ فاعله يكفر، حتى الرافضة والخوارج والمبتدعة كافة فإنّهم قائلون بصحة التوسّل به صلى الله عليه وآله ، فلا وجه لك في التكفير أصلاً.

فقال محمّد بن عبد الوهاب : إنّ عمر استسقى بالعباس فلم يستسق بالنبيّ صلى الله عليه وآله.

ومقصد محمّد بن عبد الوهاب بذلك أنّ العباس كان حيّاً، وأنّ النبيّ ميتاً، فلا يستسقى به.

فقال له ذلك الرجل: هذا حجّة عليك، فإنّ استسقاء عمر بالعباس إنّما كان لإعلام الناس صحّة التوسّل بغير النبيّ صلى الله عليه وآله، فكيف تحتجّ باستسقاء عمر بالعباس، وعمر هو الذي روى حديث توسّل آدم عليه السلام بالنبيّ صلى الله عليه وآله قبل أن يخلق؟! فالتوسل بالنبيّ صلى الله عليه وآله كان معلوماً عند عمر وغيره، وإنّما أراد عمر أن يبيّن للناس ويعلّمهم صحة التوسّل بغير النبي صلى الله عليه وآله.

فبهت وتحيّر، وبقي على عماوته وعدواته وبغضه للنبيّ صلى الله عليه وآله . هذا ما ذكره ابن دحلان في خلاصته.

على نحو مخصوص في المآتم الحسينيّة، هي الروابط الدينيّة المذهبيّة لئن لا تندرس كما اندرس غيرها، وهي الغاية التي من أجلها قتل الحسين عليه السلام.

وقد ورد عن الأئمة عليهم السلام أقوال كثيرة وأخبار مترادفة بالتلميح والتلويح، بل وأمروا بإتيانها علانية لإحياء أمرهم، كما نصّ به صاحب الكافي، وكذا صاحب الدر الثمين بصحيفة ٩٩ ما نصّهما:

إنّ الصادق عليه السلام قال للفضيل بن يسار: «تجلسون وتحدّثون»؟

قال: نعم جعلت فداك.

قال عليه السلام: «إنّ تلك المجالس أحبّها، فأحيوا أمرنا يا فضيل، فرحم الله من أحيى أمرنا»[١].

وفي زهر الكمال بصحيفة ٧٧ ما نصّه عن الصادق عليه السلام، قال: «من جلس مجلساً يحيي فيه أمرنا، لم يمت قلبه يوم تموت القلوب»[٢].

وقوله عليه السلام: «رحم الله عبداً اجتمع مع آخر فتذاكر أمرنا، فإنّ ثالثهما ملك يستغفر لهما، وما اجتمع اثنان على ذكرنا إلّا باهى الله تعالى به الملائكة، فإذا اجتمعتم فاشتغلوا بالذكر، فإنّ في اجتماعكم ومذاكرتكم إحيائنا، وخير الناس من بعدنا من ذاكر بأمرنا ودعا إلى ذكرنا»[٣].

---

(١) قرب الإسناد: ٣٦ حديث ١١٧، ثواب الأعمال: ١٨٨ ثواب من ذكر عنده أهل بيت النبي عليهم السلام، وذكره نحوه.

(٢) الدعوات، لقطب الدين الراوندي: ٢٧٨ حديث ٨٠٦ في ذكر الميّت وزيارته وذكر القبر وأحواله.

(٣) الأمالي، للطوسي: ٢٢٤ حديث ٣٩٠ التذاكر في أمر أهل البيت عليهم السلام.

فكأنّهم عليهم السلام رأوا أنّ تلك المآتم الحسينيّة، هي التي توجب بقاء الناس على مرور الدهر والأيام على الاعتقاد بهم وبإمامتهم، ومزيد فضلهم، وبيان عصمتهم ومظلوميتهم من السلاطين والملوك في عصر من أعصارهم.

وحسبك ما ذكره صاحب ينابيع المودة المطبوع بمطبعة إسلامبول المعروفة بمطبعة (اختر) سنة ١٣٠١ بصحيفة ٣٥٥ ما نصّه في الباب ٦٢ في إيراد مدائح الشافعي، وفي بيان كثرة ثواب من بكى على الحسين عليه السلام وأهل بيته، واليك ما نصّ به:

«وفي جواهر العقدين للشريف السيّد نور الدين علي السمهودي المصري ـ أعلم علماء مصر والحجاز ـ قال: نقل البيهقي عن الربيع بن سليمان ـ هو أحد أصحاب الشافعي ـ قال: قيل للإمام الشافعي: إنّ ناساً لا يصبرون على سماع منقبة أو فضيلة لأهل البيت الطيّبين، فإذا رأوا واحداً منّا يذكرها، يقولون: هذا رافضيّ، فأنشأ الشافعي يقول:

إذا في مجلس ذكروا علياً ... وسبطيه وفاطمة الزكيّة
فأجرى بعضهم ذكراً سواه ... فأيقن أنه لسلقلقية
إذا ذكروا علياً أو بنيه ... تشاغل بالروايات العليّة
وقال تجاوزوا يا قوم عن ذا ... فهذا من حديث الرافضيّة
برئت إلى المهيمن من أناس ... يرون الرفض حبّ الفاطميّة
على آل الرسول صلاة ربّي ... ولعنته لتلك الجاهليّة

وقال الحافظ جمال الدين الزرندي ، عقيب نقله ذلك عن الشافعي، قال أيضاً ـ يعني الشافعي ـ:

قـــالوا ترفّضـــت قلـــت : كـــلاّ   مـــا الـــرفض دينـــي ولا اعتقـــادي
لكــــن تولّيــــت غيــــر شــــكّ   خيــــر إمــــام وخيــــر هــــاد
إن كـــان حـــبّ الوصـــيّ رفضـــاً   فـــــإنّني أرفــــض العبـــــاد

ونقل الإمام فخر الدين الرازي: إنّ المزني قال: قلت للشافعي: إنّك رجل توالي أهل البيت، فلو عملت في هذا الباب أبياتاً، فقال:

ومـا زال كتمانيـك حتـى كـأنّني   بـردّ جـواب السـائلين لأعجـم
وأكـتم ودّي مـع صـفاء مـودّتي   لتسـلم مـن قـول الوشـاة وأسـلم

وروى البيهقي أيضاً عن المزني، قال: سمعت الشافعي ينشد هذه الأبيات:

إذا نحــن فضّــلنا عليــاً فإنّنــا   روافض بالتفضيل عند ذوي الجهل
وفضـل أبـي بكـر إذا مـا ذكرتـه   رُميت بنصب عند ذكري للفضل
فلا زلت ذا رفض ونصب كلاهما   بحبيهمـا حتـى أوسّـد فـي الرمـل

وروى البيهقي أيضاً عن الربيع بن سليمان، قال: أنشد الشافعي:

يا راكباً قف بالمحصّب من منى   واهتـف بسـاكن خيفهـا والنـاهض
سحراً إذا فاض الحجيج إلى منى   فيضـاً كملـتطم الفـرات الفـائض
إن كـان رفضـاً حـبّ آل محمّـد   فليشـهد الـثقلان أنّـي رافضـي

وقال الحافظ جمال الدين الزرندي المدني في كتابه معراج الوصول في معرفة آل الرسول: نقل أبو القاسم الفضل بن محمّد المستملي: أنّ القاضي أبا بكر سهل بن محمّد حدّثه، قال: قال أبو القاسم بن الطيب: بلغني أنّ الشافعي ـ رحمه الله ـ أنشد هذه الأبيات:

وممّا نفى نومي وشيّب لُمتي ... تصاريف أيام لهن خطوب
تأوّب همّي والفؤاد كئيب ... وأرّق عيني والرقاد غريب
تزلزلت الدنيا لآل محمّد ... وكادت لهم صُم الجبال تذوب
فمن مبلغ عنّي الحسين رسالة ... وإن كرهتها أنفس وقلوب
قتيل بلا جرم كأنّ قميصه ... صبيغ بماء الأرجوان خضيب
نصلّي على المختار من آل هاشم ... ونؤذي بنيه إن ذاك عجيب
لئن كان ذنبي حبّ آل محمّد ... فذلك ذنب لست عنه أتوب
هم شفعائي يوم حشري وموقفي ... وبغضهم للشافعي ذنوب»[1]

ودونك الينابيع أيضاً بصحيفة ٣٥٦ ما نصّه في الأبيات الآتية قال: «وقد نسب ابن عبد البرّ هذه الأبيات ـ التي تأتي ـ إلى سليمان بن قَتة[*] التابعي أنشأها حين وقف على مصارع الحسين عليه السلام وأهل بيته رضي الله عنهم، وجعل يبكي ويقول:

(١) ينابيع المودة، للقندوزي ٣: ٩٧ ـ ٩٩ باب٦٢.

(*) بفتح القاف وتائين من فوق، وهي أُمه.

مـررت علـى أبيـات آل محمّـد ... فلـم أرهـا أمثالهـا يـوم حلّـت
وإنّ قتيـل الطـفّ مـن آل هاشـم ... أذل رقابـاً مـن قـريش فـذلّت
فـلا يبعـد الله الـديار وأهلهـا ... وإن أصبحت منهم برغمي تخلّت
ألـم تـر أنّ الأرض أضـحت ... لفقـد حسـين والـبلاد اقشـعرت
وقد أبصرت تبكي السماء لفقده ... وأنجمهـا ناحـت عليـه وصـلّت
وكـانوا لنـا غيثـاً فعـادوا رزيّـة ... لقد عظمت تلك الرزايا وجلت»[(١)]

وكفاك ما نصّ به القرآن في سورة الدخان في البكاء على الحسين عليه السلام بقوله تعالى: ﴿**فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاء وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ**﴾[(٢)]، وفي الصافي بصحيفة ٤٢٦ في بيان تفسير قوله تعالى: ﴿**فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ...**﴾ الآية[(٣)].

والقمّي عن أمير المؤمنين عليه السلام: أنّه مرّ عليه رجل عدوّ لله ولرسوله، فقال عليه السلام: « ﴿**فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاء وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ**﴾ ثمّ مرّ عليه ابنه الحسين بن علي عليه السلام فقال: «لكن هذا لتبكين عليه السماء والأرض».

(١) ينابيع المودة، للقندوزي ٣: ١٠٠، في إيراد مدائح الشافعي.

(٢) الدخان (٤٤): ٢٩.

(٣) تفسير الصافي، للفيض الكاشاني ٤: ٤٠٧ تفسير سورة الدخان.

وقال عليه السلام: «وما بكت السماء والأرض إلّا على يحيى بن زكريا(*) عليهما السلام

(*) وفي الصافي بصحيفة ٢٩٧ ما نصّه في أول سورة مريم عليها السلام:

«قوله تعالى: ﴿كهيعص﴾ قال: وفي الإكمال عن الحجّة القائم عليه السلام في حديث أنّه سُئل عن تأويلها، فقال عليه السلام: «هذه الحروف من أنباء الغيب، أطلع الله عبده زكريا عليه السلام عليها، ثمّ قصّها على محمّد صلى الله عليه وآله، وذلك أنّ زكريا سأل ربّه أن يعلّمه أسماء الخمسة، فأهبط الله سبحانه وتعالى عليه جبرئيل عليه السلام فعلّمه إيّاها. فكان زكريا إذا ذكر محمّداً وعلياً وفاطمة والحسن عليهم السلام سرى عنه همّه وانجلى كربه، وإذا ذكر الحسين عليه السلام خنقته العبرة، فقال ذات يوم: إلهي ما بالي إذا ذكرت أربعاً منهم تسليت بأسمائهم من همومي وإذا ذكرت الحسين عليه السلام تدمع عيني وتثور زفراتي؟

فأنبأه تبارك وتعالى عن قصته، فقال: ﴿كهيعص﴾ مريم (١٩): ١، فالكاف اسم كربلاء، والهاء هلاك العترة، والياء يزيد لعنه الله وهو ظالم الحسين عليه السلام، والعين عطشه، والصاد صبره.

فلمّا سمع بذلك زكريا عليه السلام لم يفارق مسجده ثلاثة أيام، ومنع فيها الناس من الدخول عليه، وأقبل على البكاء والنحيب وكانت ندبته: إلهي تفجع خير خلقك بولده؟ أتنزلُ بلوى هذه الرزيّة بفنائه؟ إلهي أتلبس علياً وفاطمة عليهما السلام ثياب هذه المصيبة؟ الهي أتحلّ كرب هذه الفاجعة بساحتهما؟

ثمّ كان يقول: إلهي ارزقني ولداً تقرّ به عيني عند الكبر، واجعله وارثاً وصيّاً، واجعل محلّه منّي محلّ الحسين عليه السلام، فإذا رزقتنيه فأفتنّي بحبّه، ثمّ أفجعني به كما تفجع محمّداً حبيبك بولده، فرزقه الله سبحانه وتعالى يحيى عليه السلام وفجعه به، وكان حمل يحيى عليه السلام ستّة أشهر وحمل الحسين عليه السلام كذلك».

وفي المناقب عنه عليه السلام مثله.

وفي الصافي أيضاً ما نصّ به عن القمّي: لم يكن يومئذٍ لزكريا عليه السلام ولد يقوم مقامه ويرثه، وكانت هدايا بني إسرائيل ونذورهم للأحبار، وكان زكريا رئيس الأحبار، وكانت امرأة زكريا أخت مريم عليها السلام ابنة عمران بن ماثان، وبنو ماثان إذ ذاك رؤساء بني إسرائيل وبنو ⇦

وعلى الحسين بن علي عليهما السلام[1].

وفي المجمع عن الصادق عليه السلام، قال: «بكت السماء على يحيى بن زكريا عليه السلام وعلى الحسين بن علي عليه السلام أربعين يوماً بالدم، ودمها حمرتها»[2].

وفي ينابيع المودّة ما نصّه، عن المجمع عن الحجّة القائم عليه السلام: «ذبح يحيى عليه السلام[*] كما ذبح الحسين عليه السلام، ولم تبك السماء والأرض إلّا

⇨

ملوكهم، وهم من ولد سليمان بن داود عليه السلام، فلمّا دعا زكريا ربّه فاستجاب له ؛ لقوله تعالى: ﴿**يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا**﴾ (مريم(١٩): ٧)، وإنّما تولّى تسميته تشريفاً له».

وقال القمّي: لم يسمّ باسم يحيى أحد قبله.

(١) تفسير علي بن إبراهيم القمّي ٢: ٢٩١ سورة الدخان.

(٢) تفسير مجمع البيان ٩: ١٠٦ ، تفسير الأصفى ٢: ١١٥٤ سورة الدخان.

(*) وفي كامل ابن الأثير بصحيفة ١٠٤ من الجلد الأول ما نصّه: لمّا بعث الله عيسى رسولاً، نسخ بعض أحكام التوراة، فكان ممّا نسخ أنّه حرّم نكاح بنت الأخ، وكان لملكهم ـ واسمه هيرودس ـ بنت أخ تعجبه يريد أن يتزوّجها، فنهاه يحيى عليه السلام عنها، وكان لها كلّ يوم حاجة يقضيها لها، فلمّا بلغ ذلك أمّها قالت لها: إذا سألك الملك ما حاجتك؟ فقولي: أن تذبح يحيى ابن زكريا عليه السلام، فلما دخلت عليه وسألها ما حاجتك؟

قالت: أريد أن تذبح يحيى.

فقال لها : سلي غير هذا.

⇦

عليهما»[(١)].

وفي ينابيع المودة بصحيفة **٣٥٦** ما نصّه: وفي سورة الدخان قوله تعالى: ﴿**فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاء وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ**﴾: وعن الثعلبي ما رواه عن السدي، قال: لمّا قتل الحسين بن علي عليهما السلام بكت السماء عليه، وبكاؤها حمرتها»[(٢)].

وفي الينابيع أيضاً في الصحيفة المذكورة ما نصّه: «وحكى ابن سيرين: أنّ الحمرة لم تر قَبل قتله.

وعن سليم القاضي قال: أمطرتنا السماء دماً أيام قتله.

⇦

قالت: ما أسألك غيره.

فلمّا أبت الملعونة دعا بيحيى فذبحه، فلما رأت الرأس قالت: اليوم قرّة عيني، فصعدت إلى سطح قصرها فسقطت منه إلى الأرض، ولها كلاب ضارية تحته، فوثبت الكلاب عليها فأكلتها وهي تنظر، وكان آخر ما أكل منها عيناها لتعتبر.

وأما ما رواه الدينوري في قصصه بصحيفة ٣٤٤ ما نصّه: إنّ الملك هيردوس لعنه الله أمر على يحيى أن يذبح من قفاه، كما ذبح الحسين بن علي عليه السلام يوم الطف، لعنة الله على من قتلهما وأمر بقتلهما من الآن إلى يوم الدين.

(١) ينابيع المودّة ٣: ١٠٢ باب٦٢.

(٢) ينابيع المودّة ٣: ١٠١ في تفسير بعض الآيات والأحاديث الواردة في كثرة ثواب من بكى على الحسين وأهل بيته عليهم السلام.

وعن إبراهيم النخعي، قال: خرج علي بن أبي طالبعليه السلام، فجلس في المسجد واجتمع أصحابه، فجاء الحسين، فوضع يده على رأسه، فقال: يا بنيّ، إنّ الله ذمّ أقواماً في كتابه ، وتلا الآية المتقدّمة الذكر، وقال: يا بنيّ، لتقتلن من بعدي، ثمّ تبكيك السماء والأرض، وما بكت السماء والأرض إلّا على يحيى بن زكرياعليه السلام، وعلى الحسين ابني»[١].

وفيه أيضاً في الصحيفة المذكورة ما نصّه: وعن كثير بن شهاب الحارثي، قال: بينا نحن جلوس عند عليعليه السلام في الرحبة، إذ طلع الحسينعليه السلام، قالعليه السلام: «إنّ الله ذكر قوماً بقوله تعالى: ﴿ **فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاء وَالْأَرْضُ**﴾ والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ليقتلن هذا، ولتبكينّ عليه السماء والأرض»[٢].

وفيه: وعن الصادقعليه السلام قال: «قاتل الحسين وقاتل يحيىعليهما السلام كانا ولدا زنا، وقد احمرّت السماء حين قتل الحسين ويحيىعليهما السلام، وحمرتها بكاؤها»[٣].

وفيه: عن ابن عباس: «إنّ يوم قتل الحسين قطرت السماء دماً، وإنّ هذه الحمرة التي في السماء ظهرت يوم قتله ولم تر قبله، وإن أيام قتله لم يرفع حجر في الدنيا إلّا وجد تحته دم»[٤].

---

(١)ينابيع المودّة ٣: ١٠١.

(٢)المصدر السابق ٣: ١٠١ باب ٦٢.

(٣) المصدر السابق ٣: ١٠١.

(٤) المصدر السابق ٣: ١٠٢ باب٦٢.

وفي العقدين ما نصّه: «عن ابن أيوب : أنّ رجلاً من أهل الشام كان مارّاً في الكوفة، فعثر على حجر أحمر وعليه سطران، فحقّق النظر منه فإذا عليه مكتوب:

أنا درّ من السماء نثروني يوم تزويج والد السبطين
كنت أصفى من اللجين بياضاً صبغتني دماء نحر الحسين»[1]

وفي ينابيع المودة بصحيفة ٣٥٦ ما نصّه، وفي ذخائر العقبى: عن ابن عباس مرفوعاً: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «أخبرني جبرئيل عليه السلام أنّ الله سبحانه وتعالى قتل بدم يحيى[*] بن زكريا عليه السلام سبعين ألفاً، وهو قتل بدم ولدك

---

(١) راجع: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، للهاشمي الخوئي ٦: ١٠٤ في ذكر طائفة من طرائف الكلم وظرائف الحكم.

(*) وفي الصافي بصحيفة ٧٥ ما نصّه: عن الصادق عليه السلام ما ملخّصه: قال: لما عملت بنو إسرائيل بالمعاصي وعتوا عن أمر ربّهم، أراد الله أن يسلّط عليهم من يذلّهم ويقتلهم، فأوحى الله إلى إرميا: يا إرميا ما بلد انتخبته من بين البلدان وغرست فيه من كرائم الشجر، فاخلف فانبت خرنوباً.

فأخبر إرميا أحبار بني اسرائيل، فقالوا له: راجع ربّك ليخبرنا ما معنى هذا المثل؟

فصام إرميا سبعاً، فأوحى الله إليه: يا إرميا، أمّا البلد فبيت المقدس، وأمّا ما أنبت فيها فبنوا إسرائيل الذين أسكنتهم فيها فعملوا بالمعاصي وغيّروا ديني وبدّلوا نعمتي كفراً، حلفت لامتحنهم بفتنة يظلّ الحكيم فيها حيراناً، ولأسلطنّ عليهم شرّ عبادي ولادة وشرّهم طعاماً، فيقتل مقاتيلهم، ويسبي حريمهم، ويخرّب بيتهم الذي يعمرون به، ويلقي حجرهم الذي يفتخرون به على الناس في المزابل مائة سنة.

فأخبر إرميا أحبار بني إسرائيل، فقالوا له: راجع ربّك فقل له: ما ذنب الفقراء والمساكين والضعفاء؟

فصام إرميا، ثمّ أكل أكلة فلم يوح إليه شيء، ثمّ صام سبعاً وأكل أكلة فلم يوح إليه شيء، ثمّ ⇦


صام سبعاً فأوحى الله إليه: يا إرميا، لتكفن عن هذا أولأردن وجهك إليَّ.

فقال: ثمّ أوحى الله إليه: قل لهم لأنكم رأيتم المنكر فلم تنكروه.

فقال إرميا: ربّ أعلمني مَن الذي تسلّطه على بني إسرائيل حتى آتيه وآخذ لنفسي وأهل بيتي منه أماناً؟

فأوحي له: ائت موضع كذا وكذا، فانظر إلى غلام أشدّهم زماناً، وأخبثهم ولادة ، وأضعفهم جسماً، وأشرّهم غذاءً فهو ذاك.

فأتى إرميا ذلك البلد، فإذا هو بغلام في خان زمن ملقى على مزبلة وسط الخان، وإذا له أمّ تربّيه بالكسر، وتفتّت الكسرة في القصعة، وتحلب عليه خنزيرة لها، ثمّ تدنيه من ذلك الغلام فيأكل، فقال إرميا: إن كان في الدنيا الذي وصفه الله فهو هذا، فدنا منه، فقال له ما اسمك؟

فقال: بختنصر، فعرف أنّه هو ، فعالجه حتى برئ، ثم قال له: تعرفني؟

قال: لا، أنت رجل صالح.

قال: أنا إرميا نبيّ من بني إسرائيل، أخبرني الله سبحانه وتعالى أنّه سيصلّطك على بني إسرائيل فتقتل رجالهم وتفعل بهم ما تفعل.

قال: فتاه الغلام في نفسه، في ذلك الوقت.

ثمّ قال إرميا: اكتب لي كتاباً بأمان منك، فكتب له كتاباً.

وكان الغلام يخرج في الليل إلى الجبل يحتطب ويدخله المدينة ويبيعه، فدعا إلى حرب بني إسرائيل وكان مسكنهم في بيت المقدس، وأقبل بختنصر فيمن أجابه نحو بيت المقدس وقد اجتمع إليه بشر كثير، فلمّا بلغ إرميا توجّه بختنصر إلى بيت المقدس استقبله على حمار له ومعه الأمان الذي كتبه له بختنصر، فلم يصل إليه إرميا من كثرة جنوده وأصحابه، فصيّر الأمان على خشبة ورفعها، فقال له: من أنت؟

فقال: أنا إرميا النبي الذي بشرتك بأنّك ستسلّط على بني اسرائيل، وهذا أمانك لي.

قال له: أمّا أنت فقد أمنتك، وأما أهل بيتك فإنّي أرمي سهمي من هاهنا إلى بيت المقدس، فإن وصلت رميتي إلى بيت المقدس فلا أمان لهم عندي، وإن لم تصل رميتي فهم آمنون، ونزع قوسه ورمى نحو بيت المقدس، فحملت الريح النشابة حتى علّقتها إلى بيت المقدس.


⇦
فقال: لا أمان لهم عندي.

فلمّا وافى بختنصر نظر إلى جبل من تراب وسط المدينة، وإذا دم يغلي وسط المدينة، وكلّما ألقى عليه التراب خرج وهو يغلي، فقال ما هذا يا بني إسرائيل؟

قالوا: هذا دم نبيّ كان لله، فقتله ملوك بني إسرائيل ودمه يغلي، وكلّما ألقينا عليه التراب خرج حتّى يغلي.

فقال بختنصر: لأقتلنّ بني إسرائيل أبداً حتى يسكن هذا الدم. وكان ذلك الدم دم يحيى بن زكرياعليه السلام، وكان في زمانه ملك جبار يزني بنساء بني إسرائيل، وكان يمرّ بيحيى بن زكرياعليه السلام، فقال له يحيى: اتق الله أيّها الملك لا يحلّ لك ذلك، فقالت له المرأة التي من اللواتي يزني بهنّ الملك حين سكرهِ: أيّها الملك اقتل يحيى، فأمر أن يأتي برأسه، فأتي برأس يحيىعليه السلام في الطست، وكان الرأس يكلّمه ويقول: لا يحلّ لك هذا ، ثمّ غلى الدم في الطست حتى فاض إلى الأرض فخرج يغلي ولا يسكن.

وكان بين قتل يحيىعليه السلام وخروج بختنصر مائة سنة ، ولم يزل بختنصر يقتلهم، وكان يدخل قرية قرية فيقتل الرجال والنساء والصبيان وكلّ حيوان والدم يغلي، حتى أفناهم عن آخرهم.

فقال: أبقي أحد في هذا البلاد!

قالوا: عجوزة واحدة في موضع كذا وكذا، فبعث إليها فضرب عنقها على ذلك الدم، فسكن الدم والغيلان، وكانت آخر من بقي.

ثمّ ارتحل إلى بابل وأسر دانيال ومن معه ، وقصّتهم مفصّلة، وليس هذا موضع ذكرها.

وناهيك ابن الأثير في كامله بصحيفة ١٠٤ بعد أن ذكر قصّة يحيى تفصيلاً إلى أن قال: إنّ بختنصر هو الذي خرّب بيت المقدس، وهو الذي قتل بني إسرائيل عند قتلهم يحيى بن زكرياعليه السلام ، فلم يزل يقتل بهم حتى قتل سبعين ألفاً وسكن الدم، وعند سكونه كفّ عنهم، كما أخبر به النبيصلى الله عليه وآله بقوله: إنّ الله سبحانه وتعالى قتل بدم يحيى سبعين ألفاً.

الحسين عليه السلام سبعين ألفاً أخرجه الملاّ في سيرته»[١].

وفيه أيضاً ما نصّه: وفي تفسير علي بن إبراهيم عن الباقر عليه السلام، قال: «كان أبي علي بن الحسين عليهما السلام يقول: أيّما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين بن علي عليه السلام دمعاً حتّى تسيل على خدّه، بوّأه الله بها في الجنّة غرفاً يسكنها أحقاباً، وأيّما مؤمن دمعت عيناه دمعاً حتى تسيل على خدّه لأذى مسّنا من عدوّنا في الدنيا بوّأه الله مبوّء صدق في الجنة، وأيّما مؤمن مسّه أذى فينا فدمعت عيناه حتى تسيل دمعه على خدّيه من مضاضة ما أُوذي فينا، صرف الله عن وجهه الأذى وآمنه يوم القيامة من سخطه ومن النار»[٢].

بكائي طويل والدموع غزيرة وأنت بعيد والمزار قريب
أروح بغمّ ثمّ أغدوا بمثله كئيباً ودمع المقلتين سكوب
فللعين منّي عبرة بعد عبرة وللقلب منّي رنّة ونحيب

وفيه أيضاً ما نصّه: وفي تفسير علي بن إبراهيم عن جعفر بن محمّد عليه السلام قال: «مَن ذكرنا أو ذكرنا عنده فخرج من عينه دمع مثل جناح بعوضة غفر الله له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر»[٣].

---

(١) ينابيع المودّة ٣: ١٠٢ باب ٦٢.

(٢) تفسير علي بن إبراهيم القمّي ٢: ٢٩٢ ثواب بكاء الحسين عليه السلام.

(٣) المصدر السابق ٢: ٢٩٢.

وفي ينابيع المودة أيضاً بصحيفة ٣٥٧ ما نصّه: «وفي جواهر العقدين: قال أبو الحسن بن سعيد في كنوز المطالب في فضائل بني أبي طالب: إنّ الشعراء يشتغلون ببغداد(*) بمشهد الكاظمي عليه السلام في مدح أهل البيت، وأنكر بعض من غلب عليه التعصّب والتقليد، فقلت هذه الأبيات:

(*) وفي القاموس بصحيفة ١٠٣ ما نصّه في حرف الدال: بغداد وبغذاذ، بمهملتين ومعجمتين وتقديم كلّ منهما، وبغدان مدينة السلام، وبتغدد انتسب اليها تشبه بأهلها. انتهى.

وأمّا ما ذكره محمّد بن علي بن طباطبا، المعروف بابن الطقطقي، صاحب الفخري بصحيفة ١١٧ ما نصّه: في أسمائها يقال: بغداد وكان هناك موضع يسمّى بغداد، فسميت المدينة باسمه ويقال: بغذاذ بالذال المعجمة، ويقال: الزوراء، وكان موضعها يسمى الزوراء قديماً، وقيل: لأنّ قبلتها غير مستقيمة يحتاج المصلّي في مسجدها الجامع أن ينحرف إلى جهة اليسار قليلاً، ويقال: مدينة المنصور، ويقال: دار السلام، وقيل: إنّها مدينة مباركة مسعودة لم يمت فيها خليفة قط. فمدينة المنصور هي بغذاذ القديمة، وهذه بغداد التي هي الجانب الشرقي استجدت بعد ذلك.

قال الدينوري في كتابه المعروف الأخبار الطوال في الطبعة الأولى سنة ١٣٣٠ بمطبعة السعادة بمصر في صحيفة ٣٦٢ ما نصّه: إنّ أبا جعفر المنصور أحبّ أن يبني لنفسه وجنوده مدينة؛ ليتخذها داراً لملكة فسار بنفسه يرتاد الأماكن حتى انتهى إلى بغداد، وهي إذ ذاك قرية يقوم بها سوق في كلّ شهر، فأعجبه المكان، فخطّ لنفسه وحشمه ومواليه وولده وأهل بيته المدينة وسمّاها مدينة السلام، وبنى قصره وسطها إلى المسجد، ثمّ خطّ لجنوده حول المدينة، وجعل أهل كلّ بلد من خراسان في ناحية منها منفردة، وأمر الناس بالبناء، ووسّع اليهم في النفقات، وأمر فحفر نهر الفرات من ثمانية فراسخ، وفوهة النهر من دمما، فأجرى إلى بغداد ليأتي فيها مواد الشام والجزيرة، كما تأتي مواد الموصل وما اتصل بالموصل في دجلة، وكان بناؤه إياها في سنة ١٣٩هـ انتهى.

⇦

يـا أهـل بيـت المصـطفى عجبـاً لمـن　　　يـــأبى حـــديثكم مـــن الأقـــوام
والله قـــد أثنـــى علـــيكم قبلهـــا　　　وبهـــديكم شـــدّت عـــرى الإســـلام
الله يحشـــر كـــلّ مَـــن عـــاداكم　　　يـــوم الحســـاب مزلـــزل الأقـــدام
ويـــرى شـــفاعة جـــدّكم مـــن دونـــه　　　ويـذاد عـن حـوض طريـداً ظـامي»[(١)]

وروى الثعلبي في تفسيره بصحيفة ٧٧ عقيب ذكر حديث الخمسة أهل الكساء: «قال منصور ابن أبي يحيى الفقيه:

إن كـــان حبّـــي خمســـة　　　زكّـــت بهـــم فرائضـــي
وبغـــض مـــن عـــاداهم　　　رفضـــاً فـــإنّي رافضـــي»[(٢)]

وفـي ينـابيع المـودة بصـحيفة ٢٢ مـا نصّـه: وفـي جـواهر العقـدين عـن حذيفة ابن اليماني رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: «أيّها الناس، إنّه

⇨

وقال ابن الأثير في كامله بصحيفة ٢٠٧ من المجلد ٣ في الجزء ٢ منه ما نصّه : ابتدأ المنصور في بناء مدينة بغداد ، وسبب ذلك قد ابتنى الهاشميّة بنواحي الكوفة في أوائل دولتهم، فلمّا ثارت الراونديّة فيها ، كره سكناها لذلك ، ولجوار أهل الكوفة أيضاً، فإنّه كان لا يأمن أهلها على نفسه، وكانوا قد أفسدوا جنده، فخرج بنفسه يرتاد له موضعاً، فاختار بغداد وأمر ببنائها سنة ١٤٥هـ

وقال أيضاً بصحيفة ٢١٢ ما نصّه: سنة ١٤٦هـ في صفر تحول المنصور من مدينة ابن هبيرة إلى بغداد، وقد ذكر أسماءها كما تقدّم الذكر بها.

(١) ينابيع المودّة ٣: ١٠٣ باب ٦٢.

(٢) المصدر السابق ٣: ١٠٣.

لم يعط أحد من ذرّية الأنبياء الماضين ما أُعطي الحسين عليه السلام، خلا يوسف ابن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام يا أيها الناس، إن الفضل والشرف والمنزلة والولاية لرسول الله صلى الله عليه وآله وذرّيته، فلا تذهبنّ بكم الأباطيل»[1].

وفيه أيضاً قوله صلى الله عليه وآله : «يا علي، لا يبغضك إلّا ولد زنا أو منافق أو ابن حيض»[2].

وأراك (ياسر حوب) اندفعت بمقالتك وضرب مثلك وتوجيه خطابك على أبناء وطنك ومفتتح كلامك، وعنوانه (ملة گريه)[*].

ما أدري ما أقول؟!

هل أقول: ما انصفت؟!

أم أقول: ما عرفت أيّها الغبيّ أنّ البكاء ليس مختصاً بإيران، وإنّما النوع البشري على اختلاف جنسه قد انطوى عليه؛ لما ينتاب بهلع وفزع، إلى أن تنتهي تلك الزفرات الباطنيّة المكمنة في خلال الأعراق والأعصاب تتصاعد إلى أعلى الأعضاء حتى تنتهي إلى العين فتنهمل منها دموعاً جارية على الخدود.

ولكن الأجدر والأوفق، بل الواجب الدينيّ والوطنيّ ـ إن كنت على معرفة حقائقهما بمقتضى ما أمضيت تحت مقالتك في جريدتك (...) وذلك

---

(١) المصدر السابق ٢: ٣٨٢ باب٥٨.

(٢) شرح الأخبار، للقاضي النعمان ١: ١٦٨ حديث ١٢٨ قريب منه.

(*) يراد به : أُمّة البكاء.

فلسفة الأحكام ـ تلزمك بإفاضة ما يكنّه ضميرك إلى الملأ؛ ليتطلّع حينئذٍ على أسرار فلسفة المدنيّة، المقصود منها عمران البلاد، ووقوف الأُمّة على العلوم والتجلّي الآن عليه من الحد بعمله.

وهو أنّ بعض أبناء الأُمة الإيرانية في هذا اليوم قد اندفعت في تيّارها الجارف الرهيب إلى ما هو ألزم وأوجب عليك انتقاده، لمثابرة العمل على الملاهي المختلطة الأنواع، كالخمر والميسر وما أشبه ذلك المنصوص بتحريمها، وتخلّقهم على غير الطبيعة الدينيّة، وعدم تنظيم قواعد المملكة وتنزيه أصول القانون الذي عليه مدار الاقتصاد المادي والأخلاقي، ما هما بدرى البلاد مدنيّة وحضارة، اللذان بهما تعرف ماهيّة الأمّة ما تكون بإزائهما من الوقوف على معارف الأشياء بعللها الطبيعيّة المطلوبة تحصيلها، سيما نزاهة الضمير الذي به يأتلف الإنسان مع نظيره في تعيّشه وعمله بالمصالح النافعة للهيئة العامة، وجريان أصول العدل على منصّة الحكم، ومنه يحصل وجوب ما كان للدولة على الرعيّة وللرعية على الدولة.

ونرى اليوم أنّ بعض أبناء الشرق الناشئة على غير أدب ومعرفة، قد خاضوا بحور الجهالة والخمالة، غير ناقدة عليهم أقلام ممّا تسنّم عرش المعارف وكيان منار الحكمة بما هم مشغولون به من تهوّراتهم التي غير مرضيّة لدى القوانين المدنيّة والأحكام الشرعيّة، من بروزهم وتشغالهم إلى ميادين اللهو والطرب، غير عارفين بوخامة ما ينتج من ذلك بما للمملكة من الجهل والغباوة.

وإنّ البعض المنحط مَن لا مبدأ له ولا دين من الشبيبة العصرية، مازالوا متهوّرين ومنتقدين على أحكام المذهب والدين، غير عارفين وعالمين بحقائقهما، ما يكون من ورائهما جلاءً لمعنوية الحضارة والمدنيّة، سوى أنّهم يرون القصف والترف هما أصل التمدّن ومعنويّة الحضارة.

ولو كانوا واقفين على حقائقهما لما وقعوا في هذا اليوم في حضيرة الذلّ والهوان، وذلك أقول: إنّ أيّ إنسان من أيّ طبقة كانت، آمرة أو مأمورة، عالمة أو جاهلة، كبيراً أو صغيراً، قابض على زمام الحكم المذهبي الشيعي الجعفري، لما جرى التنقيد إلى هنا على غير وقوف بمعارف الأحكام الدينيّة، إلّا اللهمّ يريد النضر بذلك نزع أقمصة الأحكام عن بدنه، ولبس ثوب الخزي والشنار، ولا يرتكب ذلك إلّا من لا شرف له ولا دين.

وأيّ نفر منهم مؤتلف مع الآخر، إلاّ والحقد مكمن بين جنبيه لصاحبه، يريد إيقاع الشرّ به. وهناك يلفظون الكلام الباطل، يرمون به محو حقائق التنزيل، وما أُتي به النبيّ الأمين صلى الله عليه وآله، وما حدّثت به الأئمة الطاهرين عليهم السلام.

وكلّ ذاك نشأ على عدم وقوف الأُمة على معارفها الدينيّة منها والمدنيّة، ولم نرَ ناساً يردع تلك المختلقات الوهميّة المنبعثة من مراكز الجهل، وبالأخصّ ما نثرت على صفائح ضمائرها بذور النفاق، وغرست على بسيطة فاكرتها أصول الشقاق، ما دعت الأُمّة خائضةً في مختلف الكلمة وتخطئة أعمال ما يودئ باسم المذهب والشعائر الدينيّة، وينبذون ما كان هو لازم بل واجب ردعه ونفيه وإزالته عن وجه الحقيقة، التي لازالت

أشعّتها مرسلة على نواحي سكان القارة المحترمة إيران، متجلّية بأبهى نور مما جاء به صاحب الحكمة الآلهية محمّدﷺ ألا وهل بقي شيء هناك ممّا يلزم به عمله وأداؤه لما يعود ثمره للمنفعة العامة، كيف وقد جاء بما كان أو يكون إلى قيام يوم الدين.

ودونكم الحكمة بضروبها، وقواعد الأحكام بأصنافها، ومباني المعارف بأنواعها، ما تنطق وما تنصّ.

ألم يكن أوّلاً على الإنسان معرفة دينه؟

ثانياً: تدقيق ما يلتزم به من واجب ومندوب؟

وثالثاً: تقويم مناره ومشروعه لدى سكان المعمورة حتى يقفوا على حقائق الحضارة وما هي، وعلى فلسفة المدنيّة وما مبناها، حينئذٍ يقدر كلّ عمل من أعمال الأمّة الشيعيّة وكلّ ما تقوم به من الواجب والمندوب؛ ليعلم بذلك كيف تكوّنت معارف الأُمم وأصول مدنيتها.

وليس العجب من كلماتك التي تزعم بها تقدمة لخدمة وطنك المحبوب، وما أمليت بها إلّا ما تروم به نفسك من إيقاع الهوان على روّاد الكمال والعلم وأولي الفضيلة، وتخطئ جريان ما نصّت به الآيات القرآنية والأخبار المرويّة عن الأسانيد الصحيحة المارة الذكر.

ولكنّ العجب من قلمك كيف جرى على أبناء وطنك ومذهبك مستهزءاً بهم، ومخّطئاً لأعمالهم البارة، التي بها تشيّدت الفرقة الجعفريّة،

وامتدّت قواعد الأحكام بتسديدها إلى يومنا هذا، منذ زمن آل بويه والسادة الصفويّة، كما مرَّ ذكرهم.

والمتأمّل في أحوالك ونشر مقالتك، يرى أن قولك بهتاناً وزوراً، ويحصل له العلم فيك بأنّك خرجت عن المحجّة البيضاء، والمروق من الولاء للأئمة النجباء عليهم السلام، ولله درّ القائل:

مضل الورى أنت وابن السعود شريكان في كلّ أمر فضيع
أتيتَ بها شوهةً بوهةً تكاد تشيب تذال الرضيع
وجئتَ بعلمك هذا الشنيع ولم ترع حقّ النبيّ الشفيع
فحرّمت أنت عزاء الحسين وهدّم ذاك قبور البقيع

ويحسن هنا بمناسبة هذه الأبيات المدروجة المتضمّنة على معاني بليغة، أن أذكر لك أيها القارئ الكريم المراقد الطاهرة التي أمر بهدمها الطاغية النجدي المشار إليه في الزعامة الوهابيّة في العصر الحاضر، ورعاعه السفلة الطغام أوغاد الأعراب وغوغاء الأنام، قد هتكوا ستر الحشمة، وأبرزوا صفحة الوقاحة، وكشفوا وجه العداوة لأنبياء الله وأوليائه، ووقفوا في محو آثارهم وأطفاء أنوارهم على ساق.

المراقد المهدومة في مكّة ومايليها والبقيع وما يليه

وإليك أيّها الناظر أسماء المراقد الشريفة التي هدمها الوهابيّون بأمر من الطاغية، ما في مكّة المعظّمة وخارجها، وما في البقيع وخارجه:

فدونك مكّة المشرفة أولاً:

١ـ محلّ ميلاد النبيّ صلى الله عليه وآله في سوق الليل، في القرب من دار إمارة الشريف.

٢ـ وهدم دار سيّدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام.

٣ـ وهدم الحجر المعروف بمزار أبي بكر الصديق.

٤ـ وقبر أم المؤمنين عائشة زوجة النبيّ صلى الله عليه وآله.

وأما قبور بني هاشم رضوان الله عليهم، في المعلاّ الكائنة خارج مكة: على بعد ميلين:

٥ـ قبر شيبة الحمد عبد المطلب رضي الله عنه جدّ النبي صلى الله عليه وآله.

٦ـ ومنها قبر آمنة بنت وهب رضي الله عنها أُمّ النبي صلى الله عليه وآله.

٧ـ ومنها قبر أبي طالب رضي الله عنه.

٨ـ ومنها قبر أم المؤمنين خديجة الكبرى بنت خويلد رضي الله عنها ، زوجة النبيّ صلى الله عليه وآله، وما أشبه ذلك من قبور بني هاشم والشهداء رضوان الله عليهم.

٩ـ ومن القباب المهدومة قبر الطاهرة جدّتنا حواء في جدّة.

وإليك أيضاً بيان هدم المراقد الشريفة ما في البقيع والمساجد الخارجة عن المدينة المنورة.

الأولى: قبة أهل البيت عليهم السلام المحتوية على مراقد سيّدة النساء البتول العذراء فاطمة الزهراء، ومراقد الأئمة الأربعة:

١ـ الحسن السبط، وزين العابدين علي بن الحسين، ومحمّد الباقر، وابنه جعفر الصادق عليهم السلام.

٢ـ وقبر العباس بن عبد المطلب، وبعد هدم القباب المقدّسة درست الضرائح.

٣ـ وقبة سيّدنا إبراهيم ابن النبيّ صلى الله عليه وآله.

٤ـ وقبة أزواج النبيّ صلى الله عليه وآله.

٥ـ وعمّات النبي صلى الله عليه وآله.

٦ـ وحليمة السعدية، مرضعة النبيّ صلى الله عليه وآله.

٧ـ وسيّدنا إسماعيل ابن الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام.

٨ـ وأبي سعيد الخدري.

٩ـ وفاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين عليه السلام.

١٠ـ وسيّدنا عبد الله بن عبد المطلب، والد المصطفى صلى الله عليه وآله داخل المدينة.

١١ـ وسيّدنا حمزة بن عبد المطلب، عمّ النبيّ صلى الله عليه وآله خارج المدينة.

١٢ـ وعلي العريضي ابن الإمام جعفر بن محمّد عليه السلام، خارج المدينة.

١٣ـ وقبّة زكي الدين، خارج المدينة.

١٤ـ ومالك أبي سعيد، من شهداء أُحد، داخل المدينة.

١٥ـ ومصرع سيّدنا حمزة عمّ النبي صلى الله عليه وآله، خارج المدينة.

١٦ـ وعثمان بن عفان في البقيع.

١٧ـ وسيّدنا عقيل بن أبي طالب عليه السلام.

١٨ـ وبيت الأحزان لفاطمة الزهراء عليها السلام، والمساجد التي كان رسول الله صلى الله عليه وآله يتعبّد فيها: كمسجد المتكأ، ومرمى الثنايا، وغيرهما بالقرب من سيّدنا حمزة، والمساجد التي قريباً من مسجد الشجرة، ومنع أهل فدك دفن أمواتهم خارج مسجد الشمس أو القرب إليه، فما أجرأ أُولئك الطغاة على هتك حرمة رسول الله وأهل بيته الطيّبين وصحبه الطاهرين؟!

ألم يعلموا أنّ الله تعالى قد أمرهم بمودّة القربى في محكم كتابه المجيد، قائلاً: ﴿**قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ** ...﴾ الآية؟![1].

أفبهدمهم لقبور أولاده يريدون أن يقوموا بمظاهر المودة في قرباه؟!

---

(١) الشورى (٤٢): ٢٣.

أم بنهبهم ما فيها يريدون أن يدفعوا له الأجر عن جهاده في سبيل تبليغ رسالاته؟!

اللهمّ إنّ فضائعاً كهذه لمما تضيق عنها مواضع الصبر من قلوب عبادك المؤمنين، فبعينك اللهمّ ما تقترفه هذه الطائفة الباغية والفرقة الضالة الوهابية، التي تلبّست بلباس الدين وهي عارية منه، وادّعت الإسلام وهي مارقة عنه؛ لهتكها حرمات الدين، واستباحتها دماء المسلمين، ورميها بالكفر والشرك كافّة مَن سواهم من الموحّدين المؤمنين.

وقد اغتنمت الفرصة من تشتّت كلمة المسلمين، فاستولت على أعظم مشاعرهم، وهي القبلة التي يؤمونها، والكعبة التي يقصدونها على الحرمين الشريفين، اللذين لا جامع للمسلمين أجمع منهما ، ولا محلّ أرفع منهما.

واعلم (يا سرحوب)، أهم المبادئ التي تسير عليها الأُمم وتعتبر لديها منار التأريخ وعماد الحضارة، المبادئ الدينيّة، فلها من الشأن مالا يوصف، ولا ينبغي لنا أن ننسى أنّ جميع النظامات السياسيّة والتدبيرات الاجتماعيّة قامت منذ بداية التاريخ على معتقدات دينيّة، وأنّ الدين أسرع مؤثّر في الأخلاق، لايدانيه مؤثّر إلّا الحبّ، وحبّ الحسين وآبائه عليهم السلام ديني ودين آبائي وكافة المسلمين؛ لقوله تعالى: ﴿ **وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا** ﴾[1] أي من يقترف محبّة آل الرسول صلى الله عليه وآله نزد له في متابعته لهم في

(١) الشورى (٤٢): ٢٣.

طريقهم حسناً؛ لأنّ تلك المحبّة لا تكون إلّا لصفاء الاستعداد، ونقاء الفطرة، وذلك يوجب التوفيق لحسن المتابعة لهم وقبول الهداية منهم إلى مقام المشاهدة، فيصير صاحب المحبّة من أهل الولاية، ويحشر معهم يوم القيامة.

وحسبك أبيات الكميت(*) شاعر أهل البيت عليهم السلام من هاشمياته الأنيقة، سيّما البائية منها التي يقول في أولها:

(*) وفي روضات الجنّات أواخر ج٤ في صفحة ٥٣٥ و٥٣٦ و٥٣٧ ما نصّه: ولد الكميت بن زيد ابن خنيس بن مجالد، أبو السهيل الأسدي الكوفي سنة ٦٠هـ، ومات سنة ١٢٦هـ، وكان من أفاخم الشعراء الماجدين، وأماجد البلغاء الراشدين، معدوداً من سفراء مولانا الإمام الباقر عليه السلام وخاصّته، مشكوراً عند الطائفة بنصّ العلاّمة الحلّي رحمه الله في خلاصته، مشيّد المذهب الحقّ بلسانه، وقيل: إنّه دخل على أبي جعفر الباقر عليه السلام وهو يقول:

ذهب اللذين يعاش في أكنافهم لم يبق إلّا شامت أو حاسد

وبقى على ظهر البسيطة واحد فهو المراد وأنت ذاك الواحد

وقال بعض المؤلّفين: كان في الكميت عشر خصال لم تكن في شاعر: كان خطيب أسد، وفقيه الشيعة، وحافظ القرآن، وثبت الجنان، وكان كاتباً حسن الخطّ، وكان نسّابة، وكان جدلاً، وهو أوّل من ناظر في التشيّع، وكان رامياً لم يكن في بني أسد أرمى منه، وكان شجاعاً، وكان فارساً، وكان سخياً.

وروى ابن عساكر قال: كان عمّ الكميت رئيس قومه، فقال يوماً: يا كميت، لم لا تقول الشعر؟ ثمّ أخذه فأدخله الماء، فقال له: لا أخرجك منه أو تقول الشعر، فمرّت به قنبرة وهو في الماء فأنشد متمثّلاً:

يا لك من قنبرة بمعبر خلا لك الجو فبيصي واصفري

ونقّري ما شئت أن تنقري

فقال له عمّه ورحمه: قد قلت شعراً؟ فقال هو: لا أخرج أو قول لنفسي، فما رام حتى أنشأ ⇦

طربت وما شوقاً إلى البيض أطرب ولا لعباً منّي وذو الشيب يلعب

إلى قوله:

ولكن إلى أهل الفضائل والنُّهى وخير بني حوّاء والخير يطلب

إلى النفر البيض اللذين يحبّهم إلى الله فيما نابني أتقرّب

بني هاشم رهط النبيّ فانّني بهم ولهم أرضى مراراً وأغضب

فمالي إلّا آل أحمد شيعة ومالي إلّا مذهب الحقّ مذهب

بأيّ كتاب أم بأية آية[*] تأولها منّا تقيّ ومعرب

على أيّ جرم أم بأيّة سيرة أعنّف في تقريضهم وأكذّب

ألم ترني من حبّ آل محمّدٍ أروح وأغدوا خائفاً أترقب

فطائفة قد أكفرتني بحبّهم وطائفة قالت: مسيء ومذنب[1]



القصيدة المشهورة، وهي أوّل شعره، ثمّ غدا على عمّه فقال: أجمع لي العشيرة ليسمعوا، فجمعهم له، فأنشده: طربت وما شوقاً إلى البيض أطرب.

وقال المبرّد: وقف الكميت وهو صبيّ على الفرزدق وهو ينشد، فلما فرغ قال: يا غلام أيسرّك أنّي أبوك؟

قال: أمّا أبي فلا أريد به بدلاً، ولكن يسرّني أن تكون أمّي.

وقال ابن عساكر: ما جمع أحد من علم العرب ومناقبها ومعرفة أنسابها ما جمع الكميت، مَن صحّح الكميت نسبه صحَ ومَن طعن فيه وهن.

(*) هي آية: ﴿**قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ**﴾.

(١) وردت هذه الأبيات في حكاية مع الفرزدق. راجع الأمالي للسيّد المرتضى ١: ٤٧ في ذكر شيء من أخبار وأشعار الفرزدق.

وأنت إذا تدبّرت أيّها الغبيّ في لباب بعض ما فتحنا لك بابه ودللناك عليه، تعرف جلياً أنّ ولاية أهل البيت ومودّتهم وفضلهم ومزاياهم من ضروريات الشريعة الإسلاميّة.

ولو أردنا أن نذكر لك الحجج والأدلّة والأخبار الواردة من الفريقين في رجحان البكاء والجزع واللطم واللدم على خامس أهل العباء وسيّد الشهداء عليه السلام، لأفنينا الطوامير.

ولو أنّ ما في الأرض من شجرة أقلام، والبحر يمدّه سبعة أبحر، ما نفدت الأخبار الواردة في رجحان العزاء واللطم على الحسين عليه السلام، ولكنّ الكفايّة فيما سلف.

وإن كنت ذا حسّ ووجدان، عرفت قيام تلك الواجبات الدينيّة والقوانين الإسلاميّة والشعائر الجعفريّة والدعائم المذهبيّة بالمآتم الحسينيّة قياماً طبيعياً حقيقياً، أرشدت إليه الأئمة عليهم السلام، لزمك الالتزام بوجوبها كفاية إن كنت مسلماً وملتزماً بالشرائط الإسلاميّة كما تزعم ﴿**وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾[1].

---

(١) القصص (٢٨): ٧٧.

وقال جلّ شانه: ﴿وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[١].

إن مَن يعتدي ويكسب إثماً وزن مثقال ذرة سيراه
ويجازى بفعله الشرّ شرّاً وبفعل الجميل أيضاً جزاه
هكذا قوله تبارك ربّي في إذا زلزلت وجلّ ثناه[٢]

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[٣].

﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾[٤].

ويا هل ترى أنّ يراعك حين جرى بتلك المجاري الفاسدة، وخاض في تلك السيول الهائلة، قد غابت عنه الحكمة في الأنوار الحسينية والشعائر الإسلاميّة والعقائد الجعفريّة؟!

---

(١) الأعراف (٧) : ٥٦.

(٢)وردت هذه الأشعار في تفسر أبي الفتوح الرازي ٢٠: ٣٦٩.

وفي تفسير الثعلبي ١٠: ٢٦٧، وتفسير القرطبي ٢٠: ١٥٢ ضمن تفسير سورة الزلزلة، والشعر لأبي بكر أحمد بن محمّد بن إبراهيم الحواربي.

(٣) فصّلت (٤١): ٤٦.

(٤) سورة ص (٣٨): ٢٦.

أيريد يراعك حين جرى بتلك المجاري الفاسدة، وخاض في تلك السيول الهائلة، قد غابت عنه الحكمة في الأنوار الحسينية والشعائر الإسلاميّة والعقائد الجعفرية؟!

أيريد يراعك أن يكون الناس أُمّة واحدة، وأن يدينوا بدين أهل الضلال، فينقلبوا على أعقابهم؟! هيهات هيهات خسر المبطلون وفاز المؤمنون!

ولكن أفلا سنح لك النظر إلى ما نصّ به صاحب الخصال عن علي عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من لم يحبّ عترتي لإحدى ثلاث: إمّا منافق، وإمّا لزنية،وإمّا امرئ حملت به أمّه في غير طهر»(١) .

فنستجير ونعوذ بك اللهمّ من ذلك، ونقسم عليك بأسمائك الحسنى وكُنه ذاتك أن لا تجعلنا من الجاحدين، واجعلنا من المحبّين لعترة نبيّك محمّد صلى الله عليه وآله، والمتمسّكين بولائهم، والمبغضين لأعدائهم من الأوّلين والآخرين.

وليكن هذا آخر ما أردنا إيراده وبيانه في هذا الجزء الأول من هذه الرسالة، وأرجو من فضل المولى أن ينفعك ما ألقيت إليك، وأن تكون ممّن تذكّر فتنفعه الذكرى.

وحسبي بالله شهيداً أنّي في جوابي هذا ما رفعت ووضعت القلم، إلّا وأنا في أشدّ سأم وبرم، اليراعة تنمق السطور، وزند يتقادح في الصدور،

---

(١) الخصال، للشيخ الصدوق: ١١٠، ح٨٢.

ولكنّها الحقيقة ـ يا أخا الفرس ـ أبت إلّا أن تتجلّى وتظهر، ولا تسع لها ظروف الكتمان في أيّ الظروف والأزمان، الحقيقة كالنار المودعة في العود أو الحجر يتطاير عند الاحتكاك والصدام لا محالة منها الشرر.

ولعمر الحقيقة أنّ الانتصار ليس من التعصّب في شيء، ولئن كان فهو من التعصّب للحقّ الذي بودّنا أن نكون من أهله، وأن لا نكون من المتساهلين فيه.

ويشهد الله سبحانه وتعالى إنّي لم أسق كلماتي هذه إليك إلّا على صفاء طويّة، وخلوص نيّة، وخدمة للحقيقة، وغيرة على الفضيلة. وأنا واثق أنّك سوف تعدّ هذه الذكرى منّي كلمة صحيحة، لا تخرج عن دائرة النصيحة.

والله سبحانه أسال وإليه أرغب، أن يجمع كلمتنا على الهدى، ويلمّ شعث هذه الأمّة التي أضاعت رشدها ففقدت مجدها، ولا حول ولا قوة إلّا بالله، ولله أمر هو بالغه ﴿**خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ**﴾[1].

قد تمّ بمنّه وكرمه ما أردنا جمعه وبيانه في الجزء الأول، تحقيقاً للمنفعة العامّة وتنبيهاً للغافلين لمورد الداء الدفين، وبذلت الجدّ في جمع ما اقتبسته من كتب يعتمد عليها، ترجع العلماء في تحقيقاتهم إليها، ويليه الجزء الثاني من الأنوار الحسينيّة، وأوله: خروج المواكب اللاطمة.

---

(١) المطفّفين (٨٣): ٢٦.

(١١)

الأنوار الحسينيّة والشعائر الإسلاميّة

تأليف

الشيخ عبد الرضا كاشف الغطاء

(ت١٣٨٧هـ)

الجزء الثاني

الأنوار الحسينيّة والشعائر الإسلاميّة

الجزء الثاني

في المواكب اللاطمة، وضرب الطبول، وصدح الأبواق، وقرع الطوس، وضرب الرؤوس بالسيوف والقامات، والظهور بالسلاسل، ومواكب الشبيه والتمثيل، وغير ذلك ممّا يختصّ بالحسين عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾[١].

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[٢].

وحمداً لله ومجداً، صلاةً وسلاماً على سيّد الأنبياء والمرسلين وخاتم النبيّين محمّد، وأهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراW.

وبعد، فهذا الجزء الثاني من الأنوار الحسينيّة والشعائر الإسلاميّة، في بيان المواكب العزائيّة المتجوّلة في الأزقة والجواد، وضرب الطبول وصدح الأبواق، وضرب الرؤوس والظهور، ومواكب الشبيه والتمثيل، وغير ذلك ممّا يختصّ بالحسين عليه السلام، وإليك بيانه:

---

(١) الأعلى (٨٧): ١٨.

(٢) التوبة (٩): ٣٢.

القول في خروج مواكب اللطم في الشوارع

﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾[1] .

ولا ريب ولا إشكال ولا شبهة ولا جدال في خروج مواكب اللطم في الطرقات والمجامع، والتجوّل في الأزقّة والشوارع، عراة الصدور والظهور، يضربون رؤوسهم وصدورهم بأيديهم، نادبين إمامهم وشفيعهم خامس أهل العبا وسيّد الإباء وزعيم الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام، بهيئة محزنة تفجّعاً وتوجّعاً وتذكاراً لصدور مرضّضة ورؤوس مقطّعة، لأول مراتب القيام بواجب المودّة في القربى المسؤول عنها؛ لأنا مأمورون بمحبّتهم، وفرض الله علينا مودّتهم بقوله تعالى: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ إلى آخر الآية[2].

---

(١) القلم (٦٨): ٥٢.

(٢) الشورى (٤٢): ٢٣.

ونحن مسؤولون عن ودّهم وموالاتهم، والتبري من أعدائهم بقوله تعالى: ﴿ **وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ** ﴾[١] .

وحسبك ما رواه الكافي بسند موثوق ما نصّه: وعن علي عليه السلام، قال: «فينا في (آل حم) آية: أنّه لا يحفظ مودّتنا إلّا كل مؤمن»[٢] ثمّ قرأ الآية السالفة الذكر.

وفي العلل عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «هذه الآية نزلت فينا خاصّة في أهل البيت، في عليّ وفاطمة والحسن والحسين أصحاب الكساء عليهم السلام»[٣].

وناهيك ممّا رواه الصافي بصحيفة ٤٢٨ ما نصّه: عن الحسن المجتبى عليه السلام أنّه قال في خطبته: «إنّا من أهل بيت افترض الله مودّتهم على كلّ مسلم، حيث يقول: ﴿**قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا**﴾[٤] فاقتراف الحسنة مودّتنا أهل البيت»[٥].

---

(١) الصافّات (٣٧): ٢٤.

(٢) شواهد التنزيل، للحاكم الحسكاني ٢: ٢٠٥ رقم ٨٣٨.

(٣) في الكافي ٨: ٩٣ حديث٦٦ عن إسماعيل بن عبد الخالق، قلت: جعلت فداك، إنّهم يقولون: إنّها لأقارب رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال عليه السلام: «كذبوا، إنّما نزلت فينا خاصّة في أهل البيت...» الحديث.

(٤) الشورى (٤٢): ٢٣.

(٥) مسائل علي بن جعفر: ٣٢٨، حديث ٨١٧.

وفي الكافي أيضاً عن الباقرعليه السلام في هذه الآية ، قال: «من تولّى الأوصياء من آل محمّدعليهم السلام واتّبع آثارهم، فذلك يزيده ولاية مَن مضى من النبيّن والمؤمنين الأولين، حتى تصل ولايتهم إلى آدمعليه السلام»[١].

وعنهعليه السلام: «الاقتراف للحسنة هو التسليم لنا والصدق علينا ـ أو التصديق بأحاديثنا ـ وأن لا يكذّب علينا»[٢].

وفي عيون الأخبار والكافي، وكذا ما رواه الفقيه الشافعي في كتابه بإسناده إلى جابر بن عبد الله، وكذا الدينوري في غريب الحديث بصحيفة ٥٥، فالكلّ على نهج واحد في الرواية ما نصّها عن النبيصلى الله عليه وآله: «إنّ الله سبحانه وتعالى خلق الأنبياء من شجر شتّى، خلقنا وعليّاً من شجرة واحدة، فأنا أصلها، وعليّ فرعها، والحسن والحسين ثمارها، وأشياعنا أوراقها، فمن تعلّق بغصن من أغصانها نجى، ومَن زغى هوى، ولو أنّ عابداً عبد الله ألف عام، ثمّ ألف عام، ثمّ ألف عام، ثمّ لم يدرك محبّتنا أهل البيت أكبّه الله على منخريه في النار، ثمّ تلا: ﴿**قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ** ...﴾»[٣].

وأعد نظرةً إلى ينابيع المودة بصحيفة ١٠٦ في الباب ٣٢ في تفسير قوله تعالى: ﴿ **قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ** ...﴾ ما نصّه: «أخرج أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: لمّا نزلت :

---

(١) الكافي ٨: ٣٧٩، حديث ٥٧٤.

(٢) مختصر بصائر الدرجات: ٧٢، اقتراف الحسنة هو التسليم للأئمّةعليهم السلام.

(٣) شواهد التنزيل، للحسكاني ١: ٥٥٣ رقم ٥٨٨.

﴿**قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾ قالوا: يا رسول الله، مَن هؤلاء الذي وجبت لنا مودتهم؟ قال ﷺ: «علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام»[1].

وروى الثعلبي في تفسيره بهذه الألفاظ والمعاني، ومن ذلك ما رواه البيضاوي بهذه الألفاظ والمعاني بصحيفة ٣٩٧ من تفسيره، ومن ذلك ما رواه البخاري في صحيحه في الجزء ٥ على حدّ كراسين ونصف من أوّله، بهذه الألفاظ والمعاني السالفة الذكر.

ومن ذلك ما رواه مسلم في صحيحه على حدّ كراسين من أوّله، ما نصّه عن سعيد بن جبير: أنّها في «قربى آل محمّد (صلّى الله عليه وسلم)»[2].

ومن ذلك ممّا روته العلماء في الجمع بين الصحاح الستّ في الجزء ٢ من أجزاء أربعة في تفسير (المودة) من طرقٍ شتّى، كلّها في آل محمّد ﷺ[3].

ومن ذلك في ينابيع المودة أيضاً بصحيفة ١٠٦ بعد إسناده ما نصّه: إنّ رسول الله ﷺ قال: «إنّ الله تعالى جعل أجري عليكم المودّة في القربى، وإنّي سائلكم غداً عنهم»[4].

---

(١) ينابيع المودّة ١: ٣١٥ حديث ١: باب ٣٢.

(٢) صحيح البخاري ٦: ٣٧ تفسير سورة حم السجدة، مسند أحمد بن حنبل ١: ٢٨٦ مسند عبد الله ابن عباس، عمدة عيون صحاح الأخبار، لابن البطريق : ٤٨ ، حديث ٣٥.

(٣) راجع المصادر السابقة.

(٤) ينابيع المودّة ٢: ١٢٠ حديث ٣٥١.

وفيه أيضاً بعد إسناده عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، لا يزول قدم عبد يوم القيامة حتى يُسئل عن عمره فيما أفناه، وعن ماله ممَ كسبه، وفيم أنفقه، وعن حبّنا أهل البيت»(١).

فتبصّر أيها المنتقد وتفكّر بالأخبار الواردة من الفريقين، إنّ الله سبحانه وتعالى أوجب علينا محبّتهم وأمرنا بمودّة قربى نبيّه وأهل بيته عليهم الصلاة والسلام، وجعل مودّتهم فرضاً على جميع المسلمين.

ولمّا كانت مودّتهم على طريق التحقيق والبصيرة موقوفة على معرفة فضائلهم ومناقبهم، وهي موقوفة على مطالعة كتب التفاسير والأخبار الواردة والأحاديث التي هي المعتمد بين أهل السنّة والجماعة.

ولو أردت أن أذكر لك أخبار الفريقين في تفسير المودّة من الصحاح الستّة كالبخاري وصحيح مسلم وما أشبه ذلك، لطال المقام وكلّت الأقلام، ولكن الكفاية فيما تقدّم ذكره من الأخبار والآيات والأحاديث والروايات إن كنت ذا لبٍ ووجدان.

ولعمر الحقّ، إنّ اختراق المواكب المحزنة المشجية في الطرقات والجماعات النائحة اللاطمة على الرؤوس والصدور، من الأعمال المندوبة والشعائر المحبوبة، وإنّما التجوّل في الأزقة والشوارع أبلغ في إظهار الحزن من البكاء والجزع واللطم واللدم بين جدران البيوت وإن تجاوزت حدود الآداب، غير أنّ ذلك لا يوجب تحريم التجوّل في السبل والمذاهب.

---

(١) المصدر السابق ١: ٣١٦، حديث٦.

ولكنّ الواجب على محبّ الإصلاح أن يتحرّى مواضع النقص من تلك الأعمال الشريفة، ثمّ يسعى جهده في إصلاحها بكلّ ما أوتيه من قوّة ورباطة جأش، وليس له في أيّة شريعة سماويّة أو وضعيّة أن يقذفها بالكراهة بل التحريم، أو يكون سبباً لهتكها على صفحات الجرائد، سيّما وأنّ القيام بتلك الأعمال من القيام بواجب (المودّة) في (القربى)، ومن الحزن والمواساة لهم، كما تقدّم سالف الذكر بصحيفة ٥ من هذه الرسالة في الجزء الأول.

ولو أراد الشيعة أن يحبسوا اللطم بين جدران البيوت وحيطان الدور، لخسروا أكثر أغراضهم التي يرمون إليها من وراء تلك المظاهرات الدينيّة، فإذن لا اعتبار لمنعها كما تقدّم لك سالف الذكر.

على أنّ السيرة المستمرة منذ زمن آل بويه على مشهد ومسمع من أكابر أهل الدين، غير متبرّئين ولا منكرين، وبالأخص إذا جعل الوجه في منعه سخرية بعض المتفرّجين من أولئك اللاطمين، فإنّ سخرية الأغيار لو صحّ لنا أن نتخذها وجهاً للمنع عن كثير من العبادات التي يسخر منها مَن لا يعرفها من الأجانب، لاسيما مثل الحجّ الذي لا يكاد يعزب عن فكر المانع ما يوجد به من الأعمال المستغربة التي لا يمكن لشخص ما أن يقف على حكمها الكبيرة والصغيرة.

وليس الحجّ إلّا طواف حول بنية، وسعي وهرولة بين رابيتين، ووقوف على جبل، وهبوط في وادي، ورمي أحجار على أحجار، في هيئة مقرحة:

من كشف الرؤوس لحرّ الشمس، وتوفّر الشعر، وعرى البدن إلّا على نحو إزار ورداء.

ولا شكّ أنّ غير العارف برموزها وحكمها وأسرارها يستهزئ بها، ويعدّها ضرباً من الجنون والتوحّش، أفهل يصلح للعارف برموزها أن يمنع الرجل المسلم عن الحجّ، أو عن التظاهر بشيء من عباداته المشروعة بما يجلبه عليه من سخرية الأعداء واستهزاء الغرباء؟!

ولقد وقع الاستهزاء جهاراً بتلك المناسك العالية الأسرار الدقيقة الحكم، والسخرية بها من قبل الماديّين الأقدمين، كعبد الكريم ابن أبي العوجاء وأمثاله، وخلّدت كتب الحديث إنكارهم والاستهزاء بالحجّ بخصوصه على الإمام الصادق عليه السلام وإنكار المتأخّرين أظهر من ذلك.

وناهيك الكتب المؤلّفة منهم للاستهزاء بالحجّ بخصوصه أيضاً، كيف والأنبياء عليهم السلام لم ينهضوا بنشر دعوتهم الإلهيّة إلّا بين هزو المستهزئين وسخرية المستسخرين.

وما من ملّة على وجه الأرض إلّا ولها من الأعمال والشعائر ما تسخر منه سائر الملل الأُخرى، فهل بلغك لحدّ اليوم أنّ ملّة من تلك الملل أضربت عن القيام بشيء من أعمالها وشعائرها فراراً من سخرية الآخرين واستهزائهم؟!

وهذا لا يقتضي رفض الرسم الديني أو المذهبي أو غيرهما بين أهله، سيّما مثل الحزن والبكاء والمواكب اللاطمة والمتجوّلة والتمثيل الذي تجتني الشيعة من فوائده.

ولعمري ما استهزاء الأجانب وغيرهم إلّا كاستهزاء قريش وسائر مشركي العرب بصلاة رسول الله صلى الله عليه وآله، التي لم يعرفوا أسرارها ولم يذوقوا ثمارها، أفهل كان يلزمه أن يتركها وهي من شعائر دينه؟!

إنّ قريشاً لمّا سمعوا الإعلان بالأذان يوم فتح مكّة أنكروه وعدّوه فعلاً همجيّاً، وشبّهوه بنهيق الحمار؛ لارتفاعه وعلوّه، وزعموا أن لو كان أخفض من ذلك لكان أقرب إلى الوقار.

إذاً فلماذا لا نثبت من المبدأ أمام أُولئك الأجلاف، ثمّ نقول لهم كما قال نوح عليه السلام لقومه: ﴿**إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ**﴾[(١)].

وأمّا قولك (يا سرحوب) ـ ومَن ينضوي إليك من المنتقدين من أهل العقائد المتزلزلة والدسائس الباطلة ـ: بأنّكم تقيسون اللطم بالرقص، وتزعمون بافترائكم على أهل الأديان والمذاهب من فرق الإسلام وغيرها بأنّهم يتّخذونها هزواً وتمسخراً.

---

(١) هود (١١): ٣٨.

ومن المضحك المبكي أنّ الأجانب يُدركون ويُذيعون أسرار إقامة المآتم والتشبيهات المتداولة عند الشيعة، كما تقدّم لك من سالف ذكرهم بصحيفة ٣١ و٣٢ إلى ٣٥ من هذه الرسالة، وهي على عرفاء الشيعة مخفيّة.

إنّ الأجانب في جميع أنحاء المعمورة يقيمون حفلات التذكار سنوياً لكبار الحوادث، وينصبون التماثيل والهياكل في المحلاّت العموميّة لكبار الرجال؛ تخليداً لذكر الرجل، وتنبيهاً للجاهل به إلى معرفته، وما أبداه من اختراع أو بسالة أو فتح، أو قلب سلطة، أو مظلوميّة متناهية في العظم نحو مظلوميّة المسيح عليه السلام أو غير ذلك، فكيف يسخرون من شيء هم فاعلوه؟!

وإن قلت: الاستهزاء والسخرية من سائر فرق الإسلام على اختلاف مذاهبهم، فكيف يصدر منهم ذلك ولكلّ فرقة منهم عمل مخصوص؟!

وهذه الدعوى منك أيّها الغبي وممّن ينضوي إليك من أهل العقائد الفاسدة، تشهد ببطلانها البديهة والعيان.

إنّ أهل سائر المذاهب من فرق الإسلام لا يمكن لهم التمسخر بذلك وتكذيب الأخبار، ولا يمكن بغضهم لسيّد الشهداء عليه السلام، فإنّهم وإن لم يقولوا بإمامته إلّا أنّهم يشاركونا في القول بأنّه سبط نبيّهم صلى الله عليه وآله، ولا يعقل أن يكون أقلّ من اليهود حبّاً لنبيّهم، أو من النصارى الذين يعظّمون رسول ملك الروم.

وناهيك ما ذكره الدينوري في أخباره بصحيفة ٧٤، وكذا ابن الأثير في كامله ما نصّ الجميع: لما أتوا برأس الحسين عليه السلام إلى يزيد، فكان يتخذ

العود بمجالس الشراب، ويأتي برأس الحسين عليه السلام ويضعه بين يديه، ويشرب عليه، فحضر في مجلسه ذات يوم رسول ملك الروم، وكان من أشرافهم وعظمائهم ، فقال: يا ملك العرب، هذا رأس من؟

قال له يزيد : مالك بذلك حاجة؟

قال: إنّي إذا رجعت إلى ملكنا يسألني عن كلّ شيء رأيته، فأحببت أن اُخبره بقصّة هذا الرأس حتى يشاركك في الفرح والسرور.

فقال له يزيد: هذا رأس الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

قال: ومَن اُمّه؟

قال: فاطمة الزهراء بنت محمّد المصطفى صلى الله عليه وآله.

قال النصراني: أما تراني إذا حقّقت النظر إليه يقشعرّ جسمي، وأسمعه يقرأ الآيات من كتابكم، اُفٍّ لك ولدينك يا يزيد، ديني خير من دينك، اعلم أنّ أبي من أحفاد داود، وبيني وبينه آباء كثيرة، والنصارى يعظّموني ويأخذون من تراب أقدامي تبرّكاً بي، وأنتم تقتلون ابن بنت نبيكم رسول الله صلى الله عليه وآله، وما بينه وبينه إلّا اُمّ واحدة، فأيّ دين أنجس من دينكم؟!

أما سمعت يا يزيد بكنيسة الحافر(*)؟ يزعمون أنّه حافر حمار عيسى عليه السلام، يطوفون حولها تعظيماً للحافر، وأنتم يا يزيد تقتلون ابن بنت نبيكم، لا بارك الله فيكم وفي دينكم.

(*) وفي كامل ابن الأثير، والسير الملوكيّة ، والفخري، ما نصّ الجميع: إنّ بين عمّان والصين ⇦



بحر ليس فيه عمران إلّا بلدة واحدة في وسط الماء، طولها ثمانون فرسخاً وعرضها مثله، ما على الأرض بلدة أكبر منها، ومنها يحمل الكافور والياقوت وأشجارهم العود والعنبر، وهي في أيدي النصارى، لا ملك عليهم، وفيها كنائس كثيرة، لكن أعظمها كنيسة الحافر، وفي محرابها حقّ من ذهب معلّق، وفيه حافر يزعمون أنّه حافر حمار عيسى عليه السلام، وقد زخرفوا حول الحقّ بالذهب والديباج، يقصدون الكنيسة في كلّ عام جمع غفير من النصارى، يطوفون حولها ويرفعون حوائجهم إلى الله، وكلّ ذلك إكراماً لعيسى عليه السلام.

إنّ اليهود لحبّهم لنبيهم ... قد آمنوا من حادث الأزمان
وذوي الصليب بحب عيسى أصبحوا ... يمشون زهواً في قرى نجران
والمؤمنون بحبّ آل محمّد ... يرمون في الآفاق والنيران

ومن ذلك ما رواه صاحب ينابيع المودّة في صحيفة ٣٢٥ ما نصّه: ولمّا فعل يزيد برأس الحسين عليه السلام ما مرّ ذكره، كان عنده رسول قيصر، فقال متعجّباً: إنّ عندنا في بعض الجزائر كنيسة فيها حافر حمار عيسى عليه السلام، ونحن نحجّ إليه كلّ عام من الأقطار وننذر له النذور، ونعظّمه كما تعظّمون كعبتكم، فاشهد أنّكم على باطل.

وقال ذمّي آخر: بيني وبين داود النبيّ عليه السلام سبعون أباً، وأنّ اليهود تعظّمني وتحترمني، وأنتم قتلتم ابن نبيكم، أُفٍّ لكم ولدينكم.

ومن ذلك قول الطغرائي الشهير كما في ديوانه:

حبّ اليهود لآل موسى ظاهر ... وولائهم لبني أخيه بادي
وإمامهم من نسل هارون الأولى ... بهم أهتدوا ولكلّ قوم هادي
وكذا النصارى يكرمون محبّة ... لمسيحهم نجراً من الأعوادي
ومتى يوالي آل أحمد مسلم ... قتلوه أو شتموه بالإلحادي
هذا هو الدآء العضال لمثله ... ضلّت عقول حواضر وبوادي
لم يحفظوا حقّ النبيّ محمّد ... في آله والله بالمرصادي

فاغتاض يزيد، وقال: اقتلوا هذا النصراني لكيلا يفضحنا في بلاده، فلمّا أحسّ النصراني بالقتل فخرَّ ساجداً إلى الأرض شكراً لله تعالى على ما رزقه من الشهادة على دين الإسلام، ثمّ ضمّ الرأس إليه وهو يقول: إشهد لي عند ربّك وجدك وأبيك بأنّي أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّداً رسول الله، وأنّ عليّاً ولي الله، وإنّي أبرأ إلى الله من أعدائكم، فغاروا عليه بالسيوف وقطّعوه رحمة الله عليه[1].

وكيف يصدر منهم ذلك وقد تلاطمت كتب أهل السنّة والجماعة بالأخبار الصحاح عن النبيّ صلى الله عليه وآله الناطقة بالملازمة بين حبّ النبيّ وحبّ الحسين عليهما أفضل الصلاة والتحيّة، وبأنّه سيّد شباب أهل الجنّة، وجعله بأمر من الله مودّته ومودّة أبيه وأُمّه وأخيه وأولاده أجر الرسالة بنصّ الآية السالفة الذكر.

وكيف يصدر البغض منهم والاستهزاء، مع أنّ الفقيه الشافعي ـ الذي هو أحد عمدة مذهبهم ـ قد بالغ في حبّهم نظماً ونثراً، كما تقدّم لك بعض قوله فيهم عليهم السلام.

وإليك من قوله أيضاً بصحيفة ٤٧٤ من ينابيع المودة في حبّه لأهل البيت ما نصّه: قال محمّد بن إدريس الشافعي:

لو فتّشوا قلبي لألفوا به سطرين قد خُطّا بلا كاتب

(١) راجع: الفتوح، لابن أعثم ٥: ١٣٢، ومقتل الخوارزمي: ٦٩، واللهوف، لابن طاووس: ١١٠.

العـــدل والتوحيـــد فـــي جانـــب   وحـــبّ أهـــل البيـــت فـــي جانـــب[(١)]

وقال أيضاً:

يـــا أهـــل بيـــت رســـول الله حـــبّكم   فـــرض مـــن الله فـــي القـــرآن أنزلـــه

كفـــاكم مـــن عظـــيم القـــدر أنّكـــم   مـــن لـــم يصـــلّ علـــيكم لا صـــلاة لـــه[(٢)]

ولئن اتّفق بغضاً نادراً للحسين عليه السلام وأبيه وأُمّه وأخيه وبنيه عليهم الصلاة والسلام، فهو بمقتضى الأخبار المرويّة من طرقهم صحيحاً فضلاً عن طرقنا: الباغض لهم ابن زناء أو ابن حيض أو مطعون في إجانته، بل هو كافر ملحد بمقتضى أخبار الفريقين، الناطقة بأنّ من أبغض حسيناً فقد أبغض رسول الله صلى الله عليه وآله[(٣)].

فإنّ مبغض الرسول كافر بالأدلة الأربعة وبالصحاح الستّ، فكذا مبغض الحسين عليه السلام، وقد ورد في أخبار الفريقين صحيحاً مستفيضاً قول النبيّ صلى الله عليه وآله: «حسين منّي وأنا من حسين، لحمه لحمي، من أحبّ حسيناً فقد أحبّني، ومن أبغض حسيناً فقد أبغضني»[(٤)].

---

(١) ينابيع المودّة ٣: ٣٥١ باب ٨٧.

(٢) المصدر السابق ٢: ٤٣٤ في خلافة الحسن وفضائله ومزاياه وكرامته.

(٣) راجع بحار الأنوار ٤٥: ٣١٤ نقلاً عن بعض مؤلّفات أصحابنا.

(٤) ورد في النصوص بلفظ: «...حسين سبط من الأسباط» بدل «لحمه لحمي، من أحبّ حسيناً فقد أحبّني، ومن أبغض حسيناً فقد أبغضني».

الإرشاد للمفيد ٢: ١٢٧، وشرح الأخبار للقاضي النعمان ٣: ١١٢، وكامل الزيارات لابن قولويه: ١١٧ باب ١٥.

وقوله صلى الله عليه وآله: «لا يبغض أهل هذا البيت إلّا منافق»[(١)] ؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾[(٢)].

لو لم تكن في حبّ آل محمّد   ثكلتك أُمك غير طيّب المولد[(٣)]

وناهيك هذه الأبيات المنسوبة إلى الإمام محمّد بن علي بن الحسين عليه السلام ما نصّها في صحيفة ٢٣ من ينابيع المودة:

فنحن على الحوض روّاده   نذود ونسعد وراده

فما فاز مَن فاز إلّا بنا   وما خاب مَن حبنا زاده

ومَن كان كاتماً فضلنا   فيوم القيامة ميعاده[(٤)]

فمَن سرّنا نال منّا السرورا   ومن ساءنا ساء ميلاده

وكيف ينسب ذلك إليهم؟! وهم لا يزالون يذكرون الحسين عليه السلام ويلعنون قاتله، ويقيمون التذكارات العزائية في القارة الهندية، كما يشهد لهم العيان بذلك.

---

(١) صفة النفاق ونعت المنافقين لأبي نعيم الإصفهاني: ٤١ (بغض أهل البيت نفاق).

(٢) النساء (٤): ١٤٥.

(٣) ورد ضمن قصّة لمعاوية مع شيخ من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، ومحاجّة الشيخ إيّاه في أحقّية أمير المؤمنين عليه السلام ، يقول الشيخ :

أمعيّري في حبّ آل محمّد   حجر بفيك فدع ملامك أو ردّ

لو لم تكن في حبّ آل محمّد   ثكلتك أمّك غير طيب المولد

انظر: العقد النضيد والدرّ الفريد لمحمّد بن الحسن القمّي: ١٣٦ حديث: ٩٦.

(٤) ينابيع المودّة ١: ٨٠ حديث١٨، باب٣.

وكيف يصدر منهم ذلك، وإليك ما نصّ به الزمخشري في صحيفة ٦٧ من تفسيره في آية القربى، إلى أن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «مَن مات على حبّ آل محمّد مات شهيداً، ألا ومَن مات على حبّ آل محمّد مات مغفوراً له، ألا ومَن مات على حبّ آل محمّد مات تائباً، ألا ومَن مات على حبّ آل محمّد مات مؤمناً مستكمل الإيمان، ألا ومَن مات على حبّ آل محمّد بشّره ملك الموت بالجنّة، ثمّ منكر ونكير، ألا ومَن مات على حبّ آل محمّد يزفّ إلى الجنّة كما تُزفّ العروس إلى بيت زوجها، ألا ومَن مات على حبّ آل محمّد فتح له في قبره بابان إلى الجنّة، ألا ومَن مات على حبّ آل محمّد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة، ألا ومَن مات على حبّ آل محمّد مات على السنّة والجماعة، ألا ومَن مات على بغض آل محمّد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه: آيس من رحمة الله، ألا ومَن مات على بغض آل محمّد مات كافراً، ألا ومَن مات على بغض آل محمّد لم يشم رائحة الجنة»[1].

وبالجملة، فنسبة البغض للحسين عليه السلام إلى أهل السنّة والجماعة بهتان عليهم، أجارنا الله تعالى منه.

واعلم أنّ الدعوة الحسينيّة هتف بها المحبّ والمبغض، والمسلم والكافر، ولها أسرار ومنافع:

فمنها: تزيد في العمر، وتبارك في النسل.

---

(١) تفسير الزمخشري ٤: ٢٢٠ سورة الشورى.

ومنها: تزيد النماء في المال.

وحسبك القارة الهنديّة وغيرها على اختلاف الملل الموجودة بها في العصر الحاضر من سائر المذاهب من فرق الإسلام والوثنيين وغيرهم على اختلاف مذاهبهم، فإذا هَلَّ المحرّم تركوا المكاسب المعاشية وغلقوا الدكاكين وانشغلوا بإقامة العزاء على الحسينعليه السلام، فمنهم من ينوح، ومنهم من يخرج للطم وللدم، وترى الكلّ حفاة الأقدام، حاسرين الرؤوس، لاطمين الصدور، وترى الناس حيارى متفكّرين، وسكارى مدهوشين، وما هم بسكارى ولكن الرزء بالحسينعليه السلام عظيم، وهذه ثمرة المواكب المتجوّلة في الشوارع والمجامع.

وليس العجب بما تكلّمت به أولاً وثانياً، بل العجب العجاب من حضرة صاحب الجريدة الفارسيّة كيف يتغامض عن كلمات سمجة، تُدرج على صفحات جريدته الغرّاء، التي طالما كانت تنوّه في ترويج الشعائر الإسلاميّة والتذكارات الحسينيّة منذ عشرين سنة، ونرى في الحاضر أن ذلك المبدأ النزيه قد تحوّل إلى مبدأ وخيم، كأنّه مستمدّ من مبادئ ذوي الضلال، الذين يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم والله متمّ نوره ولو كره المشركون[1].

---

(١) إشارة إلى الآية ٣٢ من سورة التوبة.

فما كان حسباني به أن يمدّ يد المساعدة لذوي الضلال بنشر هذه الدسائس الباطلة، التي ما فتئت مثابرة على محو ما جاء به سيّد الرسل طهصَلَّىٰاللّٰهُعَلَيْهِوَآلِهِ، وما يقوّم دعائم أحكامه، ونفي ما للأئمّة الطاهرينعَلَيْهِمُالسَّلَامُ من الاستحقاق لتعظيم شعائرهم الزكيّة التي عليها مبنى اعتقادنا أنّها هي الوسيلة الوحيدة، بعد اعترافنا بتوحيد الجليل جلّ شأنه، والإقرار بنبوّة سيّد الكائنات محمّدصَلَّىٰاللّٰهُعَلَيْهِوَآلِهِ، وما نصّ به من الولاء والتمسّك بعترته الهادية، وأمرنا بمودّتهم بنصّ آية المودّة.

فيثبت لذوي البصيرة والبصر بقبوله نشر هكذا زخاريف على صحائف جريدته المعروفة (...)، أنّه هو المؤيّد لنشر هذه المبادئ الساقطة عن حوزة الحقّ واليقين، ولو لم يكن كذلك لما صوّب بنشر المقالتين تحت إمضاء المظلّ (...).

وبما أنّ الحقيقة دلّتنا على منطويات ما أراد به صاحب الجريدة، وذلك ما يقصد إلّا ترويج مذهب الوهابيّة(*) والاعتقاد بأراء مَن يحبّذ عدم قيد

(*) وإليك ما رواه صاحب (فرز العباد في المبدأ والمعاد) المطبوع بمطبعة النجف سنة ١٣٤٢هـ ما نصّه في صحيفة ٣٩، قال: إنّ أوّل من ابتدع هذه الشبهة أحمد بن تيميّة، وكان في حدود ٧٠٠ هـ معاصراً للعلاّمة الحلّيرَحِمَهُاللّٰهُ، ووقفت له على كتاب ضخم ردّ فيه على منهاج الكرامة الذي صنّفه العلاّمة في الإمامة، فوجدته كتاب سوء.

وكان من المجسّمة يزعم أنّ الله مستوٍ على عرش، ينزل إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل، وأنّ لله وجهاً ويداً وقدماً وساقاً وسمعاً وبصراً وصورة.

وهذه الشبهة الفاسدة بقيت مخبئة في صفحات الطروس، حتى ظهر في ابتداء القرن ١٣ رجل يدعى محمّد بن عبد الوهاب بن سليمان، وكان سليمان عائلاً من الرعاة، وكان قد رأى في ⇦

⇨

منامه أنّه بال فأصاب رشاش بوله جملة كثيرة من الناس، فعبّر له أنّه يولد له ولد يبتدع بدعة يضلّ بها جملة من أهل الأرض، حتى ولد نافلته محمّد بن عبد الوهاب.

فلمّا ترعرع ادّعى أنّه من ذريّة رسول الله ، وأنّه مرسل ليدعو الناس إلى توحيد الله بالنحو الذي ابتدعه ابن تيمية، بزعم أن لا توحيد سواه، فمن قبله كان موحّداً محفوظ النفس والمال ، ومَن لم يقبله يقتل وتستصفى أمواله، فتبعه على ذلك طلباً للسلطة عبد العزيز بن سعود، وكان من مشايخ عرب نجد، فأعان على انتشار هذا المذهب حتى استوعب القطر النجدي.

ثم ترتّب محمّد رئيساً دينياً للفتوى والحكم الديني، وترتّب ابن سعود رئيساً لحكم السيف والقوّة الإجرائيّة، وصارت ذريّة كلّ منهما إخواناً تتولّى ذلك إلى عصرنا الحالي.

وكان من عادة ابن سعود إذا غزى قوماً دعاهم إلى الاعتقاد بالقرآن على مذهب الوهابي، فمن أجاب أرسل إليه حاكماً يأخذ عشر رجاله بالقرعة فيضيفه لجيشه، ويأخذ أيضاً عشر أمواله ويضيفه لخراجه، ومَن لم يطع قاتله واستصفى جميع أمواله، واستعبد كلّ رجاله، فأطاعه جملة أهل البادية التي ما بين بحر القلزم الأحمر وخليج فارس وبادية سوريا.

واختار الدرعيّة الواقعة تجاه الجنوب الشرقي من البصرة قاعدة بلاده وعاصمة إمارته، وتواترت غاراته على مكّة والمدينة والشام ومصر، سيّما العراق، فإنّه عاث فيه بالقتل والنهب وحرق الزرع وإتلاف المواشي، بمالا يتناهى حدّه، حتى أنّه في سنة ١٢١٦ هجم على كربلاء وقتل حتى الأطفال وهدّ أركان الحضرتين، وهدم بعض البناء، وفعل الأفاعيل المخزية.

وفي ٩ صفر سنة ١٢٢١ هجم قبيل الصبح على النجف، حتى أنّ بعض أصحابه تسلق السور، فحاربه أهاليها وأفشوا القتل في جيشه، فرجع خائباً.

وفي جمادى الآخر سنة ١٢٢٢ هجم ليلاً على النجف أيضاً، وقد بلغهم خبره فوجدهم على حذر، فرجع عنهم وسار إلى كربلاء، وكثر القتل من الطرفين.

وفي ٨ رمضان سنة ١٢٢٥ أحاط بكربلاء والنجف، بعد أن قتل الجمّ الغفير من زوار النصف من شعبان، وهرب الباقون إلى الحسكة.

وقد كان أهل النجف قد أعدّوا لمحاربته العدد الناريّة، حتى أنّ في دورنا كانت جملة مخازن باروديّة وبنادق رصاصية وآلات رمي، ممّا اختزنها الجدّ الأعلى شيخنا الأكبر الشيخ جعفر الكبير  لدفاعه.

⇦

الإنسان بدين من الأديان، حتى يتسنّى له الإتيان بكلّ منكر، كي ينضوي إليه من لا نسب له ولا شرف.

وبهذه المناسبة أسوق إليك ـ أيّها الناظر ـ تأريخ ظهور الوهابي في نجد، وما أبدعه وأجراه، وذلك بسلسلة منه إلى عبد العزيز الفعلي المشار إليه، وقد أثبتته مجلّدات التأريخ على نحو الدقّة والإتقان، وسنذكر المعوّل عليها منها في ضمن البيان، والله ولي التوفيق وبه المستعان.

⇨

وبالجملة، إنّ النجف كانت على خطر عظيم من غاراته إلى أن جدّد السور (الصدر الأعظم) الإيراني الإصفهاني محمّد حسين خان بتاريخ سنة ١٢٢٢ (يك برج زقلعى نجف نه فلك است).

الوهابي النجدي وترجمة آل السعود

وأمّا نجد، طالما وردت فيه الأخبار والأحاديث المرويّة عن سيّد البشر طهﷺ، وما يختصّ بذمّه، ولعمر الحقّ لقد وجدت الحقيقة بما ذكرﷺ، ودونك صحيح البخاري في ج٢ جزء٤ صحيفة ١٦٢ من الطبعة الأُولى، بالمطبعة الخيريّة بمصر سنة ١٣٠٤هـ ما نصه:

حدّثنا عبد الله بن محمّد، حدّثنا هشام بن يوسف، عن معمر، عن الزهري، عن سالم، عن أبيه ، عن النبيﷺ أنّه قام إلى جنب المنبر، فقال: «الفتنة ها هنا الفتنة ها هنا، من حيث يطلع قرن الشيطان» أو قال: «قرن الشمس»[1].

وفيه أيضاً بسنده عن ابن عمر، أنّه قال: ذكر النبيﷺ: «اللهمّ بارك لنا في شامنا، اللهمّ بارك لنا في يمننا».

---

(١) صحيح البخاري ٨: ٩٥ كتاب الفتن.

قالوا: وفي نجدنا؟ قالﷺ: «اللهمّ بارك لنا في شامنا، اللهمّ بارك لنا في يمننا».

قالوا: يا رسول الله، وفي نجدنا؟ فأظنّه قال في الثالثة: «هناك الزلازل والفتن وبها يطلع الشيطان»[(١)].

ومن ذلك ما روي في صحيح مسلم[(٢)] وغيره من الصحاح.

وناهيك صاحب الرحلة الحجازيّة في صحيفة ٨٧ ما نصّه في بيان الوهابيّة وترجمة محمّد بن عبد الوهاب، وبيان عقيدته الفاسدة، قال الفاضل محمّد لبيب البتنوني في رحلته المارة الذكر، طبع مصر سنة ١٣٢٧ هجريّة:

كان في سنة ١١٤٢ من الهجرة ظهر رجل من عرب بادية الشام، ابتدع بدعة جديدة في الدين الاسلامي ، وأخذ يذيع عقيدته، ولقد تجاوز فيها الحدّ الذي ذهب إليه أحمد بن حنبل، بل تغالى في بعض الأمور غلوّاً كبيراً، وأخذ يمرّ على أحياء العرب حيّاً بعد حيّ، يذيع عقيدته، حتى أتبعه خلق كثير من الناس، وما زال يزداد مريدوه (محبّوه) ويكثر تابعوه حتى قوى أمره وخافته البادية.

ولمّا قربت أشهر الحجّ أرسل إلى شريف مكّة الشريف مسعود بن سعيد بن سعد بن زيد ٢٠ رجلاً من قومه ليعرضوا عليه مذهبه، ويستأذنوا له

---

(١) المصدر السابق: ٩٥.

(٢) صحيح مسلم ٨: ١٨٠ و١٨١ باب الفتنة من المشرق من حيث يطلع قرنا الشيطان، مسند ابن حنبل ٢: ٢٣ مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب.

في حجّ بيت الله الحرام، فأمر بالقبض عليهم وسجنهم وحكم بكفرهم، ففرّ منهم نفر إلى الدرعيّة، وهي إذ ذاك قصر الوهابي، وأخبروه بما حصل.

وذكر صاحب الرحلة أيضاً: فاستمر مع قومه ممنوعين عن الحجّ إلى سنة ١٢٠٥هـ، وكان إذ ذاك في إمارة مكة الشريف غالب، فاستأذنوه في الحجّ فأبى، فقامت لذلك الحرب بينهم، ورغماً عن موت محمّد بن عبد الوهاب في سنة ١٢٠٧هـ، فإنّ الحرب مازالت رحاها دائرة بينهم إلى سنة ١٢١٣هـ، وحصل في انتهائها ١٥ واقعة كانت الحرب فيها سجالاً، إلّا في الأخيرة التي تسمّى «غزوة الخرمه» لقد كان فيها النصر للوهابيين.

وفي هذه السنة تمّ الصلح بين الشريف غالب وعبد العزيز بن سعود زعيم الدرعية، الذي كان يقوم بنصرة الوهابي رغبةً في اتساع ملكه، حتى ضخم وكاد يستولي على أطراف جزيرة العرب بتمامها، وتجدّدت بهذا الصلح منطقة نفوذ كلّ من الطرفين، وسمح الشريف للوهابيين بالحجّ في سنة ١٢١٤هـ فحجّ سعود بن عبد العزيز ومعه خلق كثير.

ثمّ حجّ في عدد عظيم من قومه سنة ١٢١٥هـ، وفيها حدثت منافرة بين عربان الشريف وقوم سعود، أدت إلى استئناف الحرب بينهما ١٣ موقعة، استولى الوهابي في الأخيرة على الطائف سنة ١٢١٧هجرية، وفي غضون هاتين السنتين قد غزى سعود الوهابي كربلاء، كما مرّ الذكر في غزواته على العراق[1].

(١) راجع كتاب البهجة التوفيقية، لمحمّد فريد بك ١: ٥٧ و٥٨.

وفي (روض الجنان) طبع إيران: وكان ذلك في سنة ١٢١٦ هـ وهي المرة الأُولى، وكانت الواقعة في يوم الغدير ١٨ من شهر ذي الحجّة الحرام، وقد أوقع الهتك الشنيع والفتك الذريع والقتل العام في النفوس المحترمة.

والأفظع من هذا ما أجراه على القبر المقدّس الحسيني، تقف المزابر عن جريانها على خدود الورق، مبيّنة عمّا أجراه الطاغية نحو المرقد الشريف.

وعن (ذيل تحفة العالم) في أواخره، طبع بمبئ، من تأليفات ميرسيّد عبد اللطيف خان الشوشتري، في صحيفة ٢ و٤ و٧ و٩ ما نصّه: وإنّ ابتداء ظهور الشيخ عبد الوهاب زعيم الوهابيين كان في سنة ١١٧١ هجرية.

وقد ذكر صاحب (ذيل التحفة الفارسيّة) أيضاً قال: ففي تلك الواقعة الأولى التي هجم بها على كربلاء، زهقت من النفوس ما يربو على أربعة آلاف نسمة.

ولمّا استولى الوهابي على الطائف، وتفرّق الحجيج في تلك السنة، خافه الشريف غالب، ففرّ إلى جدّة، مع واليها شريف باشا، وصار الناس في مكّة لا يقرّ لهم قرار من ظلم الوهابي.

فعند ذلك قام الشريف عبد المعين بن مساعد، وأرسل كتاباً إلى سعود ابن عبد العزيز يطلب منه أماناً لجيران بيت الله الحرام، على أن يطيعوه ويكون عامله في مكة، وأرسله مع وفدٍ من أشراف البلد الحرام وعلمائها، فاجتمعوا بسعود في وادي السيل «على مرحلتين من مكة» وعاهدوه على الطاعة، فكتب لهم أماناً في ورقة صغيرة، ما نصّ أمانه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من سعود بن عبد العزيز، إلى كافة أهل مكّة والعلماء والأغوات وقاضي السلطان، السلام على مَن اتّبع الهدى، أما بعد، فأنتم جيران الله وسكان حرمه آمنون بأمنه، إنّما ندعوكم لدين الله ورسوله: ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾[1]، فأنتم في وجه الله ووجه أمير المسلمين سعود ابن عبد العزيز، وأميركم عبد المعين بن مساعد، فاسمعوا له وأطيعوا ما أطاع الله والسلام[2].

وأرسل هذا الأمان إليهم في يوم الجمعة ٧ محرّم الحرام سنة ١٢١٨هـ، فصعد مفتي المالكيّة على المنبر وتلاه على رؤوس الأشهاد، وقابله بالطاعة.

---

(١) آل عمران (٣): ٦٤.

(٢) كشف الإرتياب في أتباع محمّد بن عبد الوهاب، لمحسن الأمين: ٢٦، حروب الشريف غالب مع الوهابيين وإستيلاؤهم على الحجاز والعراق وانقطاع الحجّ في أيّامهم، طبعة مكتبة الحرمين ـ قم المقدّسة.

وفي اليوم الثاني دخل سعود مكّة محرماً.

فطاف وسعى ونحر من الإبل، ثمّ صعد إلى بستان الشريف الذي في المحصب.

وفي اليوم الثاني من صعوده نزل وصعد إلى أعلى الصفا وخطب في الناس وتجدّدت له البيعة الفاسدة.

وفي اليوم التالي أمر الطاغية بهدم القباب الشريفة التي في المعلّى بما فيها، ثمّ هدم قبّة السيّدة خديجة الكبرى رضي الله عنها، وهدم قبّة مولد النبيّ صلى الله عليه وآله ومولد أبي بكر، ثمّ أمر الطاغية بمنع المؤذّنين من الدعاء بعد الأذان، وبعد تكرار صلاة الجماعة في المسجد الحرام، فكان يصلّي الصبح الشافعي، والظهر المالكي ، والعصر الحنبلي، والمغرب الحنفي، وكانت العشاء لجميعهم.

وارتحل الطاغية سعود من مكّة بعد أن أقام بها أربعة عشر يوماً، وسار بجنوده إلى جدّة طالباً الشريف غالب، وحاصرها أياماً، فلم يتيسّر له أخذها؛ لحصانة سورها وقوّة مدافعها التي نالت من رجاله كثيراً.

ثمَّ ارتحل إلى الشرق، فعاد الشريف غالب إلى مكّة في أواخر شهر ربيع الأول من تلك السنة، ودخلها ظافراً، ولم يعارضه الشريف عبد المعين، وأخذت تفد إليه رؤساء القبائل لمحالفته واستأنف الحرب مع الوهابيين إلى شهر ذي القعدة سنة ١٢٢٠، وفيه انعقد الصلح بينه وبينهم على دخولهم مكّة لأداء مناسك الحجّ ، ثمّ يعودون إلى بلادهم.

ومع ذلك فقد كان الشريف غالب يمالي الوهابيين اتّقاءً لشرّهم، ويتظاهر لهم بما يوافق مذهبهم الباطل، فكان أحياناً يأمر بهدم ما بقي من قباب الصالحين بمكّة وجدّة، وينبّه باختصار المؤذّنين على الأذان دون السلام، وغير ذلك من الأُمور التي توافق مذهب الوهابية.

وفي سنة ١٢٢١ هـ أحرق سعود المحمل المصري بمكّة، واشترط شروطاً على المحمل الشامي وهو في هديّة، فلم يقبلها ورجع من غير حجّ، ومن ثمّ انقطع المحملان عن الذهاب إلى مكّة.

وفي هذه السنة أخذ الطاغية سعود جميع المجوهرات التي في الحجرة النبويّة بالمدينة المنوّرة، وكانت لا تُقدّر بثمن، وطرد قاضي مكّة والمدينة، وكان من طرف الدولة العثمانية، واستبدّ الطاغية بأمر الحرمين الشريفين استبداداً مطلقاً، لا مانع له ولا دافع.

وعن منتظم الناصري في الجلد ٣ في صحيفة ٧٨ ما نصّه: وإنّ في سنة ١٢١٨هـ غزا الوهابي الحرمين الشريفين مع النجف الأشرف، إلّا أنّه رجع عن النجف خاسئاً ولم يوفّق بالنجاح ولله الحمد، وفي هذه السنة قد أوقع القتل العامّ والهتك في كربلاء كما سلف الذكر.

وعن كتاب العجائب، طبع برلين، في جلد ٤ في صحيفة ٩٧ ما نصّه: غزا الطاغية سعود الوهابي بجيش جرّار ينيف على مائتين وخمسين ألفاً من حثالات الأجلاف من أعراب البادية، وأحاط بكربلاء والنجف، بعد أن قتل الجمّ الغفير من زوّار الحسين عليه السلام، ثمّ هجم قبيل الصبح على النجف أيضاً،

حتى أنّ بعض أصحابه تسلّق السور، فحاربه أهلها وأفشوا القتل الشنيع في جيشه، فرجع خائباً من النجف، وكان ذلك في زمن شيخ الطائفة الشيخ جعفر الكبير صاحب كشف الغطاء النجفيقدس سره، هو الذي كان مرابطاً لدفاعه، إلى أن نصره الله على الوهابي فقتله شرّ قتلة، ولم يعد بعدها إلى العراق.

وذكر صاحب الرحلة الحجازيّة أيضاً: فلمّا بلغ السلطان محمود كلّ هذا، أرسل إلى محمّد علي باشا بأن يسيّر جيوشه على الوهابي، فلم يتيسّر له تلبية هذا الأمر في وقته؛ لأنّه منذ تولّى على مصر في سنة ١٢٢٠هـ لم يزل مشغول البال في ترتيب داخليتها وتنظيم ماليتها وتقوية حربيتها.

فلمّا توالت عليه الأوامر السلطانيّة بذلك، جهّز أوّل حملة وأرسلها إلى ينبع، تحت أمر ولده طوسون باشا، في رمضان سنة ١٢٢٦ فملكوها، وبعدها إلى الصفراء بلا صعوبة، وهنالك وقعت موقعة بينهم وبين عثمان المضايفي حاكم الطائف من قبل سعود، وكان معه من الوهابيين عدد لا يحصى، فانهزم الجيش المصري، وتشتّت شمله في القفار، وسار طوسون إلى القصير وبقي فيها منتظراً أوامر والده.

وفي محرّم سنة ١٢٢٧هـ جهّز محمّد علي باشا جيشاً وأرسله إلى ينبع، وأمر طوسون باشا بالذهاب إليها للمحافظة عليها، وجهّز في شهر صفر جيشاً آخراً من طريق البر تحت قيادة صالح آغا السلحدار، ثمّ أخذ يوالي إرسال الجنود والذخائر براً وبحراً حتى اجتمع له في ينبع قوّة كبيرة، وكان طوسون

يكاتب الشريف غالباً ويسترشده برأيه ويعمل بتدبيره، وأرسل إلى مشايخ حرب فجاؤوا إليه، وأحسن استقبالهم وأهال عليهم الخلع والأموال، فساروا في خدمته حتى دخل المدينة المنوّرة في شهر ذي العقدة، وأخرج مَن كان فيها من الوهابيين.

وسارت فرقة من الجنود التي في ينبع إلى جدّة من طريق البحر، فدخلوها من غير ممانعة.

فلمّا علم بذلك عسكر الوهابي الذي بمكّة، خرجوا منها وتركوا قلاعها خالية، ثمّ سارت فرقة من الجنود المصريّة من جدّة إلى مكّة المكّرمة.

فقابلهم الشريف غالب بالإكرام التام، ودخلوها واحتلوا قلاعها، وبلغ ذلك عسكر الوهابي الذين بالطائف فتركوه، وساروا إلى الدرعيّة، وهي مركز حكمهم المذهبي.

ولما وصلت البشائر إلى مصر باستيلاء العساكر المصريّة على المدينة المنورة وجدّة ومكة، أمر محمّد علي باشا بتزيين القاهرة خمسة أيام، وأرسل مبشّراً إلى الحضرة السلطانيّة بهذا الفتح المبين، فكان ذلك يوماً مشهوداً في الآستانة.

وفي شهر ربيع الثاني سنة ١٢٢٨هـ مات الطاغية سعود بالدرعيّة، وتولّى مكانه ابنه عبد الله.

وفي ١٤ شوال سنة ١٢٢٨هـ، سار محمّد علي باشا من مصر قاصداً الحجاز، فوصل إلى جدّة في أواخر الشهر المذكور، وكان الشريف غالب

حضر لاستقباله فيها، وما استقر بها محمّد علي باشا حتى أتته رسل من عبد الله بن سعود يطلب الصلح، فاشترط أن يدفع له الوهابي جميع المصارف التي صرفت على العساكر من أوّل الحرب إلى ذلك اليوم، وأن يأتي هو لإمضاء هذا الصلح بنفسه.

وفي اليوم الأخير استعرض عسكره أمام هؤلاء الرسل، فأدهشتهم حركاته ونظامه.

ثمّ سار محمّد علي باشا إلى مكّة، وفي خدمته الشريف غالب، ونزل في بيت القرطسي، ونزل طوسون باشا في بيت السقاف بالشاميّة، وكان كلّ فرد منهم على حذر من صاحبه، فأراد محمّد علي باشا أن يخلو له الجوّ، وأن لا يكون للشريف غالب سلطة في الحجاز، فأمر ولده طوسون باشا بالقبض على الشريف غالب وأولاده، وكان ذلك في أواخر ذي القعدة سنة ١٢٢٨هـ، ثمّ أرسله مع أولاده إلى مصر، ومنها إلى سلانيك وولّى مكانه الشريف يحيى بن سرور، ومكث محمّد علي باشا بمكة يرتّب أُمورها، ويغزوا بجنوده كلّ قبيلة نبذت طاعته، أو نقضت عهده.

وبعد أن حجّ سنة ١٢٢٩هـ توجّه بعسكره إلى الطائف، ووقع بينه وبين الوهابيين في بدء سنة ١٢٣٠هـ جملة وقائع ، ملك بعدها تربة ورنية وبيشة وعسير، وكان كلّ جهة يملكها ينظم شؤونها ويعيّن عليها أميراً من عنده، ولا زال ينتقل من أمارة إلى أخرى في جزيرة العرب، حتى عاد إلى مكّة في شهر جمادى الأُولى، فرتّب فيها مراتب إلى كثير من الأشراف وغيرهم حسب ما تقضي المصلحة العامة وهي متسلسلة إلى أعقابهم.

ثمّ رجع إلى مصر بعد أن عيّن حسين باشا الأرناوطي والياً على مكّة، وأقام ابنه طوسون باشا قائداً عاماً على القوّة العسكرية بالحجاز.

وفي شهر شعبان من هذه السنة عقد طوسون باشا صلحاً بينه وبين عبد الله بن سعود، على أن يتركا الحرب ويحقنا الدماء، وأن يذعن عبد الله لحكومة الحجاز، وأرسل ابن سعود وفداً من عليّة قومه إلى طوسون ليؤكدوا له هذا العهد، فبعث بهم إلى والده بمصر، فلم يرق في عينيه هذا الصلح، واستمر طوسون في الحجاز إلى ذي العقدة، ثمّ رجع إلى مصر بأمرٍ من أبيه، فوصلها في شهر ذي الحجّة، وعملت فيها زينة كبيرة، وقد ولد له في غيبته ولده عباس باشا الأول، وما زال بمصر حتى توفّي سنة ١٢٣١هـ بالطاعون وعمره نحو ٢٠ سنة.

وفي محرّم سنة ١٢٣٢هـ، أرسل محمّد علي باشا ولده إبراهيم باشا إلى الحجاز؛ لمحو أثر الفرقة الطاغية الوهابيين، فسار في عسكر كثيف إلى مكّة ومنها قصد الدرعيّة، لمّا وصل إلى مكان يقال له: مرنان وقع بينه وبين الوهابيين قتال شديد، وقبض على عبد الله بن سعود زعيم الوهابيين، وعلى بنيه وأهليه وذويه وبعد أن جعل مدينتهم عاليها سافلها سيّرهم إلى مصر، فلمّا أتت البشائر إلى محمّد علي باشا زيّن القاهرة زينة فاخرة، وأمر بإطلاق ألف مدفع.

ووصل ابن الطاغية عبد الله بن سعود، ومن معه إلى القاهرة في أوائل شهر المحرّم سنة ١٢٣٤هـ، فدخلوها في موكب عظيم، وقابل محمّد علي

باشا ابن سعود في اليوم الثاني في محلّ حكومته الرسمي بشراً بصدر رحب، وقدّم إليه الوهابي صندوقاً صغيراً فيه ما بقي عنده من الجواهر التي أخذها أبوه من الحجرة النبوية، ومن ذلك ثلاثة مصاحف مكلّلة بالجواهر الثمينة، وثلاثمائة حبّة كبيرة من اللؤلؤ، وقطعة كبيرة من الزمرّد، ثم أرسل عبد الله ابن سعود إلى الآستانة فصلبوه على باب همايون.

وفي هذه السنة حجّ إبراهيم باشا وعاد إلى مصر، فعملت له فيها زينة كبيرة مدّة سبعة أيام، ومن ثمّ صارت بلاد الحجاز من أدناها إلى أقصاها خاضعةً لحكم محمّد علي باشا.

أمّا ما كان من أمر آل سعود، فإنّهم أجمعوا أمرهم لاسترجاع نجد إلى حكمهم بعد أن هدم إبراهيم باشا دار ملكهم، فتمّ لهم ذلك، وكان الأمير عليهم فيصل بن تركي ابن عمّ عبد الله بن سعود.

فلمّا استفحل ملكه خافه محمّد علي باشا وسيّر إليه خورشيد باشا سنة ١٢٥٣ هـ، فاستولى على الدرعيّة بعد جملة وقائع بينه وبين الوهابيين، وقبض على فيصل بن تركي في سنة ١٢٥٤هـ، وأرسله إلى مصر ومعه كثير من آل سعود.

وولي الأمارة بعده خالد بن سعود، فثار عليه عبد الله بن ثنيان وانتزعها من يده، فلبغ ذلك فيصلاً بمصر وهو سجين بالقلعة، وكانت له صلة بعباس باشا الأول، فشكا إليه ما يلقاه من تغلب بن ثنيان على بلاده ، ووعده إن

خلّصه من سجنه وصار له الحكم في قومه يصير في رجاله ومن رجال محمّد علي باشا، فساعده عباس باشا على الهرب .

فسار فيصل بن تركي حتى نزل على ابن الرشيد أمير شمّر ، وكان إذ ذاك عبد الله الرشيد، فأكرم وفادته، وسيّر معه بعض رجاله إلى ابن ثنيان، وبلغ ذلك قومه، فبادر إليه كثير منهم وساروا معه إلى القصيم فحاصرها وأخذ ابن ثنيان أسيراً، وما زال في سجنه حتى مات.

وتمّ لفيصل استيلاؤه على نجد سنة ١٢٥٨هـ، واستقامت له الأمور فيها إلى أن توفّي سنة ١٢٨٢هـ، وله من البنين عبد الله وسعود ومحمّد وعبد الرحمن، فاستولى عبد الله بن فيصل على الإمارة، فوقع خلاف بينه وبين أخيه سعود الذي فرّ إلى البحرين، فساعده أميرها وخرج في بائل العجمان وسار إلى نجد، والتقى برجال أخيه عبد الله وعليهم أخوه محمّد بن فيصل، ففرّ عبد الله أخوه إلى العربان وجمع له جموعاً والتقى بجيش أخيه سعود الذي كانت له الغلبة عليه أيضاً، فقصد عبد الله أطراف نجد يستنجد قبائلها، فلم يحصل على طائل.

ومن ثمّ توطّدت لسعود الإمارة، وأخذ يرتكب كثيراً من المظالم، ولكن مدّته لم تطل بأكثر من سنة ، حتى عصيت عليه قبائل نجد، وتكدّرت عليه أيامه، ومات حتف أنفه، وتولّى الإمارة بعده ولداه محمّد وعبد العزيز، فاستجمع عبد الله بن فيصل قوةً على الرياض عاصمة الإمارة، وفرّ محمّد وعبد العزيز إلى مدينة الخرج القريبة من الرياض، وحصلت

بينهما وبين عمّهما مناوشات ، انتهت بهدنة بين الطرفين، ثمّ حصلت بينهما وقائع كانت الغلبة فيها لعمّهما عبد الله.

وفي خلال النزاع تقوّى ابن الرشيد بانقسام الكلمة بين آل سعود، حتى علا أمره فطمع في إمارة نجد، وتحرّك لغزوة ابن فيصل من الحائل، وحصره في الرياض مدةً انتهت باستيلائه عليها، وأسر عبد الله بن فيصل، وأُتي به إلى الحائل معزّزاً مكرّماً، فأقام فيها نحو سنة ، ثمّ طلب الرجوع إلى الرياض، وبعد وصوله إليها توفّي فيها، وكان ولدا أخيه سعود «محمّد» وعبد العزيز في الخرج وكان ابن الرشيد غير مستريح منهما ، فترقّب فيهما حتى قتلهما وأستولى على نجد.

وأمّا الرياض فكان فيها ولدا فيصل محمّد وعبد الرحمن، وكان لهما الأمر في بلدهم خاصةً ، وتوفّي محمّد واستقلّ بالأمر عبد الرحمن بن فيصل.

وكانت القصيم بعد زوال حكم آل سعود بيد أميرها حسن بن مهنا وزامل بن سليم، فحصل بينهما وبين ابن الرشيد خلاف، وقع بسببه حرب كانت الغلبة فيه لابن الرشيد، وكان عبد الرحمن بن فيصل قد سار لمساعدة أهل القصيم.

فلمّا حصل الظفر لابن الرشيد واستولى على القصيم ، التجأ عبد الرحمن بن فيصل إلى الكويت وهي في أمارة ابن صباح، واستجمع له قوّة لقي بها ابن الرشيد، فظهر عليه ابن الرشيد، وبذلك صار له الحكم في كلّ نجد(*) وأقام عبد الرحمن في الكويت عند ابن الصباح مبارك.

(*) إقليم نجد: وهو في جنوب صحاري الشام، شاغل جميع الجزء الأوسط من جزيرة العرب، ⇦

وقيل: إنّ الدولة العثمانية رتّبت له مرتباً يصله من البصرة، وله من البنين عبد العزيز ومحمّد وسعد.

ولما جرى ذكر آل الرشيد بين أُسرة الوهابية، رأينا الإتيان على ذكرهم هنا مستحسناً لتتمّ الفائدة.

⇦

وهو ما بين الحجاز والأحساء، والأحقاف الذي كان به مدينة هجر، وأغلبه هضاب رمليّة، ويتصل ببلاد العراق شرقاً، وبه كثير من الواحات التي تنبت الكلأ والنباتات النفيسة مثل العرار وهو النرجس البرّي والشيح والقيصوم، وبه أرض العالية التي حماها كليب بن ربيعة، وأفضى ذلك إلى قتله وانتشاب حرب البسوس، كما سيجيء في الجزء الرابع.

ولخيل هذا الأقليم وإبله شهرة فائقة، وكانت العرب تسمّيه بلاد الإبل، ومن مدنه مدينة الرياض، وهي عاصمة الوهابيين، كما تقدّم سالف ذكرهم.

وإليك ترجمة آل الرشيد

وعن الرحلة الحجازيّة وغيرها من التتبّع والاستقراء: كان الرشيد صاحب سريّة، وجيهاً في قومه، مطاعاً بأمره، ذو حزم شديد، غير ما هو عليه من الزعامة، عارفاً بإفتاء قواعد العرب وأصولها، لازال الوفود يتقاطرون إلى فنائه، على مختلف أشغالهم ، فكان يصدرون عنه مكرمين كلّ بحسب شأنه، ومقتضى حاله.

فلمّا مات قام بالأمر من بعده ولده عبد الله، كان شاباً ظريفاً، ذو صدر رحب وخلق جميل، وسخاء وقدر جليل، فاتّسعت زعامته على غالب قبائل شمر، وصار يغزوا القريب والبعيد من سائر العربان، وقبل وصول سراياه إليهم تخضع له الرقاب وتؤدّي الزكوات بدون إراقة دم، فبسط له الأمر بالزعامة إلى أن مات حتف أنفه، وكان له من البنيين ثلاث: طلال، ومتعب، ومحمّد.

وقام من بعده ولده متعب، فتربّع على دست الأمارة نحو سنوات غير كثيرة، فاغتالاه ولدا أخيه (طلال) بيدر وبدر، فقتلاه واستوليا على الإمارة ، فمات بيدر بعد قتل عمّه بسنتين، وقيل: أكثر من ذلك، وتمحّض الأمر لبدر دون غيره، وكان إذ ذاك محمّد عمّه عامله على الحجيج من العراق إلى مكّة المكّرمة.

ولمّا أخبر بدر بأنّ محمّداً له المكانة الحميدة لذي عامة القبائل البدوية، وبالأخصّ الطوائف الحضريّة، خافه وأراد قتله، فلمّا أحسّ محمّد بذلك قتل ابن أخيه بدراً، ومزّق بطانته شرّ تمزيق ورقى دست الأمارة.

وكان أوحد قومه في النباهة والشجاعة والعقل والأدب، سارت الركبان بسيرته، وتحدّثت الناس بنباهته، خصوصاً بعد أن انتهى من حرب الوهابيّة وأسر عبد الله بن سعود، وتشتّت آله وذوه، وامتدّت سلطته في نجد، وتوطّدت له الملوكيّة على نجد برمّتها بعد أن اشتعلت نار الشحناء بين بني فيصل بن تركي.

ومات محمّد بن عبد الله بن الرشيد، ولم يعقب ولداً، فقام بالأمر من بعده ولد أخيه عبد العزيز بن متعب، وكان رجلاً شجاعاً نشيطاً، يعدّ من الأبطال، لازال يخوض غمار الحروب بنفسه، ولم يكتف بزعماء سراياه وقومه، وله وقائع كثيرة عظيمة، شهدت بها الأحبّاء والأعداء، حتى قتل غيلةً في إحدى المعارك التي جرت بينه وبين عبد العزيز بن عبد الرحمن السعود الوهابي وذلك بعد أوبته من ساحة الوغى.

وقيل: إنّ المغتال له سلطان وسعود ولدا حمود بن الرشيد مع خواصّهما، واستوليا على الإمارة معاً، فما طال زمن إمارتهما إلّا وقع الخلاف بينهما، فقتل سعود أخاه سلطاناً وتوحّدت له كلمة الزعامة.

وإنّ عبد العزيز بن متعب كان له ولد صغير اسمه سعود، أراد ولدا حمود قتله فهرب به خاله سبهان إلى المدينة المنورة، وأقام بها مدةً إلى أن شبّ الولد وعرف مكانته، فأخذ يغري الأعراب على نبذ الطاعة إلى سعود ابن حمود والعصيان عليه، حتى تمكّن من تأليف جيش كبير قوي، وتواطأ مع معظم قبائل شمر وهجموا على سعود بن حمود في الحائل عاصمة الإمارة وقتلوه مع من ينتمي إليه، واستولى سعود بن عبد العزيز على قاعدة الزعامة وبقي متربعاً عليها إلى أن قتله زامل الرشيد أحد أخواله، وقيل ابن عمّه.

ولا زالت الإمارة والزعامة الرشيديّة تنتقل من أمير إلى آخر حتى قضى الله عليها في أواخر سنة **١٣٣٦** هجرية.

ومنها تمحّضت إمارة نجد بكلتيها بعد آل الرشيد إلى عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل السعود الوهابي الفعلي، المدعو بملك الحجاز ونجد، زعيم الطائفة الباغية المارقة عن الدين الفرقة الوهابية، وذلك بمساعدة الدولة الإنكليزية؛ لما قام بالخضوع إلى الدولة المشار إليها، والعمل بما انطوت على المعاهدة الإنكليزيّة النجديّة المنعقدة بمحضر الحاكم السياسي العام في العراق (الكوكونل ميجر جنرال سر برسي كوس)

المصدّقة من حكومة هنديا في سملة إحدى مدن الهند، ولمّا تمّ له الأمر وتربّع على الدست الملوكي فعل الأفاعيل الباطلة، كما مر سالف ذكرها في الجزء الأول.

[العودة للبحث في مسائل الشعائر الحسينيّة]

ولنرجع إلى ما نحن في بيانه، وبالجملة إنّ خروج اللاطمين عن تلك الحدود بسبب تجوّلهم في الجواد، ليس إلّا أمراً اتّفاقياً، فلا سبيل إلى اتّخاذه وجهاً لمنعهم عن التجوّل في الأزقة بمقتضى ما نطقت به الأدلّة والأخبار التي أثبتتها أقلام علمائنا الأعلام في جلّ كتبهم المقدّسة، العمليّة منها والفقهية، بأنّ هذه التذكارات من الشعائر الإسلاميّة، ولا بأس بإتيانها، فكلّها راجحة مستحسنة.

وأمّا قولك: أيها المنتقد في صحيفة ١٥ من جريدتك الفارسيّة المشهورة بـ(حبل المتين) عدد ٢٧ و٢٨، الصادرة يوم ١٩ محرّم الحرام سنة ١٣٤٦هـ ما نصّ قولك فيها: إنّ ما يصرف على مأتم الحسين عليه السلام بزعمك تبذير وإسراف.

أقول: إنّ الله سبحانه وتعالى قد حجب عنك وعن زملائك معرفة المستقبل، بما يليق لحالك من الغباوة والجهالة، وعدم وقوفك على ما يؤول من المستقبل والعصر الحاضر.

أمّا معرفة المستقبل فهي ضرورية لكلّ إنسان لكي يتمكّن من معرفة ما يقوده إليه الزمان، ويهيّئ نفسه لمصادمة بما يهيج عليه من أنواء الدهر وطوارق الحدثان.

ولمّا بان العجز منك، وممّن ينضوي إليك، أخذت مقياساً على غير حقيقة فلسفتك الطبيعيّة منها والمذهبيّة، وذلك تعريضك بما قامت به الأُمّة المرحومة، ونهضت لأداء فرض ﴿**قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ**﴾الآية[1]، فجعلت ما تنفقه في سبيل هذا المنهج القويم والصراط المستقيم، من تعظيم شعائر الرسول صلى الله عليه وآله وأولاد العذراء البتول، الأئمة الأمجاد وسادات العباد عليهم السلام هو تبذيراً وإسرافاً، واستدللت بقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُواْ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ**﴾[2].

أُفّ لك يا هذا وتعساً لتينك السخيفتين، عاقلتك وفاكرتك، ويكفيك ما مرَّ من البيان مقدّماً في الجزء الأول من الأنوار الحسينيّة ما يخصّ بالشعائر المذهبية والتذكارات العزائية، وما أحسبك أيّها الغبيّ إلّا كما قال السعدي[*].

(١) الشورى (٤٢): ٢٣.

(٢) الإسراء (١٧): ٢٧.

(*) ويحسن هنا أن أذكر لك أيّها الناظر ترجمة السعدي، وإليك ما نصّ به صاحب المتفرّقات ⇦

ترسم نرسى به كعبه أي اعرابى

كاين ره كه تو ميروى به تركستان است[١]

أو كما قال الآخر:

عمرت بسر آمد وبه سامان نشدى

دردت بلب آمد وبدرمان نشدى

قاضى وفقيه وپارسا وهم مفتى



النجفي في صحيفة ٢٩ من الجزء الأول مؤرخة سنة ١٣٣٧، بسنده عن كليّات السعدي ما نصّه: الأديب الشيخ مصلح الدين سعد بن عبد الله الشيرازي، ولد في شيراز سنة ٥٨٠، ووفاته سنة ٦٩١هـ، وكان والده عبد الله ملازماً لأتي بك سعد الزنكي. وكان شيخ مصلح الدين سعد بن عبد الله مريداً للشيخ شهاب الدين السهروردي، كما يظهر من قوله:

مرا شيخ داناى مرشد شهاب   دو أندر ز فرمود بر روى آب

يكى ان كه برخويش خد بين مباش   دكران كه بر عرض بدبين مباش

وحضر حلقة الدرس لأبي الفرج الجوزي في مدرسة النضامية ببغداد، وسافر كثيراً حتى أنّه استمر في سفره ٢٠ سنة، وأسروه الأفرنج مرّة، وله قبّة ومزار معروف في شيراز خارج البلد يقال له: السعدية، وكان معاصراً للمستعصم العباسي الذي قتله هلاكو خان لمّا فتح بغداد سنة ٦٥٦هـ، ومنها انقرضت دولة بني العباس كما قيل في انقراضها:

بنو العباس دولتهم   دعتهم بالتقى خونوا

فلمّا أنّها انقرضت   أتى تأريخها خون

(١) وترجمة الأبيات فيما يلي:

أخاف أن لا تصل إلى الكعبة يا أيّها الأعرابي

هذا الطريق الذي تذهب إليه يصل إلى بلاد الترك

اين جمله شدى ولى مسلمان نشدى[(١)]

ألم تعلم أيها الضالع أن مَن فسّر القرآن على وفق رأيه وهواه ليحتجّ على تصحيح غرضه وبدعته ومدّعاه، وهو يعلم أنّه ليس المراد بالآية ذلك، أكبّه الله على منخريه في النار ﴿**أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ**﴾[(٢)].

﴿**فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾[(٣)].

مـاذا تقـول إذا رحلـت إلـى الـبلا وإذا خـلا بـك منكـر ونكيـر[(٤)]

ولا عجب إذا بدت عقارب مكرك وخداعك في نشر مقالتك الأُولى والثانية، ولا من انتقادك على الشعائر المذهبيّة ومنعك التذكارات العزائيّة، ولا ممّن ينضوي إليك من أهل الصحف والمضلّين، ولا جرم ﴿**لِيَمِيزَ اللّهُ**

---

(١) وترجمته:

وختم عمرك ولم تصل إلى الهدف المطلوب

بلغت روحك إلى حلقومك ولم تصلح حالك

صرتَ قاضياً وفقيهاً وورعاً ومفتياً

ومع كلّ ذلك ما صرت مسلماً

(٢) محمّد (٤٧): ٢٩.

(٣) الزمر (٣٩): ٢٢.

(٤) من شعر أبي العتاهية، في ضمن وصيّة محكمة موعظة منظّمة، أورده ابن عربي في الفتوحات المكية ٤: ٥٢١.

الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾(١).

ولكم الويل ممّا تصفون.

من لم يكن عنصره طيباً ... لم يخرج الطيب من فيه

كل أمرئ يشبهه فعله ... ويرشح الكوز بما فيه(٢)

وحسبك موعظة أيها الغافل قول الطغرائي(*):

فيمَ اعتراضك لج البحر تركبه ... وأنت يكفيك منها مصّة الوشل(٣)

---

(١) الأنفال (٨): ٣٧.

(٢) البيتان في غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة، لأبي إسحاق برهان الدين المعروف بالوطواط (ت٧١٨هـ) ١: ٧١.

(*) وفي تراجم الشعراء: الطغرائي المتوفّى سنة ٥١٤هـ، هو أبو إسماعيل الحسين بن علي الملّقب بمؤيّد الدين الأصبهاني المعروف بالطغرائي، كان عزيز الفضل والنفس، لطيف الطبع، فاق أهل عصره بصنعة النظم والنثر، وكان ينعت بالأُستاذ، ولي الوزارة للسلطان مسعود بن محمّد السلجوقي بالموصل، ولمّا انتقل الملك إلى السلطان محمود أخي السلطان مسعود وتولّى الوزارة الكمال نظام الدين أبو طالب علي بن أحمد بن حرب السميرمي، رمي الطغرائي عند هذا الوزير بالإلحاد، فقتله لهذا السبب في الظاهر، وفي الحقيقة لغيرته منه لغزارة فضله، وكان ذلك سنة ٥١٤هـ.

والطغرائي نسبة إلى الطغرى: كلمة أعجمية معناها: الطرّة التي تكتب في أعلا الكتاب فوق البسملة بالقلم الغليظ، ومضمونها نعوت الملك الذي صدر عنه الكتاب.

(٣) انظر: طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي ٢: ٢٤٠.

وكما قال الآخر:

إذا لم تستطع شيئاً فدعه   وجاوزه إلى ما تسطيع[١]

هب يا هذا أنّك لم تقف على شيء من الأخبار الواردة والتفاسير الصادرة، ولكن أفلا عدلت ونظرت إلى الكافي والوافي وجلّ كتب التواريخ والتفاسير المطبوعة في القارة الإيرانية وغيرها في العصر الحاضر والماضي؟!

خذ إليك أيّها الغبيّ ما قلناه وحرّرناه لك، ودونك بيانه، قال صاحب الصافي في صحيفة ٢٧٨ في بيان تفسير قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُواْ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ**﴾[٢].

قال ما نصّه: وفي الكافي والعيّاشي عن الإمام الصادقعليه السلام أنّه سُئل عن هذه الآية فقالعليه السلام: «مَن أنفق شيئاً في غير طاعة الله فهو مبذّر، ومَن أنفق الخير فهو مقتصد»[٣].

وفي المجالس أيضاً عنهعليه السلام في قوله تعالى: ﴿ **وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا** ﴾ قالعليه السلام: «لا تبذّر في ولاية علي ابن أبي طالبعليه السلام[٤]»، ثم قرأ الآية : ﴿ **إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ** ...﴾ .

---

(١) البيت لعمرو بن معدي كرب من ضمن قصيدة له. انظر: الاستيعاب لابن عبد البرّ ٣: ١٢٠٤.

(٢) الإسراء (١٧): ٢٧، راجع تفسير الصافي ، للفيض الكاشاني ٣: ١٨٨.

(٣) تفسير العيّاشي ٢: ٢٨٨ حديث٥٣.

(٤) المصدر السابق: حديث٥٧.

وخذ إليك أيضاً أيها المنتقد من ذلك يكون لنا شاهداً على ما ذكرنا، قال شيخنا الفقيه الطبرسي في تفسيره مجمع البيان، التفسير الذي هو المعتمد عليه عند الشيعة ـ إن كنت منهم ـ، قال في صحيفة ٥٧ ما نصّه في تفسير قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ**... الآية﴾:

عن ابن عباس وابن سعود ومجاهد: «لو أنفق مُداً في باطل كان مبذّراً، ولو أنفق جميع ماله في الحقّ لم يكن مبذّراً، وقيل: إن المبذّر الذي ينفق المال في غير حقّه»[1].

أقول: بالله عليك أيّها القارئ المنصف، إذا كان إنفاق المال في غير حقّه تبذيراً، إذاً كيف لا ينفق على النجم اللائح والصراط الواضح، علم الهدى منار التقى، وأبي الأئمة النجباء، وسيّد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام، وهل أحد أحقّ من الحسين عليه السلام؟!

وحسبك مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات النسفي ما نصّه في الصحيفة ١١٥ من تفسيره في الجزء الثاني في بيان قوله تعالى: ﴿ **وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا**﴾[2]، ولا تسرف إسرافاً، وقيل: التبذير تفريق في غير الحلّ والمحلّ، فعن مجاهد أيضاً: لو أنفق مُدّاً في باطل كان تبذيراً، وقد أنفق بعضهم نفقة في خير فأكثر، فقال له صاحبه: لا خير في السرف، فقال: لا

(١) تفسير مجمع البيان ٦: ٢٤٤ سورة الإسراء.

(٢) الإسراء (١٧): ٢٧.

سرف في الخير، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُواْ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾[(١)]:

يعني أمثالهم في الشرارة، وهي غاية المذمّة؛ لأنّه لا أشرّ من الشيطان، أو هم إخوانهم وأصدقاؤهم؛ لأنّهم يطيعونهم فيما يأمرونهم به من الإسراف في طريق الباطل وتفريق المال في غير المحلّ»[(٢)].

وناهيك البيضاوي ما نصّ بها في صحيفة ٦٩[(٣)]، وكذا الزمخشري في صحيفة ١٨٦ من تفسيره[(٤)]، وتفسير الجلالين[(٥)]، وعلي بن إبراهيم[(٦)]، فالكلّ منهم على منهاجٍ واحد في تفسيرها، فمن أيّ كتاب أخذت تفسيرها واقتبست تأويلها؟! أُفٍّ لك، ولما سوّلت لك نفسك، ما أجرأها على الله ورسوله وعترته الميامين.

وأمّا تحبيذك للأُمة الإيرانيّة رفض البذل في سبيل الخيرات المذهبيّة والمبرّات الدينيّة، سيّما تخصيصك التحبيذ لبعض أفرادها الذين هم ينفقون أموالهم في سبيل مرضاة الله ورسوله ﷺ، أن يتخلّوا عن ذلك السبيل وينعطّفوا على تأييد المعارف في المملكة ونشرها، وتأسيس محلاّت

---

(١) الإسراء (١٧): ٢٦.

(٢) تفسير النسفي ٢: ٢٨٤، سورة الإسراء.

(٣) تفسير البيضاوي ٣: ٢٥٣.

(٤) تفسير الزمخشري ٢: ٤٤٦.

(٥) تفسير الجلالين للسيوطي: ٣٦٨ سورة الإسراء.

(٦) انظر: تفسير القمّي ٢: ١٨.

للأيتام، وغير ذلك من المجاميع التي تضمّ عامة الأُمة ذكوراً وإناثاً، وما كان من مصروف الأُمة في السبيل الأول المذهبي خرافيّاً وليس لهم الحقّ بأدائه.

ألم تعلم أنّ الذي تحبّذه أخيراً هو لم يكن من حقّ واجب الأمة، بل من حقّ واجب الدولة الآخذة على زمام الحكم بسلطتها القاهرة من تنظيم حاجيات البلاد، وإسعاف روح الأمّة، ونثر بذور العلوم على رياض أفئدة أبناء مملكتها وإرواء روح مدنيتها، والقيام بحقّ إدارة مهامها الداخليّة منها والخارجية، لكي تستحق الدولة النعم التي تختصّ بها، لا تجعل ما استحصلته من تلك الأُمّة من جمع الأموال لملئ خزانتها وتشييد قصورها وصروحها، وتدع الأُمة في إكدار الصفاء وتعاسة السعادة، فحينئذٍ ينهض ممّن يزعم أنّه العارف بحقائق السياسة والدين، ومقتضيات الحكمة النظامية، هي توجب الالتزام على كلّ فرد من أفراد الأُمة في ذلك.

ألم تعلم ما يكون للدين غير الذي يكون للسياسية والدولة، وإنّ قوائم الدين بالشعائر المندوبة والمستحبة؟! فإذا نسخت الأحكام حصل الاختلال بالهيئة الاجتماعيّة، وعندئذٍ يحصل خراب العمران وفناء الوجود لتلك الأُمة.

فتعقّل حقّاً لكي تقف على ماهيّة الدولة وجنس واجبها، وعلى مصداق الأُمّة ونسبتها، وما يكون من أدائها الواجب لدولتها.

وإذا أمعنت النظر في التأريخ الإسلامي ووقفت على معارفه بنحو الدقّة والإتقان، تجد ما كان هنالك من الرقيّ الباهر على عرشي المروءة والحنان لقابضي زمان الحكم، من إجراء الشعائر اللازمة للدين الحنيف.

وكذلك تتمكّن أن تقف بتفصيل التأريخ من أحوال الشعوب والدول، والبحث في أسباب إرتقائها، وتعرف الوسائل التي تذهب بها إلى قمم النجاح.

وتقف على حقيقة الوسائط التي تنزل بها إلى أسافل التأخّر، فينكشف لك ستار الحقيقة، أنّ رقيّها ونجاحها لتمسّكها بعرى أديانها وإنارة الشعائر المختصّة لترويج مذهبها، ويتّضح لك ـ كالبدر في الليلة العفراء ـ أنّ هبوطها لإهمالها ما كان من مندوب ومستحبّ ومؤكّد لدينها غير الواجب أدائه.

أيّها الساذج، إنّ الأُمّة متى امتزجت عصبيّتها الوطنيّة بالعصبيّة الدينيّة، سادت ومادت واعتزّت وتقدّمت وتمدّنت، وفتحت البلدان، وأذاعت العلوم، وهي خاضعة للشريعة سيّان في حكمها عبد وسلطان.

وإذا تفرّدت منها الآراء، وكثر ما بينها المقت والتنقيد، تمزّقت منها سجوف الوطنيّة، ونفت عنها روح الاستقلاليّة والعدل والاستقامة، فتصبح ذليلة خاسرة، حيث إنّ كلّ ذي ناموس دينيّ واستقامة فكر وثبات رأي في الأحكام، يرى اللازم الشرعيّ واضحاً لديه، إجراء هكذا شعائر هي من الضرورة المذهبيّة، برفضها رفض الحكم بأصله.

ولو لم تكن هذه المشروعات لما بقي ثابتاً أصل الحكم لهذا الزمن، بما أنّ ألدّاءه الجبّارين لا زالوا ـ ك مثلك ـ ساعين ومجدّين لإطفاء نوره ﴿**وَيَأْبَى اللّهُ إِلّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾[1].

---

(١) التوبة (٩): ٣٢.

﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾[(١)].

إيهاً أيها الضالع لو كان حبل السفر ملقىً عن الغارب، والرأي صاف أديمه، لعلمت كيف يجري القلم على خدود الورق، ما تكنّه خزائن الضمائر الحرّة من الحقائق المذهبيّة أوسع ممّا جرى.

ولو وقفت على ما يوضّح لك عمّا تكلّلت به أدمغة الأغبياء، من الدسائس الأُمويّة والعقائد الوهابيّة والزخاريف البابيّة البهائية[(*)]، لما اندفعت لهذه الأوهام والزخاريف والعلل السامجة، التي

---

(١) الأنفال (٨): ٨.

(*) ويجدر بنا أن نذكر لك أيّها القارئ الكريم من تأريخ أساسي مذهب البابيّة والبهائيّة، وبدعهم الضالة؛ لكي تحصل الفائدة التامة.

وذلك مما أثبتته جُلّ كتب الأفاضل، ولنذكر المؤسّس لمذهب البابيّة أولاً، وننعطف على مريديه وبطانته بنحو التفصيل، وممّا ذكره صاحب كتاب الآيات البيّنات في صحيفة ٥٢ تحت عنوان: البهائيّة، مشتملاً على سبع صحائف، وسيأتي الذكر على ما تضمّنته بعد هذا البيان ، وإليك أيها الناظر:

المؤسس لمذهب البابيّة

أوّل مؤسّس لهذا المذهب الباطل الشلمغاني بالشين المعجمة، وفي معجم البلدان لياقوت الحموي، قال: الشلمغاني: نسبة إلى شلمغان قرية بنواحي واسط.

وهو أبو جعفر محمّد بن أبي العزاقر، بعين مهملة وزاء معجمة، صاحب المذهب الملعون.

وفي معجم الأُدباء، وابن خلكان، وسرّ الأديان المطبوع بمطبعة طهران، في ترجمة الحلاّج: إنّ الشلمغاني معاصر للحلاّج، وكان بصفته في مقالاته المنكرة وفي ادّعاء البابيّة، كما في كتاب طبقات الأُمم، أنه ادّعاها في قم، فلم تسمع منه، وأنّ الشلمغاني عليه ما يستحقّه لمّا زعم أن الإله حلّ فيه، وأظهر مقالاته المنكرة للحسين بن روح رضي الله عنه أحد نوّاب الناحية المقدّسة، فأنكر عليها.

⇦

⇨

ولمّا حصل الإنكار عليه من الحسين بن روح ﷺ، قبض عليه ابن مقلة وزير المقتدر العبّاسي، فحبسه إلى خلافة الراضي بالله، ثمّ قتل ضرباً بالسياط وأُحرقت جثّته بالنار سنة ٣٢٢هـ.

وقال الشهيد الثاني ﷺ في شهادات الروضة: إنّ هذا الرجل الملعون ـ أي الشلمغاني ـ كان أولاً من الشيعة، ثمّ غلا، وظهرت منه مقالات منكرة، فتبرأ الشيعة منه.

وقال صاحب القصوى الشيرازي في صحيفة ٢٤٥ : لمّا غلا الشلمغاني، خرجت منه توقيعات سيّئة كثيرة، فوقعت بيد الحسين بن روح ﷺ، فرآها توقيعات ضلال وشقاء، فنهاه عن الغي فلم ينته، فأخبر السلطان بتلك التوقيعات فأخذه وقتله.

وكما في رجال أبي علي في صحيفة ٢٨٣ ما نصّه: الشلمغاني يكنّى أبا جعفر، ويعرف بأبي العزاقر، له كتب وروايات، وكان مستقيم الطريقة متقدّماً في أصحابنا، فحمله الحسد لأبي القسم بن روح على ترك المذهب والدخول في المذاهب الرديّة، حتى خرجت فيه توقيعات، فأخذه السلطان فقتله وصلبه ببغداد.

وخلاصة القول: إنّ هذا المذهب الملعون بقي في أساطير التأريخ تتداوله النقلة، حتى ظهر في إيران سنة ١٢٢٨ هجرية رجل يعرف بميرزا علي محمّد، المولود في شيراز سنة ١٢٠٥هـ فادّعى البابيّة، وأنّه حلقة الاتصال ما بين الناحية المقدّسة والمؤمنين، وجرى على شاكلة الشلمغاني في الغلوّ والتناسخ والأحكام، وزاد بتسويد الصحائف بكلمات مهملة لا مبدأ لها ولا أثر، لا يكاد أحد ولا قائلها أن يفهمها بأدّعائه أنّه فرقان سماويّ وكتاب إلهي.

وإليك أيّها القارئ الكريم من خرافات فرقانه ومزخرفات بيانه، ودونك ما نصّ به صاحب تناسخ الأديان في صحيفة ٢٤٥ من نمط قوله: إنا أعطيناك المقدّح فصلّي بوقتك واسرح، إنّ باغضك هو الأشرح.

ومن خرافاته: ألم ننشر لك قولك، ونشرح بمحضرك أمرك، وأحكمنا عقدة ظهرك، وشتتنا في الوقت عسرك، ألم أنزل لك ذكرك.

ومن خرافاته : قل يا أيّها النائمون ما لكم لا تجلسون، فإنّا لكم منتظرون، لا أقول ما تقولون، أنتم باقون ونحن ذاهبون، لا نفعل ما تفعلون ولا تفعلوا ما نحن فاعلون.

وهلمّ جرّا على هذه التراكيب الهائلة، وأمثالها من الكلمات المهملة.

وبثّ الدعاة للأطراف، فانتشرت دعواه سيّما في إيران، وتبعه على ذلك الجمّ الغفير، حتى من النساء وأشهرهن قرّة العين بنت الحاج ملاّ صالح البرغاني في قزوين.

⇦

⇨

وكانت قرّة العين امرأة بارعة في الجمال، معروفة بالمقالات الضافية الجيّدة، وكانت لا تخلو عن ظرف ولعلّها القائلة:

لمعات وجهك أشرقت   وجمال طلعتك اعتلى

زجراً ألست بربكم   نزني بزن كه بلى بلى

وكان أبوها الملاّ صالح وعمّها الملاّ محمّد تقي من النمط الأول في العلم والورع، فأجابت دعوة الباب وصارت من أكبر دعاته، فتيقّض لها حزب كبير في قزوين فتنتهم بجمالها وابتذالها ، فمنعها عمّها وأبوها وبعلها وأخوها، فحكمت على حزبها بوجوب قتلهم، فهجموا على عمّها في صلاة الفجر، وهو في محراب المسجد يصلّي فقطعوه بسيوفهم إرباً إرباً.

وفي كتاب العقائد والأديان، المطبوع بمطبعة طهران سنة ١٣٢٥هـ ما نصّه في صحيفة ٣٤٠: إنّ قرّة العين لما قتلت عمّها، خرجت مع حزبها إلى خراسان، لملاقاة البشروني، ثمّ إلى مازندران، وأينما حلّت أثارت حرباً شعواء، وقتلت من المسلمين الرجال والأطفال والنساء، إلى أن قبضت عليها الحكومة الإيرانية فقتلتها وألقت أشلائها على النار.

وفي كتاب الأسرار، المطبوع بمطبعة تبريز سنة ١٣١٧هـ ما نصّه في الصحيفة ٣٢٥: إنّ الحكومة الإيرانيّة لمّا قبضت قرّة العين، ربطت بذنب فرس وعدت بها حتى قطعت أعضائها، وهي التي قالت: أنكحت وزوجت لقد فر من الميدان.

ورقت بنفسها المنبر سافرة، وخطبت في مجمع كبير من المسلمين والبابيّة، فقالت ما ملخصه: أيّها الأحباب والإغيار أعلموا أنّ أحكام الشريعة المحمديّة قد نسخت لظهور الباب، وأنّ أحكام الشريعة الجديدة البابيّة لم تصل إلينا، واشتغالكم بالصوم والصلاة وسائر ما أتى به محمّد كلّه لغو وباطل، ولا يفعله إلّا جاهل، وأنّ الباب سيفتح البلاد ويسخّر العباد، وستخضع له الأقاليم السبع، وسيوحّد الأديان، حتى لا يبقى على وجه البسيطة إلّا دين واحد، وهو دينه الجديد وشرعه الحديث، الذي لم يصل منه إلّا نزر يسير، فالحق أقول لكم: لا أمر اليوم ولا تكليف ولا نهي ولا تعنيف، وإنّما نحن في زمان فترة، فمزّقوا الحجاب الحاجز بينكم وبين النساء، واشتركوا جميعاً في المال، فإنّه لم يخلق لنفس واحدة أو نفوس معدودة، بل حقّ مشاع غير مقسوم جعل للاشتراك بين الناس، ولا تحجبوا حلائلكم عن أحبابكم، إذ لا ردع الآن ولا حدّ ولا منع ولا صدّ، خذوا حظّكم من هذه الحياة فلا شيء بعد الممات.

⇦

⇨

ولم تزل تلهج بهذه المبادئ الخبيثة وتعمل بها وتجري عليها، إلى أن قبضت عليها الحكومة، وفعلت بها الأفاعيل المخزية، كما مرّ سالف ذكرها.

وأمّا ما كان من أمر الباب، لمّا بلغ الثلاث والعشرين استفحل أمره وأغري بقتل شاه إيران، فقبض عليه الشاه وقتله رمياً بالبنادق سنة ١٢٢٥هـ.

وقد كان من أتباع الباب أخوان: أحدهما يلقّب ببهاء الله، والآخر بصبح الأزل، وقد هربا من بعد قتل الباب إلى بغداد ومكثا فيها، كما نصّت به التواريخ نحواً من عشر سنوات، واتخذا موضعاً منه كعبة الحجّ للبابيّة، فتنبّهت الحكومة العثمانية إلى الخطر العظيم، فألقت عليهما القبض، فأخذتهما تحت الحفظ إلى الآستانة إسلامبول، وبقيا فيها تحت المراقبة، ثمّ نقلتهما إلى أدرنة، وأخيراً أبعدت صبح الأزل إلى قبرص، وبهاء الله إلى عكّا.

وقد اختلف الأخوان فيما بينهما في مواد الإصلاح الديني وإن اشتركا في دركة الإفساد والانحطاط الديني بما يشبه پرتستانية النصارى كما عليه عناية الباب، إلّا أن البهاء صيّر محطّ نظره إلى تأسيس ديني عملي لإصلاح مذهبهم يبثّ روح السلام والوئام ما بين النوع البشري.

ولذا دخل في مذهبهم اليهودي والنصارى وغيرهما، الذين لا دين لهم ولا اعتقاد بما جاء به المسيح والكليمعليهما السلام، ولذا تراهم ينعقون مع كلّ ناعق، ويجيبون كلّ ناهق، ويتّبعون الأباطيل يوماً فيوم، إلى أن مات صبح الأزل في قبرص، فانقطعت الأزليّة وانهارت إلى الدرك الأسفل من النار.

ومات البهاء في عكا، فخلّفه ولده عباس أفندي، فأطلق جناح الفساد في تأييد البهائيّة، ولقّب نفسه بعبد البهاء، أي عبد أبيه، حتى جال الجولة الباطلة في أمريكا وأوروپا كما نصّ بها مفصّلاً الدكتور هينوس الأمريكاني، في كتابه طبقات الأمم في صحيفة ٢٧٩ إلى انتهاء صحيفة ٤٣٠، وكلّه يشتمل على التنقيد، وكذا الدكتور الألماني الميسو جانص في كتابه المذاهب والأديان، في صحيفة ٣٠٠ إلى انتهاء صحيفة ٣٢٥، أيضاً تستغرق تلك الصحائف التثليب الهائل.

وأيم الحقّ ما هو إلّا الحقيقة ذكروا، ولو أردت أن آتي على ما نصّت الكتب به وغيرها من المقالات والمجلاّت، لضاق بنا المقام وكلّت مزابر الأقلام.

وبعد خروج المشار إليه ـ عبد البهاء ـ من أمريكا وأروپا، عرج على مصر، وألقى فيها خطبة

⇦



مفصّلة، وكانت خطبته في المجاميع الدينيّة ما حاصلها:

إنّ البشر كلّاً من شجرة واحدة وثمرة غصن واحد، ولا يجوز للإنسان أن يقلّد أسلافه تقليد الأعمى، ويجب عليه أن يتحرّى الحقيقة، فإنّ الأساس الذي وضعت عليه الأديان واحد، وليس الاختلاف ما بين الأنبياء اختلافاً جوهريّاً في الحقيقة، وإنّما ذلك للطقوس والأزمان، ولم تشرع الأديان إلّا للإلفة ، والرجل والمرأة سواء في ذلك.

ثمّ عاد إلى عكا، ومكث فيها مدّة حياته إلى أن مات فيها، فخلّفه في العصر الحاضر سبطه شوقي أفندي ابن مرزا هادي افنان.

وناهيك أيّها القارئ الكريم كتاب الآيات البيّنات تأليف سيّدنا الفقيه والأوحد النبيه، فيسلوف مذهب الإماميّة، وانموذج بلاغة الحيدريّة، الشيخ العلم والبحر الخضم، شيخنا محمّد الحسين دام بقاه، نجل شيخ الطائفة الشيخ الأكبر الشيخ جعفر الكبير كاشف الغطاء قدّس سرّه ونوّر ضريحه، ما تضمّن من أحوال مذهب البابيّة وخرافاته، وما جرى من الأسئلة على الباب حينما كان سجيناً في تبريز بزمن عهد السلطان محمّد شاه القاجاري، وذلك بحضور نجله وولي عهده ناصر الدين شاه، سيّما ما تضمّن أحوال قرّة العين المعروفة بالجمال البارع، إلى أن ينتهي المقال إلى عنوان: البهائيّة.

وناهيك أيضاً كتاب كشف الحيل، المطبوع بالمطبعة الثانية في طهران، لأعجبك مندرجاته ما تضمّنت بيان زخاريف ذلك المذهب الباطل وأوهامه المتعقّدة في زوايا الضلال، وذلك يشتمل على ٢٢٤ صحيفة، لانكشف لك أنّ المؤسّس والتابعين من أولي الزعامة ومَن ينضوي إليهم، لم يكن جلّ مقصدهم إلّا جمع المال من هذا المبدأ السقيم.

ولو أنعمت النظر بمجريات أحوالهم في عصرنا هذا، لوجدت طريقتهم بادت وبادوا معها، فأُفّ لهم ولهذه العقائد الفاسدة، ولقد تذكّرت قول القائل فيهم:

أفيقوا أفيقوا يا غوات فإنّكم ... ديانتكم مكر من الزعماء

أرادوا بها جمع الحطام فادركوا ... وبادوا وبادت سنة اللئماء

وكما قال الآخر:

آنان كه بقرن بيست دين ميسازند ... باخشت گمان كاخ يقين ميسازند





درجامــهء دوســت دشــمنان بشــرند   كأسباب فساد وبغض وكين ميسازند

وإليك أيها القارئ اللبيب قول سيّدنا الفقيه المـار الـذكر فـي صـحيفة ٥٢ المشـار إليهـا آنفـاً، قـال سلّمه الله تعالى وأبقاه:

البهائيّة

نسبة إلى المرزا حسين علي، الذي سمّى نفسه بالبهاء، ونحن نسمّيه بعد هذا بالهباء.

وهو ابن المرزا عباس المدعو بمرزا بزرگ، الذي كان يتقلّب فـي وظـائف الحكومـة، فصـار فـي آخره مستوفياً في مازندران، أي مأمور المالية، وله ٧ ذكور من نساء شتّى:

مرزا حسين علي، ولد ٢ محرم سنة ١٢٢٣هـ في بلدة نور، من ضواحي مازندران.

ومرزا موسى، الملّقب عند البابية بالكليم.

ومرزا يحيى، الملّقب من الباب بصبح الأزل.

وأربعة آخرون ليس لهم ذكر عند القوم.

تربّى الهباء مع إخوته في طهران، وتعلّم بعض مبادئ العلوم المتداولة مـن دون أن يسـتكملها، ثـمّ تولّع هو وأخوه مرزا يحيى بالتصوّف، وأكثرا طريقة الباب.

ولمّا أرسل إلى آذربيجان ـ أي الباب ـ أرسل مع الجند مخفوراً وسجن فـي قلعـة جهريـق بمدينـة ماكو للحبس، لاقياه في الطريق بين بلدة قم وقزوين، ثمّ فارقاه.

وأراد بذلك بالماري الذكر مرزا حسين علي وصبح الأزل، وقد تمكّن فـي أنفسـهم حـبّ النـزوغ والبزوغ وابتداع طريقة جديدة يتوسّلون بها إلى نيل حظّ من الرئاسة وحطام الـدنيا، فاشـتغلا بنشر تعاليم الباب في طهران ثمّ في مازندران وغيرها، وكانا لا يزالان يثيران الفـتن والهجـوم وتدبير الحيلة في قتل ناصر الدين شاه، الذي كـان المجاهـد الأكبـر فـي قطـع دابـرهم وقتـل أولهم وآخرهم، وقبض مرّة علـى الهبـاء وسـجنه فـي طهـران وعـزم علـى قتلـه، ولكـن نجـا بمساعدة الصدر الأعظم مرزا محمّد تقي خان، الذي كان من أهل وطنه مازندران.

وكان الباب قبل قتله كتب وصيّته بخطّه وختمها وجعل خليفتـه المـرزا يحيـى، الـذي لقّبـه بصـبح الأزل، وعيّن أخاه الأكبر مرزا حسين علي وكيلاً لمرزا يحيى ومحافظاً عليه، وبعد قتل الباب قام الهباء بتنفيذ الأمر وأخفى أخاه عن أعين الناس، وصار يخاطـب ويكاتـب بصـفته وكـيلاً عن أخيه.



⇨

ثمّ إنّ البابيّة بعد إعدام الباب في تبريز ـ على ما عرفت ـ صار شغلهم الأكبر طلب الثار، وشعارهم الانتقام الانتقام، وطريقتهم الاغتيال، وكانوا يضحّون نفوسهم في هذا السبيل، فقتلوا جملة من أكابر رجال الدولة والملّة غيلة، وهجموا غير مرّة على ناصر الدين شاه ليغتالوه، فما تمكّنا منه وأصابوه في بعضها إصابة برأ منها، ففتّش على منبع البلاء ومثار تلك الفتنة فعرف أنّه هو الهباء وحزبه، فعزم على قتلهم، فسعى لهم ذلك الصدر المشؤوم وأبدل القتل بالنفي، فنفي هو و٢٢ نفراً من إخوته وأهله وأتباعه إلى بغداد، ولم يزل أخوه الأزل مختفياً يسوح في البلدان بزيّ الدراويش لا بس الطرطور «الطربوش، تعريب للطرطور، والمخترع له أحد رجال الفرس في زمن كسرى أنوشروان يقال له: طيرور ـ (خ ب: طرطور) ـ ابن بخشد الفارسي، هكذا وجدناه في كتاب الهيئة، المطبوع سنة ١٩٠٠ ميلادي، مؤلّفه أحد علماء الفرس». وبيده الهراوة والكشكول.

ولمّا أتسعت بليّتهم، وانتشرت في بغداد دعوتهم، سعى العالم الفقيه الشيخ عبد الحسين الشهير بالطهراني وبشيخ العراقين مع السفير الإيراني بمخابرة الدولتين العثمانية والإيرانيّة، فاتّفقت الدولتان على نفيهم من بغداد إلى إسلامبول، فصدر الأمر بذلك، فجمعوهم وأوقفوهم في حديقة نجيب باشا بضعة أيام.

ولمّا وصلوا الآستانة التحق بهم المرزا يحيى المتخفّي، وأدرك قصد الحيلة من أخيه وأنّه بمباشرته تلك البرهة للأعمال قد قلب الأمر وحاز الاستقلال، فناقشه الحساب وطلب منه الأموال، فأنكره وأنكر عليه واختلفا أشدّ الاختلاف وخلع الوكيل حسين علي أخاه يحيى الأصيل بالخلافة بنصّ الباب خلع النعل، فتهارشا في أسواق الآستانة وقهواتها تهارش الكلاب على العظم، وتضاربا في المحافل العامّة بالأحذية والنعال الملطخة بالعذرة وصار كلّ من الأخوين يدسّ السمّ في طعام ليقتله، حتى أنّ الهباء أكل الطعام المسموم من أخيه فأشرف على الموت أو الدرك الأسفل، ثمّ نجا بالمعالجة.

فلمّا اتّسع الخرق بينهما، وطال التكالب والتضارب بينهما، ووقفت الحكومة على جليّة الحال، عزمت على نفيهم ثالثاً إلى أقاصي البلاد، فنفوهم إلى أدرنة من عواصم الروم القديمة، ويسمّونها البابيّة بأرض السرّ، فافترقا في المنزل، وصار كلّ واحد يشتغل على حسابه ويدعو إلى نفسه، فأدى ذلك أيضاً إلى المشاغبات بين الأخوين، ثم إلى المضاربة والمقاتلة بالسلاح الأبيض، وصار كلّ منهما يكفّر الآخر ويستحلّ دمه.

⇦

⇨
فاتّفق الباب العالي والسفارة الإيرانيّة أخيراً على نفيهم رابعاً مع التفريق بينهما، فأرسلوا الهباء مع حزبه البالغ عددهم ٧٣ شخصاً إلى عكا، والمرزا يحيى ورفقاه إلى جزيرة قبرص، وكان ذلك سنة ١٢٨٥هـ، وسجنوا في منفاهم أولاً، ومنعوهم من ملاقاة أحد والاختلاط مع الناس، ثمّ تملّصوا من ذلك القيد بالرشحات والمكايد، وكان على الهباء رقباء من ناحية الحكومة يخبرونهم بأعمالهم وحركاتهم، وهم من خواصّ أصحاب أخيه الأزل.

فوجدهم الهبائيّون عقبة في طريق مساعيهم، فهجموا عليهم ليلاً في عكا، فأبادوهم بأشنع قتلة بالحراب والسواطير «(الساطر للقصاب، والساطور لما يقطع به ق ص١٦٦) ». حتى جعلوهم لحماً على وضم (محرّكة : ما وقيت به اللحم عن الأرض من خشب وحصير ق ص٥٢٣). فهاجت الحكومة لهذا العمل الفضيع ـ ولكن المطامع مصارع ـ قبضوا عليهم وكبّلوهم بالأغلال مع رئيسهم الهباء، وبعد بضعة أيام أو أشهر أطلقوهم.

ولما أمن الهباء وحزبه من المراقب والمشاغب أخذ ينشر دعوته الباطلة ويوسّع دائرته، ويتدرّج في مدّعياته ومفترياته من خلافة الباب، ثمّ المهدوية، ثمّ الولاية المطلقة، فالنبوّة العامة والخاصّة، فالربوبيّة الخاصّة، فالأُلوهيّة المطلقة، كما يعلم ذلك كلّه من كتبه المشهورة وهي سبعة كتب:

هفت وادى. بالفارسية.

وكتاب أقدس، رتّبه بزعمه الكاسد وعقله الفاسد على منهج القرآن آيات وسوراً بالعربيّة.

وكتاب الأيقان.

وكتاب هيكل باللغتين، وكذلك كتاب إشراقات.

وكتاب ألواح بالعربيّة.

وكتاب عهد، وهو آخر كتبه، بيّن فيه وصاياه، وجعل الأمر فيه من بعده لعباس أفندي ولده الأكبر المسمّى غصن الله الأعظم، ومن بعده لولده الثاني المرزا محمّد علي المسمّى عندهم بغصن الله الأكبر، وأقفل من بعده باب دعوى الربوبيّة والأُلوهيّة إلى ألف سنة، وذلك حيث قال في كتاب أقدس صفحة ١٣:

مَن يدّعي أمراً قبل إتمام ألف سنة كاملة أنّه كذاب مفتر ـ إلى أن قال ـ: من يؤوّل هذه الآية أو يفسّرها في الظاهر أنه محروم من روح الله ورحمته التي سبقت للعالمين . خافوا الله ولا تتبعوا ما عندكم من الأوهام، اتبعوا ما يأمركم به ربّكم العزيز الحكيم.
⇦

⇨
ومن مواضع العجب أن الباب كتب نصّاً جليّاً في إقفال باب ربوبيّته، ومنع فيه من التأويل، وجعل مدّة نبوّته أو ربوبيّة ألفي سنة ونيفاً طبق كلمة المستغاث.

فقال في البيان: كلّ مَن ادّعى أمراً قبل سنين كلمة المستغاث، فهو مفتر كذّاب، اقتلوه حيث ثقفتموه، فضرب الهباء بهذه الوصيّة المغلّظة عرض الجدار وسحقها تحت قدمه، كما سحق غيرها من شرائع الباب وأحكامه، فنسخ ومسخ وغيّر وبدل، بل ارتقى به الطيش ونزق العيش إلى أن تغالى في كتاب الألواح في مقام الطعن على طائفة الأزليّة أتباع أخيه فقال ما تعريبه:

تفكّر في المعرضين عن البيان الذين يطيرون بأجنحة الأوهام في هواء الأوهام، وما علموا للآن مَن خلق ربّهم (يريد أنّه هو خالق الباب).

ولم يزل هو وأخوه يطعن بل يلعن كلّ منهم الآخر، ويعلن بكفره وفسقه في كتبه التي يزعمها وحياً، ويرفعها في الربوبيّة العليا.

فقال الأزل ـ والأزل في اللغة: الذيب ـ في كتابه الذي جعله قرآناً: لا تتّخذوا العجل من بعدنا وأنتم تعلمون، إنّ الذين يتّخذون العجل من نور الله أولئك هم المشركون، يعني بالعجل أخاه الهباء.

وقال الهباء في الألواح: إياكم أن تتمسّكوا بالذي كفر بلقاء ربّه وآياته، وكان من المشركين.

ويقول في كتابه الأقدس مخاطباً له: قل يا مطلع الأغراض، دع الأغماض ثمّ انطق بالحقّ، تالله لقد جرى دموعي بما أراك مقبلاً على هواك ومعرضاً عمّن خلفك وسواك، اتق الله وكن من التائبين، هب اشتبه على الناس أمرك هل يشتبه على نفسك؟! خفّ عن الله ثمّ اذكر إذ كنت قائماً لدى العرش (يعني بين يديه) وكتبت ما ألقيناك من آيات القدير المقتدر، هذا نصح الله لو أنت من السامعين، هذا كنز الله لو أنت من العارفين.

وهلمّ جرّا على هذه الركاكات والفجاجات والترهات والخزعبلات.

ولكن يعجبني من كتابه هذا قوله مستهجناً للحريّة: إنّا نرى بعض الناس أرادوا الحريّة ويفتخرون بها، أُولئك في جهل مبين. إنّ الحريّة تنتهي عواقبها إلى الفتنة التي لا تخمد نارها ، كذلك يخبركم المحصي العليم، فاعلموا أنّ مطالع الحريّة ومظاهرها هي الحيوان، وللإنسان ينبغي أن يكون تحت سنن تحفظه عن جهل نفسه وضرّ الماكرين. إنّ الحرية تخرج الإنسان عن الآداب والوقار وتجعله من الأرذلين.

وقوله: إياكم أن تقربوا خزائن حمامات العجم، مَن قصدها وجد رائحتها المنتنة قبل وروده فيها،
⇦



تجنّبوا يا قوم ولا تكونن من الصاغرين، إنّه يشبه بالصديد والغسلين إن أنتم من العارفين، كذلك حياضهم المنتنة اتركوها وكونوا من المقدّسين.

وأما كتابه الذي وسمه بالأقدس وجعله بزعمه كالقرآن ـ معاذ الله ـ وشرح فيه أحكامه وشرائعه، فقد ذكر فيه عند بيان قسمة المواريث وحقوق الورثة ما يضحك الثكلى ويجهض الحبلى حيث قال:

قد قسمنا المواريث على عدد الزاء، منها قدر لذرياتكم من كتاب الطاء على عدد المقت، وللأزواج من كتاب الحاء على عدد الثاء والفاء، وللآباء من كتاب الراء على عدد الثاء والكاف، وللأُمهات من كتاب الواو على عدد الرفيع، وللإخوان من كتاب الهاء على عدد الشين، وللأخوات من كتاب الدال عدد الراء والميم، وللمعلمين من كتاب الجيم عدد القاف والفاء، وكذلك حكم مبشّري الذي يذكرني في الليالي والأسحار. انتهى.

فانظر لو أنّ مجنوناً شرب مائة رطل من الخمر، هل يقدر أن يهذي مثل هذا الهذيان؟ وماذا يفهم الناس من هذا الكلام حتى يعملوا عليه في قسمة مواريثهم مع عموم البلوى به، وهل الجذر الأصم أعظم إعضالاً وأشدّ إشكالاً من استخراج معنى لهذا الكلام.

ولكن مع ذلك كلّه فقد كان هذا الرجل ـ أعني الهباء ـ من أكبر شياطين الرجال في الدهاء والمكر والتدبير والفتك، فإنّه ما زال يدسّ الأموال لأبطال الرجال للفتك والاغتيال بخواصّ أخيه والعاملين من رجاله، حتى أبادهم عن آخرهم، ولم يبق لأخيه وأتباعه الأزليّة شأن يذكر، مع أنّ وصيّة الباب كانت إليه وعهده ونصّه كان عليه.

ومثل هذا بعينه حدث بين الأخوين من أولاد البهاء بعد موته، فقد وقع الاختلاف والشقاق بين ولده الأكبر عباس أفندي وأخيه المرزا محمّد علي، وكان الغلب للأول، فإنّه كان أدهى وأمر من أبيه، وكان من الكياسة والسياسة على جانب عظيم، وبمساعيه دخلت ديانة البابية إلى الممالك الأجنبية كأمريكا.

بل قال بعض العارفين: لولا عباس أفندي لما قامت للبابيّة ولا للبهائية قائمة، ولما كان لها شأن يُذكر، وإنّ تدابير البهاء كلّها كانت من تعاليم ولده المزبور، وقد هلك في أثناء الحرب عن عمر يناهز التسعين تخميناً ، ولم يقع بعده من له صوت أو صيت ولا شأن يذكر، أخمد الله جمرتهم وأهلك بقيتهم.

وبما نشرناه عليك على اختصاره قد أحطت خبراً بأحوال هذه الطغمة الطاغية والفئة الباغية، من



طالما تشامخت بأُفق الضـلال، وانهـارت إلـى الـدرك الأسـفل بـأقلام الحـقّ والصواب، من أولئك الذين نصروا الدين، وقوّموا شعار المسـلمين، ونوّهـوا بالأئمة الطاهرين.

كيف لا يكون كذلك!! وإن كلّ ذي روح ديني وناموس إلهيّ، يحسر عن ذراعيه للمقاومة بأيّ وسيلة كانت.

ويشهد الله تعالى إنّما اندفعت لنشر هذه الرسالة طلباً للحقيقـة وانتصـاراً للحـقّ، وأرجـو بعـد الوقـوف عليهـا والنظـر إليهـا، أن لا تعـود لمثـل هـذا، وبالختام أقول: وإن عُدتم عُدنا.



مبتدأ خبرها إلى منتهى أثرها، ولا تطلب المزيد على هـذا مـن أخبـارهم وآثـارهم وكفـرهم وضلالهم، فإنّه تضييع لوقتك الثمين وتفريط في عمرك النفيس، ولا ينبؤك مثل خبير.

والخلاصة : أنّك قد عرفت بما وقفت عليه مـن تـرجمتهم، أنّ القـوم لـيس عنـدهم مـن حجّـة ولا برهان ولا معجزة ولا بيان، نعم كلّ ما عندهم في هذا الشأن هو الوقاحة والصلف، والمباهتـة للحقّ، وعدم النصف، وخلع رداء الحيـاء، وإحيـاء كـلّ رذيلـة، وإماتـة كـلّ فضـيلة، والجـد والثبات والقوة والنشاط وصدق العزيمة علـى المبـادئ وإن كانـت بأقصـى مراتـب السـقوط والسخافة.

وتالله ما ارتسم على لوح الوجود، ولا انتظم على رقعـة هـذه الأرض، أُمـة أجهـل وأضـلّ وأمكـر وأكفر وأدهى وأخبث من تلك الأُمة الخبيثة، والطغمة التي خنقت أنفاس الحقيقة، وأزهقـت روح شرف العلـم والفضـيلة ، وجعلـت كـلّ الحقـائق جرافـاً وثمنهـا بخسـاً، وكانـت فضـيلة الإنسان وتفوّق بعضه على بعض بالعلم والأخلاق.

وأمّا عند هؤلاء فلا تفـوّق إلّا بالجهـل، ولا فضـيلة إلا بزيـادة الخبـث والمكـر والحليـة والخـداع والظلم والقهر.

إن عــادت العقــرب عــدنا لهــا   وكانــت النعــل لهــا حاضــرة[١]

---

(١) في لسان العرب ٩: ٣١٩ «عقرب»: وعقرب بن أبي عقرب: اسم رجل من تجّار المدينة، مشهور بالمطل، يُقال في المثل: هو أمطل من عقرب، وأتجر من عقرب. حكى ذلك الزبير ابن بكّار، وذكر أنّه عامَلَ الفضلَ بن عباس بن عتبة بن أبي لهب ، وكان الفضل أشدّ الناس اقتضاءً، وذكر أنّه لزمَ بيت عقرب زماناً، فلم يعطه شيئاً ، فقال فيه:

قد تَجِرتْ في سُوقنا عقربٌ   لا مرحباً بالعقرب التاجرة
كلُ عدو يُتَّقى مُقبلاً   وعقربٌ يُخشى من الدابرة
إن عادت العقرب عدنا لها   وكانت النعل لها حاضرة
كلُ عدوٍ كيده في اسْته   فغير مخشيّ ولا ضائرة

ضرب الطبول وصدح الأبواق وقرع الطوس

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[1].

وأنت خبير أيّها القارئ الكريم، إنّ اقتران المواكب اللاطمة والتشبيهات، بضرب الطبول وصدح الأبواق وقرع الطوس، بمقتضى ما نطقت به الأدلّة، وأثبتته أقلام علمائنا الأعلام، على الكيفيّة المرسومة في عزاء الشهيد الحسين ابن علي عليه السلام، لمن الأُمور السائغة.

وأنت عليم أيّها المنتقد الساذج بأنّ المحرّم ليس نفس الآلة، ولا استعمالها بأيّ نحو كان، بل المحرّم إنّما هو ضربها على الكيفيّة التي تضرب للهو والطرب، كما هو مستعمل عند أهله. لا ما يوجب الحزن والجزع، بل الإنصاف ـ إن كنت منصفاً ـ أنّ الآلات الثلاث المذكورة ليست من الآلات المشتركة بين العنوانين، بل إنّما تعدّ عرفاً من آلات الحزن لا غير.

---

(١) سورة ق (٥٠): ٣٧.

ولذا لم ترَ من الفقهاء العظام والعلماء الكرام مَن أنكر عليهم فعل ذلك، خلفاً عن سلف، مع وقوع ذلك بمرأى منهم ومسمع.

ويحسن هنا أن أذكر لك بضع كلمات لزعماء الدين وكبار المسلمين؛ لتكون لك أنموذجاً لنظريّة سائر العلماء في الموضوع.

قال شيخ الطائفة جدّنا الأعلى شيخنا الأكبر الشيخ جعفر ـ أعلا الله مقامه ـ في كتابه كشف الغطاء، بعد أن ذكر الأعمال التي تصنع في مقام عزاء الحسين عليه السلام من دقّ طبل إعلام، أو ضرب نحاس، وتشابيه صور، ولطم على الخدود والصدور، ما لفظه:

«وجميع ما ذكر وما يشابهه إن قصد به الخصوصيّة كان تشريعاً، وإن لوحظ فيه الرجحانيّة من جهة العموم فلا بأس به»[1].

وقال الشيخ الفقيه المتبحّر شيخنا الشيخ زين العابدين الحائري رحمه الله في كتابه ذخيرة المعاد في صحيفة ٦١٩ و٦٢٠، في جواب السؤال عن حكم استعمال الطبل والصنج في عزاء الحسين عليه السلام مع كونهما لا يستعملان إلّا في مقام العزاء، ما ترجمته « لا بأس به، بل هو من الأُمور المطلوبة المحبوبة».

وقال شيخنا الفقيه، علاّمة العصر، عميد الطائفة الجعفريّة، وزعيم الفرقة الإسلامية، الشيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء أيّده الله وأبقاه، في

(١) كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغرّاء ١: ٢٧٠ التشريع والبدعة والاختراع.

رسالته المشهورة بالمواكب الحسينية في صحيفة ١٩، في جواب السؤال المرسول إليه من فيحاء البصرة عن الآلات الثلاث ما لفضه حرفياً:

«كلّها أمور مباحة، فإنّك أيّها السامع تحسّ ـ وكلّ ذي وجدان ـ أنّها لا تحدث لك بسماعها طرباً ولا خفّة ولا نشاطاً، بل بالعكس توجب هولاً وفزعاً وكمداً وحزناً، فإذا قصد منها الضارب الإعلام والتهويل ونظم المواكب وتعديل الصفوف والمناكب، حسنت بهذا العنوان ورجّحت بذلك الميزان»[1].

(١) المواكب الحسينيّة (الآيات البيّنات) المطبوعة ضمن هذه المجموعة ٣:١٥٥.

ضرب الرؤوس بالسيوف والقامات والظهور بالسلاسل

﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾[1].

﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلاَلٌ وَهَـذَا حَـرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللّهِ الْكَـذِبَ إِنَّ الَّـذِينَ يَفْتَـرُونَ عَلَـى اللّـهِ الْكَـذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ﴾[2].

ولا ريب أنّ الضرب بالسيوف والقامات على الرؤوس، والسلاسل على الظهور، هو مظهر من مظاهر الأسف والجزع على مَن دمه غسله، وشيبه قطنه، والتراب كافوره، ونسج الرياح أكفانه، غريب الأوطان، والسليب العريان، والذبيح العطشان، صاحب المصائب والأحزان، الإمام المظلوم أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

---

(١) القلم (٦٨): ٥٢.

(٢) النحل (١٦): ١١٦.

ويمكنك أيّها الضالع لأهل البيت أن تعرف الحكم في إدماء الرؤوس؛ إشعاراً بالحزن على شهيد الطفّ، فإنّ إطلاق الأمر باللطم على الخدود لم يقضي باستحبابه ورجحانه وإن استلزم الخدش والإدماء، بل وانبعاث الدم من الخدّ بسبب توالي اللطم عليه يكاد يعدّ لازماً عادياً له على الأغلب، بالنظر إلى رقّة جلدته وطراوة بشرته.

وما ضرّ الجعفريّة أن يسمحوا من دمائهم مواساة لتلك الأبدان الطاهرة التي تضرّجت بدمائها فداء لقضيتهم وخدمة لمصلحتهم، أوليس من الجفاء الممقوت أن يتحمّل أولئك الشهداء في سبيل أُمّتهم كلّ تلك المصائب والنوائب، ولا تتحمّل هي في سبيلهم ما يريق من أبدانها ملء محجمة دماً؟!

وقولك أيّها الساذج: «إضرار بالنفس وموت جماعة في كلّ سنة لكثرة نزف الدم»، فرية بلا مرية، فبالله عليك إن كنت صادقاً هل رأيت في عينك أو سمعت بأذنك أنّ واحداً مات بذلك في أيّ سنة وأيّ بلدة؟! فضلاً عن جماعة في كلّ سنة، وربّما حقيقة واقعة في الجيل الواحد اتّفاقاً، ولا عجب.

كلّ ابن انثى وإن طالت سلامته ... يوماً على آلة حدباء محمول[1]

---

(١) البيت للشاعر كعب بن زهير (ت٢٦هـ) من قصيدته المشهورة المعروفة بالبردة، التي مدح بها النبيّ محمّدﷺ عندما جاءه مسلماً متخفياً بعد أن أهدر دمه لأنّه شبَّب بنساء المسلمين، فكساه النبيﷺ بردته، فاشترى معاوية بن أبي سفيان تلك البردة من ولد كعب، وكان ⇦

ألم تعلم أيّها الساذج أنّ الإنسان مرهون بأجله؛ لقوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلّا بِإِذْنِ الله كِتَابًا مُّؤَجَّلاً﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾[3].

واعلم أنّ كثيراً من الناس من لا تستقيم صحتهم إلّا بإسالة كميّة وافرة من دمائهم، وربّما أسالوا منه أكثر من مرّة واحدة، على أن الإضرار بالنفس في سبيل مواساة ذلك الإمام الشهيد والتأسّي به مندوب إليه، وما ضرّ الفرقة الاثني عشرية أن يتحمّلوا ممّا تحمّله أصحاب الحسين عليه السلام وإخوته في سبيل هذا الدين الحنيف؟!

⇦

الخلفاء يلبسونها في الأعياد، واحتفظ بها الخلفاء العباسيون، إلى أن احتلّ المغول بغداد ونهبوها وأحرقوا البردة، ويقال: إنّها لم تحرق وموجودة في اسطنبول، ومطلع القصيدة:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول   متيّمٌ إترها لم يفد مكبول

انظر: زاد المعاد لابن القيّم الجوزية: ٤٥٦.

(١) الأعراف (٧): ٣٤.

(٢) آل عمران (٣): ١٤٥.

(٣) الزمر (٣٩): ٤٢.

ومنهم العالم في أحكام الله، والمجاهد في سبيله، والناصر لدينه، والذابّ عن العترة الطاهرة الهادية، الممتاز في المعرفة والكمال، والحائز للفخر والجمال، وقمر بني هاشم، وحامل راية أخيه، وعقيد آماله في المحافظة على ثقله ورحله وعياله، أعني به الأسد الباسل، قمر العشيرة، أبا الفضل العباس ابن أمير المؤمنين عليهما السلام وإخوته، وهو أفضل أولاد أبيه بعد أخويه الحسنين عليهما السلام، وما أحقّهم بقول القائل:

قوم إذا نودوا لدفع ملمّة والخيل بين مدّعس ومكردس

لبسوا القلوب على الدروع وأقبلوا يتهافتون على ذهاب الأنفس[1].

وفي البحار وغيره عن علي بن الحسين عليهما السلام: أنّه نظر يوماً إلى عبيد الله ابن العباس بن علي عليه السلام فاستعبر، ثمّ قال: «ما من يوم أشدّ على رسول الله صلى الله عليه وآله من يوم أُحد، قتل فيه عمّه حمزة[*] بن عبد المطّلب أسد الله وأسد رسوله، وبعده يوم موتة قتل فيه ابن عمّه جعفر بن أبي طالب».

ثمّ قال عليه السلام: «ولا يوم كيوم الحسين عليه السلام، ازدلف إليه ثلاثون ألف رجل، يزعمون أنّهم من هذه الأُمّة، كلّ يتقرّب إلى الله عزّ وجلّ بدمه، وهو بالله يذكّرهم فلا يتّعظون، حتى قتلوه بغياً وظلماً وعدواناً».

---

(١) قال أبو مخنف في مقتله: ١٣٣: إنّ الحسين عليه السلام أنشأ هذين البيتين في كربلاء. انظر: عمدة الطالب لابن عنبة: ٣٥٧، ناسخ التواريخ ٢: ٣٧٧.

(*) وممّا ذكره أبو الفداء في تأريخه صحيفة ١٣٧، وكذا صاحب الفخري الطقطقي في صحيفة ٧٦، وابن الأثير في كامله: إنّ حمزة بن عبد المطلب عمّ النبيّ صلى الله عليه وآله لمّا صرع في وقعة أحد، جاءت هند فمثّلت بحمزة، وأخذت قطعة من كبده فمضغتها حنقاً عليه؛ لأنّه كان قد قتل رجالاً من أقاربها، فلذلك يقال لمعاوية: ابن آكلة الأكباد.

ثمّ قال عليه السلام: «رحم الله عمّي العباس فلقد آثر وأبلى، وفدى أخاه بنفسه حتى قطعت يداه، فأبدله الله عزّ وجلّ منها جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنّة، كما جعل لجعفر بن أبي طالب عليه السلام، وأنّ للعباس عند الله تبارك وتعالى منزلة يغبطه بها جميع الشهداء يوم القيامة»[١].

قال أهل السير والتواريخ : وكان العباس ربّما ركّز لواءه أمام الحسين عليه السلام وحامى عن أصحابه أو استقى ماءً، فكان يلقّب السقّاء، ويكنّى أبا قربة بعد قتله.

قالوا: ولمّا رأى وحدة الحسين عليه السلام بعد قتل أصحابه وجملة من أهل بيته، قال لإخوته من أبيه وأُمّه: تقدّموا لأحتسبكم عند الله تعالى، فإنّه لا ولد لكم، فتقدّموا حتى قُتلوا، فجاء إلى الحسين عليه السلام واستأذنه في القتال، فقال عليه السلام له: «أنت حامل لوائي».

فقال: لقد ضاق صدري وسئمت الحياة.

فقال له الحسين عليه السلام: «إن عزمت فاستسق لنا ماءً»، فأخذ قربته وحمل على القوم»[٢].

فإنّه بعد أن اخترق بسيفه صفوف أهل الكوفة فتفرّقوا هاربين، كما يتفرّق عن الذئبة الغنم، ووصل المشرعة من شطّ الفرات، وقد أخذ منه

---

(١) الأمالي للصدوق ٥٤٨ حديث ٧٣١ السجّاد يذكر والده وعمّه العباس عليهم السلام، بحار الأنوار ٢٢: ٢٧٤ حديث ٢١.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام، لأبي مخنف: ١٧٩ طلب الحسين عليه السلام طفله الصغير عبد الله.

العطش مأخذاً لا يوصف، فاغترف من الماء غرفة، فلمّا أدناها من فمه ليشرب ذكر عطش أخيه الحسين عليه السلام وأهل بيته، فرمى الماء من يده، وقال: يا ماء لا ذقتك وأخي الحسين وعياله وأطفاله عطاشى، ثمّ قال عليه السلام:

يا نفس من بعد الحسين هوني ... وبعده لا كنت أن تكوني

هذا الحسين وارد المنون ... وتشربين بارد المعين

فبعد أن ملأ القربة خرج من المشرعة متوجّهاً نحو الخيام، فأخذوا عليه الطريق يمانعونه، ويستنهض بعضهم بعضاً على معارضته ومقاتلته؛ خشية أن يصل الماء إلى عترة المختار وحيدر الكرار عليه السلام، ولم يزل بأبي وأُمّي يقارعهم ويقاتلهم، ويقلب الصف على الصف بسيفه وهو يقول:

لا أرهب الموت إذا الموت زقا ... حتى أُوارى في المصاليت لقى

إني أنا العباس(*) أغدوا بالسقا ... ولا أهاب الموت يوم الملتقى

(*) وفي البحار وغيره من كتب السير والأخبار، وعمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب عليه السلام، في صحيفة ٣٢٣، قال: قال الإمام الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام: «كان عمّنا العباس عليه السلام نافذ البصيرة، صلب الإيمان، جاهد مع جدّي الحسين عليه السلام، وأبلى بلاءً حسناً وقتل شهيداً».

وله من العمر ٣٤ سنة، وأمه وأمّ إخوته عثمان وجعفر وعبد الله أُمّ البنين بنت حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد بن كعب بن عامر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوزان.

وأُمها ليلى بنت السهيل بن مالك، وهو ابن أبي برة عامر ـ ملاعب الأسنّة ـ بن مالك بن جعفر بن كلاب.

وأُمّها عامرة بنت الطفيل بن عامر.

وأُمّها كبشة بنت عروة الرجال ابن عتبة بن جعفر بن كلاب.

⇦

⇨

وأُمّها فاطمة بنت عبد شمس بن عبد مناف.

وممّا نصّت به السيرة والتواريخ أنّ العباس ابن أمير المؤمنين عليه السلام، ولد في سنة ٢٦ هـ وأُمّه أم البنين فاطمة بنت حزام بن خالد بن ربيعة بن عامر ـ المعروف بالوحيد ـ بن كلاب بن عامر ابن ربعة بن عامر بن صعصعة.

وأُمّها ـ أي أُمّ البنين ـ ثمامة بنت سهيل بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب.

وأُمّها ـ أي ثمامة ـ كبشة بنت عروة الرجال بن عتبة بن جعفر بن كلاب.

وأُمها ـ أي أُمّ كبشة ـ أُم الخشف بنت أبي معاوية ـ فارس هوزان ـ بن عبادة بن عقيل بن كلاب ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة.

وأُمّها ـ أي أُمّ الخشف ـ فاطمة بنت جعفر بن كلاب.

وأُمها ـ أي أُمّ فاطمة ـ عاتكة بنت عبد شمس بن عبد مناف.

وأُمها ـ أي أُمّ عاتكة ـ آمنة بنت وهب بن عمير بن نصر بن قعين بن الحرث بن ثعلبة بن ذردان ابن أسد بن خزيمة.

وأُمها ـ أي أُمّ آمنة ـ بنت حجدر بن ضبيعة الأغر بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي ابن بكر بن وائل بن ربيعة بن نزار.

وأُمها بنت ذي الراسين خشين ابن أبي عصم بن سمح بن فزارة.

وأُمّها بنت عمرو بن صرمة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن الريث بن غطفان.

هذا ما نصّ به المسعودي في كتابه، وابن الأثير في كامله، وجُلّ كتب النسّابة كصاحب العمدة وغيره.

وقال السيّد الداردي في العمدة: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال لأخيه عقيل ـ وكان نسّابة عالماً بأخبار العرب وأنسابهم ـ: «أبغني امرأة قد ولدتها الفحولة من العرب لأتزوّجها، فتلد لي غلاماً فارساً».

فقال له: أين أنت عن فاطمة بنت حزام بن خالد الكلابية، فإنه ليس في العرب أشجع من أبائها ولا أفرس، وفي آبائها يقول لبيد للنعمان بن المنذر ملك الحيرة.

نحن بنو أُمّ البنين الأربعة ... ونحن خير عامر بن صعصعة

⇦



الضاربون الهام وسط المجمعة

ومن قومها ملاعب الأسنّة أبو براء الذي لم يعرف في العرب مثله في الشجاعة، والطفيل فارس قرزل، وابنه عامر فارس المزنوق. فتزوّجها أمير المؤمنين عليه السلام فولدت له وأنجبت، ونعم ما ولدت العباس عليه السلام، يلقّب في زمنه قمر بني هاشم، ويكنّى أبا الفضل، وبعده عبد الله وبعده عثمان ، وبعده جعفر.

وعاش العباس مع أبيه ١٤ سنة حضر بعض الحروب فلم يأذن له أبوه بالنزال، ومع أخيه الحسن عليه السلام ٢٤ سنة، ومع أخيه الحسين عليه السلام ٣٤ سنة، وذلك مدة عمره، وكان عليه السلام شجاعاً فارساً، وسيماً جسيماً، يركب الفرس المطهّم ورجلاه تخطان في الأرض.

وأمّا عبد الله بن علي عليه السلام ولد بعد أخيه العباس بنحو ثمان سنين وأُمّه فاطمة أُم البنين، وبقي مع أبيه ستّ سنين، ومع أخيه الحسن عليه السلام ١٦ سنة، ومع أخيه الحسين ٢٥ سنة، وذلك مدة عمره.

قال أهل السير والتواريخ: إنّه لمّا قتل أصحاب الحسين عليه السلام وجملة من أهل بيته، دعا العباس عليه السلام إخوته الأكبر فالأكبر وقال لهم: تقدّموا ، فأوّل من دعاه عبد الله أخوه لأبيه وأُمه، فقال: تقدّم يا أخي حتى أراك قتيلاً وأحتسبك، فإنّه لا ولد لك، فتقدّم بين يديه، وجعل يضرب بسيفه قدماً، ويجول فيهم جولان الرحى وهو يقول:

أنا ابن ذي النجدة والأفضال　　ذاك علي الخير في الأفعال
سيف رسول الله ذو النكال　　في كلّ يوم ظاهر الأهوال

فقاتل قتالاً شديداً، ثمّ شدّ عليه هاني بن ثبيت الحضرمي فضربه على رأسه فقتله.

وأما عثمان بن علي عليه السلام ولد بعد أخيه عبد الله بنحو سنتين، وأُمّه فاطمة أُمّ البنين، وبقي مع أبيه عليه السلام نحو أربع سنين ، ومع أخيه الحسن عليه السلام نحو ١٤ سنة، ومع أخيه الحسين عليه السلام ٢٣ سنة ، وذلك مدّة عمره.

وأما جعفر بن علي عليه السلام ولد بعد أخيه عثمان بنحو سنتين، وأُمه فاطمة أُم البنين، وبقي مع أبيه نحو سنتين، ومع أخيه الحسن عليه السلام ١٢ سنة، ومع أخيه الحسين عليه السلام ٢١ سنة، وذلك مدّة عمره.

فكمن له حكيم بن طفيل الطائي السنبسي وراء نخلة من نخيلات للغاضرية، فضربه على يمينه فبراها، فتلقّى السيف واللواء بشماله وهو يقول:

والله إن قطعتم يميني إني أُحامي أبداً عن ديني

ولم يزل مثابراً على الدفاع غير مكترث بما أصابه، وهو يتلو القرآن، ويذكّر القوم بمآثر الحسين عليه السلام وحسبه ونسبه من رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم يكن همّه سوى الوصول إلى الخيام بالقربة.

فكمن له ثانية زيد بن ورقاء الجهني من وراء نخلة اُخرى فضربه على شماله فبراها، فضمّ اللواء إلى صدره وهو يقول:

ألا ترون معشر الفجّار قد قطعوا ببغيهم يساري

فحمل عليه رجل تميمي من أبناء أبان بن دارم فضربه بعمود على رأسه، فخرّ صريعاً وهاتفاً: يا أخاه يا حسين أدرك أخاك[1].

وإليك أيّها القارئ من رثاء أمّه فاطمة أمّ البنين، الذي أنشده أبو الحسن الأخفش في شرح الكامل: وقد كانت تخرج إلى البقيع كلّ يوم ترثيه وتحمل ولده عبيد الله، فيجتمع لسماع رثائها أهل المدينة، وفيهم ابن الطريد مروان بن الحكم، فيبكون لشجي الندبة، ودونك قولها رضي الله عنها:

يا مَن رأى العباس كرَّ على جماهير النقد

ووراه من أبناء حيدر كلّ ليث ذي لبد

(١) راجع مقتل الحسين عليه السلام، لأبي مخنف: ١٧٩.

أُنبئت أنّ ابني أُصيب　　برأسه مقطوع يد

ويل على شبلي أما　　ل برأسه ضرب العمد

لو كان سيفك في يد　　يك لما دنا منه أحد

ومن قولها أيضاً:

لا تدعوني ويك أُمّ البنين　　تذكّريني بليوث العرين

كانت بنون لي أُدعى بهم　　واليوم أصبحت ولا من بنين

أربعة مثل نسور الربى　　قد واصلوا الموت بقطع الوتين

تنازع الخرصان أشلائهم　　فكلّهم أمسى صريعاً طعين

ياليت شعري أكما أخبروا　　بأنّ عباساً قطيع اليمين(١)

فانظر أيها الساذج إلى هذا التأسّي، كيف ترك الماء عند ذكر أخيه عليه السلام، وقد بلغ به العطش ما بلغ، حتى وفد على ربّه محتسباً صابراً؟!

فإنّ الأولى بالطفّ من آل هاشم　　تأسّوا فسنّوا للكرام التأسّيا(٢)

إذاً فما يمنع سائر أفراد الشيعة من قبول بعض الضرر على أنفسهم في سبيل تلك المواساة، بعدما قبله على نفسه العبد الصالح العباس بن علي عليهما السلام وإخوته وأصحابه، وهو العالم بدين الله وأحكامه وتميّز حلاله وحرامه؟!

ويمكن لك أيها الضالع الاستيناس لجواز إدماء الرؤوس بالسيوف والقامات والسلاسل، من أن عقيلة علي الكبرى زينب عليها السلام لمّا لاح لها رأس

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام، لأبي مخنف: ١٨١ طلب الحسين عليه السلام طفله الصغير عبد الله.

(٢) الأخبار الطوال، للدينوري: ٣١٢ خضوع العراق لجند الشام.

الحسين عليه السلام وهو على رمح طويل، والريح تلعب بكريمته ، نطحت جبينها بمقدّم المحمل حتى سال الدم من تحت قناعها.

وخذ إليك من الأدلّة على ذلك مضافاً إلى ما سلف ـ وإن كان فيه غنى وكفاية ـ ما دلّ على إدماء المولى كثيراً من أنبيائه لأجل أن يثابوا ويحصل لهم الفوز العظيم بدرجة المواساة للشهيد المظلوم أبي عبد الله الحسين عليه السلام قبل خلقه وقتله:

فمن ذلك المروي في الكافي والبحار[1] وجامع الأخبار وكامل ابن الأثير وقصص الدينوري، وجُلّ كتب التواريخ والأخبار: أنّ آدم لما انتهى في طوافه إلى أرض كربلاء عثر في الموضع الذي قتل فيه الحسين عليه السلام حتى سال الدم من رجله.

وكذلك إبراهيم الخليل عليه السلام لما مرّ بها عثر فرسه فسقط وشجّ رأسه وسال دمه.

وكذلك موسى الكليم عليه السلام حين جاء كربلاء انخرق نعله وانقطع شراكه، ودخل الحسك في رجليه وسال دمه.

وكلّ من هؤلاء لما ذعروا من ذلك وخشوا أن يكون ذلك لذنب حدث منهم، أوحى الله سبحانه وتعالى إلى كلّ واحد منهم: أن لا ذنب لك، ولكن يقتل في هذه الأرض الحسين بن علي عليهما السلام، وقد سال دمك موافقة لدمه.

---

(١) انظر: بحار الأنوار ٤٤: ٢٢٣ إخبار الله تعالى أنبياءه ونبينا صلى الله عليه وآله بشهادته.

فإنّ في هذا الإعثار والإدماء من المولى، لا عن ذنب، والتعليل بكونه «موافقة لدم الحسين»، دلالة واضحة جليّة على جواز إدماء الإنسان نفسه ما لم يكن فيه خوف الضرر، إذ لا دليل على حرمة إدماء الجسد حتى يكون أصلاً للتحريم.

فما ورد من علمائنا المتقدّمين، ولا صدر من المتأخّرين، من التأمّل في جواز إدماء الرؤوس بالسيوف والقامات، بل وجواز اللطم على الصدور الموجب لإحمرار الجسد أو اللطم المدمي، وإلى هنا فقد تحصّل جليّاً لديك أن لا دليل لك على حرمة ذلك.

وناهيك قول شيخنا الفقيه المتبحّر الخضر بن شلال في مزار أبواب الجنان وبشائر الرضوان، في جملة كلام متّسع الأطراف، ما نصه:

«قد يستفاد من النصوص التي منها ما دلّ على جواز زيارته ولو مع الخوف على النفس، جواز اللطم عليه والجزع لمصابه بأيّ نحو كان، ولو علم أنّه يموت من حينه، فضلاً عمّا لا يخشى منه الضرر على النفس التي قد تكون عند كثير من الناس أهون من المال، الذي قد قامت ضرورة المذهب على مزيد فضل بذله في مصابه وزيارته».

ولو سنحت لي الفرص واتّسع معي الوقت لعلمت كيف أجمع لك الظروف والأدلة، ولكن يا للأسف إنّ الظروف لا تساعد وإنّي على سفر.

وبالجملة: إنّ أولئك المدمين لرؤوسهم، والضاربين على ظهورهم والمدمين باللطم صدورهم، لا يعترفون بدخول الضرر عليهم من قبل ذلك

الإدماء وغيره، فلا وجه للإنكار عليهم بعمل لا يكون ضرراً بالقياس إليهم. ولو قدّر أنّ فيهم مَن يتضرّر بإدماء رأسه وظهره وصدره، اختصّت الحرمة به دون غيره.

وليكن آخر قولي لك قوله تعالى: ﴿**قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ**﴾[1].

---

(١) الأنبياء (٢١): ٢٤.

الشبيه والتمثيل

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾[1] .

﴿ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾[2] .

﴿ وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾[3] .

كيف لا؟! وقد ألقى الله تعالى شبه نبيه وروحه عيسى المسيح عليه السلام[*]

---

(١) الواقعة (٥٦): ٩٥.

(٢) الواقعة (٥٦): ٨٠.

(٣) الحاقّة (٦٩): ٤٨.

(*) المسيح لقبه عليه السلام، وهو من الألقاب المشرّفة المختصّة من المولى جلّ شأنه.

وفي الصافي صفحة ٨٨ في بيان قوله تعالى: ﴿ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ قيل: أصله بالعبرانيّة مشيحاً، ومعناه: المبارك.

والظاهر من عبارة الصافي: ومعناه المبارك، مشيراً إلى قوله: ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾.

وقد جال نظري يوماً ما أروّح النفس بالسلوّ في ليالي سهري في بعض كتب التفاسير والأخبار، فبينما النظر يتجوّل بين خلال سطورها، وإذا هي تنص في بيان معنى المسيح ما نصّها قيل: إنّما لقّبه المولى جلّ شأنه بالمسيح؛ لأنّه كان لا يمسح ذا عاهة إلّا برأ، ولأنّه كان يمسح الأرض بالسياحة، لا يستوطن مكاناً؛ لكي يبثّ دعوة النبوة وانتشار دين الله في الأرض.

وفي الصافي صفحة٨٨ ما نصّه: عن القمّي، عن الإمام الباقر عليه السلام: إنّ عيسى عليه السلام كان يقول لبني ⇦

على أبغض خلقه إليه هوذا(*) الذي نَمَّ على عيسى عليه السلام، وحثّ اليهود على

⇦

إسرائيل: ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم﴾ و﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللّهِ وَأُبْرِىءُ الأكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللّهِ﴾ إلى آخر الآية، كما نصّ بها المولى جلّ شأنه في كتابه الحميد في سورة آل عمران ﴿الأكْمَه﴾ و﴿والأَبْرَصَ﴾ قالوا ـ أي بني إسرائيل ـ: ما نرى الذي تصنع إلّا سحراً، فأرنا آية نعلم أنّك صادق؟ قال: أرأيتكم إن أخبرتكم بما تأكلون وما تدّخرون في بيوتكم قبل أن تخرجوا، وما ادّخرتم بالليل، تعلموا أنّي صادق؟ قالوا: نعم.

وكان يقول لكلّ فرد منهم: أنت أكلت كذا وكذا، ورفعت كذا وكذا، فمنهم من يقبل منه فيؤمن، ومنهم من يكفر، وكان لهم في ذلك آية إن كانوا مؤمنين.

وفي الصافي أيضاً صحيفة ٨٩ ما نصّه: في الإكمال عن النبيّ صلى الله عليه وآله في حديث: «بعث الله عيسى عليه السلام واستودعه النور والعلم والحكم وجميع علوم الأنبياء قبله، وزاده الإنجيل وبعثه إلى بيت المقدس إلى بني إسرائيل يدعوهم إلى كتابه وحكمته إلى الإيمان بالله ورسوله، فأبى أكثرهم إلّا طغياناً وكفراً، فلمّا لم يؤمنوا به دعا ربّه وعزم عليه، فمسخ منهم شياطين ليريهم آية فيعتبروا فلم يزدهم ذلك إلّا طغياناً وكفراً، فأتى بيت المقدس فكان يدعوهم ويرغّبهم فيما عند الله ثلاثاً وثلاثين سنة، حتى طلبته اليهود وادّعت أنّها عذّبته ودفنته في الأرض حيّاً، وادّعى بعضهم أنّهم قتلوه وصلبوه، وما كان الله ليجعل لهم سلطاناً عليه، وإنّما شبّه لهم، وما قدروا على عذابه ودفنه ولا على قتله وصلبه؛ لأنّهم لو قدروا على ذلك كان تكذيباً لقوله تعالى» الحديث وحاشا وكلا جلّه وعلا عن ذلك، ولكن رفعه الله سبحانه إليه بعد أن توفّاه عليه السلام.

(*) وهوذا كان عدوّاً لعيسى عليه السلام ومكفّراً له، وقيل: إنّه كان من الحواريين له، والأول أصح، وفي بعض القصص والتفاسير: إنّ اسمه يهوذا بن سايان اليهودي لعنه الله الذي نمَّ على عيسى عليه السلام وحثّ اليهود على قتله وصلبه.

قتله وصلبه؛ لقوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾[1](*).

وكان أمين الوحي جبرئيل عليه السلام عند هبوطه على النبي صلى الله عليه وآله يتشبّه بدحية الكلبي، وناهيك الأخبار الناطقة من أنّ الملائكة تشبّهت بأمير المؤمنين عليه السلام يوم بدر.

وأمّا قولك (ياسرحوب): «إنّه موجب لهتك حرمة رؤساء الدين وأئمة المسلمين، وتشبيه الأسافل بهم، وإظهار ما جرى عليهم من الذلّ والاستهانة والاستحقار هتك لهم عليهم السلام».

فأمّا تشبيه الأسافل بهم، فقد أجابتك عنّا آية تشبيه يهوذا بالمسيح عليه السلام في صدر المقال.

وأمّا أنّه موجب لهتك الحرمة، فنجيبك أنّ حادثة الطفّ، مع ما اشتملت عليه من قتل الرجال والأطفال وسبي ربّات الحجال، ليس فيها ـ لو عقلت ـ ما يوجب الهتك، بل كلّها بفضل الله مفاخر ومآثر، اعترف بها المعادي قبل

---

(١) النساء (٤): ١٥٧.

(*) وممّا نصّ به كتاب العهد العتيق والجديد من التوراة والإنجيل، المطبوع بمطبعة دار السلطنة لندن سنة ١٨٩٥ ميلادي، ما نصّ ترجمته في باب ٢٢ من إنجيل لوقا صفحة ١٣٢، وكذا باب ١٤ من إنجيل مرقس: إنّ الذي نمّ على عيسى عليه السلام يهوذا بن سايان اليهودي لعنه الله.

الموالي، حتى قال فيهم مصعب بن الزبير:

ألا أنّ قتلى الطف من آل هاشم تأسّوا فسنّوا للكرام التأسّيا[١]

ولو كان تمثيل وقائع الظلم والاضطهاد وإظهارها، هتكاً لحرمة المظلومين والمضطهدين، لما هتك الله أنبياءه ورسله، وهم أعزّ الخلق لديه، بإظهار ما كابدوه من مصائب القتل والامتهان في آيات منزلات تتلى بكرةً وعشية على رؤوس الأشهاد وإذاً لحذفت كلّ أُمةٍ من تأريخها ما منيت به من أدوار الظلم والاعتساف؛ لتسلّط أُمةٍ غاشمةً أو ملك جائر عليها.

إنّ كثيراً من وقائعها قد اشتملت على أفظع أمثلة الجور: من قتل النساء، وبقر بطونهم، بل هتك الأعراض، والإخلال بالناموس.

فأيّ مؤرّخ لم يذكر مثلاً فظائع نيرون وجنگيز وتيمور، وما استباحوه في الأُمم الذين تسلّطوا عليها من أنواع الفتك والهتك؟! فهل احتجّت أُمّة منها على ذلك التشهير الفظيع؟

وهل عدّ تسجيل تلك الحوادث تشنيعاً بالظالمين أو المظلومين؟! أوليس أنّ الآباء تحدّث الأبناء بما لا قوه من الاضطهاد تحريضاً لهم على أخذ الثأر، أو تنبيهاً لهم عن الوقوع فيما وقعوهم فيه؟!

فعملاً بهذه القاعدة قد استفاضت الأوامر الأكيدة في الأخبار بذكر ما جرى عليهم من القتل والنهب والهتك والإضجار في المجامع الكبار،

---

(١) الأُصول الستّة عشر (عدّة من المحدّثين): ١٢٣ نوادر علي بن أسباط.

والتفجّع عليهم والبكاء، بل العقل السليم يقضي بحسن إشاعة هذه الفاجعة العظمى، وما جرى عليهم من المصائب والبلوى؛ حتى لا يبقى للإنكار مجال.

وأنت خبير أيّها الضالع بفساد ما قلت، وزعمت أنّه ليس الغرض هو تشبيه النفس بالنفس والشخص بالشخص، بل هو تشبيه محض للصورة والزيّ واللباس؛ لتذكار أحوالهم، وللتأثّر ممّا جرى عليهم.

ومن المعلوم عند كلّ متضلّع بالأخبار وكلمات الفقهاء الأبرار، عدم ورود آية ولا رواية ولو ضعيفة السند بحرمة تشبيه شخص بشخص؛ لأنّ المراد بالتشبّه الممنوع منه إنّما هو التشبّه التام بحيث لا يتميّز الرجل عن المرأة، ولا المرأة عن الرجل بوجه؛ لأداء ذلك إلى مفاسد عظيمة لا تحصى.

وهذه صحف الأوائل والأواخر وكتب الأخبار من الفريقين، ليس فيها مَن منع ذلك عين ولا أثر.

كلّ مَن يدّعي بما ليس فيه　　　كذّبته شواهد الامتحان[1]

فليأت بكلام فقيه واحد أو رواية واحدة، فهو الصادق والناصح للمسلمين، وإلّا فنجعل لعنة الله على الكاذبين.

كيف! وأوّل من أسّس أساس تشبيه وقعة الطف العلاّمة المجلسي[*]

---

(١) البيت للشيخ أبي الحسن الحصري، راجع: طبقات الصوفية للسلمي: ٤٨٩ (أبو الحسن علي بن إبراهيم الحصري).

(*) وكانت وفاته رضوان الله عليه سنة ١١١١هجرية.

أعلى الله مقامه، الذي لم يوجد له في عصره ولا قبله ولا بعده قرين في ترويج الدين وإحياء شريعة سيّد المرسلينصلى الله عليه وآله، وهو العالم بالأخبار والآثار وكلمات فقهائنا الأخيار.

وذلك في عشرة التسعين بعد الألف هجرية، في زمن السلطان شاه سليمان الصفوي الموسوي، والشبيه يومئذٍ في دور نشأته.

وكلّ من أتى بعده من علماء الجعفريّة أمضى قوله واستحسن فعله وحذا حذوه، ولم ينكر عليه وعلى المرتكبين له، حتى بلغ إلى ما هو عليه الآن، وقد تداولت عليه الأيام إلى يومك هذا نحو مائتين وستّين سنة، وهو يقام في البلدان الشيعيّة وجلّ الأقطار الإسلاميّة وغيرها من الأقطار الأجنبيّة، بمرأى علمائهم ومسمع، من دون إنكار منهم.

فبان أنّ المنع من التشبيه ممّا لا دليل عليه، وأنّ مقتضى الأصل جوازه، لا حجّة لك أيّها البصير في منعه بأيّ نحوٍ كان.

وحسبك ممّا وقع عليه السؤال سابقاً ولاحقاً من العلماء الأعلام وحجج الإسلام في بيان جوازه واستحبابه، منهم شيخنا الفقيه والمعتمد النبيه أبو القاسم الملقّب بالفاضل القمي(*) أعلى الله مقامه.

(*) وإليك تاريخ ولادته ووفاته رحمه الله كما هو مذكور في الورقة الأخيرة من كتابه جامع الشتات صحيفة ٨٦٢: كان ميلاده سنة ١١٥٢هـ، وأمّا وفاته سنة ١٢٣٣هـ، وقيل: توفّي في قم، وكانت وفاته سنة ١٢٣١هـ، وقيل: في تاريخ وفاته بالفارسية

ازين جهان بجنان صاحب قوانين رفت

وقد أصيب بعد فراغه من جامع الشتات بسمعه الشريف وتبلى بثقل السامعة وآفة الصمم.

⇦

وقد أجاب في كتابه الموسوم بجامع الشتات(*) ما نصّه في جواب السؤال:

«إني لا أرى وجهاً للمنع عن ذلك، ويدلّ عليه رجحان البكاء والإبكاء والتباكي على سيّد الشهداء عليه السلام».

ثمّ أخذ رحمه الله في المبالغة والإصرار على إثبات الجواز حتى جوّز ذلك وإن كان مشتملاً على تشبيه الرجال بالنساء، بدعوى أنّ المستفاد من تلك الأخبار المانعة من تشبيه أحدهما بالآخر، هو الخروج من زيّ أحدهما والدخول في زيّ الآخر، بحيث يعد الرجل نفسه من صنف النساء وبالعكس.

وأمّا التشبيه بامرأة خاصة في زمان قليل لغرض خاص، فهو خارج عن منصرف الأخبار، إلى أن قال رحمه الله:

«إنّ تشبيه الرجل نفسه بالشمر الرجس قاتل الحسين عليه السلام من أعظم المجاهدات، وفيه تحقير للنفس وتذلل لها، وفعل ذلك لجلب مراضي الله تعالى من أعظم جلب الفيوضات الإلهيّة»، هذه خلاصة كلامه وحاصل مرامه رضي الله عنه.

⇨

وكانت وفاته سنة وفاة صاحب الرياض بعينها، كما وقع نظير ذلك بالنسبة إلى الشاعرين الفرزدق وجرير، أنّهما انتقلا في سنة واحدة.

(*) المطبوع بمطبعة طهران سنة ١٣٢٤هـ في صحيفة ٨٥٢.

ومنهم الفقيه المتبّحر شيخنا العلاّمة الشيخ زين العابدين الحائري رحمه الله في كتابه ذخيرة المعاد، المطبوعة بمطبعة بمبئ في صحيفة ٦١٨، بعد ذكره السؤال الوارد إليه عن حكم التمثيل بما يشتمل عليه من تشبيه الرجل بالمرأة ما ترجمته:

«لا بأس بذلك، بل هو من المرغوب فيه، مالم يشتمل عليه محرّم خارجي كالغناء ونحوه».

وقال أيضاً رحمه الله في صحيفة ٧٨٦ في جواب السؤال الوارد إليه أيضاً، في بناء الضرائح وتشابيهها وحملها في الشوارع والأزقّة، ورميها في البحر بعد العشرة الأُولى من المحرّم: أدفنها أرجح؟ أو أبقاؤها على حالها للسنة المقبلة؟ قال رحمه الله ما ترجمته:

«يجوز بناء صورة ضريح الحسين عليه السلام، بل سائر الأنبياء والأولياء والعلماء وغيرهم من الأخيار لوجوه مندوحة، وكذا يجوز نقلها في الشوارع والأسواق وغيرها؛ لأنّه موجب للإبكاء والبكاء والتبرّي من أعدائه وتذكّر أيام الطفّ. واستهزاء البعض من الكفّار وغيرهم لا يوجب المنع والضرر، بل الضرر يرجع إليهم، «إنّما الأعمال بالنيّات، ولكلّ امرئ ما نوى»[1]، ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾[2] وكذا يجوز طرحه في البحار

(١) تهذيب الأحكام ٤: ١٨٦ حديث ٥١٨ و٥١٩ عن رسول الله صلى الله عليه وآله.
(٢) الإسراء (١٧): ٨٤.

أو دفنه أو إبقاؤه إلى الآتية، والأحسن الإبقاء» انتهى قوله رحمة الله عليه.

وأمّا فتاوى علماء العصر دامت بركاتهم، فقد تكفّلت كتبهم ورسائلهم العمليّة ببيانها، وهي وإن اختلفت في الإملاء والمبنى، فقد اتّفقت في المآل والمعنى على محبوبيّة هذا العمل الشريف، الموجب لتأييد الدين الحنيف، ولولا خوف الإطالة لأثبتناها واحدة واحدة.

ولكن بمناسبة المقام نشير هنا إلى بعضها، ما أجاب به جهابذتهم في مثل هذا الخلاف الذي بين أهل البصرة وبين أحد أئمّة جماعتها، وهو السيّد(*) الصائل على جدّه الحسين عليه السلام وشيعته، حينما حاول منع الشبيه والمواكب العزائية قبل سنتين(١) في رسالته الصولة(٢)، وقد طبعت أجوبتهم في مناشير مستقلّه، ونشرت في أكثر صحف العراق ومجلاّته، وقد لخّصناها هنا حبّاً للاختصار(**).

(*) السيّد مهدي القزويني الإيراني الكاظمي، الشهير بالكيشوان، نزيل البصرة.

(١) تأريخ تأليف (الصولة) وطباعتها سنة ١٣٤٥هـ، وتأريخ تأليف وطباعة هذا الكتاب (الأنوار الحسينية والشعائر الإسلاميّة) سنة ١٣٤٦هـ.

(٢) طبعت رسالة (الصولة) ضمن هذه المجموعة ٢:١٦٥.

(**) فمن أراد الوقوف عليها مفصّلة، فعليه بمراجعة كتاب الآيات البيّنات لشيخنا الفقيه حجّة الإسلام وآية الله في الأنام الشيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء دام ظلّه، وكتاب نصرة المظلوم، لصاحب الفضيلة الشيخ حسن آل العلامة الشيخ إبراهيم مظفّر رحمه الله.

جواب الميرزا النائيني

جواب حجّة الإسلام وآية المولى في الأنام الميرزا حسين النائيني دام ظلّه، قال أيّده الله ما مضمونه:

مسائل: الأُولى: خروج المواكب العزائيّة في عشرة عاشوراء ونحوها إلى الطرق والشوارع، ممّا لا شبهة في جوازه ـ وبعد أن أوصى بتنزيهها ممّا لا يليق بها، قال ـ: إن اتّفق شيء من المحرّم فيها فذلك هو الحرام بنفسه، ولا تسري حرمته إلى المواكب، كالنظر إلى الأجنبية حال الصلاة حرام، ولكن لا تبطل الصلاة به.

وفي الثانية: أبان جواز اللطم بالأيدي على الخدود والصدور وبالسلاسل على الظهور، وإباحة إخراج الدماء من النواصي بضرب السيوف حتى وإن وقع ضرر غير متوقّع بعد حصول الإطمئنان في البداية.

ثم إلى أن قال في الثالثة ـ وهو محلّ شاهدنا الأساسي ما ملخّصه ـ:

«الظاهر عدم الإشكال في جواز التشبيهات والتمثيلات التي جرت عادة الشيعة باتّخاذها لإقامة العزاء وإن تضمّنت لبس الرجال ملابس النساء على الأقوى».

وهنا صحّح فتوى له متقدّمة قائلاً: «واتّضح عندنا أن المحرّم من تشبيه الرجل بالمرأة هو ما كان خروجاً عن زيّ الرجال وأخذاً بزيّ النساء، دون ما إذا تلبّس بملابسها مقداراً من الزمان»، وأشار إلى استدراك ذلك في حواشيه على العروة الوثقى.

ثمّ في الرابعة ـ وهي آخرها ـ أبان الحكم في استعمال الدمام في هذه المواكب، وملخّصه: الجواز إذا كان استعماله لإقامة العزاء وتنبيه الركب، كما هو متعارف في مظاهرات الحرب عند العرب. إنتهى ملخّصاً من فتواه دام تأييده.

جواب الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء

وأما جواب حجّة الإسلام وآية الله في الأنام شيخنا الأعظم الشيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء، متّع الله المسلمين بطول بقائه، فإليك تلخيصه:

قال أيّده الله بعد التأنيب على الاختلاف، والحثّ على الائتلاف في هذه المسألة، وعطفه الأنظار إلى ما هو أهمّ، وهي حادثة المدينة وهدم قبور أئمة البقيع عليهم السلام، بعد تمهيد هذه المقدّمة قال أيّده الله:

«أمّا الحكم الشرعي في تلك المظاهرات والمواكب، فلا إشكال في أنّ اللطم على الصدور والضرب بالسلاسل على الظهور، وخروج الجماعات في الشوارع والطرقات، مباحة مشروعة، بل راجحة مستحبّة.

وأمّا ضرب الطبول والأبواق غير مقصود بها اللهو، فلا ريب أيضاً في مشروعيّتها؛ لتعظيم الشعار».

ومثل هذا المضمون قد تقدّم منا في صفحة ٦٠ من هذا الجزء.

«وأمّا الضرب بالسيوف والإدماء، فهو كسوابقه مباح بمقتضى أصل الإباحة، بل راجح بقصد إعلان الحزن، إلّا أن يُعلم بعروض عنوان ثانوي يقتضي حرمة شيء من تلك الأعمال الجليلة، كمن خشي على نفسه التلف أو الوقوع في مرض دائم.

أمّا الألم الذي يزول بسرعة فلا يوجب الحرمة، وكذلك أستثني من الإباحة بعض صور الخروج في الشوارع، وهو ما أوجب فساداً بالمقابلة أو المقاتلة».

وبعد أن أشار هنا إلى وظيفة الفقيه، وهي الحكم في الكليّات دون الجزئيّات، صرّح في أنّ استلزام بعض هذه الصور فساداً أحياناً لا يوجب تحريمها مطلقاً، ثم قال:

«أمّا الشبيه، فلا ريب أنّ أصل تشبّه شخص بشخص مباح»، وهنا أخذ في الاستدلال بنحو الذي استدللنا على إباحته في صدر المقال، ثمّ قال:

«نعم، خروج النساء سوافر محرّم، سواء كان في الشبيه أو غيره، وهذا لا يقتضي حرمة الشبيه» حتى قال: «لو أنّ كلّ راجح يستلزم محرّماً أو يقع فيه محرّم تركناه، لبطلت سنن الشريعة، وقوّضت دعائم الدين»، وختم الفتوى بنصيحتين ثمينتين:

الأُولى: الحثّ على تنزيه المواكب الحسينيّة عمّا يشينها ويخرجها من عنوانها المقصود منه؛ ليحصل من تمثيل فاجعة الطفّ وتكراره سنويّاً ما يناسب حكمها السامية وأسرارها المقدّسة، التي من أجلها فدى الحسين أرواحنا فداه نفسه وأفلاذ كبده وأهل بيته وأصحابه.

والثانية: وهي أولى بالإهتمام من الأُولى، وهي الحثّ على وجوب الوئام والالتئام بين الأُمة، حيث أنّ العدّو واقف بالمرصاد، مؤكّداً وجوب رتق الفتق قبل اتّساع الخرق، وذلك بتبادل الرحمة بينها، وإبداء الشدّة على أعدائها. انتهت ملخّصة.

هذه بعض الأدلّة التقليديّة في إثبات المطلوب ولنعرِج بك إلى العقل وأدلته الاستحسانيّة

فنقول: إنّ الشبيه ـ وإن شئت عبّر عنه بالتمثيل ـ هو في هذه الفاجعة، بل في كلّ واقعة، ليس سوى حكاية عن شيء غابر بشيء حاضر، وذلك بإخراج حركاته وسكناته وتنقّلاته وكلماته من حيّز الذهن والخيال إلى عالم المشاهدة والعيان؛ ليشارك الفكر البصر، والبصيرة النظر في تصوّر الحادثة.

أو هو بعبارة ثانية: إفراغ ألفاظ القصّة وعباراتها في قالب متجسّد محسوس؛ ليكون تأثيرها أثبت وأقرّ في النفوس من الألفاظ المسموعة والكلمات المطبوعة، سيّما للسواد الأعظم من الناس، حيث يغلب عليه الجمود، فلا يكاد يتحسّس إلّا بما يبتلى به في نفسه، أو على الأقل يشاهده بعين رأسه.

وهذا ما حدى بحكماء الأُمم ومفكّريها في الغابر والحاضر، أن يعتمدوا على التمثيل؛ لإخراج المعقول والمنقول إلى الخارج المحسوس،

ليفهم الجمهور ما يشاؤون من عبر الحوادث وأخبار الأُمم، ويلقّنوه ما يختارون من حكم وأفكار، حتى أصبح التمثيل اليوم ـ لاسيّما عند الغربيين ـ له المقام الأعلى من شؤون الحياة، وما السينما إلّا مظهر من مظاهره.

فبالتمثيل اليوم تعاد ذكر الحوادث التأريخيّة، وتصوّر تطوّرات الأُمم وعادتها، وتجاوز ذلك إلى الأُمور المعنويّة، كالعدل وحسناته، والظلم وسيئاته، والعلم وما أنتجه لتهذيب الطباع، وما أظهره في عالم الصناعة والاختراع، بل هو أبلغ ناطق وأتقن ترجمان عن معاني النفوس ودقائق الأفكار وهواج القلوب والعواطف الرقيقة من وجد غرام، وجملة ما يعجز عن أدائها القلم والبيان.

التمثيل ذا قصة مكتوبة بأبدع أسلوب، حروفها متجسّدة ملموسة، يقرأها حتى مَن لا يعرف حروف الهجاء، ويفهمها حتى مَن لا يحسن اللغة التي كتبت فيها، فما أجدرنا ـ والحالة هذه ـ أن نتخذه آلةً ونعيد به ذكرى عن أهم فاجعة عندنا، بل أعظم فاجعة وعاها التأريخ، وهي فاجعة الحسين عليه السلام .

فنذكّر العالم ونفهّم الجاهل ما اشتملت عليه هذه الفاجعة من أفكار سياسيّة، وقواعد حربيّة، وأخلاق عالية، وأمثال نادرة في الصبر والشجاعة والإباء، والفتوّة والإخلاص، وحبّ المواساة والمساواة، بل الإيثار وإنكار الذات، وفداء المال والأهل والنفس، وقل بالجملة: كافة آمال الحياة، كلّ ذلك في سبيل الواجب المقدّس.

فنستخرج منها دروساً نحثّ الأمّة على اقتفائها والتمسّك بأذيالها، دروس لعمري لوسادت في أمّة لسادت الأمم جمعاء بلامراء، هذا من جهة الحسين وأصحابه عليهم السلام.

ونذكر ونفهم أيضاً من جهة أخرى ما أبداه آل أميّة وآل سُميّة(*) في هذه الفاجعة من ضروب القسوة والظلم والهتك في الدين بلا حجاب، بل

(*) وقال ابن الأثير في ج٣ من كامله ص١٧٦: وكذا محمّد بن علي بن طاطبا، المعروف بابن الطقطقي، في كتابه الفخري ص٨٠، وكذا ما رواه أبو الفداء في تأريخه ص١٨٣، والدينوري وغيره، ما نصّ الجميع.

أنّ سُميّة أمّ زياد كانت أمة سوداء بغياً من بغايا العرب، وكانت لدهقان (زندرون) بكسكر (وكسكر كجعفر: كورة قصبتها واسط، كان خراجها اثني عشر ألف ألف مثال كأصفهان (ق)، ومعنى الكورة في العصر الحاضر تسمّى ولاية، وفي اللغة الفارسيّة إيل)، فمرض الدهقان، فدعا الحرث بن كلدة الطبيب الثقفي فعالجه فبرأ، فوهبه سُمية أُمّ زياد، فولدت عند الحرث أبا بكرة ، واسمه (نفيع)، فلم يقرّ به الحرث، ثمّ ولدت (نافع) فلم يقرّ به أيضاً.

فلمّا نزل أبو بكرة إلى النبيّ صلى الله عليه وآله حين حصر الطائف قال الحرث: أنت ولدي، وكان قد زوّج سُمية من غلام له اسمه (عبيد) وهو رومي فولدت له زياداً.

وكان أبو سفيان بن حرب (وهو أبو معاوية) نزل بخمّار يقال له أبو مريم، فطلب أبو سفيان منه بغياً، فقال له أبو مريم: هل لك في سُمية؟ وكان أبو سفيان يعرفها، فقال: هاتها على طول ثديها وذفر بطنها. (الذفر: الصنان ونتن الريح).

فأتاه بها ، فوقع أبو سفيان عليها، فعلقت منه بزياد، فولدته سنة إحدى من الهجرة. وبعد أن ولدته وضعته على فراش زوجها (عبيد)، فلمّا كبر ونشأ زياد تأدّب وبرع وتقلّب في الأعمال، فولّاه عمر بن الخطاب عملاً، فأحسن القيام به، فحضر يوماً مجلس عمر وفيه أكابر الصحابة وأبو سفيان في جملة القوم، فخطب زياد خطبة بليغة لم يسمعوا بمثلها، فقال عمرو بن العاص (لعنه الله): لله در هذا الغلام لو كان أبوه من قريش لساق العرب بعصاه.

⇦

⇨

فقال أبو سفيان: والله إنّي لأعرف أباه الذي وضعه في رحم أُمه، وعنى نفسه.

فقال له أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: يا أبا سفيان اسكت، فإنّك لتعلم أن عمر لو سمع هذا القول منك لكان إليك سريعاً.

فلمّا ولي أمير المؤمنين عليه السلام الخلافة، استعمل زياداً على فارس، فضبطها وحمى قلاعها، وقام فيها مقاماً مرضياً، واشتهرت كفاءته، واتّصل الخبر بمعاوية، فساءه أن يكون من أصاحب علي عليه السلام رجل مثل زياد وأراده لنفسه، فكتب إليه كتاباً يتهدّده ويتعرّض له بولادة أبي سفيان ويقول له: أنت أخي، فلم يلتفت زياد إليه.

وبلغ الخبر أمير المؤمنين علياً عليه السلام، فكتب إلى زياد: «إنّي وليتك ما وليتك وأراك له أهلاً، وقد كانت من أبي سفيان فلتة من أماني الباطل وكذب النفس لا توجد لك ميراثاً، ولا تحلّ له نسباً، وإنّ معاوية يأتي الإنسان من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله، فاحذر ثمّ احذر والسلام».

فلما قتل أمير المؤمنين علي عليه السلام ، جدّ معاوية في استصفاء مودّة زياد واستمالته وترغيبه إلى الانخراط في زمرته، فنشأ بينهما حديث ولادة أبي سفيان، فمن جملة الشهود أبو مريم الخمّار الذي أحضر سميّة إلى أبي سفيان، وكان هذا أبو مريم قد أسلم وحسن إسلامه، فقال له : بمَ تشهد يا أبا مريم؟

قال: أشهد أن أبا سفيان حضر عندي وطلب مني بغياً، فقلت له: ليس عندي إلّا سميّة، فقال: هاتها على قذرها ووضرها، فأتيته بها فخلا معها، فخرجت من عنده وأنّها لتقطر منيّاً، فقال له زياد: مهلاً يا أبا مريم، فإنّما دُعيت شاهداً، ولم تدع شاتماً، فاستلحقه معاوية.

قالوا: وكان هذا الاستلحاق أوّل ما ردّت به أحكام الشريعة علانيّة، فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قضى بالولد للفراش وللعاهر الحجر.

واعتذر قوم لمعاوية بأن قالوا: إنّما جاز استلحاق معاوية زياداً، لأنّ أنحكة الجاهليّة كانت أنواعاً، فمن جملتها أنّ الجماعة إذا جامعوا بغياً ثمّ ولدت تلك البغي، ألحقت الولد بمن شاءت منهم، والقول في ذلك قولها.

⇦

المروق(*) منه بلا نقاب وخسّة الطباع وخلف العهود بلا قناع، ممزوجة بالسخافة والخلاعة.

⇨

فلمّا جاء الإسلام حرّم هذا النكاح، إلّا أنه أقرّ كلّ ولد على نسبه إلى الأب الذي عرف به من أيّ نكاح كان من أنكحتهم، ولا يفرّق الإسلام بين شيء من ذلك.

قال آخرون: صدقتم في هذا، لكن معاوية توهّم أن ذلك على هذه الصورة، ولم يفرّق بين ما سبق في الجاهلية والإسلام، فإنّ زياداً لم يعرف في الجاهليّة بأبي سفيان، ولم يكن منسوباً إلّا إلى (عبيد) فكان يقال: زياد بن عبيد، وبين الصورتين بون، وقال الشاعر مشيراً إلى القضية (وافر):

ألا أبلغ معاوية بن حرب — مغلغله عن الرجل اليماني

أتغضب أن يقال أبوك عفّ — وترضى أن يقال أبوك زان

فاقسم أنّ رحمك من زياد — كرحم الفيل من ولد الأتان

ثمّ صار زياد من رجال معاوية وأعضاده، فولّاه البصرة وخراسان وسبحستان، وأضاف إليه الهند والبحرين وعمّان،وأضاف إليه في آخر الأمر الكوفة، وكتب زياد على كتبه: من زياد ابن أبي سفيان، وكانوا قبل ذلك يقولون: زياد بن عبيد تارة ، وتارة زياد بن سميّة، ومَن يتحرّى الصدق بقول: زياد بن أبيه.

(*) مروق يزيد لعنه الله في أعماله وأقواله هي أشهر من أن تذكر، فنشير إليها على سبيل الاختصار:

أمّا أعماله: فقتله الحسين عليه السلام أوّل سنة من حكمه، وسبيّ ذراريه وتسييرهم مع الرؤوس إلى الكوفة، ومنها إلى الشام، حتى أوقفهم في مجلسه المشؤوم وهو غاصّ بأهل الشام وغيرهم من سائر القبائل والشعوب، والإمام السجّاد مكشوف الرأس، الجامعة في عنقه، وعمّاته وأخواته مربطون في الحبال في ثياب بالية، وهو وأشياعه من بني أُمية على الكراسي يرفلون في ألوان الحرير والديباج، ورأس الحسين عليه السلام بين يديه بلا جثّة، وهو مستوٍ على عرشه وعلى رأسه التاج.

⇦

⇨
ومن أعماله: استباحته لمدينة الرسول صلى الله عليه وآله في السنة الثانية من حكمه على يد مسلم بن عقبة المريّ، وهي المعروفة بوقعة الحرة.

قال صاحب المختصر في أحوال البشر (تأليف الملك المؤيّد عماد الدين إسماعيل أبي الفداء، صاحب حماة، المتوفّى سنة ٧٣٢هـ، المطبوع بمطبعة الحسينيّة المصريّة ج١ ص١٩١ إلى ١٩٢): «ثم دخلت سنة ٦٢هـ و٦٣هـ فيها اتّفق أهل المدينة على خلع يزيد بن معاوية وأخرجوا نائبه عثمان بن محمّد بن أبي سفيان منها، فجهّز يزيد جيشاً مع مسلم بن عقبة وأمره أن يقاتل أهل المدينة، فإذا ظفر بهم أباحها للجند ثلاثة أيام، يسفكون فيها الدماء ويأخذون ما يجدون من الأموال، وأن يبايعهم على أنّهم خول وعبيد ليزيد، وإذا فرغ من المدينة يسير إلى مكّة المكرّمة.

فسار مسلم المذكور في عشرة آلاف فارس من أهل الشام، حتّى نزل على المدينة من جهة الحرّة، وأصرّ أهل المدينة من المهاجرين والأنصار وغيرهم على قتاله، وعملوا خندقاً واقتتلوا فقتل الفضل بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب رضي الله عنه بعد أن قاتل قتالاً عظيماً، وكذلك قتل جماعة من الأشراف والأنصار، ودام قتالهم، ثم انهزم أهل المدينة، وأباح مسلم مدينة النبيّ صلى الله عليه وآله ثلاثة أيام، يقتلون فيها الناس، ويأخذون ما بها من الأموال، ويفسقون بالنساء.

وعن الزهري: إنّ قتلى الحرّة كانوا سبعمائة من وجوه الناس من قريش والمهاجرين والأنصار، وعشرة آلاف من وجوه الموالي وممّن لا يعرف، وكانت الواقعة لثلاث بقين من ذي الحجّة سنة ثلاث وستين، ثمّ إنّ مسلماً بايع من بقي من الناس على أنهم خول وعبيد ليزيد ابن معاوية، ولمّا فرغ مسلم بن عقبة من المدينة، سار بالجيش إلى مكّة.

وممّا قاله الفخري (محمّد بن علي بن طباطبا، المعروف بابن الطقطقي: ٨٦): وأباح مسلم بن عقبة المدينة ثلاثاً، فقتل ونهب وسبي، فقيل: إنّ الرجل من أهل المدينة ـ بعد ذلك ـ كان إذا زوّج ابنته لا يضمن بكارتها، ويقول: لعلّها قد افتضّت في وقعة الحرة (بالحاء المفتوحة غير معجمة).

ومن أعماله في السنة الثالثة من حكمه هدمه البيت الحرام بالمنجنيق وإحراقه بالنار، وقطع سبل الحجّ على المسلمين، وكان ذلك على يد الحصين بن نمير السكوني سنة ٦٤هـ.

قال صاحب الكامل (العلاّمة أبو الحسن علي بن أبي عبد الكريم الشيباني، المعروف بابن الأثير
⇦



الجزري، الملّقب بعزّ الدين في ج٨ ص٤٩): ثمّ دخلت سنة ٦٤هـ فلمّا فرغ مسلم من قتال أهل المدينة ونهبها، شخصَ بمَن معه نحو مكّة، يريد ابن الزبير ومَن معه، واستخلف على المدينة روح بن زنباع الجذامي، وقيل: استخلف عمرو بن مخرمة الأشجعي، فلمّا انتهى إلى المشلل نزل به الموت، وقيل: مات بثنية هرشي، فلمّا حضره الموت أحضر الحصين بن النمير وقال له: يا برذعة الحمار، لو كان الأمر إليّ ما ولّيتك هذا الجند، ولكن أمير المؤمنين ولّاك، خذ عنّي أربعاً (قوله: خذ عنّي أربعاً. هكذا في الأصل، والمعدود ثلاثة لا غير في الكامل): أسرع السير، وعجّل المناجزة، ولا تمكّن قريشاً من اذنك.

ثمّ قال: اللهمّ إنّي لم أعمل قطّ بعد شهادة أن لا إله إلّا الله وأن محمّداً عبده ورسوله عملاً أحبّ إليَّ من قتلي أهل المدينة، ولا أرجى عندي في الآخرة.

فلمّا مات، سار الحصين بالناس فقدم مكّة لأربع بقين من المحرّم سنة ٦٤هـ، وقد بايع أهلها وأهل الحجاز عبد الله بن الزبير، واجتمعوا عليه، ولحق به المنهزمون من أهل المدينة، وقدم عليه نجدة بن عامر الحنفي في الناس من الخوارج يمنعون البيت.

وخرج ابن الزبير إلى لقاء أهل الشام ومعه أخوه المنذر، فبارز المنذر رجلاً من أهل الشام، فضرب كلّ واحد منهما صاحبه ضربة مات منها، ثمّ حمل أهل الشام عليهم حملة انكشف منها أصحاب عبد الله، وعثرت بغلة عبد الله، فقال: تعساً، ثمّ نزل فصاح بأصحابه، فأقبل إليه المسور بن مخرمة ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف، فقاتلا حتى قتلا جميعاً، وضاربهم ابن الزبير إلى الليل ثم انصرفوا عنه، هذا في الحصر الأول.

ثمّ أقاموا عليه يقاتلونه بقيّة المحرّم وصفر كلّه، حتى إذا مضت ثلاثة أيام من شهر ربيع الأول سنة ٦٤هـ، رموا البيت بالمجانيق وحرّقوه بالنار، وأخذوا يرتجزون ويقولون:

خطارة مثل الفنيق المزبّد   نرمي بها أعواد هذا المسجد

أضف إلى ذلك تهتّكه بالفجور وشربه الخمور ولعبه بالطنبور، وما أشبه ذلك من الملاهي والمناهي.

وقد أضربنا عن قصّته مع عمّته أُمّ الحكم؛ تنزيهاً للكتاب عن شناعتها، ومَن أراد الإطّلاع عليها فعليه بكتب السِيَر والتواريخ؛ منها حوادث البشر لأحمد الحنفي الشيرازي.

وأمّا مروقه في أقواله



⇨

فإليك منها: ما تمثّل به لما رأى الرؤوس والسبايا على ربا جيرون، وهو هذا:

لمّا بدت تلك الحمول وأشرقت ... تلك الشموس على ربى جيروني
نعب الغراب فقلت صح أو لا تصح ... فلقد قضيت من النبيّ ديوني

ومن أقواله لما وضع رأس الحسينعليه السلام بين يديه، سمع غراباً ينعق، فأنشأ يقول متمثّلاً بقول ابن الزبعري:

يا غراب البين ما شئت فقل ... إنّما تندب أمراً قد فعل
كلّ ملك ونعيم زائد ... وبنات الدهر يلعبن بكل
ليت أشياخي ببدر شهدوا ... جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلّوا واستهلّوا فرحاً ... ثم قالوا يا يزيد لا تشل
لست من خندف إن لم أنتقم ... من بني أحمد ما كان فعل
لعبت هاشم بالملك فلا ... خبر جاء ولا وحي نزل
قد أخذنا من علي ثارنا ... وقتلنا الفارس الليث البطل
وقتلنا القرم من سادتهم ... وعدلناه ببدر فانعدل

ومن أقواله لعنه الله لمّا وضع الرأس الشريف في الطست، أنشد يقول:

يا حسنه يلمع باليدين ... يلمع في طست من اللجين
كأنّما حفّ بوردتين ... كيف رأيت الضرب يا حسين
شفيت قلبي من دم الحسين ... أخذت ثاري وقضيت ديني
ياليت من شاهد في الحنين ... يرون فعلي اليوم بالحسين

ومن أقواله لعنه الله لمّا وضع الرأس الشريف في طبق من ذهب، ثمّ دعا لعنه الله بالشراب،

⇦



فشرب، ثمّ صبّ جرعة منه على الرأس، وقال: كيف رأيت يا حسين؟! أتزعم أنّ أباك ساق على الحوض؟ فإذا مررت عليه يومئذٍ فلا يسقني. وتقول: إنّ جدّك حرّم آنية الذهب والفضّة على الأُمة! ها رأسك على الذهب، ويفتخر أبوك بأنّه قتل الأقران يوم بدر، هذا بذاك يا حسين، ثمّ أنشد ارتجالاً يقول:

هــلال بــدا وهــلال أفــل ... كـذلك تجـري صـروف الـدول

لــئن ســاءنا أنّ جيشــاً مضــى ... لقــد ســرّنا أنّ جيشــاً قفــل

ومن أقواله لعنه الله لمّا وضع الرأس بين يديه دعا بقضيب خيزران، فجعل ينكت به ثنايا الحسين عليه السلام وهو يقول:

نفلّــق هامــاً مــن رجــال أعــزّة ... علينـا وهـم كـانوا أعـقّ وأصـبرا

وأكــرم عنــد الله منّــا محلّــة ... وأفضـل فـي كـلّ الأُمـور وأفخـرا

عــدوّنا ومـا العـدوان إلّا ضــلالة ... عليهم ومن يعدوا على الحقّ يخسرا

فـإن تعـدلوا فالعـدل ألقـاه آخـراً ... إذا ضــمّنا يــوم القيامــة محشــرا

ولكنّنــا فزنــا بملــك معجّــل ... وإن كـان فـي العقبـى نـاراً تسـعرا

ومن أقواله لعنه الله متمثّلاً بقول الحصين بن الحمام:

أبـى قومنـا أن ينصـفونا فأنصـفت ... قواضـب فـي أيماننـا تقطـر الـدما

يفلقــن هامــاً مــن رجــال أعــزّة ... علينـا وهـم كـانوا أعـقّ وأظلمـا

ومن أقواله لعنه الله بعد أن استدعى ابن زياد لعنه الله من الكوفة، وشكره على فعله بالحسين عليه السلام وأهل بيته، وأعطاه أموالاً جزيلة وتحفاً كثيرة من بيت مال المسلمين، وقرّب مجلسه ورفع منزلته، وأدخله على عياله ونسائه، واتّخذه نديمه، وسكر ليلة فقال للمغنّي: غنّ، ثمّ أنشد بديهاً في ساعة سكره:

اســقني شــربة فــروّي فــؤادي ... ثــمّ ملهــا فاســقها ابــن زيــاد





صاحب السرّ والأمانة عندي ... ولتسديد مغنمي وجهاد

قاتل الخارجي أعني حسيناً ... ومبيد الأعداء والأضداد

ومن أقواله لعنه الله في قصيدته التي أوّلها:

عليّة هاتي علّليني وأعلني ... بذلك إنّي لا أحبّ التناجيا

حديث أبي سفيان قدّما تمامها ... إلى أحدٍ حتّى أقام البواكيا

ألا هاتي فاسقيني على ذاك قهوة ... تخيّرها الغنسى كرما شأميا

إذا ما نظرنا في أمور قديمة ... وجدنا حلالاً شربها متواليا

وإن متّ يا أُمّ الحمير فأنكحي ... ولا تأملي بعد الفراق تلاقيا

فإنّ الذي حدّثت من يوم بعثنا ... أحاديث طسم تجعل القلب ساهيا

ومن أقواله لعنه الله:

معشر الندمان قوموا ... واسمعوا صوت الأغاني

واشربوا كأس مدام ... واتركوا ذكر المعاني

شغلتني نغمة العيدان ... عن صوت الآذان

وتعوّضت عن الحور ... خموراً في الدنان

ولم يكتف بذلك لعنه الله حتّى صار يفتخر على الحسين عليه السلام مخاطباً أهل مجلسه وهو يشير إلى رأس الحسين عليه السلام: إنّ هذا كان يفتخر عليَّ ويقول: أبي خير من أب يزيد، وأمّي خير من أمّ يزيد، وجدّي خير من جدّ يزيد، وأنا خير منه، فهذا الذي قتله.

وأمّا قوله: أُمّي خير من أُمّ يزيد، فلعمري لقد صدق، فإنّ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله خير من أُمّي.

وأمّا قوله: جدّي خير من جدّه، فليس لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر يقول إنّه خير من



⇨

محمّد صلى الله عليه وآله.

وأمّا قوله: بأنّ أبي خير من أب يزيد، فلقد حاجّ أبي أباه فقضى الله لأبي على أبيه.

وأمّا قوله: بأنّه خير منّي، فلعلّه لم يقرأ هذه الآية: ﴿**قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء**﴾.

ومن أقواله لعنه الله إنكاره لما جاء به النبيّ الأمين صلى الله عليه وآله وإظهار أحقاده الجاهليّة وأضغانه البدرية، وإنشاده في الانتقام من بني أحمد واتراً عن شيوخه الكفرة الفجرة المقتولين يوم بدر، على ما هم عليه من الكفر والفسق.

وكيف لا يفعل ذلك! وقد صفى سلطانه بقتله للحسين عليه السلام، فتخيّل فضله عليه، واحتجّ بذلك أنّ الله قد أتاه الملك، وأنّه قد أعزّه بذلك، وأنّه قد أذلّ الحسين عليه السلام، ولذا استدلّ بالآية الشريفة المارّة الذكر.

ولم يلتفت لعنه الله إلى أنّ ما قال ليس تأويل الآية ما ذكر، ولا أراد الله سبحانه وتعالى ما ذهب الجاهل إليه، وإنّما أراد المولى جلّ وعلا بالملك الذي أضافه إليه، إنّما الملك بالحقّ والاستحقاق والعدل، وتعزّ من تشاء بالطاعة التي يطاع بها وفي الآخرة بالجنّة والثواب، ويذلّ من يشاء بالمعصية، وقيام الحدّ إليه في الدنيا وفي الآخرة عذاب النار، وأمّا التغلّب على الملك وأخذه بغير استحقاق، فلا يقال له: إنّه داخل في الآية الشريفة.

ولم يلتفت لعنه الله إلى أنّه بهذه الحالة هو الذليل، وأنّ الحسين عليه السلام بهذه الحالة هو العزيز. وإنّ الله سبحانه وتعالى قد أتى الملك للحسين عليه السلام والذكر الجميل إلى أبد الآبدين، ونزع الملك منه بفعله.

وإذا أردتَ أن تعرف مصداق (تذلّ مَن، وتعزّ مَن) فانظر إلى قبر الحسين عليه السلام واحترامه وتعظيمه وتبجيله في كلّ يوم، بل في كلّ ساعة إلى يومنا هذا، بل إلى آخر الأبد، وكذلك قبر جدّه المختار صلى الله عليه وآله وأبيه الكرار عليه السلام، وأولاده الأئمة الأطهار عليهم السلام.

وسنزيدك بياناً في آخر الكتاب، أو في ج٣ منه، أيّ الحزبين أضعف ناصراً وأقلّ جنداً، والأُمور بعواقبها.

وقل بالجملة: هي مجموعة الرذائل والمساوئ مقرونة باللعن والمقت والخسران المبين في الدنيا والدين، فنحذّر الأُمة من التلوّث بها والتمرّغ في حماتها.

فتمثيل هذه الفاجعة أحسن درس لاكتساب الفضيلة واجتناب الرذيلة، على أنّه أحسن وسيلة لنشر تعاليمنا وبثّ دعوتنا، فإنّا إذا نظرنا لانتشار هذه الدعوة في الأمصار وتغلغلها في الأقطار، حتى بين عبدة الأصنام، فضلاً عن أهل الإسلام، نجد ولا شكّ أنّ التمثيل بتوضيحه أسرار هذه الفاجعة وإشهارها، له القسط الأوفى في علّة هذا الانتشار، وما كانت ـ على ما فيها من نواميس النموّ والارتقاء ـ لتصل إلى هذا الحدّ من النفوذ في الأفكار والاشتهار، لو كانت محصورة بين الدفاتر أو منشورة فقط على المنابر، كما لا يخفى على غير المكابر.

وإذا ساقنا الحديث إلى انتشارها بين القبائل والشعوب، فلنضرب لك أمثالاً منه:

قال صاحب تحفة العالم ص٤٥٦ ما نصّه بعين المشاهدة، قال ما ترجمته: إن في قرب شاه جهان آباد بلد يقال لها جي نگر، بلد في غاية العمران والانتظام، حسنة الهواء بهيّة المنظر، أحدث بناءها المهارجة جيب سنك، وقد خطّها على أحسن طرز، حتى أنّه يقال: ما في بلاد الهند بلد يضاهيها في رونقها وصفائها في زمان إحداثها، أبنيتها كلّها متساوية في العرض والطول والارتفاع، لا يتّصل بعضها ببعض، وهي مقرّ ملوك الراج بوت.

ومن عجيب هذه البلد، الذي لا يشمّ فيها رائحة الإسلام، ولا صوت فيها للدين الحنيف، تجد لدى أعاظم الوثنيين ومتموّليهم مآتم للعزاء الحسيني.

ومن أول يوم من المحرّم يلبسون ثياب الحزن، ويتركون الملاذ بأسرها، وبعضهم يحبسون النفس حتى عن الطعام والشراب، بحيث لا يذوقون شيئاً مدّة عشرة عاشوراء، وليلاً ونهاراً ينشدون المراثي بلسان الهندوا والهندي والفارسي، ويلطمون الصدور، وكلّ بقدر وسعه يبذل الطعام للفقراء والمساكين، ويجعلون ماء الورد سبيلاً في الأزقة والأسواق، ويصنعون شبيهاً للضريح المقدس من الخشب أو الورق، ويسجدون أمامه، ويتعفّرون في أرضه، طالبين إنجاح مطالبهم. وبعد انقضاء أيام عاشوراء يلقون هذه التشابيه في النهر الجاري، أو يدفنونها في مكان معلوم ويدعونه كربلاء.

ثمّ يقول صاحب التحفة: وقد شاهدت هذا الحال بين كفرة لكهنو وبلاد بنگاله وبنارس.

ومنه ما أشار إليه صاحب الهياكل السبع(*) ما نصه: إنّ في بعض بلاد ماچين طائفة من الهندوا على اختلاف مذاهبهم، إذا هلَّ المحرّم لبسوا ثياب الحزنن، وغلقوا الدكاكين، وأقاموا المآتم الحسينيّة، وبذلوا الطعام والأموال للفقراء والضعفاء من الناس، ولهم كيفيّة خاصة في الشبيه والتمثيل واللطم

(*) لمؤلّفه أحمد بن يحيى الطرابلسي، صفحة ٤٥٢؛ المطبوع بمطبعة برلين سنة ١٢٧٣هـ.

والضرب على الصدور في عاشوراء، وذلك بأنّهم يحفرون نهراً يملاؤنها حطباً ويضرمون فيها النار، ثمّ يخوضون فيها عند الضرب على الصدور بالمرور مكرّراً ويقولون: إنّا لا نحسّ بحرارة النار، وقد تبعهم على ذلك جَمٌّ غفير من النصارى واليهود والمجوس، وغيرهم من سائر الملل على اختلاف نحلهم.

وإليك من ذلك أيضاً ما أشار إليه صاحب الرحلة الهندية[*١]، وكذا صاحب كتاب الأسفار[*٢] : إنّ بلدة على الساحل الهندي يقال لها: كم بايت[*٣]، وغالب سكّانها من الهنود الوثنيين، فإذا هلَّ المحرّم، جميعهم في هلع وجزع لمصاب سيّد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام، وينصبون المآتم في دورهم وفي الطرقات، ويبذلون أنواع المأكولات والحلويات، بعد أن يذكروا المصيبة برمّتها.

وإذا كانت ليلة العاشر من المحرّم يجتمعون إلى عدّة مجتمعات، فكلّ مجتمع يهيّئ شبيه مصوّر الضريح الحسيني، ويجلّله بالأستار الثمينة وأعلام مختلفة الأشكال والألوان، وهي بمقدّمة الضريح الحسينيّ، وبعضها حريريّة

(*١) لمؤلّفها الدكتور سليم الدمشقي، صفحة ٩٩، المطبوعة بمطبعة الإسلاميّة بمبئ، سنة ١٢٩٩ هجرية.

(*٢) لمؤلّفه الشيخ إسحاق الحلبي، صفحة ٧٤، المطبوع بمطبعة برلين، سنة ١٣٠٥هـ.

(*٣) كم بايت واقعة على خليج شمال بمبئ، وتبعد عنها ١٥٠ ميلاً.

ملوّنة مزبرقة بالقصب واليواقيت إلى جانبي الضريح، فكلّ ذلك يحمله رجال مكشوفي الرؤوس والصدور، البعض يلطم على رأسه والآخر على صدره.

وهناك فريق آخر يحمل الأدهان العطريّة في زجاجات بلوريّة، يدهن بها المارّة من اللاطمة، ويدفن بعضها في طريق اللاطمين، لكي تمرّ عليها أقدامهم، وبعد يخرجها ويحفضها في بيته يدّخرها لوقت الحاجة، ويسمّونها (الدكتور البيتي)، فإن مسّ أحد الأُمة الوثنيّة بحمى أو أذىً، يدهن بها جسده فيبرأ ببركة الحسين عليه السلام.

وهذا دأبهم بمرور الأعوام، وشعارهم بتلك الليلة: الوداع يا حسين، وكذلك في صبيحتها، يا شهيد يا حسين يا غريب يا حسين.

وإليك ما نصّ به بعين المشاهدة صاحب الرحلة(*)، فقد ذكر في جملة كلام له ببيان فلسفة الشبيه وسريانه، مترجماً إلى العربيّة عن الترجمة الهنديّة والفرنسويّة، بقلم الأديب الشرقي ما ملخّصه:

(*) الشرقيّة للدكتور هارس الفرنسوي ص٣٥٧ إلى ٣٨٥، المطبوعة بمطبعة برلين سنة ١٩١٨م.

مملكة گواليا(*)

قال: إنّ ملك گواليا من أُمة الهنود الوثنيين، يُقيم التذكار الحسيني من مبدأ العشرة الأُولى من المحرّم إلى انتهائها، وقد خصّص لنفقاته أموالاً خطيرة.

وقبل أن يهلّ شهر المحرّم يصنع سرادقاً من الخشب النفيس كالسيسم والآبنوس، ويسمّيه حسينيّة، ويزيّنه بأنواع وسائل الزينة، وفي كلّ يوم وليلة يطعم الطعام، وينادي مناديه في عاصمته: هلمّوا إلى ضيافة الشهيد بكربلاء

(*) گواليا تبعد عن بمبئ ٧٦٣ ميلاً، وعن دهلي ١٩٥ ميلاً.

تعريف مملكت گواليا: هي مملكة واقعة وسط الهند، مستقلّة في داخليتها، وهي مركّبة من عدّة مقاطعات منفصلة، مساحة مجموعها ١٠٤١ ميلاً مربعاً، وعمد محصولها الترياك (الأفيون)، وعدد نفوسها يتجاوز الثلاثة ملايين، وجيشها ثمانية عشر ألفاً، وارداتها المالية عشرون مليون روپية.

ولأميرها ـ عدا المجوهرات والمذخرات ـ مبلغ مائتين وعشرين مليون روپية مودّعة في البنوك، وله جملة شركات التي يربح منها فوائد طائلة، وفي الاحتفالات الرسميّة تُطلق له المدافع تسعة عشر طلقة في جميع ممالك الإنكليز. انتهى مترجماً من (بزم إيران) المطبوع بمطبع لكهنو سنة ١٣٤٥هـ، لمؤلفه السيّد محمّد رضا حفيد آية الله السيّد محمّد كاظم اليزدي، أعلى الله مقامه في ص١٩٩ منه.

وقد أشار أيضاً فيه إلى ما يقيمه الملك المشار إليه من مراسم العزاء، ولكن لاختصاره وتأخّر تأريخه استندنا في النقل إلى ما فصّله صاحب الرحلة الشرقيّة المار الذكر.

الحسين بن علي عليهما السلام، محبوب الإله الأكبر، فتأتي الناس بأسرها لتناول الطعام على اختلاف مذاهبهم، والملك وعائلته يأكلون معهم.

حضرتُ هذا المشهد وكنتُ واقفاً إلى مقربة منهم، فالتفت إليَّ الراجة الملك وقال: لِمَ لا تأكل معنا من هذا الزاد المعدّ للحسين بن علي عليه السلام؟ فأجبته إلى ماسألني، فدنوت وأكلت معهم، وأنا متفكّر فيما يصنعه الراجة للحسين عليه السلام، بما أنّه ليس ممّن يعترف بإمامة الحسين وأبيه ونبوّة جدّه محمّد ابن عبد الله، فأجرى ذلك كرامة لهم وتنويهاً لأسمائهم.

ثمّ قال صاحب الرحلة: وأمّا ما يجريه الملك المشار إليه في أيام العشرة الأولى من المحرّم، من أداء الاحترامات الفائقة للحسين بن علي عليه السلام فهي كثيرة، فمنها: أنه يصنع شبيه الضريح الحسينيّ من العود والصندل، ويسدل عليه ستائر الديباج والحرير، ويؤتى به إلى الحسينيّة المذكورة، ويأمر بإقامة حرسيين إلى جانبيه، وحرسيين آخرين على الباب، ويزوره بكرةً وعشية ـ على النحو الذي سنذكره ـ حاسراً عن رأسه تاج الملوكيّة، حافي القدمين، مطأطئ الرأس، تعلوه الكآبة والحزن، فيقف عند الباب وقوف أحد رعيّته على بابه، عاملاً بادآب الرعيّة لدى ملوكها، إذ ينادي الحرسيّان اللذان على الباب بأعلى صوتهما ثلاث مرات:

يا أبا عبد الله يا حسين بن علي المرتضى، يا سبط محمّد المصطفى، إنّ عبدك فلان قدم ليتشرّف بضريحك المقدّس، أتأذن له بذلك؟ فيجيب الحرسيان اللذان في جانب الشبيه: قد أذن مولانا الحسين لعبده فلان بالدخول.

وبعد الإذن يدخل الملك بحالة مشجية، حتى يصل إلى شبيه الضريح ودموعه تجري على خدّيه، فينكب عليه ويبكي ويلعن ظالميه وقاتليه، ويخرج متأدّباً متقهقراً حتى يستطرق الباب.

وفي اليوم العاشر من المحرّم ينقل النعش ويطلق إحدى وعشرين مدفعاً، ويسير الملك والوزراء والأُمراء من البراهمة(*) وسائر الرعيّة خلف النعش، مكشوفي الرؤوس، حافي الأقدام، وهم بحالة الخشوع، باكين نادبين بصوت شجي، وشعارهم: يا غريب يا شهيد يا حسين، والجند أمامه حامل السلاح على عادة حمل السلاح حين الحزن، وكان سبعة آلاف نسمة وحولهم طائفة بأيديهم الأعلام السود يلطمون الصدور، وعند وصولهم إلى محلّ قد دعوه كربلاء، يستديرون عليه يلطمون الصدور، ثمّ يقبرونه، والمحلّ يبجّل بالاحترام فوق ما يتصوّره العقل ويدركه الذهن.

ثمّ يرجع الملك إلى الحسينيّة مع المشيّعين، وهناك يتلون المراثي وبعض المصيبة، وبعد الفراغ من ذلك يعطي بيده أكواب الحليب والشاي، وينفّض المجلس، وينزوي بقية نهاره في قصر إمارته، ولا يخرج إلى أن تميل الشمس إلى الأصيل(*١)، ثمّ يخرج مع جمع من قومه إلى مدفن الشبيه، فيضيء الشموع والمصابيح الكهربائية وتتلى المراثي، وعند الختام يقدّم بيده للحاضرين ما يناسب الوقت من المرطّبات ويتفرّق الجمع.

(*) البراهمة: قوم لا يجوّزون على الله بعثة الرسل، ق (ص٤١٨).

(*١) والأصيل: نصف النهار.

يجري هذا العمل ثلاث ليال من العشرة الثانية من المحرّم، وهذه عادته في كلّ سنة منذ تربّع على دست الملوكيّة.

قال صاحب الرحلة: لمّا شاهدت ذلك من حضرة الراجة حدّثتني نفسي بالمفاوضة معه، فقلت له: أيّها الملك لِمَ لا تسلم وتتّبع دين جدّه محمّد بن عبد الله، إذ أنّ شهادة الحسين عليه السلام وتحمّله لما جرى عليه وعلى أهل بيته وأصحابه من المصائب، كان الغرض منه استقامة دين جدّه وإعزازه؟

فأجابني قائلاً: إنّ الحسين عليه السلام حقيقة تحمّل هذه المحن والمصائب ناظراً بها وجه الله، غير قاصد بها غرضاً دنيويّاً، إذ أيّ غرض دنيويّ لمن يفدي نفسه وأهله وأصحابه! فعمله بلا شكّ كان خالصاً لله، وبه يستحقّ أن يكون محبوب الإله الأكبر، وكراماته المشهودة بالحسّ والوجدان تشهد بذلك، ونحن نغالي في محبّته ونجعله من أقرب الوسائل إلى الله، ولكنّ كبار ديننا ومتقدّميهم لم ينبؤنا عن الإسلام بشيء، فلا نستطيع أن نؤمن بدين لم تنهئنا عنه علماء ديننا وكتبنا السماويّة، وكثير مثلي من طوائف الهندوا في الأقليم الهندي يقيمون العزاء للحسين بن علي عليه السلام على النحو الذي شاهدته منّا.

وفي الكتاب مقامات كثيرة تتعلّق بما نحن فيه، ولكن ضربنا عنها صفحاً طلباً للاختصار، وفراراً من الإطالة.

ولو أردنا في هذا المقام أن نستوفي لك انتشار الشبيه وفوائده في الإقليم الهندي، وطوائف الهندوا، وملوكهم الذين يقيمون المآتم الحسينيّة

والتـذكارات العزائيّـة والتشـبيهات المشـجية، كملـك بـروده[*]، وملـك دهولپـور[*١]، ومهارجـة كشنپرشـاد رئـيس وزارة حيـدر آبـاد دكـن[*٢]، وغيرهم من ملوك الهنـدوا على اختلاف نحلهـم وأديـانهم ، لطـال المقـام، ولكنّ الكفاية فيما سلف ذكره إن كنت من أهل الذكر.

وإليـك نبـذة مـن انتشـاره فـي الإقلـيم الهنـدي مـن طوائـف الإسـلام وملـوكهم، الـذين شـيّدوا البنايـات الفخيمـة، وفيهـا مـا يشـبه بهيئـة الحـرم المقدّس الحسيني، وقد خصّصوا لها الأوقاف والممتلكات ما تدرّ بالخيرات سـنوياً، كلّهـا لأجـل إقامـة الشـعائر الإسـلاميّة والمـآتم الحسـينيّة، يتوارثهـا الخلف عن السلف إلى يومنا هذا، كما يشهد بذلك الوجدان والعيان ، فمـن ذلك:

(*) وهي تبعد عن بمبئ ٢٤٨ ميلاً.

(*١) دهولپور تبعد عن بمبئ ٨٠٤ ميلاً وعن دهلي ١٥٣ ميلاً.

وممّا نصّ به رفيق مسافران ص١١٥ أنّ المؤسس لمملكة دهولپور اسمه دولنديو، وقد أسّسها في القرن الحادي عشر مسيحي، وهي واقعة على شطّ چنبل.

(*٢) دكن تبعد عن بمبئي ٤٩١.

مملكة أوده

وملوكها الاثني عشريّة، وهم عشرة ملوك ، كما نصّ في بيان أسمائهم مفصّلاً صاحب «الهياكل السبع»، وصاحب «الرحلة الهندية»، و«تحفة العالم» و«رفيق مسافران».

قال صاحب الهياكل والرحلة ـ بعد أن ذكروا المملكة وشؤونها إلى أن قالوا ـ: إنّ ملوك أوده عشرة: أولهم جلالة الملك سعادت خان برهان الملك[*]، ونصير الدين حيدر خان، ومحمّد علي خان، وغازي الدين حيدر خان، ومنصور علي خان، ونوّاب آصف الدولة، وشجاع الدولة، وسعادت علي خان ، وأمجد علي خان، وواجد علي شاه، وفي زمنه سقطت ملوكيّة أوده بعد حرب طاحنة مع البريطانيين، وذلك في سنة ١٢٨٣ هجرية وأُخذ وأُجد علي شاه أسيراً إلى كلكته[*١] وكانت يومئذٍ قاعدة القارة الهنديّة بيد الدولة الإنكليزية.

(*) وهو الذي أُصيب في الحرب مع نادر شاه، ووقع أسيراً في يده، وقد أكرمه غاية الإكرام، وجعله واسطة بينه وبين پادشاه الهند أبي المظفّر محمّد شاه، ثمّ بعد بضعة أيام توفّي بسبب جرحه إلى الشقاقلوس.

(*١) وهي تبعد عن بمبئ ١٣٤٩ ميلاً، وعن أوده ٨٨٥ ميلاً.

ناهيك ما قامت به من الخدمات الفائقة، لا زالت خيراتها منحدرة كالسيل المنحدر من أعلى الجبال بتيّاره الرهيب لحضرة الإمام الشهيد الحسين بن علي عليه السلام.

وإنّ هؤلاء الملوك ـ طيّب الله مراقدهم ـ كلّ منهم قد تفرّد بنوع من الخدمات العالية، ما كانت مشتملة على ضروب الخيرات، ما هي خصيصة للإمام الحسين ولأبنائه الأئمة الهداة التسعة المعصومين عليهم أفضل الصلاة والسلام، وللأُمّة الطيّبة المسلمة.

دونك ممّا يصل من الخيرات إلى العتبات المقدّسة، كالنجف وكربلاء، والكاظميّة، وسرّ من رأى، وخراسان، والحرمين المطهّرين مكّة المكرّمة والمدينة والروضة النبويّة، ومراقد أئمة البقيع عليهم السلام قبل أن تصل لهدمها يد الطاغية الوهابي.

وإليك ما ذكره مفصّلاً صاحب الرحلة الهنديّة، وصاحب كتاب الأسفار ص ٤٥٠ من ج٣، ناهيك ممّا نصّ به في بيان مملكة أوده وملوكها أوسع ممّا نصّ به صاحب الرحلة الهنديّة، ومنهما اقتبسنا رسم آصف الدولة وبناية الإمام باره (الحسينيّة) المعروفة باسمه، وبناية الحسينيّة المسمّاة حسين آباد، وبنايته المسمّاة شاه نجف، وبعض إيضاحات ما تكون إشارة إلى الموضوع الذي نحن في صدده:

فأمّا الحسينيّة المسمّاة حسين آباد، فهي من تأسيسات المرحوم نوّاب محمّد علي خان، كما نصّ تأريخ البناء الذي ذكره صاحب الرحلة الهنديّة، وصاحب الأسفار، وهو شعر فارسي:

شـه زمـان محمّـد علـى بنـا فرمـود إمام باره پى ذكر ومجلس حسين
زروى آه دلم خواند نوحهٔ تاريخ بنـاى تعزيـه ومـأتم إمـام حسـين(١)

أي سنة ١٢٥٣هـ.

وأمّا الحسينيّة الخاصة للمرحوم آصف الدولة(*)، فهي كائنة من عاصمة أوده لكهنو إلى شمالها، وتبعد عن الإمام باره المسمّاة حسين آباد نحو ميلين، سوى ما ذكره الفاضل اليماني(*١)، وصاحب الأسفار، ورفيق مسافران في صحيفة ٢٠٣ إنّ الحسينيّة المعروفة إلى آصف الدولة طولها ١٦٧ فوت، وعرضها ٥٢، وقد أسّس بناءها سنة ١٧٨٠ ميلادي.

وفي تحفة العالم(*) ما نصّه بعين المشاهدة في أثناء سياحته إلى لكهنو، واجتماعه مع آصف الدولة، قال ما ترجمته:

---

(١) ترجمته:

ملـك الزمـان محمّـد علـي بنـى إمـام بـاره (حسـينية) لـذكر الحسـين
لأجـل تفجع قلبي ونياحـة التـاريخ وكـان البنـاء لتعزيـة ومـأتم الإمـام الحسـين

(*) تنبيه: إنّ الإمام باره المختصة بآصف الدولة هي حسن آباد مع المسجد المتّصل بها، كما يبان في الرسم مع البناية.

وأمّا الإمام بارة المعروف بحسين باد، هي من تأسيسات محمّد علي خان، كما يفهم من البيتين الفارسي، وقد وقع الاشتباه من الطابع فليلتفت إليه.

(*١) في كتابه طبقات الملوك صفحة ٣٤٢، المطبوع بمطبعة إسلامبول، سنة ١٢٧١ مارتية، طبقاً إلى سنة ١٢٦٩ هجريّة.

(*) من تأليفات السيّد عبد اللطف بن أبي طالب الموسوي الشوشتري، صحيفة ٣٥٢ و٣٥٣ ⇦

بلغني من الموكّلين على تعمير الإمام باره المختصّة بآصف الدولة مع المسجد الواقع أمامها، من الذين أثق بهم، أنّ مصرف تعميرها يتجاوز الكرين روپيّة.

وأمّا صفتها: أنّها مشتملة على أربعة عشر قبّة، في كلّ قبة مكان لأحد الأضرحة المقدّسة للمعصومين الأربعة عشر عليهم السلام، والأضرحة مصنوعة من الفضة الخالصة.

فحينما يزيّنوها في أيام عاشوراء، يسرج فيها بمقدار ٤٠٠ أو ٥٠٠ ثريا كبيرة، وألفا ثريا متوسطة، توضع على الأرض، وفي الجميع يسرج فيها الشمع الكافوري.

وينصب على حيطانها الساعات الذهبيّة والفضيّة على اختلاف أشكالها وأجناسها، والمرايا الكبيرة، بحيث يحدث في تقابل الشموع والأضويّة بهذه المرايا وانعكاسها منها، وتلألأ الجواهر والمعلّقات الذهبيّةيحدث بحراً من نور يزري بسنا الطور، يبلغ نفقاتها في العشرة الأُولى من المحرّم ثلاثمائة ألف روپية، وإن فضل منه شيء ينفق على الزائرين والمستمعين، وهذه جارية في كلّ سنة إلى عصرنا هذا.

وأمّا شاه نجف من آثار غازي الدين حيدر خان، فهي بحدّ ذاتها لها المنار الرائق ممّا اتّسمت به، غير ما لها من عظمة البناء وظرافة الهندسة، حوى ما تضمّنت من الأثاث الفاخرة والرياش النفيس.

⇨

المطبوع بمطبعة الإسلاميّة بمبئ سنة ١٢٦٣ هجرية.

وبالجملة : إنّ ما كان لعظم البنايات وشموخها تبعثه صورة رسومها، كون المشاهد يتخلّلها رسم آصف الدولة ، وقد أتينا بذكر مآثرهم وما من الشعائر على نحو الاختصار.

وإليك نبذة من انتشار العزاء على سيّد الشهداء الحسين بن علي عليهما السلام في:

مملكة رامپور

حماها الله على ممّر الدهور، فإنّ نوّابها الأعظم وسموّ أميرها المكرّم السيّد محمّد حامد علي خان(*)، مع أنّ آباءهم الأقربين كانوا من أهل السنّة والجماعة، قد جذبته عاطفة جدّه المختار صلى الله عليه وآله واستنار بأنوار الأئمة الأطهار، فما تربّع على أريكة مملكته حتى نشر مآثر أجداده، وصار يقيم المآتم على جدّه الحسين عليه السلام، وقد أسّس بناءً سامياً للتذكارات العزائيّة، أُقيم في وسطه بناء على هيئة حرم الحسين عليه السلام.

(*) وفي بزم إيران: ص٧ إنّ السيّد محمّد حامد علي خان ابن سيّد مشتاق علي خان ابن سيّد كلب علي خان ابن سيّد يوسف علي خان، وكانت ولادته سنة ١٢٩٢هـ، وقد تربّع على دست الملوكي سنة ١٣٠٦هـ، وكان جدّه سيّد يوسف علي خان في زمن ثورة الهند، وقد دخل في جواره من الإنكليزيين في تلك الثورة أربعمائة نفر، وقد خلّصهم من يد الأعداء، وبعد إخماد الثورة الهندية صار محفوفاً بعناية الدولة الإنكليزية.

وفي كتاب (سرگذشت وسترس هورتست) في تاريخ الثورة الهنديّة ما نصّه، الصفحة الأولى منه: إنّ وقعة الهند سنة ١٨٥٧ م طبقاً إلى سنة ١٢٧٤هـ

وفي الجزء الأوّل المسمّى بجغرافيت هندوستان ص٣١٨، في الفهرست ما نصّ ترجمته: إنّ نفوس رامپور ٥٣٣٢١٢، ومساحتها ٨٩٩ ميلاً مربّع.

وإنّ المشار إليه له نحو خاصّ في إقامة العزاء لسيّد الشهداء عليه السلام في العشر الأول من المحرّم، ما يدهش الناظر ويبهر العاقل.

وإنّه يقيم في كلّ يوم بعد الزوال مأتماً عظيماً، يحضره عامّة المسلمين والأهلين من المملكة على اختلاف نحلهم، بحالة الحزن والكآبة والجزع والهلع، فتقرأ المراثي المشجية المتضمّنة للداهية الدهماء التي دهمت آل الرسول وأولاد الزهراء البتول عليهم السلام، فيرى الناظر قلوباً متفجّعة، وأجفاناً دامعة، وأصواتاً هاتفة، ونفوساً صارخة نائحة، تنوح كما ناح الحمام المطوّق.

وفي المملكة محلّ يدعى مستن كنج يشبه هناك (بأمر الملك) نعش الحسين عليه السلام، ويصنع من خشب السيسم، ويجلّل بالزينة الفاخرة، ويسدل عليه ستارتان من المنسوجات الطيّبة الثمينة، ثمّ يؤتى به إلى الحسينية.

وحينما يرومون حمله تطلق المدافع الكثيرة، ويسير أمامه الجند النضامي بحالة الحزن والكآبة، يرى الناظر كلّ فرد من الجُند والسواد المجتمع خلف النعش المقدّس، كأنّه مصاب في نفسه، لاطمين الصدور، حاسرين الرؤوس، حفاة الأقدام، حاملين شبيه النعش، تحفّ به أعلام سود من قطع الحرير.

وعند الوصول بالنعش إلى باب القلعة، ترى هناك حضرة الملك السيّد محمّد حامد علي خان حاسراً عن رأسه ضارباً على صدره، باكي العينين، حافي القدمين، والوزراء وأرباب دولته واقفون بخدمته، فيستقبل شبيه النعش بحالة مشجية.

ثمّ يقف أمام النعش باكتئاب وخضوع، ويقرأ زيارة وارث، وبعد الفراغ من زيارته وأعماله، يأمر بإدخال النعش المشبّه إلى الحسينية، ويقيم الماتم عليه ما يقرب من ساعة واحدة، ثم يختمون ذلك، وهكذا يفعل في كلّ يوم إلى نهار يوم العاشر.

وفي اليوم العاشر إنّ صاحب السيادة الملوكيّة ومن معه ينكبّون على النعش، وعندما ينكبّون عليه تعلوا منهم الأصوات وتخرج الزفرات، وكلّهم ينادون بصوت واحد: واحسيناه.

ثمّ ينقل النعش إلى بقعة خارج المدينة تُدعى كربلاء، فيشقّون أخدوداً في الأرض، ويحفرون قبراً تحت بناء شامخ على هيئة القبّة ويدفنونه هناك.

وبعد الفراغ يرجع المشار إليه إلى جامع كبير ممّا يلي الحسينيّة، فيقرأ زيارة عاشوراء مع لوازمها وأعمالها المستحبّة.

وبعد فراغه من زيارته ينصرف بكمال الخضوع والخشوع إلى قصر أمارته، وهذا دأبه في كلّ سنة في العشرة الأُولى من محرّم الحرام منذ تربّع على دست الملوكيّة إلى يومنا هذا، خلّد الله ملكه، وأيّد الله دولته، وأيّد به الدِّين. ولا زال عماداً للمسلمين، أكثر الله فيهم أمثاله بمحمّدٍ وآله صلّى الله عليهم أجمعين.

هذا بعض ما هو قائم في أنحاء الهند اليوم، وهو قليل من كثير ، وأمّا الذي انقرض واندرس من الآثار بانقراض منشئها، فلا يمكن حصرها

واستقصاؤها، نشير هنا إلى آثار الدول الشيعيّة التي نشرت التشيّع في دكن خاصة.

وذلك بمناسبة تبدّل الحال فيها، وما أجراه نوابها مير عثمان علي خان، المتربّع اليوم على أريكة حيدر آباد دكن، من منعه الشبيه وخروج المواكب العزائيّة في عاصمته هذا العام، أي سنة ١٣٤٦هـ، تسجيلاً لعبر التأريخ وتطوّراته، واطّلاعاً لقرّاء العربيّة على نبذة منها، مكتفين بالإشارة إلى أهمّ حوادثها.

ظهور التشيّع في دكن في سالف الزمن

قال مؤرخو الهند: إنّه على أثر انقراض الدولة البهمنيّة في دكن، قام على أنقاضها ـ بل قبيل انقراضها ـ خمس دول، هي: العادل شاهيّة وعاصمتها بيجاپور(*)، والقطب شاهية وعاصمتها گل كنده(*1)، ثمّ حيدر آباد دكن مقرّ السلطنة الحاليّة ولا تزال آثارهم فيها باقية إلى الآن(*2)، والنظام شاهيّة وعاصمتها أحمد نگر(*3)، والعماد شاهيّة وعاصمتها الچ پور، والبريد شاهيّة وعاصمتها بيدر.

اثنتان منها بقيتا على مذهب التسنّن إلى انقراضها، وهما العماد شاهية والبريد شاهية، فلا شاهد لنا فيهما، والثلاثة الأُخر، فواحدة منها وهي :

(*) بيجاپور تبعد عن بمبئ ٣٥١ ميلاً.

(*١) گل كنده: وهي قريبة من حيدر آباد دكن على نحو ميلين.

(*٢) وأما آثارهم في گل كنده فكثيرة.

(*٣) أحمد نگر تبعد عن بمبئي ٢٥٧ ميلاً.

القطب شاهية

شيعيّة من مبدئها، حيث مؤسّسها سلطان قلي قطب شاه، همداني الأصل، من عشيرة قراقيو نلوا، وهي شيعيّة معروفة في إيران، تربّع المشار إليه على عرض السلطنة سنة ٩١٨هـ، ثمّ جمشيد قطب شاه، ثمّ أخوه إبراهيم قطب شاه، ثمّ أبو المظفّر محمّد قطب شاه، ثمّ سلطان محمّد قطب شاه، ثمّ سبطه عبد الله قطب شاه وهو أبو الحسن قطب شاه المعروف بتانه شاه الذي أخذه أورنكريب الملقّب بعالم گير أسيراً بعد حرب طاحنة وحصار طويل، وذلك في سنة ١٠٩٨ وبه انتهت دولتهم، فيكون مدّة هذه السلطنة ١٨٠ سنة، خلّد ملوكها في أثنائها من المدارس والمستشفيات والمساجد والحصون والقلاع والقصور والآثار.

ومنها ما هو قائم إلى الآن، ما يشهد لملوكها بالعظمة وعلوّ الهمّة، وقد عملت على نشر التشيّع وتشييد أركانه بتأسيس الحسينيّات، وإقامة المآتم والعزاء بما امتلأت به بطون التأريخ، فاكتفينا بالإشارة إليها هنا.

العادل شاهيّة

وأمّا العادل شاهيّة فهي سنيّة الأصل، حيث مؤسّسها وهو يوسف عادل شاه، أحد أنجال سلطان العثمانيين السلطان مراد الثاني، وأخوه السلطان محمّد فاتح القسطنطينية، كما ثبت صحّة نسبه وانتسابه في ذلك الوقت بالتحقيق، وقد انتقل إلى دكن بقضيّة عجيبة طويلة، ذكرها مؤرخو الهند، وفي جملتهم أبو القاسم فرشته الشهير بوثاقته بينها.

ومجمل القضيّة: إنّ أركان الدولة العثمانيّة أرادوا قتله، وهو شاب لم يبلغ الحلم؛ تنفيذاً لما قرّروه في ذلك الوقت من استيصال أولاد ملوكهم، عدا وليّ العهد، ليأمنوا بذلك الشقاق والانشقاق في مملكتهم.

وإذ علمت أُمّه بهذا القرار، طلبت المهلة ليلة واحدة، فدبّرت الحيلة، وتلك بأن استدعت خفيةً أحد التجّار الإيرانيين، الذين كانوا يتردّدون على الآستانة واسمه عماد الدين محمود الكرجستاني، فقرّرت معه أن تودعه ولدها، على أن يصحبه إلى إيران، ويتعهّد بحفظه وتربيته، واشترت غلاماً گرجياً شبيهاً

بولدها، وأرشت من أُنيط به تنفيذ القرار، فخنق الغلام بدل عادل شاه، وأخرجه ليلاً ملفوفاً في رداء إلى أركان الدولة، فانطلت عليهم الحيلة.

وأمّا عماد الدين محمود، فجاء بيوسف عادل شاه إلى وطنه ساوة، وقيل: ساده، إحدى بلاد إيران، فربّاه مع أولاده أحسن تربية، وأقام هناك حتى بلغ مبلغ الرجال، كانت ترسل له أُمّه أثناء ذلك من الآستانة الرسل بالهدايا والتحف، حتى اشتهر أمره، وطمع حاكم ساوة أو سادة في بعض الهدايا والتحف فنهبها، وحدث منه اعتداء آخر على يوسف عادل شاه، لخصام شجر بينه وبين أحد أولاد القرية.

وكان ذلك إبّان سفر لعماد الدين محمود إلى الهند، فصمّم عادل شاه ـ بناء على حادثة النهب والاعتداء ـ أن يرحل من ساوة أو سادة، إذ أبت نفسه الأبيّة الإقرار على الضيم، فانتقل منها إلى كاشان، ومنها إلى إصفهان، ثم إلى شيراز.

وبينما هو يحدّث نفسه بالرجوع إلى بلاد الترك وطنه القديم، اذ تراء له الخضر عليه السلام في رؤيا مشيراً عليه بالارتحال إلى الهند، مبشّراً له بنيل الملك فيها، فشدّ الرحال، وهو مضمر في نفسه، وناذر إلى الله إن تحقّقت رؤياه أن يسعى في ترويج المذهب الشيعي ونشر آثاره.

ومن هذا يفهم أنّه من ذلك الحين كان متنعّماً بنعمة الحقّ ومتشبعاً بهذه الفكرة، ولعلّ السبب في ذلك؛ التربيّة والبيئة التي نشأ فيها حينما كانت الدعوة الشيعيّة الصفويّة آخذة في الانتشار سرّاً بين أهالي إيران.

وعند وصوله إلى أحد سواحل الهند التقى بكافله عماد الدين محمود، وهذا استصحبه معه إلى حميمه القديم الخواجه جهان محمود كاوان، الملقّب بملك التجّار، وزير سلطنة دكن الأعظم، معرباً له عن قصّته .

وعندما شاهد الوزير فيه سيماء الجلال وآيات الكمال ماثلةً فيه مخائل النجابة، قدّمه إلى السلطان، فاستوى طالعه في سعود ومجده في صعود، وصار يرتقي في المناصب حتى أصبح من القوّاد العظام، وأُنيطت به ولاية بيجاپور وما والاها، وكان في غضون هذه المدّة لازال موالياً للوزير الأعظم سابق الذكر، منقطعاً بإخلاصه إليه، لما أولاه إياه من العناية منذ قدومه الهند.

وعندما أوقع السلطان بهذا الوزير، وقتله بتهمة ظلماً وعدواناً، بدأ الاختلال والانحلال في المملكة، فظهرت فكرة الاستقلال بين أُمرائها العظام.

وهنا عمد عادل شاه إلى توطيد دعائم ملكه، متّخذاً بيجاپور مقرّ سلطنته. وعندما رسخت قدمه وفى بنذره، فأعلن المذهب الشيعي وذلك سنة ٩٠٨ هجرية، وقرن الشهادتين بالولاية على رؤوس المآذن، والخطبة بأسماء الأئمة الاثني عشر عليهم السلام، بعد أن حذف منها أسماء الصحابة وكان ذلك قبيل إعلان الشاه إسماعيل دعوة التشيّع في إيران حيث يقول عادل شاه مفتخراً: إنّي أعلنت التشيع قبل أن يعلنه الشاه إسماعيل في إيران، فلم يكن عملي اقتفاءً له، ومهما يكن فإنّه أوّل ملك أعلن التشيّع في الهند.

وممّا سجّل له التأريخ بالإعجاب، أنّه لم يرق في هذا الانقلاب العظيم الذي أحدثه ملء محجمة دماً، ولم تنتطح فيه عنزان، بل بقيت الطائفتان الشيعيّة والسنيّة كما هو الواجب على التوادد والإخاء، وهو دليل واضح على كفاية هذا الرجل العظيم ونفوذ كلمته، وقد استقامت هذه السلطنة التي اتّسع نطاقها حتى شملت پونة وبمباي الحاليّة شمالاً، وبلاد مرچ والكوكن إلى گوه جنوباً.

وملوكها يعملون على نشر التشيّع وتشييد أركانه، لم يشذّ منهم سوى حفيد المؤسّس وهو إبراهيم عادل شاه الذي تسنّن، ولكن لم يستطع أن يلاشي هذه الفكرة، فعادت إلى سيرها الحثيث حتى أدركت السلطنة ما أدركت شقيقاتها في دكن ﴿**سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا**﴾[1] فتلاشت أيضاً على يد اورنگزيب عالم گير، وكثير من آثارها في بيجاپور وما والاها قائم إلى الآن.

---

(١) الأحزاب (٣٣): ٦٢.

النظام شاهيّة

أسّسها أحمد النظام شاه في فترة الانحلال، كما سبقت الإشارة بذلك، وقد توفّي سنة ٩١٤هـ وهو على مذهب التسنّن، وخلّفه على أريكة الملك في أحمد نگر ولده برهان نظام شاه، ومازال على مذهب آبائه حتى أدركته السعادة فتشيّع؛ لكرامة رآها من أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين في مرض ولده عبد القادر، وإليك التفصيل أيضاً عن «فرشته»(*) الآنف الذكر.

(*) ج٢ صفحة ١٠٢ إلى ١٠٥ من المطبوع في الهند بتاريخ ١٢٨١هـ

مرض عبد القادر ورؤيا نظام شاه وقصّة اللحاف

قال المؤلّف المذكور ما ترجمته بالمعنى: إنّه مرض لبرهان نظام شاه بالحمّى المحرقة ولد يدعى عبد القادر، كان أصغر ولديه وأعزّهم لديه، فجمع الأطباء من مسلمين ووثنيين قائلاً لهم: إن وجدتم كبدي تصلح في علاجه فدونكم واستخرجوها، فإنّي لا أحبّ الحياة بعده، فجدّوا، ولكن لم يجد نفعاً جدّهم في علاجه، واستولى اليأس على السلطان حتى عمل بما يشير به البراهمة ـ كما مرّ الإشارة ـ والعجائز ، فأعطى النذور والصدقات حتى لمعابد الأصنام وعبدة الأوثان.

وكان الشاه طاهر ـ وهو أحد العلماء الأعلام والسادة الكرام ـ قد جاء من إيران(*) إلى الهند، فعرف أُستاذ السلطان ـ وهو الملاّ پير محمّد ـ ما للشاه

(*) وملخّص قصّته بالاختصار هو : إنّ آباءه قد غادروا مصر حينما سيطر عليها صلاح الدين وتشتّت الفاطميين منها، فجاؤوا واستوطنوا إيران في قرية خوند من توابع قزوين، فصارت لهم زعامة الإرشاد فيها كما كانت لهم في مصر.

والسيد المشار إليه قد نبغ من بينهم، بما حازه من قصب السبق في سائر العلوم والفنون، فعمّت شهرته الآفاق، وتبعه خلق كثير، فتوجّس الشاه إسماعيل الصفوي منه خيفة، وعزم على ⇦



استئصاله فيمن حاول استئصالهم من أهل التكايا والإرشاد، فأوعز إليه أحد وزرائه سرّاً بما عزم الشاه إسماعيل عليه، فطوى سجادة الدروشة وترك وظائفها وانتقل إلى كاشان، ولشهرته بالعلوم والمعارف أصبح هناك أيضاً كعبة في الدرس والتدريس، يحجّ إليه روّاد العلوم من كلّ فجّ عميق، وحفّت به أُلوف الأتباع والمريدين، فرأى الشاه إسماعيل أنّ الامر على ما كان عليه، وإنّما تغيّرت صورته، فتحوّل من السجادة إلى المنبر، فعزم ثانية على قتله، وأرسل رسلاً على البريد لتنفيذ الأمر فيه، ولكن ذلك الوزير أيضاً أنذره بأسرع من ذلك البريد، فغادر الشاه طاهر كاشان تاركاً ثقله ورحله، يجدّ السير بأهله وعياله حتى انتهى إلى بندر جرون.

وأمّا رسل الشاه عندما وصلوا كاشان، فوجدوه قد خرج منها، اقتفوا أثره فوصلوا البندر المذكور، ولكن الشاه طاهر قد سبقهم بساعتين فقط، وركب السفينة ميمّماً بلاد الهند، وقد ساعدتها الريح فصلّى الجمعة في البندر المذكور، وصلّى الجمعة الثانية في أحد بنادر الهند (كوه)،ومنه توجّه إلى بيجاپور، فلم ير من سلطانها إسماعيل عادل شاه ما يليق بعلوّ مقامه من الالتفات، حيث إنّ السلطان المذكور لم يكن يعتني بحملة العلوم والأقلام اعتناءه بحملة السنان والحسام.

وعاد قاصداً حجّ بيت الله الحرام وزيارة أجداده الكرام في الحجاز والعراق، وكان طريقه على قلعة پرنده، فاستوقفه أميرها ملتمساً منه الإقامة عنده، فلبث يدرّس ويبثّ العلوم، حتى ورد البلد المذكور الملاّ پير محمّد ، أُستاذ السلطان برهان شاه، لشغل عرض له، فالتقى بالشاه طاهر وعرف فضله ، فلازمه سنة يقتبس من أنوار هداه ويغترف من بحر فضله.

وبعد أن عاد إلى أحمد نگر، عرف سلطانها برهان نظام شاه ـ الآنف الذكر ـ بما عليه الشاه طاهر من علوّ الفضل والكمال، فاستقدمه السلطان إليه، وأنشا له مدرساً يدرّس فيه العلوم والفنون، يحضر فيه الملا پير محمّد وسائر علماء أحمد نگر، ويحضره السلطان أحياناً؛ لميله للعلم وأربابه واستمر الحال على ذلك إلى أن حدثت حادثة مرض عبد القادر، وما أعقبها من تشيّع السلطان، فاصبح بمثابة الوزير الأعظم في المملكة والقطب الذي تدور عليه رحى العلوم والسياسة معاً، وقد توارث هذا المقام من الرفعة وعلوّ الجاه أبناؤه وأحفاده الكرام.

ولكن نأسف حيث لم نعثر فيما بين أيدينا من تواريخ الهند ـ وهي عزيزة جداً قليلة الانتشار ـ على سنة وفاته وترجمة حياة سلسلة أولاده؛ لنطلع القرّآء عليها تكميلاً للفائدة.



طاهر من الفضل، وقد التقى به، فنوّه به عند السلطان برهان شاه، فاستقدمه إلى أحمد نگر، أصبح مدرّسها الأعظم، وقطب دائرة المعارف والعلوم فيها، وكان مبطناً للتشيّع مظهراً للتسنّن.

ولكن مرض عبد القادر وقلق أبيه عليه، أفسحت له المجال أن ينتهز الفرصة التي كان يتحيّنها لنشر الدعوة الشيعيّة وتشييد أركانها، فابتدر السلطان قائلاً: يا صاحب الجلالة، قد خطر ببالي عمل يُرجى لعبد القادر منه الشفاء، فإن أمنتني بالعهود والمواثيق وضمنت لي الخروج بأهلي سالماً إلى بيت الله الحرام إن ساءك ذلك، عرضته بخدمتك، فأعطاه السلطان العهود والمواثيق، وهو متلهّف لسماع ما سيبديه ، وبعد أن تأكّد الشاه طاهر من عهوده السلامة على نفسه واطمأنّ خاطره، قال: أنذر لله، ان مَنّ الله على عبد القادر بالشفاء هذه الليلة، أن تهب مبلغاً جزيلاً من المال لذريّة الأئمة الاثني عشرعليهم السلام.

وبعد أن سأل عن الأئمةعليهم السلام ـ وكان لا يعرفهم بالتفصيل حتى ذلك الوقت ، وعرّفه الشاه طاهر بهم ـ قال: إذا كنّا في هذا الأمر قد نذرنا حتى

⇨

وأمّا نسبه فهو الشاه طاهر ابن السيّد شاه رضي الدين، وهو ابن مولى مؤمن شاه، وينتهي نسبه إلى عبيد الله الفاطمي، ثمّ إلى إسماعيل ابن الإمام جعفر الصادقعليه السلام.

ومن أراد الإطلاع على نسبه السامي مفصّلاً، فعليه بمراجعة كتاب عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب في الصحيفة ٢١٠ في المتن والهامش، في الطبعة الثانية المطبوع سنة ١٣١٨ هجرية في بمبئ.

وقد جاءت كلمة رسول اللهصلى الله عليه وآله: «ولدي طاهر» في هذه الرؤيا، خير شاهدٍ لصحة هذا النسب الطاهر الشريف.

لعابدي الأوثان، فما أجدرنا ـ ولا قياس ـ أن ننذر لذرّية علي المرتضى والسيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام.

ولكن الشاه طاهر ـ وقد رأى لين العريكة منه ـ سعى لإظهار غايته الحقيقة، فقال: يا حضرة الملك، ليس القصد مجرّد النذر، وإنّما الأمر أخطر وأكبر، وإن أعطيتني الأمان وكرّرت لي العهود والأيمان بالله وبكتابه المقدّس أوضحته لك، فتعلّق الملك بأذياله ملحاً بالبيان، مؤكّداً العهود بما شاء من الأقسام.

وبعد التوكيد والتشديد في الميثاق، قال الشاه طاهر: غايتي الحقيقية هو أن ينذر السلطان إن حصل الشفاء لولده العزيز هذه الليلة ببركة قرابة الأئمة الاثني عشر من رسول الله صلى الله عليه وآله أن يقرن الخطبة بأسمائهم وينشر دعوتهم ويشيد أركانها.

وحيث إنّ السلطان قد خامره اليأس من حياة ولده، لم ير في هذا النذر من غضاضة عليه، فعقد صافقاً بيده يد الشاه طاهر معاهداً له بالوفاء، وكان الوقت ليلاً، فذهب الشاه طاهر إلى داره واشتغل بالدعاء مبتهلاً إلى الله في أن يمنّ لعبد القادر بالشفاء منقطعاً إليه معفّراً جبينه بين يديه.

وأمّا السلطان فبقي ملازماً لسرير عبد القادر، كئيباً حزيناً، وكان كلّما ألقى اللحاف على عبد القادر يلقيه عنه لشدّة الحرارة واشتعالها، حتى أعيى السلطان ذلك، فقال: دعوه يتزوّد من نسيم الحياة فإنّه ضيف عندنا هذه الليلة، وألقى اللحاف حول السرير وبقي قلقاً ساهراً حتى نصف الليل، فأدركه النعاس وأغفا،

فإذا هو بشخص نوراني بهيّ المنظر، قد وقف عن يمينه وشماله اثنا عشر، وقائل يقول له : هل تعرف هذا العظيم؟

إنّه محمّد رسول اللهﷺ، سيّد البشر وشفيع يوم المحشر، وهؤلاء الذين عن يمينه وشماله هم بنوه الأئمة الاثنا عشرعليهم السلام.

فأخذته الهيبة واعتراه البهت والسكوت، فالتفت إليه رسول اللهﷺ، قائلاً: يا برهان، قد مَنَّ الله على ولدك بالشفاء ببركة عليّ وأولاده، فلا تخالف ولدي طاهر.

فانتبه من نومه فرحاً مسروراً، ووجد عبد القادر مغطّىً باللحاف، فسأل أُمّ عبد القادر وظئره(*) ـ وكانتا عنده يقضتين ـ عمّن ألقى اللحاف عليه فأجابتا: إنّا في دهشة واضطراب من هذا الأمر، حيث وجدنا اللحاف قد تحرّك بذاته واستوى على عبد القادر، ومدّ يده تحت اللحاف فوجد عبد القادر مستغرقاً في النوم، على عكس الليالي الماضية.

فأرسل في الحال في طلب الشاه طاهر، وطرق الرسول عليه الباب، بينما هو على تلك الحال التي وصفناها من الدعاء والابتهال، فظنّ الشاه طاهر أنّ السلطان قد ندم على نذره، وأنّ عبد القادر أدركه الأجل، فعدّ النذر مشؤوماً عليه، فخشى القتل وحدّثته نفسه بالفرار، ولكن تتابع الرسل وإحاطتهم ببابه جعله يسلّم الأمر إلى ربّه، وصحبهم بعد أن عهد عهده وأوصى إلى أهله، وما كاد يصل قصر السلطان ، حتى استقبله السلطان من الباب خلافاً لعادته،

(*) الظئر: المرضعة والمربّية.

وسار به آخذاً بيده إلى مضجع عبد القادر، وهناك طلب منه الإيضاح في معتقدات الشيعة ليعترف بها.

ولكن الشاه طاهر طلب بيان ما عنده أوّلاً، ولم يجد فيه إلحاح السلطان وتشوّقه لمعرفة هذا المذهب قبل البيان، فأخبره السلطان بالرؤيا وقصّة اللحاف، وعرّفه الشاه الطاهر بالأئمة عليهم السلام، ووجوب تولّيهم والتبرّي من أعدائهم، فاعترف بولايتهم، واغترف من سلسبيل محبّتهم منشداً:

چه مبارك سحرى بود چه فرخندۀ شبى　　　آن شب قدر كه اين تازۀ براتم دادند[١]

وشاركه في هذه النعمة ولداه الأميران حسين وعبد القادر وأُمّهما بي بي آمنة وسائر ولده وعياله، وحاول في صبيحتها أن يعلن الدعوة على رؤوس المنابر والمنائر، لولا منع الشاه طاهر له من الاستعجال؛ حفظاً للملك وكيانه، وإشارته عليه باتّخاذ الحزم والسياسة، وذلك بأن يجمع علماء المذاهب الأربعة، فيطلب منهم تمييز المحقّ منها ليعتمده دون سواه، فانصاع لرأيه وجمعهم، وكان فيهم الملاّ پير محمّد أُستاذ السلطان، والملاّ داود الدهلوي، وأفضل خان نائبه وكثير سواهم، فاحتدم الجدال وكثر القيل والقال، وكلّ ادّعى الوصل بليلاه، وزيّف مذهب سواه.

---

(١) ترجمتها:

تم مباركاً هذا السحر وهذه الليلة الميمونة

وهي ليلة القدر التي أُعطيت لكم

والسلطان أثناء ذلك يحاضرهم ويسمع تحاورهم؛ ليميّز بما أُوتيه من فضل وعلم مادار عليه البحث، واستمر الحال ستّة أشهر، التفت في آخرها السلطان ــ وقد ضاق صدره وعيل صبره ـ إلى الشاه طاهر، قائلاً: أيّ هذه المذاهب نختار، وها نحن نرى كلاًّ منها قد زيّفه الآخرون؟ فهل ثمّة غيرها لنعتبر حاله ونختبره؟

فكان الجواب: هو المذهب الجعفري، وطلب السلطان إحضار من ينوب عنه من علمائه، وبعد الفحص أحضر من يُدعى الشيخ أحمد النجفي، فأدار دفّة البحث معهم، والشاه طاهر يشدّ أزره، فشعر القوم بما عليه الشاه طاهر من التشيّع، فرأوا الحزم في نبذ الخلاف بينهم وتوحيد الصفوف، فوحّدوها وأصدقوه النضال، وحمى وطيس الجدال واشتدّ الكرّ والفر، وكان الفرار غالباً في صفوفهم فيخرجون مفحمين.

وانتهى البحث لخلافة أبي بكر وحديث : «آتوني بدواة وبياض»، وقصّة فدك والعوالي وما أشبهها، حمل فيه الشاه طاهر بالصحيحين وغيرها من معتبرات الكتب، ففلّ شوكتهم وأطفأ نائرتهم، ولم يبق من روح الثبات فيهم سوى رمق قليل، أجهز عليه السلطان بقصّة الرؤيا واللحاف، فتشيّع أكثرهم، وتبعهم على ذلك خلق كثير من أُمراء المملكة وكبارها، وقوّاد الجيش وأفراده، وغيرهم من الخدم والحشم.

ومَن لم يتشيّع منهم ـ وزعيمهم الأُستاذ ـ خرجوا مغاضبين، وليلاً اجتمعوا لدى الأُستاذ، وقد التحق بهم جملة من الأمراء والقوّاد ومن غوغاء دكن ودهمائها، وبعد أن عنّفوا الأُستاذ على تنويهه بالشاه طاهر، ائتمروا أوّلاً بقتله ـ

أي الشاه طاهر ـ وأخيراً قرّروا خلع السلطان، فتجمهروا حول حصنه وهم زهاء العشرة آلاف، يقدمهم الأُستاذ الملاّ پير محمّد المذكور، فضاق الخناق بالسلطان ووقع في الارتباك، لو لا أنّ الشاه طاهر طمأنَ جأشه وشجّعه على الخروج.

فخرج إليهم في ألف وخمسمائة، وعندما تقابل الجمعان أخذ الشاه طاهر قبضة من التراب وتلا ﴿**سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ**﴾[1] ورماهم بها، وأمر الشرطة أن ينادوا في المتجمهرين بأنّ مَن انحاز نحو مظلّة السلطان فله الأمان ، وإلّا فلينتظر أشدّ العقاب، فانحاز أكثرهم، وانهزم الأُستاذ في شرذمة منهم محتمياً بداره ، ولكن السلطان أرسل في أثرهم ثُلّة من الجيش جاءت بهم في رباق الأسار، وأراد السلطان قتل الأُستاذ، وتشفّع فيه الشاه طاهر فشفّعه في دمه، ولكن اعتقله في أحد القلاع أربع سنين، تشفّع في نهايتها الشاه طاهر ثانية رعاية لحقوقه السابقة واستعاد له مركزه القديم عند السلطان.

وبهذه المناسبة قال المؤرّخ فرشته ما مضمونه: إنّ هذه الرؤيا شبيهة برؤيا غازانخان سلطان إيران وتشيّعه.

---

(١) القمر (٥٤): ٤٥.

[تشيّع غازانخان سلطان إيران]

وذلك كما روته جملة مؤرّخي الترك وإيران، وهو : أنّه بعد أن أسلم هذا السلطان، رأى النبي محمّداًصلى الله عليه وآله مرّتين في الرؤيا، كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام معه في كلّ منها، فقال له حضرة خاتم النبوّةصلى الله عليه وآله ـ بعد أن عرّفه بالعترة الطاهرةعليهم السلام ـ: عليك بمحبّة أهل بيتي والإخلاص والاتباع لهم وإكرام ذرّيتهم، فصار السلطان محبّاً لأهل البيتعليهم السلام.

وفي بعض التواريخ: إنّ غازانخان كثيراً ما كان يقول: إنّي لست منكراً للصحابة واعترف بجلالتهم، ولكنّي عملاً بما أوصاني حضرة صاحب الرسالةصلى الله عليه وآله أُوثر محبّة أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام والأحد عشر من بنيه، وأرعى لهم ما تقتضيه قواعد المودّة والإخلاص.

ولتمسّكه ـ أي غازانخان ـ بمحبّة أهل البيتعليهم السلام، أوصى عند موته أخاه السلطان أولجايتو المشهور بمحمّد خدا بنده بمحبّتهم والتمسّك بهم، وهذا

السلطان زاد على أخيه، فاختار مذهب الشيعة، وقرن الخطبة والسكّة بأسماء الأئمّة الاثني عشر عليهم السلام، وأسقط أسماء الصحابة الثلاثة منهما.

وهناك أظهر فرشته المؤرّخ حيرته، حيث إنّه من أهل التسنّن، وهذه الرؤيا وأمثالها تعارض معتقده على خطّ مستقيم، فقال: إن كان مذهب الإمامية حقّاً، فما عسى أن يكون حال المذاهب الأُخر؟ وإن كان الحقّ مع غيره، فما معنى وصيّة رسول الله صلى الله عليه وآله بترويج ذلك المذهب؟ اللهمّ ﴿**افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ**﴾[1].

ثمّ يقول: والخلاصة إنّه في سنة ٩٤٤هـ أربع وأربعين وتسعمائة، اختار برهان شاه بإرشاد الشاه طاهر ولاية أهل البيت عليهم السلام، وأسقط أسماء الصحابة الثلاثة من الخطبة، وجعل أعلامه ومظلّته خضراء تأسّياً بالنبي محمّد صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام؛ لما هو مري: أنّ الخضرة شارتهم يوم القيامة.

ثمّ يقول فيها ـ وهو من شواهدنا الواضحة فيها ـ: وتصدّى لترويج المذهب الجعفري، وقطع الوظائف عن أهل السنّة وأجراها للشيعة، وأقام قبالة أحمد نگر بناءً مربّعاً من الجصّ والحجر شبيهاً بالمدرسة، وسمّاه لنگر دوازده إمام، وأوقف عليها قصبة جپور وسيوره وأسته پور وغيرها من القرى، وفي كلّ يوم مرّتان يهيّئ الطعام للفقراء والمساكين من المؤمنين.

---

(١) الأعراف (٧): ٨٩.

وكان الشاه طاهر باذلاً جهده لإعلاء شأن هذه الدولة، فكان يرسل الأموال الجزيلة من الخزانة إلى العراق وخراسان وفارس وإلى أنحاء الهند، لاستقدام محبّي أهل البيت وأهل الفضل والكمال؛ ليلتفّوا بعرش هذه السلطنة.

ثم يقول: وفي عهد سلطنة أبي المظفّر مرتضى نظام شاه بن حسين نظام شاه بن برهان نظام شاه، بلغ رواج المذهب الجعفريّ حدّ الكمال، وازداد إعزاز محبّي أهل البيت وإكرامهم، وأضاف جملة من القرى والضياع في أوقاف العلماء والسادات والمستحقّين. انتهى.

فانتشار التشيّع في شرق الأرض وغربها، بعد اعتقاله السنين الطوال في قيد الأُسر والاضطهاد، هو ولا شكّ نتيجة أسباب:

منها: ما هو بسيط مألوف كالضغط يحدث الانفجار، وناموس النشوء والارتقاء، والمظلوميّة بفاجعة الحسين عليه السلام، وأعطف عليها العدوى بتبادل الأفكار والتفاهم، الذي كان التمثيل من أكبر آلاته، كما مر عليك بيانه، كلّ هذه أسباب مهمة في انتشار المذهب المقدّس، ولكنّها لا تخرج عن كونها بسيطة مألوفة قد اعتضد بها كثير من المذاهب والأديان.

ومنها: ما كان لها كيان ثابت وأساس متين كالمعتزلة وأضرابها، فلم تجد نفعاً في انتشارها واستقامة حياتها.

ودونك أيضاً الأُمّة الموسويّة وراجع تأريخها، فإنّها أوضح مثال في الاعتضاد بأسباب المظلوميّة والاضطهاد والنشوء والارتقاء، وتوفّر أسباب العدوى بمالها من بيوت تجاريّة ومدارس علميّة منتشرة في أنحاء العالم، وهي مع ذلك باقية على جمودها ولم تعضدها تلك الأسباب في الانتشار، ولا

وطّدت لهم إلى الآن دولة تحمي كيانهم وتجمع شتاتهم ، وقل مثل ذلك في الأُمة الأرمنية، وكثير ممّن أضربنا عن بيانها.

فإذاً إنّ اليد الغيبيّة هي العامل الوحيد الحقيقي في هذا الانتشار العجيب، الذي أوجدت دولاً مترامية الأطراف، وملوكاً دوّخوا العالم وسادوا في شرق البلاد وغربها.

وإذا تتبّعنا تأريخ هذه الفرقة الكريمة من مبدأ تكوّنها، رأينا العشرات من أمثال رؤيا غازانخان وبرهان نظام شاه، والمئات من الحوادث التي لا يمكن تعليل النجاح فيها بغير يد الغيب، ممّا لو أردنا تعدادها لضاق بها صدر هذا السفر.

وعلى ذلك يمكننا أن نقول: حتى مظلوميّة الحسين عليه السلام هي يد غيبيّة دبّرتها الحكمة الإلهية؛ لتكون فأساً ذا رأسين: هدّمت بواحد وفي يومٍ واحد، هو يوم عاشوراء، ما بناه بنو أميّة في ألف شهر، هذا إذا جاملنا ولم نضف إليها نحو الخمس والعشرين عاماً التي تقدّمتها.

وبالرأس الثاني، وفي ذلك اليوم عينه، قد خطّت في عرصة كربلاء أعمق أساس جدير أن توطد عليه دعائم فرقة تعيش إلى الأبد، فيالها من حكمة إلهيّة دبّرت هذه الفاجعة العظمى التي جاءت هادمةً لمن بنى الطغاة محكمة لما هدّموا ، مخلّدة آثار من حاولوا محو آثارهم.

فهي إذاً رمز الخلود لهذه الفرقة على صفحات الوجود، الذي تنبّأت بخلوده ودوام آثاره العالمة غير المعلّمة، الطاهرة الإنسية، والحوراء القدسيّة،

ومَن هي بعد أُمّها سيّدة النساء، فخر المخدّرات، عقيلة علي الكبرى زينب، على أبيها وعليها السلام، التي فاهت بها في مجلس يزيد ـ لعنه الله ـ بن معاوية.

وها نحن نثبتها هنا على طولها تنويهاً لما اشتملت عليه من الفصاحة والبلاغة، وهي هذه:

الخطبة الزينبيّة(*)

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة على جدّي سيّد المرسلين، صدق الله سبحانه كذلك يقول: ﴿ **ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوأَى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِؤُون** ﴾[١].

أظننت يا يزيد حين أخذت علينا أقطار الأرض، وضيّقت علينا آفاق السماء، فأصبحنا لك في أسار، نساق إليك سوقاً في قطار، وأنت علينا ذو اقتدار، أنّ بنا على الله هوناً وعليك منه كرامةً وامتناناً، وإنّ ذلك لعظم خطرك وجلالة قدرك، فشمخت(**) بأنفك ونظرت في عطفك، تضرب أصدريك[٢] فرحاً وتنقض مذرويك[٣] مرحاً، حين رأيت الدنيا لك مستوسقة والأُمور لديك متّسقة، وحين صفى لك ملكنا، وخلص لك سلطاننا.

(*) زينب الكبرى بنت علي بن أبي طالب عليه السلام، أُمها فاطمة الزهراء عليها السلام بنت محمّد المصطفى صلى الله عليه وآله، من زوجته الكبرى خديجة أُمّ المؤمنين رضي الله عنها.

(١) الروم (٣٠): ١٠.

(**) شمخ الرجل: أي تكبّر: ق ص٩٨.

(٢) الأصدران: عرقان تحت الصدغين، أي المنكبين. النهاية لابن الأثير ٣: ١٦ «صدر».

(٣) المذوران: جانبا الإليتين. النهاية ٤: ٣١١ «مذر».

فمهلاً مهلاً، لا تطش جهلاً! أنسيت قول الله عزّ وجلّ: ﴿ **وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ**﴾[1].

وقوله عزّ من قائل: ﴿ **وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْمًا وَلَهْمُ عَذَابٌ مُّهِينٌ**﴾[2].

أمِنَ العدل يابن الطلقاء تخديرك حرائرك وإمائك، وسوقك بنات رسول الله صلى الله عليه وآله سبايا، قد هتكت ستورهن، وأبديت وجوههن، تحدوا بهنَّ الأعداء من بلدٍ إلى بلد، وتستشرفهنّ المناقل، ويتبرزن لأهل المناهل، ويتصفّح وجوههنّ القريب والبعيد، والغائب والشهيد، والشريف والوضيع، والدني والرفيع، ليس معهنّ من رجالهن وليّ، ولا من حماتهن حميّ، عتوّاً منك على الله، وجحوداً لرسول الله صلى الله عليه وآله، ودفعاً لما جاء به من عند الله، ولا غرو منك ولا عجب من فعلك.

وأنى يرتجى ممّن لفظ فوه أكباد الشهداء، ونبت لحمه بدماء السعداء، ونصب الحرب لسيّد الأنبياء، وجمع الأحزاب، وشهر الحراب، وهزّ السيوف في وجه رسول الله صلى الله عليه وآله أشدّ العرب لله جحوداً، وأنكرهم له سولاً، وأظهرهم له عدواناً، وأعتاهم على الربّ كفراً وطغياناً، إلّا أنّها نتيجة خلال الكفر، وصب يجرجر في الصدر لقتلى يوم بدر، فلا يستبطئ في بغضنا أهل البيت مَن كان

---

(١) إبراهيم (١٤): ٤٢.

(٢) آل عمران (٣): ١٧٨.

نظره إلينا شنفاً وإحناً وأضغاناً، يظهر كفره برسول الله، ويفصح ذلك بلسانه وهو يقول: فرحاً بقتل ولده وسبيّ ذريّته ، غير متحوّب[1]:

لأهلّوا واستهلّوا فرحاً ولقالوا: يا يزيد لا تشل

منحنياً على ثنايا أبي عبد الله عليه السلام ـ وكان مقبّل رسول الله صلى الله عليه وآله ـ ينكتها بمخصرته، قد التمع السرور بوجهك، لعمري لقد نكأت القرحة، واستأصلت الشأفة بإراقتك دم سيّد شباب أهل الجنّة، وابن يعسوب دين العرب، وشمس آل عبد المطّلب، وهتفك بأشياخك، وتقرّبك بدمه إلى الكفرة من أسلافك، ثمّ صرخت بندائك ولعمري لقد ناديتهم لو شهدوك، ووشيكاً تشهدهم ولن يشهدوك، ولتودّ يمينك كما زعمت شلّت منك عن مرفقها وجدت، وأحببت أُمّك لم تحملك، وإيّاك لم يلد، أو حين تصير إلى سخط الله ومخاصمك رسول الله صلى الله عليه وآله.

اللهمّ خذ بحقّنا، وانتقم لنا ممّن ظلمنا، وأحلل غضبك على من سفك دماءنا ونقض ذمارنا، وقتل حماتنا، وهتك عنّا سدولنا وفعلت فعلتك، وما فريت إلّا جلدك، وما حززت إلّا لحمك، وسترد على رسول الله بما تحمّلت من قتل ذرّيته، وانتهكت من حرمته، وسفكت من دماء عترته ولحمته، حيث يجمع الله به شملهم، ويلمّ به شعثهم، وينتقم من ظالمهم، ويأخذ لهم بحقّهم من أعدائهم، فلا يستفزّنك الفرح بقتلهم ﴿**وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا**

(١) متحوّب: أي متأثّم، وتحوّب فلان: ترك الإثم. معجم اللغة العربية المعاصرة: ٥٧٦ «حوب».

بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾[1] فرحين بما أتاهم الله من فضله، وحسبك بالله ولياً وحاكماً، وبرسول الله خصماً، وبجبرئيل ظهيراً، وسيعلم من بوَّأك ومكّنك من رقاب المسلمين أن بئس للظالمين بدلاً، وأيّكم شرّ مكاناً وأضعف جنداً وأضلّ سبيلا.

ولئن جرت عليّ الدواهي مخاطبتك، إني لأستصغر قدرك، وأستعظم تقريعك، واستكبر توبيخك، توهّماً لانتجاع الخطاب فيك، بعد أن تركت عيون المسلمين عبرى ، والصدور حرّى، فتلك قلوب قاسية، ونفوس طاغية، وأجسام محشوّة بغضب وسخط من الله، ولعنة الرسول، قد عشش فيها الشيطان وفرّخ هناك مثلك ما درج ونهض.

فالعجب كلّ العجب لقتل حزب الله النجباء الأتقياء، وأسباط الأنبياء، وسليل الأوصياء، بأيدي الطلقاء الخبيثة، ونسل العهرة الفجرة، تنطف أكفّهم من دمائنا، وتخلب أفواههم من لحومنا، تلك الجثث الزاكية على الجنوب الضاحية، تنتابها العواسل، وتعفّرها اُمهات الفواعل.

فلئن اتخذتنا مغنماً، لتجد بنا وشيكاً مغرماً، حين لا تجد إلّا ما قدمت يداك ﴿ **وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ** ﴾ فإلى الله المشتكى والمعوّل وإليه الملجأ والمؤمّل»[2].

---

(١) آل عمران (٣): ١٦٩.

(٢) الإحتجاج ٢: ٣٦ و٣٧، إحتجاج زينب بنت علي عليها السلام.

إلى أن قالت عليها السلام، وهو محلّ شاهدنا في تنبئها بخلود آثارهم، كما رويناه لك، وتراه بعينك من القديم إلى الآن، وسيبقى بطبيعة الحال أبد الأباد، فاستمع ما تقول عليها السلام:

«ثم كد كيدك، واسع سعيك، وناصب جهدك، فوالذي شرّفنا بالوحي والكتاب والنبوّة والانتجاب، لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحينا، ولا تدرك أمدنا، ولا تبلغ غايتنا، ولا يرخص عنك عارها، وهل رأيك إلّا فند، وأيّامك إلّا عدد، وجمعك إلّا بدد، يوم ينادي المنادي ألا لعنة الله على الظالمين[(١)]، والحمد لله الذي ختم لأولنا بالسعادة والمغفرة، وختم لأصفيائه بالشهادة ببلوغ الإرادة، نقلهم إلى الرحمة والرأفة والرضوان والمغفرة، ولم يشق بهم غيرك، ولا ابتلى بهم سواك، ونسأله أن يكمل لهم الأجر، ويجز لهم الثواب والذخر، ونسأله حسن الخلافة، وجميل الإنابة، إنّه رحيم ودود، وحسبنا الله ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير»[(٢)].

وقد نظّم معاني هذه الخطبة البليغة حضرة حجة الإسلام وآية الله في الأنام، عميد الطائفة الجعفريّة، شيخنا الهادي[(*)] دام ظلّه، فلا بأس بإيرادها هنا، وهي من الأرجوزة المسمّاة بالمقبولة صفحة ٧١[(*١)] التي نظم بها وقعة الطفّ، وخذ إليك ما قال، فمنها:

---

(١) إشارة إلى الآية ٤٤ من سورة الأعراف.

(٢) الإحتجاج ٢: ٣٧ احتجاج زينب بنت علي عليها السلام.

(*).ابن العبّاس بن علي نجل شيخ الطائفة الشيخ الأكبر آية الله في العالمين الشيخ جعفر الكبير صاحب كشف الغطاء، نوّرت مراقدهم الشريفة.

(*١) المطبوعة بمطبعة الحيدريّة في النجف الأشرف..

قالـت مـن العـدل يـابن الطلقـاء　　حين لـك الأمـر صـفا واستوسـقا
وخاطبتــه زينـــب بمـــا جـــرى　　مـــن منطـــق وألقمتـــه حجـــرا
تخـــديرك الإمـــاء والبغايـــا　　وســـوق آل المصـــطفى ســـبايا
ولـــيس مـــن حماتهـــا حمـــيّ　　ولـــيس مـــن رجالهـــا ولـــيّ
فاسع وكـد فلست تمحو ذكرنا　　ولا تميـــت وحينـــا وأمرنـــا
ولـم تكـن تـرخص عنـك عارهـا　　وسوف تصلى في الجحيم نارهـا
هـــل رأيـــك الخائـــب إلّا فنـــد　　وجمعـــك الخـــائن إلّا بـــدد
حســبك بـــالله القـــدير حاكمـــاً　　وبـــالنبي المصـــطفى مخاصـــما
وإن تكـن قـد جـرت الـدواهي　　علَـــيَّ تكلميـــك بالشـــفاه
إنّـــي لأستصـــغر منـــك القـــدرا　　ولا أرى لومـك يجـدي أمـرا[١]

ولعمري إنّه لم يستطع محو ذكرهم ولا إماتة وحيهم، بل هو على العكس من ذلك، قد عَمّ ذكرهم الآفاق، ولهج العالم بثنائهم على الإطلاق، فما أحرى ذكرهم الجميل أن يتمثّل بقول الشاعر:

تزيـدني قسـوة الأيـام طيـب ثنـا　　كأنّني المسك بين الفهر والحجر[٢]

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً﴾[٣].

---

(١) راجع: لواعج الأشجان، للسيّد محسن الأمين: ٢٣٠.

(٢) راجع: يتيمة الدهر، للثعالبي النيسابوري ٢: ٢٤٣، والبيت لأبي عثمان سعيد بن هاشم الخالدي.

(٣) الأنعام (٦): ١١٥.

والحمد لله ربّ العلمين، وصلّى الله على محمّد وآله الطيّبين الطاهرين.

استدراك:

فاتنا أن نشير إلى مستندنا في نقل خطبة السيّدة زينب عليها السلام، وقد رواها غير واحد من أصحاب السِير والمؤرّخين، ونحن اعتمدنا في نقلها على كتاب بلاغة النساء والدمعة الساكبة، ولهذا وقع بعض الاختلاف في كلمات منها، أشرنا إليها في الشرح.

قد تمّ بمنّه ولطفه الجزء الثاني على يد مؤلّفه الراجي عفو ربّه عبد الرضا الشهير بشيخ العراقين ـ عفى الله عنه ـ ابن عبد الحسين بن محمّد بن علي بن جعفر صاحب كشف الغطاء النجفي طاب ثراهم.

ويتلوه الملحق وفيه نبذة من تراجم النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام.

ثمّ يليه إن شاء تعالى الجزء الثالث من الأنوار الحسينيّة، في أسباب العداء بين بني هاشم وبين بني اُميّة، وما أنتجته السياسة الحسينيّة، والله وليّ التوفيق.

(١١)

الأنوار الحسينية والشعائر الإسلاميّة

تأليف

الشيخ عبد الرضا كاشف الغطاء

(ت١٣٨٧هـ)

الملحق

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا له مهتدين، والصلاة والسلام على نبيّه وخير خلقه، خاتم الأنبياء وسيّد المرسلين، وعلى آله وخير الخلق من بعده الغرّ الميامين .

وبعد، فيقول الفقير إلى رحمة ربّه عبد الرضا آل كاشف الغطاء ـ عفى الله عنه ـ : حيث أتينا في الكتاب المتقدّم على نبذة من سيرة سيّدنا ومولانا وشفيعنا الحسين بن علي عليهما السلام، وانتشار آثاره، رأينا بالمناسبة أن نأتي في هذا الملحق على نُبذة مختصرة من ترجمة جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله، وأبيه المرتضى، وأُمه فاطمة الزهراء، والأئمّة المعصومين من بنيه سلام الله عليهم أجمعين، ليتمّ بذلك عقد النظام في سلك الانتظام قوله تعالى: ﴿ **لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾[1] .

(١) التوبة (٩): ١٢٨.

النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله

نسبه الطاهر الشريف:

فأمّا نسبه صلى الله عليه وآله هو: محمّد بن عبد الله (*)

(*) وبهذه المناسبة أسوق إليك ذكر:

الفواطم والعواتك:

وأمّا الفواطم اللاتي ولدن رسول الله صلى الله عليه وآله فخمس: قرشيّة، وقيسيّتان، ويمانيّتان.

أمّا القرشّية: فأُمّ أبيه عبد الله(*١)

(*١) ولمّا توفّت فاطمة بنت عبد المطّلب بالمدينة، فورد كتاب إلى عبد المطلب من يثرب بموتها، وأنّها ورثت مالاً كثيراً خطيراً، فأخرج إلى عنده أسرع ما تقدر عليه.

قال عبد المطلب لولده عبد الله: يا ولدي لابُدّ لك أن تجيء معي إلى المدينة ، فسافر مع أبيه، ودخلا مدينة يثرب، وقبض عبد المطلب المال، ولمّا انتهيا من دخولهما المدينة بعشرة أيام، اعتلّ عبد الله علّة شديدة وبقي خمسة عشر يوماً، فلمّا كان اليوم السادس عشر مات عبد الله، فبكى عليه أبوه عبد المطلب بكاءً شديداً، وشقّ سقف البيت لأجله في دار فاطمة ابنته، وإذا بهاتف يهتف ويقول: قد مات مَن كان في صلبه خاتم النبيين (وأيّ نفس لا تموت) فقام عبد المطلب فغسّله وكفّنه ودفنه في المدينة ، وبنى على قبره قبة عظيمة من جص وآجر، ورجع إلى مكّة.

***

وأما القيسيتان : فأُمّ عمرو بن عايذ بن فاطمة ابنة عبد الله بن رزاح بن ربيعة بن حجوز بن معاوية ابن بكر بن هوزان، وأمها فاطمة بنت الحرث بن بهثة بن سليم بن منصور.

⇦

ابن عبد المطلب(*) بن هاشم(*١)

⇨

وأمّا اليمانيّتان: فأُمّ قصي بن كلاب فاطمة بنت سعد بن سيل بن أزدشنؤه، وأُمّ حي بنت خليل بن حبشية بن كعب بن سلول، وهي أُمّ ولد قصي فاطمة بنت نصر بن عوف بن عمرو بن ربيعة بن حارثة الخزاعيّة.

وأما العواتك فاثنتا عشرة: اثنتان من قريش، وواحدة من بني يخلد بن النضر، وثلاث من سليم، وعدويتان، وهذليّة ، وقضاعيّة، وأسديّة.

فأمّا القرشيّتان: فأَمّ أُمّه آمنة بنت وهب برّة بنت عبد العزّى بن عثمان بن عبد الدار، وأُمّ برّة أُمّ حبيب بنت أسد بن عبد العزّى، وأُمّ أسد ريطة بنت كعب بن سعد بن تيم، وأُمّه أميمة بنت عامر الخزاعية، وأُمّها عاتكة بنت هلال بن أهيب بن ضبّة بن الحرث بن فهم، وأُمّ هلال هند بنت هلال بن عامر بن صعصعة، وأُمّ أهيب بن ضبة عاتكة بنت غالب بن فهر، وأُمّها عاتكة بنت يخلد بن النضر بن كنانة.

وأمّا السلميّات: فأُمّ هاشم بن عبد مناف عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان بن بهثة بن سليم بن منصور، وأُمّ عبد مناف عاتكة بنت هلال بن فالج. والثالثة أُمّ جدّه لأُمه وهب، وهي عاتكة بنت الأوقص بن مرة بن هلال.

ومن أراد الاطلاع على نسب الفواطم والعواتك مفصّلاً فعليه بمراجعة ابن الأثير ج٢: ١٢.

(*) عبد المطلب واسمه شيبة، ويقال شيبة الحمد، وقد قيل : إنّ اسمه عامر، والصحيح الأول، ويقال: سمّي شيبة؛ لأنّه ولد وفي رأسه شعرة بيضاء. ويكنّى أبا الحارث، ويلقّب الفيّاض لجوده، توفّي عبد المطلب بعد الفيل بثمان سنين.

(*١) هاشم، واسمه عمرو، يقال له : عمرو العلى، ويكنّى أبا نضلة، وإنمّا سمّي هاشماً لهشمه الثريد للحاج، وكانت إليه الوفادة ، وهو الذي سنّ الرحلتين: رحلة الشتاء إلى اليمن والعراق، ورحلة الصيف إلى الشام، ومات بغزّة من أرض الشام، وفيه يقول مطرود بن كعب الخزاعي:

⇦

ابن عبد مناف(*) بن قصي(*١) بن كلاب(*٢)

⇨

عمـرو العلـى هشـم الثريـد لقومـه ورجـال مكّـة مسـنتون عجـاف

(*) عبد مناف، واسمه المغيرة، وإنّما سمّته عبد مناف أُمّه، ومناف اسم صنم كان مستقبل الـركن الأسود، وكان يُدعى القمر لجماله، ويُدعى السيّد لشرفه وسؤدده.

(*١) قصي، واسمه زيد، وكنيته أبو المغيرة، وإنّما سمّي قصياً؛ لأنّ أُمّه فاطمة بنت سعد بـن شـبل الأزديّة من ازد شنؤه، تزوّجت بعد أبيه كلاب ربيعة بن حـزام بـن سـعد بـن زيـد القضـاعي، فمضى بها إلى قومه، وكان زهرة بن كلاب كبيراً ، فتركتـه عنـد قومـه وحملـت زيـداً معهـا؛ لأنه كان فطيماً فسمّي قصياً؛ لأنّه أقصى عن داره، وشبَّ في حجر ربيعـة بـن حـزام بـن سـعد لا يرى إلّا أنه أبوه، إلى أن كبر فتنازع مع بعض بني عذرة، فقال له العذري : إلحق بقومـك فإنّك لست منّا.

قال: وممّن أنا.

قال: سل أُمّك تخبرك، فسألها، فقالت: والله أنت أكرم منهم نفساً ووالداً ونسباً، أنت ابن كلاب بن مرّة ، وقومك آل الله في حرمه وعند بيته.

فكره قصي المقام دون مكّة، فأشارت عليه أُمّه أن يقيم حتى يدخل الشهر الحرام، ثـمّ يخـرج مـع حجاج قضاعة ففعل، حتى قدم مكّة وأقام فيها، ثمّ خطب إلى خليل بن حبشيّة الخزاعي ابنته (حبى) فزوّجه، وخليل يومئذ يلي أمر الكعبة، وعظم أمـر قصـي حتـى اسـتخلص البيـت مـن خزاعة وحاربهم وأجلاهم عن الحرم، وصارت إليه السدانة والرفادة والسقاية، وجمـع قبائـل قريش وكانت متفرّقة في البوادي فأسكنها الحرم، ولذلك سُمّي مجمعاً، قال الشاعر:

أبوكم قصي كان يدعى مجمعاً به جمع الله القبائل من فهر

وبنى دار الندوة، وهي أوّل دار بُنيت بمكّة، فلم يكن يعقد أمراً تجمّع فيه قريش إلّا فيها، فصار له مع السدانة والرفادة والسقاية الندوة واللواء.

(*٢) كلاب ، واسمه حكيم، ويكنّى أ با زهرة، وإنّما سُمّي كلاباً؛ لأنّه كان يحبّ الصـيد، فجمـع كلاباً كثيرة يصطاد بها، وكانت إذا مـرّت علـى قـريش قـالوا: هـذه كـلاب ابـن مـرّة، يعنـون حكيماً، فغلبت عليه ، وفيه يقول الشاعر:

⇦

ابن مرّة[*] بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر[*١] بـن كنانـة[*٢] ابن خزيمة[*٣] بن مدركة بن إياس بن مضر[*٤] بن نزار بن معد بن عدنان.

في أحواله وتواريخه صلى الله عليه وآله:

حملت به أمّه صلى الله عليه وآله[*٥] في أيّام التشريق عند جمرة العقبة الوسطى، في منزل عبد الله بن عبد المطّلب عليه السلام.

⇨

حكيم بن مرّة ساد الورى   ببذل النوال وكفّ الأذى
أباح العشيرة أفضاله   وجنّبها طارقات الردى

(*) مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك، وهو في كثير من الأقوال جماع قريش، فكلّ مَن ولده فهو قرشيّ، ويكنّى أبا يقظة.

(*١) النظر، واسمه قيس، ويكنّى أبا يخلد، وإنّما سمُي النضر، لوضأته وجماله، وهو جامع قريش في أصحّ الأقوال، وقريش والتقرّش: التجمّع، وقد قيل في تسمية قريشاً أقوال كثيرة لا حاجة إلى ذكرها.

(*٢) كنانة، ويكنّى أبا قيس.

(*٣) خزيمة بن مدركة، واسمه عمر، ويكنّى أبا أسد، وإنّما سُمّي مدركة؛ لأنّ إبلاً لهم نفرت فتفرّقت، فذهب عمرو في أثرها فأدركها، فسُمّي مدركة. وصاد أخوه عامر أرنباً فطبخه فسمّى طابخة، وانقمع أخوهما عمير في البيت فسُمّي قمعة، وخرجت أُمّهم خلف ابنيها تسعى ، فقال لها أبوهم: مالك تخندفين، فسُمّيت خندف، وكان مدركة يكنّى أبا الهذيل، وقيل: أبا حزيمة وهو ابن إلياس.

(*٤) مضر، ويقال لعقبه: مضر الحمراء، وربما قيل له ذلك أيضاً، بل هو الأصل في هذه التسمية، ولها قصّة عجيبة مشهورة تركناها خوف الإطالة، ومن أراد الإطّلاع عليها مفصّلاً فعليه بمراجعة ابن الأثير وغيره من كتب التواريخ.

(*٥) توفّيت أُمّه صلى الله عليه وآله بالأبواء بين مكّة والمدينة، وكانت قد قدمت به على أخواله من بني عدي ابن النجّار تزيره إيّاهم، فماتت وهي راجعة إلى مكّة، وهو ابن ستّ، وربّاه جدّه عبد

⇦

محلّ ولادته صلى الله عليه وآله:

ولد بمكّة في شعب أبي طالب عليه السلام، في الدار التي تُعرف اليوم بدار يوسف، في الزاوية القصوى عن يسارك وأنت داخل الدار(*١)، عند طلوع الفجر من يوم الجمعة ١٧ من شهر ربيع الأول، بعد ٥٥ يوماً من هلال أصحاب الفيل(*٢) وأرضعته ثوبية مولاة أبي لهب بلبن ابنها مسروح أياماً، وتوفّيت مسلمة سنة ٧ من الهجرة، ومات ابنها قبلها، ثمّ أرضعته حليمة السعدية.

⇨

المطلب، وتوفّي عنه وهو ابن ثمان سنين وشهران وعشرة أيام، فأوصى به إلى أبي طالب عليه السلام فربّاه.

(*١) وقال الطبري: في بيت من الدار التي تُعرف اليوم بدار يوسف، وهو أخو الحجّاج بن يوسف، وكان قد اشتراها من عقيل، وأدخل ذلك البيت في الدار حتى أخرجته خيزران واتّخذ به مسجداً فيه الزهرة، وعن أبي عبد الله الطرابلسي: البيت الذي ولد فيه صلى الله عليه وآله في دار محمّد بن يوسف.

(*٢) وقالت العامة: يوم الاثنين الثاني أو العاشر منه ـ أي من ربيع الأول ـ لسبع سنين بقين من ملك أنوشيروان، ويقال: في ملك هرمز لثمان سنين و٨ أشهر مضت من ملك عمرو بن هند ملك العرب، ووافق شهر الروم العشرين من شباط في السنة الثانية من ملك هرمز بن أنوشيروان.

وذكر الطبري: إنّ مولده صلى الله عليه وآله كان لاثني وأربعين سنة من ملك أنوشيروان، وهو الصحيح؛ لقوله صلى الله عليه وآله: ولدت في زمن العادل أنوشيروان.

زمان بعثته واقتضاء الوقت إليه:

ولا يخفى على المتضلّع أنّ الأُمم السالفة، بل إنّ العالم قبل بعثة عيسى عليه السلام كان أجمعه تحت قبضة دولتي الفرس والرومان، فكانت الأُولى في المشرق تعبد النار، والأُخرى في المغرب تعبد الأصنام.

ولم تكن بينهما الأُمة العربيّة ـ وهي إحدى أُمم الشرق ـ بأسعد حالاً منهما، فإنّ الجهل قد استحكم في أفرادها، وبلغوا في سخافة العقل أن صنعوا أصنامهم من التمر فعبدوها ثمّ جاعوا فأكلوها، وبلغوا من قساوة القلوب وفساد الأخلاق إلى أُمور تراخى فيها عقد نظام العالم، وانفصم لها عراه، حتى قيل: إنّ العالم بأسره أصبح فوضى في العقل والدين معاً، إلى أن أتى عيسى بن مريم عليه السلام، وجرى ما جرى عليه من اليهود، كما مرت الإشارة إليه في كتابنا الأنوار الحسينيّة.

وهكذا استطال هذا الزمن بعد المسيح في البغي والعدوان والشرط والطغيان، حتى أصبح العالم في فترة من الرسل، كما قال الله تعالى في محكم كتابه: ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَاءنَا مِن بَشِيرٍ وَلاَ نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[1].

---

(١) المائدة (٥): ١٩.

إذ لم يكن فيه إلّا دماء مسفوكة، وقوى منهوكة، ونواميس مهتوكة، وشعوب مسلوبة، وأموال منهوبة؛ لفقد الاستقلال الشخصي، ولم تر ممّن يعبد الله بين تلك الأمم إلّا أفراداً لا يتجاوز عددهم الأحاد، وهم بقية من عندهم بعض علم من الكتاب الذي أُنزل على موسى عليه السلام، ومن بعده من الأنبياء.

وكانت إرادة الله تعالى متعلّقة ببقاء هذا العالم إلى أجله المعلوم، وحكمته البالغة تقتضي إرجاعه إلى نظامه الفطري الذي فطره عليه.

وقد علم العاقل أنّ حاجة العالم الإنساني إلى الرسل من مقتضيات العقول البشريّة، وأنّ منزلة النبيّ في العالم منزلة العقل في الإنسان، وما ذلك إلّا رحمة من مبدع هذا الكون وواهب الوجود، وقد انقضى دور كلّ رسول، وذهب إلى ربّه شاهداً على أُمته بتبليغ رسالته وإنذارهم، وإنّه قد أبقى فيهم خبر الرسول الذي ختم برسالته هذا الوجود.

بشائر الأنبياء به صلى الله عليه وآله:

وإذ جرت سنّة الله عزّ وجلّ في أنبيائه صلوات الله عليهم أجمعين، أن يكون السابق مبشّراً ونذيراً، واللاحق مصدّقاً وظهيراً؛ لتدوم بهم طاعة الخلق وينتظم بهم شمل الحقّ، فقد جاءت كتب التوراة والإنجيل طافحة بالبشائر عن نبوّته صلى الله عليه وآله، أحصى المتتبعون خمسين بشارة منها، وهي قليل من كثير، قد خفي مغزاه أو تغيّر بالتحريف معناه، وقد تكفّلت بتفصيل ذلك مضانّها وهي كثيرة، أقربها لتناولك إظهار الحقّ للفاضل الشيخ رحمة الله الهندي،

والفارق للباچه جي، بما فيه من هوامش، ونذكر هنا نبذة منها بالاختصار، فمنها:

في السفر ١ من التوراة، في الإصحاح ١٠، في خطاب الله إبراهيم عليه السلام: قد استجبت لك في إسماعيل، وإنّي أُباركه وأُنمّيه وأُعظمه جداً(*) بما قد استجبت فيه، وأصيّره لأُمة كثيرة وأعطيه شعباً جليلاً وسيلد اثني عشر عظيماً(**).

ومنها: عندما بارك إسرائيل أولاده واحداً واحداً، وانتهت النوبة إلى يهوذا، قال فيه: لا يعدم سبط يهوذا ملك مسلّط وأفخاذه بنو إسرائيل، حتّى يأتي الذي له الكلّ، ولم يأت من بعد للكلّ إلّا رسول الله صلى الله عليه وآله، فيكون هو المراد صوناً لكلام يعقوب عليه السلام عن الخلل.

ومنها: في السفر ٥: أقبل الله من سينا، وتجلّى من ساعير، وظهر من جبال فاران، معه ربوات الأطهار، عن يمينه سينا، هو الجبل الذي كلّم الله تعالى فيه موسى عليه السلام، وساعير هو جبل الجليل عليه السلام بالشام وكان المسيح عليه السلام يتعبّد فيه، وفاران مكّة باتّفاق أهل الكتاب، ولذلك عندهم أنّ إسماعيل وهاجر كانا بمكّة، فظهوره تعالى منه ظهور الرسالة المحمديّة إلى جميع البريّة.

(*) في بعض التراجم: كثيراً كثيراً، وهي ترجمة (بمأذ مأذ) العبرانيّة، ولا يخفى قربها إلى لفظ محمّد صلى الله عليه وآله، كما أنّ تصحيفها (مود مود)، وربّما كان هو الأصحّ، مطابق تمام المطابقة لحروف محمّد صلى الله عليه وآله في حساب الجمّل

(**) ولا يخفى دلالتها على الأئمّة الاثني عشر عليهم السلام.

ومنها: في السفر ٥ أيضاً قال الله تعالى: يا موسى إنّي سأُقيم لبني إسرائيل نبيّاً من إخوتهم مثلك، أجعل كلامي في فيه، ويقول لهم ما آمره به، والذي لا يقبل قول ذلك النبيّ الذي يتكلّم باسمي أنا أنتقم منه ومن سبطه.

ولا يخفى ما فيها من واضح الدلالة، حيث إنّ المقصود من (إخوتهم) هو ولا شكّ العرب، حيث هم إخوة إسرائيل الأقربون ومن «اجعل كلامي في فيه»: هو القرآن الكريم، إذ لم يجئ أحد سوى نبيّناصلى الله عليه وآله بمعجز من كلام الله تعالى.

ومنها: قال إشعياعليه السلام بتنبئه في حقّها جرام العرب: استحي أيتها الترفد الرقوب، وأغتبطي بالجمل، لقد زاد ولد الفارغة المجفوة على ولد المشغولة المحضية، قال الربّ: أوسعي مواضع جناحك، ومدى مضاربك، وطوّلي أطنابك واستوثقي من أوتادك، فإنّك ستنبسطين وتنتشرين في الأرض، ويسكنون القرى المعطّلة البنيان.

ومنها: في إنجيل يوحنّا قال يسوع المسيحعليه السلام في الفصل ١٥: إنّ الفارقليط روح الحقّ الذي يرسله أبي، هو يعلمكم كلّ شيء.

والفارقليط عند النصارى الحماد، وقيل: الحامد، وجمهورهم أنّه المخلص، ونبيّناصلى الله عليه وآله مخلص الناس من الكفر، ومنجيهم من الهلكة، وهو المعلّم لكلّ نبيّ.

ومنهـا: فـي الإنجيـل قـال المسـيح عليه السلام: إن كنـتم تحبّـوني فـاحفظوا وصاياي، وأنا أطلب من الأب أن يعطيكم فارقليط آخـر، يثبـت معكـم إلـى الأبد روح الحقّ الذي لم يطق العالم أن يقبلوه، لأنّهم لم يعرفوه.

والذي يثبت إلى الأبد هو رسالة الرسول لاذاته، ورسالة نبيّنـا صلى الله عليه وآله باقيـة على مرّ الأيام والدهور، ومستمرة إلى يوم البعث والنشور.

ومنهـا: فـي إنجيـل يوحنّـا أيضـاً قـال المسـيح عليه السلام: مَـن يحبّنـي يحفـظ كلمتي، وأبي يحبّه، وإليه يأتي، وعليه يتحد المنزل كلمتكم بهـذه، إلّا أنّـي عندكم غير مقيم، والفارقليط روح القدس الذي يرسـله أبـي ، هـو يعلمكـم كلّ شيء، وهو يذكّركم كلّ ما قلت لكم.

فحمّل المسيح عليه السلام أصحابه هذا الأمانة ليؤدّوها إلـى مـن بعـدهم، كمـا هي سنّة الأنبياء عليهم السلام، وسمّاه روح القـدس، كمـا سـمّاه روح الله، وهـو غايـة التعظيم والمدح أو التأكيد في اتّباعه صلى الله عليه وآله.

ومنها: في إنجيل يوحنّا أيضاً قال المسيح عليه السلام: إنّ خيراً لكـم أن انطلـق؛ لأنّي إن لم أذهب لم يأتكم الفارقليط، فإذا انطلقت أرسلته إليكم، فإذا جـاء هو يوبخّ العالم على الخطيئة، وإنّ لي كلامـاً كبيـراً أُريـد قولـه، ولكـنّكم لا تستطيعون حمله، لكن إذا جاء روح الحقّ ذلك الذي يرشـدكم إلـى جميـع الحقّ، لأنّه ليس من عنده ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[1] بل يتكلّم بما يسمع ويخبركم بعلم ما يأتي ويعرفكم جميع الأدب.

---

(١) النجم (٥٣): ٣ و ٤.

ومنها: في إنجيل يوحنا أيضاً: إنّ أركون العالم سيأتي وليس لي شيء، والأركون بلغتهم هو العظيم، والأراكنة العظماء.

يريد عليه السلام: أنّ ملك الفارقليط إذا أتى لم يبق على وجه الأرض لنبيّ من الأنبياء ـ لاهو ولا غيره ـ آثار.

ومنها: في أسفار ملاخيا ولفظه: ها أنا سوف أرسل رسولي فيعزل طريقاً بحضوري، وحينئذٍ يأتي لي هيكله الولي الذي أنتم ملتمسون، ورسول الختان الذي أنتم راغبون أيضاً هو ذا آت، قال الله ربّ الجيوش. انتهى.

ولا يخفى أنّ المراد من «رسول الختان» هو نبيّنا المتنظر مجيؤه في آخر الزمان، وهو الذي رمز عنه ملاخيا في آخر سفره إيلياء في حكايته عن الله تعالى: إنّي سأرسل لكم النبيّ إيلياء قبل أن يأتي يوم الله العظيم المهيب.

وإذا لاحظت عدد إيلياء في حساب الجمل وجدّته ٥٣، وهو مطابق لأحمد في العدد بالحساب المذكور(*).

وأمّا البشائر الأخرى التي جاءت على ألسن الحكماء والكهّان القدماء والملوك، فهي كثيرة أيضاً، نكتفي هنا بالإشارة إليها، وذكر نبذة منها: إنّ

(*) تنبيه: لا يخفى أنّ جملة من البشائر التي أشرنا إليها قد تناولتها يد التحريف كما تناولت الكثير من بشائر التورات والإنجيل من قبل، فإنّك لا ترى لنبيّ الختان وجوداً في توراتهم الآن، وتراهم قد أبدلوا (الفارقليط) بلفظ (المعزى) في الطبع الجديد، وإيلياء يرسمونه بحذف الهمزة من آخره.

والتحريف مستمر مطرد عند القوم، في المستقبل لا تجد أثراً ولا إشارة في توراتهم وإنجيلهم من البشائر المذكورة. وهذا برهان واضح على تطرّق التحريف والتغيير في كتبهم من قديم الأيام، حينما كانت منحصرة في أيد الأحبار والقسيسين، ولم تتناولها يد الطبع والانتشار، لأنا نراهم يحرّفونها بعد طبعها وانتشارها، فما عسى أن يكون الحال قبل ذلك؟!

قسّ بن ساعدة الأيادي تكلّم به قبل ولادته صلى الله عليه وآله بعشر سنين في عرفات ودعا به للاستقاء بقوله:

اللهمّ ربّ هذا السبعة الأرقعة، والأرضين الممرعة، وبمحمّد والثلاثة المحامدة معه، والعليين الأربعة، وسبطية التبعة الأرفعة، والسري الألمعة، وسَميّ الكليم الضرعة، والحسن ذي الرفعة، أولئك النقباء الشفعة، والطريق المهيعة، درسة الإنجيل، وحفظة التنزيل، على عدد النقباء من بني إسرائيل، محاة الأضاليل، نفاة الأباطيل، الصادقو القيل، عليهم تقوم الساعة، وبهم تنال الشفاعة ، ولهم من الله فرض الطاعة. ثمّ قال: اللهّم ليتني مدركهم ولو بعد لأيّ من عمري ومحياي، ثمّ أنشأ:

أقسم قس قسماً ليس له مكتما ... لو عاش ألفي سنة لم يلق منه سأما
حتّى يلاقي أحمدا والنقباء الحكما ... هم أوصياء أحمد أكرم من تحت السما
تعمى العيون عنهم وهم ضياء للعمى ... لست بناسٍ ذكرهم حتّى أحل الرخما[1]

ومنها: إنّ كعب بن لؤي بن غالب يجتمع إليه الناس في كلّ جمعة ،وكانوا يسمّونها عروبة فسمّاه كعب يوم الجمعة، وكان يخطب فيه الناس ويذكر فيه خبر النبيّ صلى الله عليه وآله، وآخر خطبته كلّما خطب ـ وبين موته والفيل ٥٢٠ سنة ـ

---

(١) كنز الفوائد، للكراجكي: ٢٥٧، المناقب لابن شهر آشوب ١: ٢٤٧.

الشطر الثاني من الشعر:

حين العشيرة تبغي الحقّ خذلانا... الخ.

المناقب لابن شهر آشوب ١: ١٦ باب ذكر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقال في خطبته: أم والله لو كنت فيها ذا سمعٍ وبصر ويد ورجلٍ لتنصّبت فيها تنصّب الجمل، ولأرقلت إرقال الفحل، ثم قال: ياليتني شاهد فحوى دعوته... إلى آخر قوله.

ومنها: وكان تبع الأول من الخمسة التي كانت لهم الدنيا بأسرها، فسار في الآفاق، وكان يختار من كلّ بلدة عشرة أنفس من حكمائهم، فلمّا وصل إلى مكّة كان معه أربعة آلاف رجل من العلماء، فلم يعظّمه أهل مكّة، فغضب عليهم وقال لوزيره: ما أفعل بهم؟

فقال الوزير: إنّهم جاهلون ويعجبون بهذا البيت، فعزم الملك في نفسه أن يخربها ويقتل أهلها، فأخذه الله بالصدام، وفتح من عينيه وأذنيه وأنفه وفمه ماءً منتناً، عجزت الأطباء عنه، وقالوا : هذا أمر سماوي، وتفرّقوا عنه.

فلمّا أمسى جاء عالمٌ إلى وزيره وأسرّ إليه: إن صدق الأمير بنيّته عالجته، فاستأذن الوزير له، فلمّا خلا به قال له: هل أنت نويت في هذا البيت أمراً؟

قال: نعم، نويت كذا وكذا.

فقال العالم : تب من ذلك ولك خير الدنيا والآخرة.

فقال: تبت ممّا كنت نويت، فعوفي في الحال، فآمن بالله وبإبراهيم الخليل عليه السلام، وخلع على الكعبة سبعة أثواب، وهو أوّل من كسى الكعبة سبعة أثواب.

وخرج إلى يثرب ـ ويثرب: هي أرض فيها عين ماء ـ فاعتزل من بين أربعة آلاف رجل عالم، أربعمائة رجل عالم على أنّهم يسكنون فيها، وجاؤوا إلى باب الملك، وقالوا: إنّا خرجنا من بلداننا وطفنا مع الملك زماناً، وجئنا إلى هذا المقام إلى أن نموت فيه.

فقال الوزير: ما الحكمة في ذلك؟

قالوا: اعلم أيّها الوزير، إنّ شرف هذا البيت بشرف محمّد صلى الله عليه وآله صاحب القرآن والقبلة واللواء والمنبر، مولده بمكّة، وهجرته إلى هاهنا، وإنّا على رجاء أن ندركه أو يدركه أولادنا.

فلمّا سمع الملك ذلك، تفكّر أن يقيم معهم سنةً رجاء أن يدرك محمّداً صلى الله عليه وآله، وأمر أن يبنوا أربعمائة داراً، لكلّ واحد دار، وزوّج كلّ واحد منهم بجارية معتقة، وأعطى لكلّ واحد منهم مالاً جزيلاً»[1].

ومنها: حديث عبد المطلب مع سيف بن ذي يزن: «ثمّ قال له: يا عبد المطلب، إنّي مفضٍ إليك من سرّ علمي أمراً، فليكن عندك مطويّاً حتّى يأذن الله فيه ﴿**إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ**﴾[2].

فقال عبد المطلب: مثلك أيّها الملك من سرّ وبرّ، وما هو فداك أهل الوبر زمراً بعد زمر؟

---

(١) المناقب لابن شهر آشوب ١: ١٧ باب ذكر سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وآله.

(٢) الطلاق (٦٥): ٣.

فقال: إذا ولد بتهامة غلام بين كتفيه الإمامة كانت لـه الإمامـة ولكـم بـه الدعامة إلى يوم القيامة.

فقال له عبد المطلب: أيها الملك أتيت بخير مـا آب بمثلـه وافـد، ولـولا هيبة الملك وإجلاله وإعظامه لسألته عن مساره إياي بما ازداد به سرورا.

فقال ذي يزن: هذا حينه الذي يولـد فيـه أو قـد ولـد فيـه اسـمه محمّـد، يموت أبوه وأُمّه ويكفله جـدّه وعمّـه، وقـد ولـد سـراراً، والله باعثـه جهـاراً، وجاعل له منّا أنصاراً.

فقال له عبد المطّلب: أيّها الملك عزّ جدّك وعـلا كعبـك ، ودام ملكـك وطال عمرك، فهل الملك ساري بافصاح، فقد أوضح لي بعض الإيضاح؟

فقال سيف:

والبيــــــت ذي الحجــــــب   والعلامــــات علــــى النصــــب

إنّــــك يــــا عبــــد المطلــــب   جــــــدّه غيــــــر كــــــذب

فخرّ عبد المطلب ساجداً لله شكراً»[١].

تجارته صلى الله عليه وآله:

خرج مع أبي طالب في تجارته وهو ابن تسع سنين، ويقـال: ابـن اثنتـي عشر سنة، وخرج صلى الله عليه وآله إلى الشام في تجارة لخديجة الكبـرى ولـه ٢٥ سـنة، وتزوّج بها بعد أشهر.

---

(١) كمال الدين، للشيخ الصدوق: ١٨٠ باب ١٣ في خبر سيف بن ذي يزن.

قال الشيخ الكليني: تزوّج خديجة وهو ابن بضع وعشرين سنة وأشهر، وبنيت الكعبة ورضيت قريش بحكمه فيها، وهو ابن ٣٥ سنة[١].

نزول الوحي عليه صلى الله عليه وآله:

أوحى الله إليه يوم الاثنين السابع والعشرين من رجب وله أربعون سنة، قال القمّي عن الإمام الباقر عليه السلام: «أول سورة نزلت على النبي صلى الله عليه وآله سورة العلق»[٢].

قال عليه السلام: «نزل جبرئيل على محمّد صلى الله عليه وآله فقال: يا محمّد اقرأ.

قال صلى الله عليه وآله: وما أقر؟

قال: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ**﴾[٣].

معجزاته صلى الله عليه وآله:

وحيث اقتضت الحكمة أن يأتي من الآيات لكلّ قوم بمثل ما اشتهر عندهم من العلوم؛ ليكون ذلك أبلغ في الحجّة، وأوضح في الإرشاد إلى المحجة.

اشتهر السحر في مصر في عصر موسى عليه السلام، فجاء إليهم بآية العصا واليد البيضاء، كما حكاه الله عزّ وجلّ عنه بقوله تعالى: ﴿**فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاء لِلنَّاظِرِينَ**﴾[٤].

---

(١) المناقب لابن شهرآشوب ١: ١٥٠ فصل في أحواله وتواريخه صلى الله عليه وآله.

(٢) تفسير القمّي ٢: ٤٢٨ سورة العلق.

(٣) المصنّف، لابن أبي شبية ٨: ٤٣٨ حديث٢ ما جاء في مبعث النبي صلى الله عليه وآله.

(٤) الأعراف (٧): ١٠٦ و١٠٨.

وجاء المسيح عليه السلام بما يقتضيه انتشار الطبّ في عصره المبعوث فيه، فأبرأ الأكمه والأبرص، كما حكاه الله عنه في الآية بقوله تعالى: ﴿**وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللّهِ وَأُبْرِىءُ الأكْمَهَ والأَبْرَصَ**﴾ إلى آخر الآية[(١)].

وجاء نبيّنا صلى الله عليه وآله أيام دولة الفصاحة والبلاغة، وارتفاع أعلامها، وعقد الأسواق ـ كعكاظ وذي المجاز ـ للمباراة والتفاخر فيها، فجاء صلى الله عليه وآله بما لجلج الفصحاء وأحصر البلغاء، وأعجز العرب العرباء عن مبارته، ألا هو الكتاب الكريم، الذي ينادي منذ ثلاث عشرة قرناً ونيفاً على رؤوس الأشهاد: آتوني بعشر سور، ثم بسورة، ثمّ بآية من مثله[(٢)].

فاختار فرسان الفصاحة والبلاغة المطاعنة بالبنان عن المعارضة باللسان، وطرحوا بأنفسهم في المهالك عن أن يأتوا بآية ممّا هنالك ، فكفى بها معجزة باهرة وآية خالدة، لو لم يكن له صلى الله عليه وآله سواها لكانت أقوى من سائر معاجز الأنبياء عليهم السلام ظهوراً، وأقرب صدوراً، وأوفر عدداً، وأصح سنداً، كيف لا؟! وهي معجزة اشتملت على معاجز، أُحصي منها نحو ثمانية آلاف معجزة، كما هي مسطورة في مضانّها.

---

(١) آل عمران (٣): ٤٩.

(٢) إشارة إلى الآية ١٣ من سورة هود.

على أنّ معاجزهﷺ الأُخرى قد ملأت الدفاتر، وتجاوزت حدّ التواتر، نجتزئ بالإشارة إلى نبذة منها فحسب:

فمن معجز أفعالهﷺ: انشقاق القمر، وتسبيح الحصى في كفّيه، وحنين الجذع إليه، ونبع الماء من أنامله، وإطعامه آلاف من فخذ شاة[١].

ومن معجزات أقوالهﷺ: إخباره لأمير المؤمنينعليه السلام بأنّك تحارب المارقين والقاسطين والناكثين، إشارة إلى حرب الجمل وصفّين والخوارج.

وإخباره له أيضاً إنّك تضرب على قرنك، وضاربك أشقى من عاقر ناقة صالح.

وإخباره في غير مرّة عن مصرع الحسين وأصحابهعليهم السلام.

وقولهﷺ لسعد بن أبي وقّاص: «إنّ في بيتك سخل ـ إشارة إلى ولده عمر بن سعد ـ يقتل ولدي الحسينعليه السلام».

وقوله لعمّار بن ياسر رضي الله عنه : «يا عمّار تقتلك الفئة الباغية، وإنّ آخر يوم من أيامك ضياح من لبن».

وإجماع الفريقين الشيعة والسنّة على صحّة هذه الأخبار الكاشفة حجب الغيب، مع ما فيها من الغمز بمن يرتضيه مخالفونا؛ لبرهان قاطع على صحتها وصدورها منه صلّى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين.

---

(١) راجع: المسلك في أصول الدين ، للمحقّق الحلّي: ٣٠٤ الفصل الثالث: في النبوّة.

شمائله صلى الله عليه وآله:

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله ليس بالطويل ولا بالقصير، ضخم الرأس، كثّ اللحية، شثن الكفّين والقدمين(١)، ضخم الكراديس(٢)، مشرباً وجهه حمرة، طويل المسربة(٣)، إذا مشى تكفّأ كأنّما ينحط من صبب(٤)، لم أر قبله ولا بعده مثله.

وكان ادعج العينين(٥)، سبط الشعر(٦)، سهل الخدين، ذا وفرة ، كأنّ عنقه ابريق من فضّة، وإذا التفت التفت جميعاً، كأنّ العرق في وجهه اللؤلؤ الرطب، لطيب عرقه وريحه، وكان بين كتفيه خاتم النبوّة، وهو بضعة ناشزة حولها شعر مثل بيضة الحمامة، تشبه جسده الشريف.

أسماؤه صلى الله عليه وآله:

محمّد، قوله تعالى: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ**﴾ الخ الآية(٧).

---

(١) شثن الكفين والقدمين: يعني أنّهما إلى الغلظ أقرب.

(٢) ضخم الكراديس: يعني ألواح الأكتاف.

(٣) المسربة: الشعر ما بين السرة واللبّة.

(٤) والصبب: الانحدار.

(٥) والدعج في العين: السواد.

(٦) والسبط من الشعر ضد الجعد.

(٧) آل عمران (٣): ١٤٤.

أحمد، كما حكاه الله عزّ وجلّ عن عيسى بقوله: ﴿**وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ**﴾(١).

المصطفى، قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**﴾(٢).

ألقابه صلى الله عليه وآله:

حبيب الله، صفي الله، خيرة الله، سيّد المرسلين، رسول الحمادين، رحمة العالمين، خير البريّة.

كُناه وذكر أولاده صلى الله عليه وآله:

أبو القاسم، وأبو الطاهر، وأبو الطيّب، وأبو المساكين، وأبو إبراهيم، وكلّ أولاده صلى الله عليه وآله من خديجة الكبرى رضي الله عنها، إلّا إبراهيم فإنّه من ماريّة القبطيّة. وولد إبراهيم في سنة ثمان من الهجرة في ذي الحجّة، وتوفّي سنة عشر، وعاش إبراهيم سنة وعشرة أشهر.

وأولاده الذكور من خديجة رضي الله عنها: القاسم وبه يكنّى، والطيب، والطاهر، وعبد الله، ماتوا صغاراً، والإناث فواحدة وهي السيّد فاطمة عليها السلام زوج علي عليه السلام.

---

(١) الصفّ (٦١): ٦.

(٢) الحجّ (٢٢): ٧٥.

وأمّا رقيّة وزينب وأُمّ كلثوم في رواية، أو رقيّة وزينب وهي أمّ كلثوم على ما هو المشهور فيهما، ربيبتاه من هالة أُخت خديجة رضي الله عنها، على الأصحّ المعوّل عليه عند الأصحاب.

ذكر خُلقه صلى الله عليه وآله:

كان صلى الله عليه وآله أرجح الناس عقلاً، وأفضلهم رأياً، يكثر الذكر ويقلّ اللغو، دائم البشر مطيل الصمت، ليّن الجانب، سهل الخلق، والقريب والبعيد والقوي والضعيف عنده في الحقّ سواء، يحبّ المساكين ولا يحقّر فقيراً لفقره، ولا يهاب ملكاً لملكه، وكان يؤلّف قلوب أهل الشرف ويؤلّف أصحابه ولا ينفّرهم، ويصابر مَن جالسه ولا يحيد عنه حتّى يكون الرجل هو المنصرف، وما صافحه أحد فيترك يده حتّى يكون ذلك الرجل هو الذي يترك يده، وكذلك مَن قاومه لحاجة يقف رسول الله صلى الله عليه وآله معه حتّى يكون الرجل هو المنصرف.

وكان يتفقّد أصحابه، ويسأل الناس عمّا في الناس، ويعتقل الشاة ويحلبها، ويخصف النعل، ويرقع الثوب، ويلبس المخصوف المرقوع، ويعود المريض، ويتبع الجنازة، ويجيب دعوة المملوك، ويركب الحمار، وكان يوم خيبر ويوم قريضة والنضير على حمار مخطوم بحبل من ليف تحته إكاف[1] من ليف.

---

(١)الإكاف الصغير الذي على قَدر سنام البعير، وقيل: هو رَحْل. تاج العروس ٢: ٣٠٣ (قتب).

يجلس على الأرض، ويأكل على الأرض ، ويجلس بين ظهراني أصحابه، فيجيء الغريب فلا يدري أيّهم هو حتّى يسأل عنه، وقد خرج من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير، وكانﷺ يعصب على بطنه الحجر من الجوع[١].

صفاتهﷺ:

راكب الجمل، آكل الذراع، قابل الهدية، محرّم الميتة، حامل الهراوة ، خاتم النبوّة.

شجاعتهﷺ:

كانﷺ أشجع قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام «كان إذا اشتدّ البأس اتّقينا برسول اللهﷺ، فكان أقربنا إلى العدوّ»[٢].

عدد غزواتهﷺ:

لمّا كان سبعة أشهر من الهجرة نزل الأمين جبرئيلعليه السلام بقوله تعالى: ﴿**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ**﴾ الآية[٣]، وقلّد في عنقه سيفاً، فقال له : حارب بهذا قومك حتّى يقولوا: «لا إله إلّا الله»[٤].

---

(١) راجع المختصر في أخبار البشر (تاريخ أبي الفداء) ١: ١٥٣ ذكر خُلقه، ومكارم الأخلاق ، للطبرسي: ٢٩ في صفة أخلاقه ومطعمهﷺ.

(٢) في نهج البلاغة: ٥٢٠ بلفظ: «كنّا إذا احمرّ البأس اتّقينا برسول اللهﷺ فلم يكن أحد منّا أقرب إلى العدوّ منه»..

(٣) الحجّ (٢٢): ٣٩.

(٤) راجع: المناقب لابن شهرآشوب ١: ١٦١ فصل في غزواتهﷺ.

قال أهل السِيَر: كانت غزواته صلى الله عليه وآله تسع عشرة، وقيل: ستّاً وعشرين غزوة، وقيل: سبعاً وعشرين غزوة، وآخر غزواته غزوة تبوك، ووقع القتال منها في تسع وهي: بدر، وأُحد، والخندق، وقريضة، والمصطلق، وخيبر، والفتح، وحنين، والطائف، وباقي الغزوات لم يجر فيها قتال.

وأمّا السرايا والبعوث فقيل: خمس وثلاثون، وقيل: ثمان وأربعون[١].

ذكر زوجاته صلى الله عليه وآله:

قال الإمام الصادق عليه السلام: «تزوّج رسول الله صلى الله عليه وآله بخمس عشرة امرأة[*]، ودخل بثلاث عشر منهن، وقبض عن تسع.

والتسع اللاتي قبض عنهنّ: أُمّ سلمة[*١]، وزينب[*٢]، وميمونة[*٣]، وأُمّ حبيب[*٤]، وصفيّة[*٥]، وجويرية[*٦]، وسودة، وعائشة[*٧]، وحفصة بنت

(١) تاريخ أبي الفداء ١: ١٥٤ ذكر عدد غزواته وسراياه صلى الله عليه وآله.

(*) ويروى أنّه صلى الله عليه وآله تزوج ١٨ امرأة، وفي إعلام الورى ونزهة الأبصار وغيره: أنّه صلى الله عليه وآله تزوّج بإحدى وعشرين امرأة . وقال ابن جرير وغيره مثل ذلك.

(*١) أُمّ سلمة وأسمها هند بنت أميّة المخزوميّة، وهي بنت عمّته عاتكة بنت عبد المطلب عليها السلام.

(*٢) وزنيب بنت جحش الأسدّية، وهي بنت عمّتها أُديمة بنت عبد المطلب.

(*٣) وميمونة بنت الحرث الهلاليّة خالة ابن عباس رضي الله عنه.

(*٤) واسمها رملة.

(*٥) وصفية بنت حيي بن أخطب النظري.

(*٦) وجويرية بنت الحارث بن مرار ، ويقال: إنّه اشتراها فأعتقها وتزوّجها، وماتت في سنة ٥٠ هجرية.

(*٧) وعائشة بنت أبي بكر وهي ابنة سبع، قبل الهجرة بسنتين، ويقال: كانت ابنة٦، ودخل بها بالمدينة في شوال وهي ابنة ٩، ولم يتزوّج غيرها بكراً، وتوفّي صلى الله عليه وآله وهي ابنة ثمانية عشر سنة ، وبقت إلى أمارة معاوية، وقد قاربت السبعين.

عمر»[(١)].

حجّة الوداع:

وفي السنة العاشرة من الهجرة خرج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إلى الحجّ لخمس بقين من ذي القعدة، لا يذكر الناس إلّا الحجّ، فلمّا كان بسرف أمر الناس أن يحلّو بعمرة إلّا من ساق الهدي، وكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ساق الهدي وناس معه، وكان أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ قد جاء من اليمن ولقيه مُحْرِماً، فقاله له النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: حل كما حل أصحابك، فقال: إنّي أهللت بما أهلَّ به رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فأقرّه على إحرامه، ونحر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الهدي عنه وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ[(٢)].

وحجّ بالناس، فأراهم مناسكهم وعلّمهم سنن حجّهم، وخطب خطبة نعى نفسه إلى الناس في مستهلّها بقوله بعد حمد الله: «أيّها الناس اسمعوا قولي، فلعلّي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً[(٣)]».

ثمّ بيّن فيها جملة من الأحكام، كما مذكور في مطوّلات السير، وقضى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الحجّ، فكانت حجّة الوداع وحجّة البلاغ.

قال حذيفة اليماني: وأذن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بالرحيل نحو المدينة، فأرتحلنا.

---

(١) راجع: الخصال، للصدوق: ٤١٩ حديث ١٣، قبض النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عن تسعة نسوة.

(٢) الكامل في التاريخ ٢: ٣٠٢ ذكر حجّة الوداع.

(٣) راجع: المعجم الأوسط، للطبراني ٣: ٤٧.

قال ابن عباس: أمر رسول الله أن يبلّغ ولاية عليعليه السلام ، فانزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[1] .

وقد بلغ غدير خم في وقت لو طرح اللحم فيه على الأرض لانشوى، فنادىصلى الله عليه وآله الصلاة جامعة، ولقد كان أمر عليّ أعظم عند الله ممّا يقدر، ثمّ رقى المنبر وكان من أحداج الإبل، ينظر يمنة ويسرة ينتظر اجتماع الناس إليه، فلمّا اجتمعوا فقالصلى الله عليه وآله: «الحمد لله الذي علا في توحّده ودنا في تفرّده ـ إلى أن قالصلى الله عليه وآله ـ «أقرّ له على نفسي بالعبوديّة، وأشهد له بالربوبية وأودي ما أوحى إليَّ حذار إن لم أفعل أن تحلّ بي قارعة، أوحى إليَّ ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ... ﴾.

معاشر الناس، ما قصرت في تبليغ ما أنزله الله تبارك وتعالى، وأنا أُبيّن لكم سبب هذه الآية: إنّ جبرئيل هبط إلَيَّ مراراً، أمرني عن السلام أن أقول في المشهد، واعلم الأبيض والأسود أنّ عليّ بن أبي طالب أخي وخليفتي والإمام بعدي ـ إلى أن قالصلى الله عليه وآله ـ واعلموا أنّ الله قد نصّبه لكم ولياً وإماماً، مفترضاً طاعته على المهاجرين والأنصار وعلى التابعين، وعلى البادي والحاضر، وعلى العجمي والعربي، وعلى الحرّ والمملوك، وعلى الكبير والصغير، والأبيض والأسود، وعلى كلّ موحّد، فهو ماض حكمه، جائز قوله، نافذ أمره، ملعون مَن خالفه، مرحوم مَن صدّقه.

---

(١) المائدة (٥): ٦٧.

معاشـر النـاس تـدبّروا القـرآن وافهمـوا آياتـه ومحكماتـه، ولا تتّبعـوا متشـابهه، فـوالله لا يوضّـح تفسـيره إلّا الـذي أنـا آخـذ بيـده ورافعهـا بيـدي ومعلّمكم به، فمن كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهـم وال مـن والاه، وعـاد مـن عاداه، وأحبّ من أحبّه، وأبغض من أبغضـه، وانصـر مـن نصـره، وأعـن مـن عانه، واعلموا معاشر الناس أنّ علياً والطيبّين من ولدي مـن صـلبه هـم الثقـل الأصغر، والقرآن الثقل الأكبر، لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض»[١].

وفي فضائل أخطب خوارزم، قد روى بسـند متسلسـل: عـن أبـي هريـرة العبدي، عن أبي سعيد الخدري، أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله يـوم دعـا النـاس إلـى غـدير خمّ، أمر بما كان تحـت الشـجرة ، وقيـل: السـمرة مـن الشـوك فقـمّ، وذلـك الخميس، ثمّ دعـا النـاس إلـى علـيّ، فأخـذ بضـبعه فرفعـه حتّـى بـان بيـاض إبطه صلى الله عليه وآله، ثمّ لـم يفترقـا حتّـى نزلـت هـذه الآيـة ﴿**الْيَـوْمَ أَكْمَلْـتُ لَكُـمْ دِينَكُمْ...**﴾[٢] فقال صلى الله عليه وآله: «الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضـى الرب برسالتي، والولاية لعليّ»، ثمّ قال: «اللهم وال من والاه...»[*][٣].

---

(١) راجع: إقبال الأعمال ٢: ٢٤٣ ـ ٢٤٦ في بعض تفصيل ما جرت عليه حال يوم الغدير، وروضـة الواعظين: ٩٢ مجلس في ذكر إمامة علي وأولاده عليهم السلام وفيما جرى بغدير خمّ.

(٢) المائدة (٥): ٣.

(*) هذا حديث اتّفق عامّة الفريقين على مضـمونه ومعنـاه وإن اختلفـوا فـي بعـض لفظـه ومبنـاه ، فمن رواه من السنّة والجماعة: الثعلبي، وصاحب كتاب النشر والطي، وابن جريـر، والطبـري، والواقدي، والماوردي وغيرهم.

(٣) مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، لمحمّد بن سليمان الكوفي ٢: ٤١٦ حديث ٨٩٦.

قال الإمام الغزالي في كتابه سرّ العالمين صحيفة ٩ : لمّا تداكّ الناس على رسول اللهﷺ وعليّعليه السلام فقال عمر: بخٍ بخٍ لك يا أبا الحسن، لقد أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنةٍ».

هذا تسليم ورضى وتحكيم، ثمّ بعد هذا غلب الهوى لحبّ الرياسة، وحمل عود الخلافة، وعقود البنود، وخفقان الهوى في قعقعة الرايات، واشتباك ازدحام الخيول، وفتح الأمصار، سقاهم كأس الهوى، فعادوا إلى الخلاف الأوّل فنبذوه وراء ظهورهم، واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون[١]. انتهى قوله.

وفاة رسول اللهﷺ:

لمّا قدم رسولﷺ من حجّة الوداع، أقام بالمدينة حتّى خرجت سنة العاشرة والمحرم من سنة إحدى عشر ومعظم صفر، وابتدأ برسول اللهﷺ مرضه، ولمّا اشتدّ به المرض قالﷺ: «آتوني بدواة وبياض، فاكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعدي أبداً»، فتنازعوا ، فقالﷺ: «قوموا عنّي، لا ينبغي عند نبيّ تنازع» فقالوا: إنّ رسول الله ليهجر، فذهبوا يعيدون عليه فقالﷺ: «دعوني، فما أنا فيه خير ممّا تدعوني إليه»[٢].

وقال الإمام الغزالي في كتابه سرّ العالمين صحيفة ٩ ما نصّه: ولمّا مات رسول اللهﷺ قال قبل وفاته: «ائتوا بدواة وبيضاء لأزيل لكم إشكال الأمر،

---

(١) راجع: سر العالمين وكشف ما في الدارين ١: ١٨.

(٢) راجع: الإيضاح، للفضل بن شاذان الأزدي: ٣٥٩ في قول عمر: إنّ الرسول قد هجر.

وأذكر لكم مَن المستحقّ لها بعدي»، قال عمر: دعوا الرجل فإنّه ليهجر، وقيل: يهدر. انتهى قوله[١].

قال أهل السير: قُبض رسول الله صلى الله عليه وآله وهو ابن ٦٣ سنة، فكان مقامه بمكّة ٤٠ سنة، ثمّ نزل عليه الوحي في تمام الأربعين كما سلف، وكان بمكّة عشر سنوات، ثمّ هاجر إلى المدينة وهو ابن ٥٣ سنة، فأقام بالمدينة عشر سنين، وقيل ١٣ سنة، وقبض صلى الله عليه وآله في شهر ربيع الأول يوم الاثنين[٢].

وروى هشام عن أبيه: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أقام بمكة بعد البعثة ١٣ سنة، ثمّ هاجر إلى المدينة بعد أن استتر في الغار ٣ أيام، ودخل المدينة يوم الاثنين ١١ ربيع الأول، وبقي بها عشر سنين، ثمّ قبض لليلتين بقيتا من صفر سنة إحدى عشرة من الهجرة[٣]، وهو الأصحّ والمعوّل عليه عند الطائفة.

وكانت وفاتة في زمن هرقل ملك الروم، ونقش خاتمه «الشهادتان»، وتولّى غسله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ولمّا أراد تغسيله استدعى الفضل بن عباس فأمره أن يناوله الماء بعد أن عصّب عينيه، فشقّ قميصه من قبل جيبه حتّى إذا بلغ به إلى سرته، وتولّى غسله وتحنيطه وتكفينه، والفضل يناوله الماء، فلمّا فرغ من غسله وتجهيزه تقدّم فصلّى

---

(١) سرّ العالمين وكشف ما في الدارين ١: ٤.

(٢) راجع: تاريخ مواليد الأئمّة ، لابن الخشاب البغدادي: ٦، وكشف الغمّة، للإربلي ١: ١٣ في ذكر مولده صلى الله عليه وآله.

(٣) راجع: تاريخ الأئمّة، للكاتب البغدادي، طبع ضمن (مجموعة نفيسة): ٥ في تاريخ الأئمة المعصومين عليهم السلام.

عليه، ثمّ صلّى الناس عشرة عشرة يوم الاثنين وليلة الثلاثا حتّى الصباح ويوم الثلاثـا، حتّـى صـلّى عليـه كبيـرهم وصـغيرهم، ودفـنﷺ فـي حِجرتـه المشرفة[1].

سرّ كالشمس والقمر في عدد الأئمة الاثني عشرعليهم السلام

شكراً وحمداً لخالق الوجود.

أما بعد، إنّ الله تبارك وتعالى جعل مصالح العباد في الليـل والنهـار ١٢ ساعة، وجعل الشمس والقمر آيتين يهتدي بهما بالتقدير والتسخير في اثنـي عشر برجاً، وجعل شهور السنة اثني عشر شهراً.

فانظر بعين الاعتبار إلى أدوار الأقدار، كيف جرت بهذه الأسرار بمشيئة الملك الجبار ﴿ **ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ** ﴾[2] قوله تعالى في كتابه العزيـز: ﴿**وَلَقَدْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ وَبَعَثْنَا مِنهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًـا**﴾[3] ، فجعل عدّة القائمين بهذه الفضيلة والتقدمة والنقيبة مختصّة بهذا العدد.

ولهذا لمّا بايع رسول اللهﷺ الأنصار ليلة العقبة قال لهم: «أخرجوا إِلَيَّ منكم اثني عشر نقيباً كنقباء بني إسرائيل»[4]، ففعلوا، فصار ذلك طريقاً متّبعـاً

---

(١) راجـع: إعـلام الـورى ، للطبرسـي ١: ٢٦٩ وفـاة رسـول اللهﷺ ودفنـه، وقصـص الأنبيـاء، للراوندي: ٣٥٧.

(٢) الأنعام (٦): ٩٦.

(٣) المائدة (٥): ١٢.

(٤) البدء والتاريخ ، لأحمـد بـن سـهل البلخي ٤: ١٦٦ ذكـر مقـدّمات الهجـرة وأوّل مـن هـاجر، مطالب السؤول، لمحمّد بن طلحة الشافعي: ٣٠ في ذكر المعاني التي ذكر اختصاصهم بها.

وعدداً مطلوباً، كما أشار المولى جلّ شأنه في قوله تعالى: ﴿**وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ * وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا**﴾[١].

فجعل الأسباط الهداة إلى الحقّ في بني إسرائيل اثني عشراً، فيكون الأئمة الهداة اثني عشر، كما أشار إليهصلى الله عليه وآله بتقريره لمّا قال: «الأئمة من قريش»[٢] اثنا عشر، ذكر ذلك حاصراً به كون الأئمّةعليهم السلام من قريش، فلا يجوز أن يكون في غير قريش وإن كان عربيّاً.

ومتى عقدت الإمامة لغير قريش فلا تنعقد؛ لصريح الحديث، فقد صار الموصوف ـ وهو كون محلّ الإمامة من قريش في درجة الاعتبار ـ نازلاً منزلة التعليل بالعلّة المنصوص عليها المتحدة، وكون الإنسان قرشياً صفة شرف يتقدّم صاحبها على غيره، وقد أشار رسول اللهصلى الله عليه وآله إلى ذلك بقوله: «قدّموا قريشاً ولا تقدّموها»[٣].

وإذا وضح ذلك ، فالذي عليه محقّقوا علماء النسب: أنّ كلّ مَن ولده النضر بن كنانة فهو قرشي[٤]، فردّ كلّ قرشي إلى النضر بن كنانة، فالنضر هو دوحة تتفرّع صفة الشرف عليها وتبعث منها وترجع إليها.

---

(١) الأعراف (٧): ١٥٩ و١٦٠.

(٢) كتاب سليم بن قيس الهلالي: ١٤٣ قضايا السقيفة، مسند ابن حنبل ٣: ١٢٩ مسند أنس بن مالك.

(٣) كتاب الأُمّ، للشافعي ١: ١٨٥ اجتماع القوم في منزلهم سواء.

(٤) مطالب السؤول ، للشافعي: ٣٢، والإنباه على قبائل الرواة، لابن عبد البرّ : ٤٢، وتهذيب الكمال ، للمزي ١: ١٨٠.

وهذه القبيلة الشريفة كمل شرفها ، وعظم قدرها، واشتهر ذكرها ، واستحقّت التقدّم على بقيّة القبائل وسائر البطون من العرب وغيرها، برسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وهو في الشرف بمنزلة مركز الدائرة بالنسبة إلى محيطها، فمنه يرقى الشرف، فإذا فرضت الشرف خطّاً متصاعداً مترقّياً متّصلاً إلى المحيط، مركّباً من نقط هي آباؤه أباً فأبا وجدته صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: محمّد١ بن عبد الله٢ بن عبد المطلب٣ بن هاشم٤ بن عبد مناف٥ بن قصي٦ بن كلاب٧ بن مرّة٨ بن كعب٩ بن لؤي١٠ بن غالب١١ بن فهر١٢ بن مالك بن النضر.

فالمركز الذي انبعث منه الشرف متصاعداً هو رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، ووجدت المحيط الذي تنتهي إليه الصفة الشريفة القدسيّة هو النضر بن كنانة ، فالخطّ المتصاعد الذي بين المركز وبين المنتهى المحيط أجزاؤه اثنا عشر جزء.

فإذا كانت درجات الشرف المعدودة متصاعداً اثني عشر، فلزم أن تكون درجات الشرف متنازلاً عن المركز اثني عشر ؛ لاستحالة أن يكون الخطّان الخارجان من المركز المحيط متفاوتين ، فالنبيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ منبع الشرف، الذي الإمامة منه بنصّه متصاعداً، وهو منبع الشرف الذي هو محلّ الإمامة متنازلاً، فيلزم أن يكون الأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ اثني عشر، فكما أنّ الخطّ المتصاعد اثنا عشر، فالخطّ المتنازل اثنا عشر، وهم: علي١ الحسن٢ الحسين٣ علي٤ محمّد٥ جعفر٦ موسى٧ علي٨ محمّد٩ علي١٠ الحسن١١ م ح م د١٢.

فأوّل من ثبتت له الصفة بأنّه قرشيّ مالك بن النضر ولا يتعدّاه صاعداً وهو الثاني عشر، فكذلك منتهى مَن ثبت له منهم الإمامة ولا يتعدّاه نازلاً، واستقرّت في م ح م د بن الحسن المهدي وهو الثاني عشر.

وعن الأصبغ بن نباته قال: سمعت ابن عباس يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ذكر الله تعالى عبادة، وذكري عبادة، وذكر عليّ عبادة، وذكر الأئمة من ولده عبادة، والذي بعثني بالنبوة وجعلني خير البريّة إنّ وصيي لأفضل الأوصياء، وإنّه لحجّة الله على عباده، وخليفته على خلقه، ومن ولده الأئمة الهداة بعدي، بهم يحبس الله العذاب عن أهل الأرض، وبهم يمسك الجبال أن تميد بهم، وبهم يسقي خلقه الغيث، وبهم يخرج النبات. اُولئك أولياء الله حقّاً، وخلفاؤه صدقاً، عدّتهم عدّة الشهور، وهي اثنا عشر شهراً، وعدّتهم عدّة نقباء موسى بن عمران منحصراً» ثمّ تلا هذه الآية ﴿**وَالسَّمَاء ذَاتِ الْبُرُوجِ**﴾[1].

ثمّ قال صلى الله عليه وآله لابن عباس: «أتزعم يا بن عباس أنّ الله تعالى يقسم بالسماء ذات البروج ويعني بالسماء وبروجها»؟!

قلت: يا رسول الله، فما ذاك؟

قال صلى الله عليه وآله: «أمّا السماء فأنا، وأمّا البروج فالأئمة، أوّلهم عليّ وآخرهم المهدي عليه السلام»[2] انتهى.

---

(١) البروج (٨٥): ١.

(٢) راجع الاختصاص، للمفيد: ٢٢٤ حديث زيارة المؤمن أخاه في الله.

فثبت بهذه النصوص ـ وهي قليل من كثير ـ أنّ الإمامة بعد النبيّ صلى الله عليه وآله منحصرة في ابن عمّه علي عليه السلام والأحد عشر من ذريّته، ورثوها بنصّ النبيّ صلى الله عليه وآله عليهم، ثمّ بنصّ السابق منهم على لاحقه، وقد جاء كلّ منهم بما يصدّق دعواه ويثبت إمامته من المعجزات الباهرة، التي لا يسع في بيانها وتعدادها هذا الموجز، حيث لاحظنا الاختصار، فلم نتطرّق لذكر معاجزهم ومناقبهم وتفصيل أحوالهم، تاركين ذلك إلى مفصّلات السير والتواريخ.

فلنبدأ بذكر أبي الأئمة، وإمام المتّقين، وقائد الغرّ المحجّلين، سيّدنا ومولانا.

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم

ولد عليه السلام بمكة المكرّمة في البيت الحرام، ولم يولد قبله ولا بعده مولود في البيت الحرام سواه، إكراماً من الله جلّ وعلا له بذلك، وإجلالاً لمحلّه في التعظيم.

وأُمّه فاطمة رضي الله عنها بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف رضي الله عنها.

قال علي بن محمّد المالكي في الفصول المهمّة، وابن الخوارزمي في كتابه المناقب، وابن جرير، وغيرهم : ولد عليه السلام بمكّة داخل البيت يوم الجمعة ثالث عشر من شهر الله الأصمّ رجب، سنة ثلاثين من عام الفيل، قبل الهجرة ٢٣، وقيل: ٢٥ سنة، وقبل المبعث باثني عشر سنة، وقيل: بعشر سنين، ولم يولد في البيت الحرام قبله أحد سواه، وهي فضيلة خصّه الله تعالى بها، وكان عليّ هاشميّاً من هاشميين وهو أوّل من ولده هاشم مرّتين.

ثمّ قالوا: كان مولده عليه السلام بعد أن دخل رسول الله صلى الله عليه وآله بخديجة رضي الله عنها بثلاث سنين. انتهى[(١)].

ذكر شيء من أسمائه عليه السلام:

علي عليه السلام، كما قال ابن حمّاد:

سلام على مَن علا في العلا ... فسمّاه ربّ عليّ عليّ[(٢)]

المرتضى، قال ابن عباس: كان علي عليه السلام يتبع في جميع أمره مرضاة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله، فلذلك سُمّي المرتضى[(٣)].

حيدرة، كما قال عليه السلام مرتجزاً يوم خيبر:

---

(١) راجع: الفصول المهمة في معرفة الأئمّة، لابن الصبّاغ ١: ١٧١ في ذكر أمير المؤمنين عليّ عليه السلام.

(٢) ذكره ابن شهرآشوب في مناقبه ٢: ٣٠٣ في تسميته عليه السلام بعلي والمرتضى وحيدرة وأبي تراب، وقبله:

سلام على أحمد المرسل ... سلام على الفاضل المفّضل

(٣) المناقب لابن شهرآشوب ٢: ٣٠٥ في تسميته بعليّ والمرتضى وحيدرة.

في حديث الراية يوم خيبر خرج مرحب فقال:

قدعلمت خيبر أنّي مرحب ... شاكي السلاح بطل مجرّب

إذا الحروب أقبلت تلهب

فقال علي عليه السلام:

أنا الذي سمّتني أُمّي حيدرة ... كليث غاب كريه المنظرة

أكيلكم بالسيف كيف السندرة

مناقب الإمام أمير المؤمنين، لمحمد بن سليمان الكوفي ٢: ٥٠٠ حديث١٠٠٢.

أنــا الــذي ســمّتني اُمّــي حيــدرة أكـيلكم بالسـيف كيـل السـندرة

ذكر شيء من كُناه عليه السلام:

أبو الحسن وأبو تـراب، عـن ابـن عبـاس، قـال: سـمعت رسـول الله صلى الله عليه وآله يقول: «إذا كان يوم القيامة، ورأى الكافر مـا أعـدّ الله تبـارك وتعـالى لشـيعة عليّ عليه السلام من الثواب والزلفى والكرامة قـال: ﴿**يَا لَيْتَنِي كُنــتُ تُرَابًــا**﴾ أي من شيعة علي عليه السلام[1].

وقال الترمذي وغيره: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كنّاه بها ، وسبب ذلك أنّه صلى الله عليه وآله دخل على ابنته فاطمة الزهراء عليها السلام فقال لها : «أين ابن عمّك»؟

فقالت: رأيته غضباناً وخرج، فجاء رسول الله إلى المسجد يطلبه فوجـده نائماً قد ألصقت الحصى بجبينه، فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله ينفض الحصـى عنـه ويقول: «قم أبا تراب، قم أبا تراب»[2].

وكانت أحبّ كُنية إليه عليه السلام؛ لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كنّاه بها.

ذكر شيء من ألقابه عليه السلام:

سيّد النجباء، ونـور الأصـفياء، وقـدوة الأوصـياء، وإمـام الأتقيـاء، وأميـر الأمراء، وأمين الأُمناء، والعروة الوثقى، الآية الكبرى، الحجّة العظمـى، أميـر

(١) علل الشرائع، للصدوق ١: ١٥٦ الباب ١٢٥، والمناقب لابن شهرآشوب ٢: ٣٠٥. والآية ٤٠ من سورة النبأ.

(٢) عمدة الطالب في أنسـاب آل أبـي طالـب، لابـن عنبـة : ٥٩ ، الأصـل الثالـث فـي عقـب أميـر المؤمنين عليه السلام.

المؤمنين، وإمام المسلمين، ووارث علم النبيين، وحبل الله المتين، والقرآن الناطق بالحقّ المبين.

وكم قد حوى القرآن من ذكر فضله فما سورة منه ومن فضله تخلو
ألم تكفك الأنعام في غير موضع ويونس إن فتشت والحجر والنحل
وسورة إبراهيم والكهف فيهما وطه ففي تلك العجائب والنمل[(١)]

ذكر شيء من فضائله عليه السلام:

فإنّه ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله، وزوج ابنته، وأوّل القوم إسلاماً، وقد فدى رسول الله صلى الله عليه وآله بالمبيت على فراشه، وأنّه أخوه حيث آخاه بنفسه عندما آخى بين أصحابه.

وقد قال صلى الله عليه وآله فيه في غزوة حنين: «لأبعثنّ الراية غداً مع رجل يحبّ الله ورسوله ويحبه الله ورسوله»[(٢)].

وله قال صلى الله عليه وآله: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلّا أنه لا نبي بعدي»[(٣)].

ونصّه صلى الله عليه وآله عليه يوم غدير خمّ بقوله صلى الله عليه وآله: «من كنت مولاه فعلي مولاه»[(٤)].

---

(١) وردت هذه الأبيات لابن حمّاد، وذكرها ابن شهرآشوب في مناقبه ٣: ٦٦، باب في النكت واللطائف.

(٢) المختصر في أخبار البشر، لأبي الفداء ١: ١٨١ ذكر شيء في فضائله رضي الله عنه.

(٣) سنن الترمذي ٥: ٣٠١ حديث ٣٨٠٨، ودلائل الإمامة: ١٩.

(٤) مسند ابن حنبل ٥: ٣٤٧ حديث بريدة الأسلمي.

وقولهﷺ: «أقضاكم علي»[١] والقضاء يستدعي معرفة أبواب الفقه كلّها.

وقولهﷺ: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها»[٢].

وأمّا شجاعته وتفريجه الكرب عن وجه رسول اللهﷺ، فهي أشهر من أن تُذكر، ولو لم يكن منها إلّا مبارزته لعمرو بن ودّ، حيث أحجم عنه سائر المسلمين، حيث قالﷺ فيها: «برز الإسلام كلّه إلى الشرك كلّه»، وفي ضربته إيّاه قولهﷺ: «ضربة علي يوم الخندق تعادل عمل الثقلين»[٣]، لكفى بها فضيلة، على أنّ فضائله الأُخرى قد جاوزت حدّ العدّ وضاق بها نطاق الحصر، وقد كفانا مؤنة التنويه بها تواترها على ألسنة المخالف قبل المؤالف.

أولاده وأزواجهعليه السلام:

أول زوجة تزوّج بهاعليه السلام فاطمة بنت رسول اللهﷺ، ولم يتزوّج غيرها في حياتها، وولد له منها الحسن، والحسين، والمحسن سقط، وزينب الكبرى، وأُمّ كلثوم الكبرى.

ومن خولة بنت جعفر بن قيس الحنفيّة: محمّد.

ومن أمّ البنين الكلابيّة: عبد الله، وجعفر الأكبر، والعباس، وعثمان.

---

(١) تاريخ دمشق ٥١: ٣٠٠ رقم١٠٨٩٣.

(٢) المستدرك على الصحيحين ٣: ١٢٦، أنا مدينة العلم وعلي بابها.

(٣) الفصول المهمّة، لابن الصبّاغ ٢: ١١٦٦، وإقبال الأعمال، لابن طاووس ٢: ٢٦٧.

ومن أُمّ حبيب التغلبيّة: عمر، ورقية.

ومن أسماء بنت عميس الخثعميّة: يحيى، ومحمّد الأصغر.

ومن أُمّ شعيب المخزوميّة: أُمّ الحسن، ورملة.

ومن الهملا النهشليّة: أبو بكر، وعبد الله.

ومن أُمامة بنت أبي العاص بن الربيع بن عبد شمس ـ وأُمها زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله [*] ـ: محمّد الأوسط.

ومن محياة بنت امرئ القيس الكلبيّة: جارية هلكت وهي صغيرة.

وكان له عليه السلام بنات من اُمهات شتّى، منهن: أُم حسن ورملة الكبرى من أُم سعيد بنت عروة.

ومن بناته: أُم هاني، وميمونة، وزينب الصغرى، ورملة الصغرى، وأُمّ كلثوم الصغرى، وفاطمة، وأمامة، وخديجة، وأُم الكرام، وأُم سلمة، وأُمّ جعفر، وجمانة، ونفيسة.

وأعقب له من خمسة: الحسن، والحسين، ومحمّد بن الحنفيّة، والعباس الأكبر، وعمر الأطرف. فجمع أولاده عليه السلام خمسة وعشرون وربّما يزيدون على ذلك إلى خمسة وثلاثين، ذكره النسّابة العمري في الشافي، وعمدة الطالب، وابن الأثير، وأبو الفداء، وغيرهم.

وقال صاحب الأنوار: البنون ١٠، والبنات ١٨.

(*) بنته بمعنى ربيبته على سبيل المجاز، كما سبقت الإشارة عند ذكر بناته صلى الله عليه وآله.

وأما أزواجه عليه السلام: أنه تزوّج بعشرة نسوة، وتوفّي عن أربعة: أُمامة ، وأسماء، وليلى، وأم البنين. ولم يتزوّجن بعده بنصّ الفريقين الشيعة والسنّة، وتوفّي عليه السلام عن ثمانية عشر أُم ولد(١).

مجمل سيرة حياته إلى وفاته عليه السلام:

عاش عليه السلام مع النبيّ صلى الله عليه وآله بمكّة ١٣ سنة، وهاجر من مكّة مع النبيّ صلى الله عليه وآله وهو ابن ١٩ سنة، وضرب بالسيف بين يدي النبيّ صلى الله عليه وآله وهو ابن ١٦ سنة، وقتل الأبطال وهو ابن ١٩ سنة، وقلع باب خيبر وله ٢٢ سنة، وكانت مدّة إمامته ٣٠ سنة : منها أيام أبي بكر سنتان وأربعة أشهر، وأيام عمر ٩ وقيل: ١٠ سنين وستة أشهر وأربعة أيام، وأيام عثمان ١٢ سنة وقيل: ١١ سنة ، ثمّ أتاه الله الحقّ خمس سنين وأشهر.

وضربه عبد الرحمن بن ملجم المرادي لعنه الله في محرابه بمسجد الكوفة من سحر ليلة التاسع عشر من رمضان ليلة الجمعة سنة أربعين من الهجرة، وقبض عليه السلام ليلة ٢١ من رمضان، وله يومئذٍ ٦٣ سنة.

محلّ قبره عليه السلام:

ولمّا قُبض عليه السلام تولّى غسله الحسن والحسين عليهما السلام وعبد الله بن العباس، ودفن في ليلته قبل انصراف الناس من صلاة الصبح في الموضع المشهور

---

(١) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، لابن عنبة: ٥٨ في عقب أمير المؤمنين عليه السلام، تاريخ أبي الفداء ١: ١٨١ ذكر شيء من فضائله، الطبقات الكبرى، لابن سعد ٣: ١٩، التنبيه والإشراف، للمسعودي: ٢٥٥ ذكر خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه

الذي يزار به اليوم، وهو موضع أعدّه له أبوه نوح عليه السلام بين قبره وقبر آدم، على نبيّنا وعليهما أفضل الصلاة والسلام، وفي جوار هود وصالح عليه السلام، كما نطقت بذلك صحاح الأخبار، واشتملت عليه زيارته الشريفة، فقيل فيها: السلام عليك وعلى ضجيعيك آدم ونوح، وعلى جاريك هود وصالح.

وقد زاره زين العابدين عليه السلام وجعفر الصادق وابنه موسى الكاظم عليهم السلام في هذا المكان، ولم يزل القبر مستوراً لا يعرفه إلّا خواصّ أولاده وشيعته بوصيّة كانت منه ؛ حذراً من بني أُميّة، لعلمه بانتهاء الأمر إليهم من بعده، فربّما أساؤوا الأدب إلى قبره المقدّس لو علموا به، كما أساؤوا إلى اسمه الشريف بالسبّ واللعن على رؤوس المنابر.

وقد بقي كذلك إلى أن خرج الرشيد ذات يوم إلى ظاهر الكوفة يتصيّد، وهناك حمر وحشيّة وغزلان، فكان كلّما ألقى الصقور والكلاب عليها لجأت إلى كثيب رمل هناك، فترجع عنها الصقور، فتعجّب الرشيد من ذلك، ورجع إلى الكوفة، وطلب من له علم بذلك، فأخبره بعض شيوخ الكوفة أنّه قبر أمير المؤمنين علي عليه السلام فأمر هارون فبنيت عليه قبّة.

وأخذ الناس في زيارته والدفن لموتاهم حوله، إلى أن كان زمن عضد الدولة فناخسرو بن بويه الديلمي، فعمّره عمارة عظيمة، وخرج على ذلك أموالاً جزيلة، وعيّن له أوقافاً، ولم تزل عمارته باقية إلى الآن[1].

ثمّ استمر مشهده الشريف يتجدّد بناؤه من ملوكهم وسلاطينهم، كالصفوية وغيرهم إلى يومنا هذا.

---

(١) الغارات ، للثقفي الكوفي ٢: ٨٨٤ تكملة حول قبر أمير المؤمنين عليه السلام.

الزهراء البتول عليها السلام

فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وأمّها خديجة الكبرى رضي الله عنها.

ولدت بمكّة في يوم الجمعة بعد البعثة بخمس سنين، وبعد الإسراء بثلاث سنين، في ٢٠ من جمادى الآخر، وأقامت مع أبيها صلى الله عليه وآله بمكّة ثمان سنين ، ثمّ هاجرت معه إلى المدينة، فزوّجها من علي عليه السلام بعد مقدمها المدينة بسنتين، أوّل يوم من ذي الحجّة، وقيل: يوم السادس، ودخل بها يوم الثلاثاء لست خلون من ذي الحجّة بعد بدر، وكانت ولادتها عليها السلام في زمن يزدجرد الملك.

ذكر شيء من أسمائها وكنيتها وأولادها:

فمن أسمائها: فاطمة البتول، الحصان، السيّدة العذراء، الزهراء، الحوراء، المباركة، الطاهرة، الزكيّة، أُم السبطين، جدّة الأئمة، زوجة المرتضى، ابنة المصطفى، السيّدة المفقودة، الكريمة المظلومة، الشهيدة.

وأمّا كنيتها فأُمّ الحسن والحسين، وأُمّ الأئمة النجباء الإحدى عشرعليهم السلام، وأمّ أبيها.

وأمّا أولادها: فالحسن، والحسين، وسقط هو المحسن، وزينب الكبرى، وأُمّ كلثوم الكبرى.

فضلها وكرامتها على أبيهاصلى الله عليه وآله:

في صحيح مسلم، والحِلية، وأبي صالح المؤذّن في الأربعين، وابن عبد ربّه الأندلسي في العقد، والبخاري، وغيرهم: قالصلى الله عليه وآله : «ابنتي فاطمة سيّدة نساء الدنيا والآخرة».

وفي صحيح مسلم أيضاً: «ابنتي فاطمة سيّدة نساء المؤمنين». أو «سيدة نساء هذه الأُمة»(١).

وقالصلى الله عليه وآله: «ابنتي فاطمة بضعة منّي، يريبني ما رابها، من أحبّها فقد أحبّني، ومن سرّها فقد سرّني، ومن أبغضها فقد أبغضني، ومن أذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله»(٢).

---

(١) راجع: فضائل الخمسة من الصحاح الستة، للفيروز آبادي ٣: ١٢٨. و١: ٤٠٥ في باب فضائل فاطمةعليها السلام، وشرح إحقاق الحقّ، للمرعشي ١٠: ٤٩ سيّدة نساء العالمين.

(٢) راجع: صحيح مسلم ٧: ١٤١ باب فضائل فاطمة بنت النبيّ عليها الصلاة والسلام، سنن ابن ماجة ١: ٦٤٤ حديث ١٩٩٨ باب الغيرة، سنن الترمذي ٥: ٣٥٩ حديث ٣٩٥٩ ما جاء في فضل فاطمة رضي الله عنها.

وفاتها ومحلّ قبرهاعليها السلام:

وعن البخاري، ومسلم، والحلية، ومسند أحمد بن حنبل، بإسنادهم عن عائشة: أنّ النبيّصلى الله عليه وآله دعا فاطمةعليها السلام في شكواه الذي قبض فيه فسارّها فبكت، ثمّ دعاها فسارّها فضحكت، فسئلت عن ذلك فقالت: «أخبرني النبيصلى الله عليه وآله أنه مقبوض فبكيت، ثمّ أخبرني أنّي أوّل أهله لحوقاً به فضحكت»[(١)].

«وما زالتعليها السلام بعد أبيهاصلى الله عليه وآله معصّبة الرأس، ناحلة الجسم، منهدّة الركن، باكية العين، محترقة القلب، يغشى عليها ساعة بعد ساعة»[(٢)].

وتوفّيتعليها السلام في يوم الثالث عشر من جمادى الأُولى سنة ١١ من الهجرة، وسبب وفاتها الضرب والسقط.

وقيل وهو الأصح: إنّ وفاتهاعليها السلام ليلة الأحد لثلاث عشر ليلة خلت من شهر ربيع الآخر سنة ١١ من الهجرة، ولها من العمر ١٨ سنة، وتوفّيت في زمن أبي بكر، ومشهدها في البقيع، وقيل: إنّها دفنت في بيتها، وقيل: قبرها بين قبر رسول اللهصلى الله عليه وآله وبين منبره.

---

(١) راجع: صحيح البخاري ٤: ١٨٣ باب علامات النبوّة في الإسلام، و٥: ١٣٨ باب مرض النبيّ صلى الله عليه وآله ووفاته، وفتح الباري، لابن حجر ٨: ١٠٣ باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته.

(٢) المناقب لابن شهرآشوب ٣: ١٣٧ باب مناقب فاطمة الزهراءعليها السلام.

الحسنانعليهما السلام

أمّا الحسن بن علي بن أبي طالبعليه السلام، أُمّه فاطمة الزهراء بنت رسول اللهصلى الله عليه وآله، ولدعليه السلام في المدينة المنورة في زمن يزدجرد الملك ليلة الثلاثاء قبل وقعة بدر بتسعة عشر يوماً، وقيل: يوم الثلاثاء النصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة، وقيل: سنة اثنين من الهجرة.

وجاءت به فاطمةعليها السلام إلى النبيصلى الله عليه وآله يوم السابع من مولده في خرقة من حرير الجنّة، وكان جبرئيلعليه السلام نزل بها إلى النبيّصلى الله عليه وآله فسمّاه حسناً، وعقّ عنه كبشاً.

فعاشعليه السلام مع جدّهصلى الله عليه وآله سبع سنين وأشهر، وقيل: ثمان سنين، ومع أبيه عليعليهما السلام ثلاثين سنة، وبعده٩ سنين، وقالوا: ١٠ سنين.

وبويع بعد أبيهعليه السلام يوم الجمعة الحادي والعشرين من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة، وقيل: إنّه بويع بعد وفاة أبيه بيومين، وكان عمرهعليه السلام لمّا

بويع ٣٧ سنة، فبقي في خلافته أربعة أشهر وثلاثة أيام، وقيل: ٥ أشهر، وقيل: ٦ أشهر، وقيل: ٧ أشهر.

ووقع الصلح بينه وبين معاوية في ربيع الأول، وقيل: في ربيع الثاني، وقيل: في جمادى الأُولى سنة إحدى وأربعين من الهجرة، وخرج عليه السلام بعد الصلح إلى المدينة فأقام بها، وكانت خلافته عشر سنين.

في فضلهما وكرامتهما على جدّهما عليهما السلام:

طالما قال النبيّ صلى الله عليه وآله فيه وفي أخيه الحسين عليهما السلام: «ابناي هذان إمامان قاما أو قعدا»[1].

وقال صلى الله عليه وآله فيهما كما نصّت كتب الفريقين: «من أحبّ الحسن والحسين فقد أحبّني، ومن أبغضهما فقد أبغضني»[2].

وفي جامع الترمذي وغيره بإسنادهم عن أنس بن مالك، قال صلى الله عليه وآله: «من أحبّ الحسن والحسين أحببته، ومن أحببته أحبّه الله، ومن أحبّه الله أدخله الجنة. ومن أبغضهما أبغضته، ومن أبغضته أبغضه الله، ومن أبغضه الله خلّده النار»[3].

---

(١) دعائم الإسلام، للقاضي النعمان المغربي ١: ٣٧.

(٢) سنن ابن ماجة ١: ٥١ حديث١٤٤ عن أبي هريرة، فضل الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب، مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، لمحمد بن سليمان الكوفي ٢: ٢٤٣ ذيل حديث٧٠٩، حلية الجنّة الحسن والحسين، مسند أبي يعلى الموصلي ١١: ٧٨ حديث٦٢١٥.

(٣) روضة الواعظين: ١٦٦ مجلس في ذكر إمامة السبطين ومناقبهما عليهما السلام، وراجع المعجم الكبير، للطبراني ٣: ٤٨ حديث٢٦٤٨ بقية أخبار الحسن بن علي.

وفي الصحيح كما نصّ به أبو الفداء في تاريخه قول النبيﷺ: «الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة، وأبوهما خير منهما»[(١)].

وممّا نصّ به أبو الفداء: أنّهﷺ مرَّ بالحسن والحسين وهما يلعبان ، فطأطأ لهما عنقه وحملهما، وقالﷺ: «نِعمَ المطيّة مطيّتهما، ونعمَ الراكبان هما»[(٢)].

وفي فضائل ابن حنبل، والسمعاني، وأمالي ابن شريح، وإبانة بن بطة، وغيرهم: إنّ النبيّﷺ أخذ بيد الحسن والحسين فقالﷺ: «من أحبّني وأحبّ هذين وأباهما وأُمّهما كان معي في درجتي في الجنّة»[(٣)].

أخذ النبيّ يد الحسين وصنوه ... يوماً وقال وصحبه في مجمع
من ودّني يا قوم أو هذين أو ... أبويهما فالخلد مسكنه معي[(٤)]

ذكر شيء من أسمائه وكنيته وألقابهعليه السلام**:**

وسمّاه المولى جلَّ شأنه الحسن، وفي السفر ٥ و٦ من التوراة: شُبّراً.

---

(١) تاريخ أبي الفداء ١: ١٨٣ ذكر تسليم الحسن الأمر إلى معاوية، وراجع سنن الترمذي ٥: ٦٥٦٠ حديث ٣٧٦٨ وص ٦٦٠ حديث ٣٧٨١ باب مناقب أبي محمّد الحسن بن علي بن أبي طالب والحسين رضي الله عنهم.

(٢) تاريخ أبي الفداء ١: ١٢٧.

(٣) فضائل الصحابة: ٦٩٣ من فضائل علي رضي الله عنه من حديث أبي بكر بن مالك عن شيوخه، وفي مسنده ٢: ١٨ حديث ٥٧٦ طبعة مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

(٤) قائل البيتين هو أبو الحسين في كتاب نظم الأخبار، كما في المناقب لابن شهرآشوب ٣: ١٥٣ باب إمامة السبطينعليهما السلام.

وكنيته أبو محمّد وأبو القاسم.

وألقابه السيّد، والسبط، والأمين، والحجّة، والزكي، والمجتبى، والسبط الأوّل، والزاهد.

أزواجه وأولاده عليه السلام:

تزوّج عليه السلام مائتين وخمسين امرأة، وقد قيل: ثلاثمائة وقيل: أربعمائة، وقيل: ٦٤ امرأة عدا السراري[١].

وأما أولاده عليه السلام ٢٦ ولداً، منهم ٥ بنات و١١ ذكراً، وقيل: ١٣ ذكراً وبنتاً واحدة، وقتل منهم في الطفّ عبد الله والقاسم وأبو بكر، والمعقّبون من أولاده اثنان: زيد بن الحسن، والحسن المثنّى.

وأمّا معجزاته، ومعاليه، ومكارم أخلاقه، وعلمه، وفصاحته، وهمّته، وحلمه، وسيادته، وفضله فهي أشهر من أن تذكر.

وفاته عليه السلام:

قال أهل السِيَر والنسّابة: إنّ معاوية أرسل إلى زوجة الحسن عليه السلام جعدة بنت الأشعث الكندي عشرة آلاف ديناراً، ووعدها أن يزوّجها من يزيد، على أن تسمّ الحسن عليه السلام، فسقته السمّ، فبقي مريضاً أربعين صباحاً، وقبض عليه السلام يوم الاثنين ٧ صفر سنة ٥٠ من الهجرة، وعمره عليه السلام ٤٨ سنة، وكانت وفاته في زمن معاوية.

وقد أوصى بتجديد عهده عند جدّه صلى الله عليه وآله ، فلمّا قبض غسّله الحسين عليه السلام وكفّنه وحمله على سريره، فلمّا توجّه بالحسن إلى قبر جدّه،

---

(١) هذا القول مردود وغير صحيح.

أقبل الطريد مروان ابن الطريد الحكم ومَن معه وهو يقول: (يا رب هيجا هي خير من دعة [١] أيدفن عثمان في أقصى المدينة ويدفن الحسن مع جدّه النبيّ؟ لا كان ذلك أبداً[٢].

وقال ابن الأثير في الكامل ص١٨٢ وأبو الفداء في تاريخه ص١٨٣: لما حملوا جنازة الحسن عليه السلام، فقام مروان بن الحكم وجمع بني أميّة وأتباعهم ومعهم عائشة وهي تنادي: البيت بيتي، ولا آذن أن يُدفن فيه الحسن، فدفن عليه السلام في البقيع يوم الاثنين ٧ صفر كما سلف[٣].

فأمّا الحسين الشهيد ثالث الأئمة عليهم السلام:

فقد مرّ عليك طرف غير قليل من ترجمته في الكتاب، فاكتفينا بذلك عن الأطناب هنا في سيرته، فراجعها إذا شئت هناك، وإليك تاريخ ولادته وذكر شيء من أسمائه وألقابه وبيان أولاده وأزواجه عليه السلام.

---

(١) الرجز للبيد بن ربيعة العامري (المتوفّى سنة ٤١هـ) عن ملاعب وإخوته أمام النعمان بن المنذر، وإيّاهم عنى لبيد، وأوّله:

نحن بني أُمّ البنين الأربعة   المطعمون الجفنة المدعدعة

والضاربون الهام تحت الخيضعة   يا ربّ هيجا هي خير من دعة

الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، لعبد الرحمن الخثعمي السهيلي ٣: ٢٣٨ خبر بئر معونة، وتاريخ ابن عساكر الدمشقي ١٣: ٢٩٠ رقم ١٣٨٣ الحسن بن علي بن أبي طالب.

(٢) راجع: مقاتل الطالبيين، لأبي الفرج الإصفهاني: ٤٨ الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وروضة الواعظين، للفتال النيسابوري: ١٦٨ مجلس في ذكر وفاة الحسن بن علي عليهما السلام.

(٣) راجع: أنساب الأشراف، للبلاذري ٣: ٦٠ رقم ٧١ اعتراض أبي هريرة على مروان وقوله له: أتمنع أن يدفن الحسن ها هنا وقد سمعت رسول الله يقول له ولأخيه حسين: هما سيّدا شباب أهل الجنّة!، وتاريخ أبي الفداء ١: ١٨٣ ذكر تسليم الحسن الأمر إلى معاوية.

ولادتهعليه السلام:

ولدعليه السلام عام الخندق في المدينة يوم الخميس، وقيل: يوم الثلاثاء، لثلاث أو خمس من شعبان سنة أربع من الهجرة، بعد الحسنعليه السلام بعشرة أشهر وعشرين يوماً. وروي أنّه لم يكن بينه وبين أخيه الحسن إلّا الحمل (والحمل ستة أشهر)، فجاءت أُمّه فاطمة بنت رسول اللهصلى الله عليه وآله إلى أبيها فسمّاه الحسين، وعقّ عنه كبشاً.

وممّا نصّ به صاحب الصافي ص٢٩٨ إنّ الحسينعليه السلام بقي في بطن أُمه٦ أشهر، كيحيى بن زكرياعليه السلام، على ما تناصرت به الأخبار، ولم يولد مولد لستة أشهر عاش غير يحيى والحسينعليهما السلام[١].

كنيته وألقابهعليه السلام:

أما كنيته أبو عبد الله، والخاصّ أبو علي.

وألقابه: الشهيد، والسبط الثاني، والإمام الثالث.

أولاده وأزواجهعليه السلام:

له من الأولاد٦ ، ثلاثة أسماؤهم علي، و٣ أسماؤهم عبد الله وجعفر ومحمّد، كما ذكر أهل النسب: علي الأكبر الشهيد، وزين العابدين علي بن الحسينعليه السلام، وعلي الأصغر، ومحمّد وعبد الله، وجعفر.

---

(١) راجع: بحار الأنوار ٤٤: ٢٠٢، وإبصار العين في أنصار الحسينعليه السلام لمحمّد السماوي: ٢٣.

وبناته: سكينة وأمّها الرباب(*)، وفاطمة وأُمها أُم إسحاق بنت طلحة بن عبد الله.

وأما أزواجه ٥ عدا السراري.

وأعقب من ابنه علي زين العابدين السجّاد ذي الثفنات عليه السلام.

مجمل سيرة حياته إلى وفاته عليه السلام:

عاش الحسين عليه السلام مع جدّه رسول الله ٨ سنين، وقيل:٦ سنين، ومع أبيه علي عليه السلام ٣٨ سنة، ومع أخيه الحسن عليه السلام ٤٨ سنة، وبعد أخيه عشر سنين، فيكون عمره عليه السلام ٥٨ سنة إلّا ثمانية أشهر تنقص أيّاماً.

وكان حبيباً إلى جدّه صلى الله عليه وآله وأبيه وأُمّه، ولمحبّة أبيه له لم يدعه ولا أخاه الحسن يحاربان في البصرة ولا في صفّين ولا في النهروان، وقد حضر الجميع.

ومدة خلافته ٥ سنين وأشهر، منها في آخر ملك معاوية وأول ملك يزيد، وإمامته عليه السلام ثابتة بالنص الصريح من جده رسول الله صلى الله عليه وآله، حيث قال

(*) بنت امرئ القيس، وهي التي يقول فيها أبو عبد الله الحسين عليه السلام:

لعمرك إنّني لأحبّ داراً ... تحلّ بها سكينة والرباب

أحبهما وأبذل جلّ مالي ... وليس لعاتب عندي عتاب

وكان أمرئ القيس زوج ٣ بناته في المدينة من أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام، وقصته مشهورة، فكانت الرباب عند الحسين عليه السلام وولدت له سكينة وعبد الله الرضيع.

فيه وفي أخيه: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا» فكان سكوته عليه السلام عن حقّه في زمن الحسن عليه السلام؛ لأنّ الحسن إمام عليه، وبعده للعهد الذي عاهد عليه معاوية الحسن عليه السلام فوفى به، أو لغير ذلك ممّا يعلمه هو عليه السلام.

ولمّا توفّي معاوية(*) وخلّف ولده يزيد لعنه الله، كتب إلى الوليد بن عتبة ـ وكان على المدينة من قبل معاوية ـ أن يأخذ له البيعة من الحسين عليه السلام وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر، ففرّ العبدان، وامتنع الحسين عليه السلام، وكان ذلك في أواخر رجب.

ثمّ مازال الطريد مروان ابن الطريد الحكم يغري الوليد بالحسين عليه السلام، حتّى خرج الحسين من المدينة ليلة الأحد ليومين بقيا من رجب، وخرج معه بنوه وبنو أخيه الحسن عليه السلام وإخوته وأهل بيته، إلّا محمّد بن الحنيفة كان مريضاً، فتوجّه عليه السلام إلى مكة وهو يتلو ﴿**فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾[1].

(*) وكانت وفاته في نصف رجب سنة ٦٠ من الهجرة، وكانت مدّة سلطنته ١٩ سنة وثلاثة أشهر و٢٧ يوماً، منذ اجتمع له الأمر وصالحه الحسن عليه السلام، وكان عمره ٨٥ وقيل: ٧٠ سنة، وقيل غيره.

وفي سنة وفاته تربّع يزيد على عرش الملك، وكان لعنه الله موفر الرغبة في اللهو والقنص والخمر والنساء والشعر. كانت ولايته على أصح القولين ٣ سنين وستة أشهر، ففي السنة الأولى قتل الحسين بن علي، وفي السنة الثانية نهب المدينة وأباحها ثلاثة أيام، وفي السنة الثالثة غزا الكعبة ورمى البيت الحرام بالمنجنيق وإحراقه.

(١) القصص (٢٨): ٢١.

ومضى عليه السلام قتيلاً يوم عاشوراء، وهو يوم السبت العاشر من المحرّم قبل الزوال، وقيل: يوم الجمعة بعد صلاة الظهر، وقيل يوم الاثنين بحائر[*] الطفّ[*٢] من كربلاء[*٣] بين نينوى[*٤] والغاضرية من قرى النهرين في العراق سنة ٦١ من الهجرة.

واشترك في قتله شمر بن ذي الجوشن لعنه الله، وسنان بن أنس لعنه الله، وخولي بن يزيد لعنه الله، من قوّاد جيش عمر بن سعد لعنه الله، الذي أرسله حاكم الكوفة عبيد الله بن زياد لعنه الله بأمر من ملك الشام يزيد بن معاوية.

ودفن بكربلاء من غربي الفرات، وتولّى دفنه الإمام السجاد علي بن الحسين عليهما السلام، وكان عمره عليه السلام ـ كما مرّ سالف الذكر ـ ثمان وخمسين سنة إلّا ثمانية أشهر تنقص أياماً.

(*١) وأما الحائر فهو على ما في المعجم والقاموس: اسم موضع فيه قبر الحسين عليه السلام ، وفي الأخير أنّه اسم كربلاء.

(*٢) والطف: اسم عام لأرض تنحسر عنها مياه النهر، وسمّيت حوالي نهر العلقمي البارزة من شواطئه طفّاً لذلك ، وسُمّيت حادثة الحسين عليه السلام فيه بواقعة الطفّ.

(*٣) وكربلاء أيضاً اسم قديم مأثور في حديث الحسين وأبيه وجدّه عليه السلام، ومفسّر من الكرب والبلاء، وإنّ كربلاء منحوتة من كلمة (كور بابل) العربية، مجموعة قرى بابلية

(*٤) ونينوى على ما ذكره ابن الأثير في الكامل: قرية عند كربلاء القريبة من أراضي سدّة الهنديّة، ثمّ الغاضريّة قرية عند كربلاء أيضاً تنسب لبني غاضرة من أسد.

الإمام السجّاد رابع الأئمّة عليهم السلام
علي بن علي الحسين بن أبي طالب عليه السلام

ولد عليه السلام في المدينة يوم الأحد ٢ شعبان، وقيل: يوم الخميس لتسع خلون من شعبان سنة ٣٨ من الهجرة، وقيل: يوم الخميس النصف من جمادى الآخرة، وكانت ولادته في زمن جدّه أمير المؤمنين علي عليه السلام، وأُمه شاه زنان بنت كسرى يزدجرد، وقيل: اسمها شهربان.

كنيته: أبو القاسم، وأبو محمّد.

وألقابه: زين العابدين، وسيّد الساجدين، وإمام المؤمنين، والعابد، والبكّاء، والسجّاد، وذو الثفنات(*)، إمام الأُمّة، وأبو الأئمّة، ومنه تناسل ولد الحسين صلوات الله عليهم أجمعين.

(*) والثفنات، بالثاء المثلّثة والفاء والنون المفتوحات: جمع ثفنة، والثفنة بكسر الفاء من البعير الركبة، وما مسّ الأرض من كركرته وسعداناته وأُصول أفخاذه، وقد كان عليه السلام حصل في جبهته مثل ذلك من طول السجود وكثرته، وكان عليه السلام يقطعها في السنة مرّتين، كلّ مرّة خمس ثفنات.

أولاده وأزواجه:

له من الأولاد الذكور ١٥، والأصح ١١، من اُمهات الأولاد، إلّا محمّد الباقر عليه السلام وعبد الله الباهر أمهما أُمّ عبد الله بنت الحسن بن علي عليه السلام، والعقب منه في ستة رجال: الإمام محمّد الباقر، وعبد الله الباهر، وزيد الشهيد، وعمر الأشرف، والحسين الأصغر، وعلي الأصغر.

وأزواجه واحدة عدا السراري.

وأمّا حلمه، وعلمه، وتواضعه، وصبره، وسيادته، وفصاحته، وفضائله أكثر من أن تحصى أو يحيط بها الوصف.

مجمل سيرة حياته إلى وفاته عليه السلام:

عاش عليه السلام مع جدّه أمير المؤمنين عليه السلام أربع سنوات، وقيل: سنتين، والأول أصح. ومع عمّه الحسن عليه السلام ١٢ سنة، وقيل: ١٠ سنين، والأول أصح. ومع أبيه الحسين عليه السلام ١٣ سنة، وكان عمره يوم الطف ٢٣ سنة.

وكانت إمامته بعد أبيه عليه السلام ٣٤ سنة، منها بقية ملك يزيد بن معاوية، ومعاوية بن يزيد، والطريد مروان بن الحكم، وعبد الملك بن مروان، وهشام، والوليد. وقبض عليه السلام مسموماً، سمّه الوليد، وقيل: هشام، والأصح الأول.

وكانت وفاته عليه السلام بالمدينة يوم السبت ١١ من المحرّم سنة ٥٥ من الهجرة ، وله من العمر يومئذٍ ٥٧ سنة، وقيل: ٥٩ سنة، وتوفّي عليه السلام في زمن الوليد، ودفن في البقيع مع عمّه الحسن عليه السلام.

الإمام الباقر خامس الأئمّة عليهم السلام

اسمه: محمّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

ولد عليه السلام في المدينة يوم الاثنين ٣ صفر سنة ٥٧، وقيل: ٥٩ من الهجرة، وكانت ولادته في حياة جدّه الحسين عليه السلام، وفي زمن معاوية.

وأمه: فاطمة أمّ عبد الله بنت الحسن عليه السلام.

وكنيته: أبو جعفر، ولقبه الباقر.

وأولاده عليه السلام سبعة لا غير كلّهم دُرجوا، إلّا الإمام جعفر الصادق عليه السلام، فإنّ العقب منه وحده.

وأزواجه امرأتان، عدا السراري.

مجمل سيرة حياته إلى وفاته عليه السلام:

عاش مع جدّه الحسين عليه السلام ٣ سنين، وقيل: أربع سنين، ومع أبيه السجاد عليه السلام ٣٤ سنة و١٠ أشهر، وقيل: ٣٩ سنة.

وكانت مدّة إمامته بعد أبيه عليه السلام ١٧ سنة، وقيل: ١٨ وقيل: ١٩ سنة، منها بقيّة ملك الوليد بن يزيد وسليمان وعمر بن عبد العزيز ويزيد بن عبد الملك وهشام أخوه وإبراهيم بن الوليد.

واستشهد عليه السلام مسموماً في المدينة يوم ٧ من ذي الحجّة، وقيل: في ربيع الثاني سنة ١١٤ من الهجرة، وكانت وفاته في زمن هشام بن عبد الملك، وقيل: سمّه إبراهيم بن الوليد بن يزيد، وفي أول ملك إبراهيم قبض عليه السلام ، ودفن في البقيع.

الإمام الصادق سادس الأئمّة عليهم السلام

اسمه : جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

ولد عليه السلام في المدينة يوم الاثنين ١٧ ربيع الأول، وقيل: لثلاث عشرة بقيت منه سنة ٨٣، وقيل: سنة ٨٥ من الهجرة، وكانت ولادته في زمن عبد الملك بن مروان.

وأُمه: فاطمة بنت القاسم الفقيه بن محمّد بن أبي بكر، وأمّها أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر، ولهذا كان يقول عليه السلام: «ولدني أبو بكر مرّتين».

وكنيته عليه السلام: أبو عبد الله، ولقبه: الصادق.

وأولاده ثمانية، وقيل: عشرة، وأعقب من خمسة رجال: موسى الكاظم عليه السلام، وإسماعيل، وعلي العريضي، ومحمّد المأمون، وإسحاق. وبناته٣: أُم فروة، وأسماء، وفاطمة. وأزواجه واحدة عدا السراري.

مجمل سيرة حياته إلى وفاته عليه السلام:

عاش مع جدّه عليه السلام ١٢ سنة، ومع أبيه عليه السلام ١٩، وكانت إمامته بعد أبيه ٣٤ سنة، منها في زمن إبراهيم بن الوليد ومروان الحمار، ثمّ سارت المسودة من أرض خراسان مع أبي مسلم الخراساني سنة ١٢٢، وانتزعوا

الملك من بني أُميّة، وقتلوا مروان الحمار، ثمّ ملك أبو العباس السفاح(*) الأوّل، ثمّ المنصور الدوانيقي، وقبضعليه السلام مسموماً في يوم الاثنين النصف من رجب سنة ١٤٨ من الهجرة، وقيل: في شوّال، والأول أصحّ، وقد دسّ السمّ إليه المنصور الدوانيقي بعد مضي سنتين من ملكه، ودفن في البقيع، وقد كمل عمره ٥٠ سنة، وقيل: ٥٥، والأصح ٥٧ سنة.

(*) عبد الله بن محمّد بن علي بن عبد الله بن عباس.

الإمام الكاظم سابع الأئمة عليهم السلام

اسمه موسى بن جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

ولد عليه السلام في محلّ يقال له: الأبواء، ما بين مكّة والمدينة، يوم الأحد ٧ صفر سنة ١٢٨ من الهجرة.

وأُمّه حميدة، أمّ ولد أندلسية، وتكنّى لؤلؤة، وقيل: أُم لؤلؤة.

وكنيته أبو الحسن الأول، وأبو إبراهيم، ويعرف بالعبد الصالح. ولقبه: الكاظم؛ لكظمه للغيظ وحلمه.

أولاده عليه السلام ١٨، وقيل: ٦٠ ولداً، ٣٧ بنتاً، وقيل: ١٩ و٢٣ أبناً، درج منهم ٥ لم يعقبوا بغير خلاف وهم: عبد الرحمن، وعقيل، والقاسم، ويحيى، وداود.

قال أهل النسب، والشيخ أبو نصر البخاري، والشيخ تاج الدين: أعقب الكاظم عليه السلام من ١٣ ولداً، منهم أربعة مكثرون وهم: علي الرضا عليه السلام، وإبراهيم المرتضى، ومحمّد العابد، وجعفر.

وأربعة متوسطون وهم: زيد النار، وعبد الله، وعبيد الله، وحمزة.

و٥ مقلّون وهم: العباس، وهارون، واسحاق، والحسين، والحسن[١].

وبناته: خديجة، وأمّ فروة، وأمّ أبيها، وعليّة، وفاطمة الكبرى الملقّبة بمعصومة، وفاطمة الصغرى، ونزيهة، وكلثم، وأم كلثوم، وزينب، وأُمّ القاسم، وحكيمة، ورقيّة الصغرى، وأُم وحية، وأُم جعفر، ولبابة، وأسماء، وأمامة، وميمونة من أمهات أولاد. وأما أزواجه امرأة عدا السراري.

مجمل سيرة حياته إلى وفاته عليه السلام

وكانت إمامته بعد أبيه عليهما السلام ٣٥ سنة، منها بقية ملك المنصور الدوانيقي لعنه الله، ثمّ المهدي ١٠ سنين وشهراً وأياماً، ثمّ الهادي سنة و١٥ يوماً.

وبعد ما تربّع على دست ملكه قبض عليه وأمر بحبسه، فرأى علي بن أبي طالب عليه السلام في نومه يقول له: يا موسى **﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾**[٢] فأنتبه من نومه وقد عرف المراد، فأمر باطلاق الإمام الكاظم عليه السلام، ثمّ تنكّر له من بعد ذلك فهلك لعنه الله، قبل أن يوصل إلى الكاظم عليه السلام.

ثمّ ملك الرشيد ٢٣ سنة وشهران و١٧ يوماً، وبعد مضي ١٥ سنة من ملكه دخل المدينة وقبض على الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، وكان قائماً يصلّي عند رأس النبيّ صلى الله عليه وآله، فقطع عليه صلاته وأرسله إلى البصرة، وأمر واليها

---

(١) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، لابن عنبة: ١٩٨ عقب الإمام موسى الكاظم عليه السلام.

(٢) محمّد صلى الله عليه وآله (٤٧): ٢٢.

بحبسه عليه السلام عنده وهو عيسى بن جعفر بن المنصور، ثمّ الفضل بن الربيع، ثمّ الفضل بن يحيى البرمكي، ثمّ السندي بن شاهك سقاه سماً في رطب أو طعاماً آخر، ولبث عليه السلام ثلاثاً موعوكاً، واستشهد مسموماً في حبس السندي لعنه الله يوم الجمعة لستّ بقين من رجب، وقيل: لخمس خلون من رجب سنة ١٨٣، وقيل: سنة ١٨٦ من الهجرة.

ودفن عليه السلام ببغداد في الموضع المشهور بالكاظميّة، الذي يزار به اليوم بالجانب الغربي في المقبرة المعروفة قديماً بمقابر قريش من باب التين، فسمّيت باب الحوائج، وكانت وفاته عليه السلام بعد مضي ١٥ سنة من ملك الرشيد، وقد كمل عمره ٥٤ سنة، وقيل ٥٥ سنة.

الإمام الرضا ثامن الأئمّة عليهم السلام

اسمه: علي بن موسى بن جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب عليه السلام.

ولد عليه السلام في المدينة يوم الخميس ١١ ذي القعدة، وقيل: ٢١ منه، سنة ١٥٣ من الهجرة، بعد وفاة الصادق عليه السلام بخمس سنوات، وقيل: ولد عليه السلام يوم الجمعة لأحد عشر ليلة من ربيع الأول سنة ١٤٧، وقيل: سنة ١٥١، وقيل: سنة ١٥٢، وقد اختلف في ولادته عليه السلام، ولكن الخبر الأول أصح.

وأُمه أُم ولد يقال لها: سكن النوبيّة، وقيل: اسمها خيزران، وقيل : نجمة.

وكنيته أبو الحسن، ولقبه الرضا عليه السلام.

له من الأولاد ٣، وقيل: أكثر، وأعقب من محمّد الجواد عليه السلام وأمّا أزواجه واحدة عدا السراري.

مجمل سيرة حياته إلى وفاتهعليه السلام**:**

عاشعليه السلام مع أبيهعليه السلام ٢٩ سنة وشهران، وكانت إمامته بعد أبيه ٢٠ سنة و٤ أشهر، منها بقية ملك الرشيد، ثمّ الأمين ٣ سنين و١٨ يوماً، ثمّ المأمون ٢٠ سنة و٢٣ يوماً.

ولمّا تربّع المأمون على دست الملك أشخصه من المدينة، وأخذ له البيعة في ملكه لعلي الرضا(*) ابن الإمام الكاظمعليه السلام بولاية العهد من غير

(*) وحيث أتى بنا السير إلى ذكر الإمام الرضاعليه السلام، رأينا من المناسبة أن نأتي هنا بنبذة وجيزة عن شقيقته السيّدة الجليلة سميّة جدّتها الزهراء، فاطمة الكبرى السالف ذكرها، الملقّبة بمعصومة بنت الإمام موسى بن جعفرعليه السلام، ومجمل أمرها هو:

أنّه لمّا سافر أخوها الإمام الرضاعليه السلام إلى خراسان بدعوة من المأمون لتفويض ولاية العهد إليه سنة ٢٠٠ هجرية، اشتاقت إلى زيارته، فسافرت من المدينة سنة ٢٠١ هجرية نحو خراسان، ولمّا وصلت في سيرها إلى قرية ساوة مرضت، ثمّ أشتدّ بها المرض، فسألت عن المسافة التي بينها وبين قم فقيل لها: عشرة فراسخ، فأمرت من تحمل إليها فاستقبلها هناك الطائفة المعروفة بالأشعريّة من آل سعد ورئيسها موسى بن خزرج بن سعد، فأخذ بزمام ناقتها، يريد بذلك الشرف والافتخار حتّى جاء بها وأنزلها في داره.

ثمّ مكثت السيّدة ١٧ يوماً، ولم يزل مرضها في ازدياد حتّى أدركها الأجل، فانتقلت إلى رحمة الله صلوات الله عليها فدفنت في تربتها المعروفة بقم، وقد كانت بستاناً يسمى بابلان.

وأما فضلها : فقد ورد في حقّها من قبل ولادتها عن الصادقعليه السلام: «من زارها بقم وجبت له الجنّة».

وفي رواية أُخرى عن الرضاعليه السلام: «من زارها بقم عارفاً بحقّها فقد وجبت له الجنّة».

وفي رواية محمّد بن علي الرضاعليه السلام «من زار عمّتي بقم فقد وجبت له الجنّة».

اللهمّ ارزقنا زيارتها في الدنيا، وشفاعة جدّها في الآخرة.

رضاه، وضرب... [١] في قرية يقال لها : سناباد، من رستاق بوقان، ودفن عليه السلام في دار حميد بن قحطبة الطائي، في القبّة التي فيها قبر هارون الرشيد إلى جانبه ممّا يلي القبلة وكان له من العمر يومئذٍ ٥٠ سنة، وقيل: ٥٤ سنة، وقيل: ٤٩ سنة، والأصح الأوّل.

(١) هنا سقط في الأصل.

الإمام التقي تاسع الأئمّة عليهم السلام

اسمه محمّد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب عليه السلام.

ولد عليه السلام في المدينة يوم الجمعة ١٠ رجب سنة ١٩٥ من الهجرة، وقيل: ليلة الجمعة ١٩ من رمضان، وقيل: النصف منه.

وأُمه أُم ولد واسمها ريحانة، وتكنّى أُم الحسن.

وكنيته: أبو جعفر، ولقبه الجواد.

وأمّا أولاده عليه السلام، فله من الأولاد أربعة، وأعقب من رجلين هما: علي الهادي عليه السلام، وموسى المبرقع.

وأما أزواجه امرأة واحدة، عدا السراري.

وسبب وروده بغداد: أشخصه المعتصم العباسي من المدينة، فورد بغداد لليلتين من المحرّم سنة ٢٢٠ من الهجرة.

مجمل سيرة حياته إلى وفاته عليه السلام:

عاش عليه السلام مع أبيه عليه السلام ٧ سنين و٤ أشهر ويومين، وكانت إمامته بعد أبيه عليه السلام ١٨ سنة، وقيل: ١٩ سنة، منها بقية ملك المأمون، ثمّ المعتصم، والواثق.

واستشهدعليه السلام مسموماً يوم الثلاثاء ١٠ رجب سنة ٢٢٠ من الهجرة ببغداد، سمّه المعتصم، وقيل: قبض في آخر ذي القعدة، وقيل: يوم السبت لستّ خلون من ذي الحجّة، والأول أصح.

وكانت وفاته في زمن المعتصم، وقيل: الواثق ابن المعتصم، ودفن في مقابر قريش إلى جنب جدّه موسى بن جعفرعليه السلام، وله من العمر يومئذ ٢٥ سنة و٣ أشهر و٢٢ يوماً.

الإمام النقي عاشر الأئمّة عليهم السلام

اسمه: علي بن محمّد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

ولد عليه السلام في المدينة يوم الجمعة ثاني رجب، وقيل: يوم الثلاثاء الخامس منه، وقيل: النصف من ذي الحجّة سنة ٢١٢، وقيل: سنة ٢١٤ من الهجرة.

وأُمّه سمانة أُمّ ولد، ويقال: هي أُمّه المعروفة بالسيّدة أُمّ الفضل.

وكنيته أبو الحسن الثالث، ولقبه الهادي.

وأولاده ٥: الحسن الإمام عليه السلام، والحسين، ومحمّد، وجعفر يكذب عليه. واعقب من رجلين هما: الإمام أبو محمّد الحسن العسكري والحسين.

واما أزواجه: سريّة واحدة.

وسبب وروده: استدعاه المتوكّل العباسي مع يحيى بن هرثمة من المدينة إلى سرّ من رأى.

مجمل سيرة حياته إلى وفاته عليه السلام:

أقام مع أبيه عليه السلام سنتين و٥ أشهر، وكانت إمامته بعد أبيه **٢٣** سنة و**٩** أشهر، منها بقيّة ملك المعتصم ابن الرشيد، ثمّ الواثق ابن المعتصم، ثمّ المتوكّل ابن المعتصم، ثمّ المنتصر ابن المتوكّل، ثمّ المستعين ابن المعتصم، ثمّ المعتزّ ابن المتوكّل، ثمّ المهتدي ابن الواثق.

ومدّة مقامه في سرَّ من رأى عشرين سنة، واستشهد عليه السلام يوم الاثنين **٣** رجب سنة ٢٥٤ من الهجرة، سمّه المعتز، وقيل: المتوكل، وقيل: المستعين، وقيل: المنتصر، وقيل: المهتدي، والأصح سمّه المعتمد، وكانت وفاته في زمنه ودفن بسرّ من رأى، وله من العمر يومئذٍ ٤١ سنة لا غير.

الإمام العسكري حادي عشر الأئمّة عليهم السلام

اسمه: الحسن بن علي بن محمّد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمّد ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

ولد عليه السلام يوم الجمعة لثمان خلون من شهر ربيع الآخر بالمدينة، وقيل: ولد عليه السلام بسرَّ من رأى يوم الاثنين ٤ ربيع الثاني سنة ٢٣٢ من الهجرة.

وأُمّه حديثة أُمّ ولد.

وكنيته أبو محمّد، ولقبه العسكري.

له من الأولاد: القائم المهدي عليه السلام لا غير.

وأمّا أزواجه سريّة واحدة.

مجمل سيرة حياته إلى وفاته عليه السلام:

عاش مع أبيه عليه السلام ٢٣ سنة، وكانت إمامته بعد أبيه ٦ سنين، منها بقية أيام المعتزّ أشهراً، ثمّ المهتدي، والمعتمد.

واستشهد عليه السلام مسموماً، سمّه المعتمد بعد مضي ٥ سنين من ملك المعتمد، ومرض عليه السلام في أول شهر ربيع الأوّل سنة ٢٦٠ من الهجرة، وقبض

يوم الجمعة لثمان خلون من ربيع الأوّل، ودفن في البيت الذي فيه أبـوه مـن دارهما بسر من رأى، وكان له من العمر يومئذٍ **٢٨** سنة، وقيل: **٢٩** سنة.

خاتم الأئمّة الاثني عشر أبو القاسم محمّد المنتظر عليه السلام

هو حجّة الرحمن، والمحجّة على أهل الأديان، ومنتظر أهل الإيمان، صاحب الزمان، صلوات الله عليه وعلى آبائه الطيّبين الطاهرين.

اسمه: (م ح د م) ابن الحسن العسكري ابن علي الهادي ابن محمّد الجواد ابن علي الرضا ابن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق ابن محمّد الباقر ابن علي زين العابدين ابن الحسين الشهيد ابن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم أجمعين.

وهو المنتظر في غيبته، المطاع في ظهوره، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً.

ولد عليه السلام بسرَّ من رأى ليلة النصف من شعبان سنة ٢٥٥ من الهجرة، وأُمّه أُم ولد يقال لها: نرجس.

وقال ابن خلكان في تاريخه، وابن الأثير في الكامل، والطبري في كتابه: هو ثاني عشر الأئمة، وخاتم الأئمة الاثني عشر عليهم السلام، المعروف بالحيّ

المنتظر، والقائم، والمهدي، وهو صاحب السرداب. وأقاويل الشيعة فيه كثيرة، وهم ينتظرون ظهوره في آخر الزمان من السرداب بسرّ من رأى. كانت ولادته يوم الجمعة منتصف شعبان سنة ٢٥٥ من الهجرة، وكانت ولادته في زمن المعتمد ابن المتوكّل العباسي. وأُمّه أُمّ ولد تسمّى: صيقل، وقيل: حكيمة، والأصح نرجس[(١)]. انتهى.

وكنيته: أبو القاسم، ولقبه: الحجّة، والخلف الصالح، والمنتظر.

وقال شيخنا المفيد رضي الله عنه في إرشاده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا قام القائم عليه السلام دعا الناس إلى الإسلام جديداً، وهداهم إلى أمر قد دثر وضلَّ عنه الجمهور، وإنّما سُمي القائم مهدياً؛ لأنّه يهدي إلى أمر قد ضلّوا عنه، وسُمي القائم؛ لقيامه بالحقّ»[(٢)].

وفي إكمال الدين «قال أبو جعفر محمّد بن علي الرضا عليه السلام إنّما سمّي القائم؛ لأنه يقوم بعد موت ذكره وارتداد أكثر القائلين بإمامته، وإنّما سُمّي المنتظر؛ لأنّ غيبته تكثر أيامها ويطول أمدها، فينتظر المخلصون خروجه، وينكره المرتابون، ويستهزئ بذكره الجاحدون، ويكثر فيه الوقّاتون، ويهلك فيه المستعجلون، وينجو فيه المسلمون.

---

(١) راجع: وفيات الأعيان ٤: ١٧٦ رقم ٥٦٢، وسير أعلام النبلاء ١٣: ١١٩ رقم ٦٠، وتاريخ أبي الفداء ٢: ٤٥ ذكر خلع المعتزّ وموته.

(٢) الإرشاد، للمفيد ٢: ٣٨٣ سيرة القائم عليه السلام عند قيامه.

ولـهعليه السلام قبـل قيامـه غيبتـان: صـغرى، وكبـرى، إحـداهما أطـول مـن الأُخرى، جاءت بذلك الأخبار، فأما الصـغرى منهـا فمنـذ وقـت مولـدهعليه السلام إلى انقطاع السفارة بينه وبين شيعته، وأمـا الكبـرى وهـي بعـد الأُولـى، وفـي آخرها يقوم بالسيف، فيملأ الله عزّ وجلّ به الأرض قسطاً وعدلاً كمـا ملئـت ظلماً وجوراً»[(١)].

وكانـت غيبتـهعليه السلام فـي زمـن المعتمـد ابـن المتوكّـل، وقيـل: فـي زمـن المعتضد ابن الموفّق ابن المتوكّل العباسي.

وكان وكيلهعليه السلام في غيبته عثمان بن سعيد، فلمّا مات عثمـان بـن سـعيد أوصى إلى ابنه أبو جعفر محمّـد بـن عثمـان، وأوصـى أبـو جعفـر إلـى أبـي القاسم الحسين بن روح، وأوصى أبو القاسم إلى أبي الحسن علي بن محمّد السمري رضي الله عنه، فلمّا حضرت السمّري رضي الله عنه الوفاة سُئل أن يوصي فقال: لله أمـر هو بالغه، فالغيبة التامة هي التي وقعت بعد مضيّ السمري رضي الله عنه[(٢)].

وهذا آخر ما يجـري بـه اليـراع، وتنثنـي عليـه العضـد والـذراع، ختمتـه حامـداً لله ربّ العـالمين، وراجيـاً مـن فضـله أن يجعلنـي مـن أنصـار حجّتـه والقائم بدينه، ومـن أعوانـه والشـهداء تحـت لوائـه، وأن يقـرّ عينـي وعيـون والدي وإخواني وأصحابي وعشيرتي وجميع المؤمنين برؤيتـه، وأن يكحـل

---

(١) الإرشاد، للمفيد ٢: ٣٤٠ تاريخ الإمام المهـديعليه السلام، كمـال الـدين، للصـدوق: ٣٧٦ حـديث٧ الباب٣٥ ما أخبر به الرضاعليه السلام من وقوع الغيبة.

(٢) المصدر السابق: ٤٣٢ حديث١٢ الباب ٤٢ ما روي في ميلاد القائمعليه السلام.

عيوننا بغبار مواكب أصحابه، والحمد لله أولاً وآخراً، وصلّى الله على خاتم الأنبياء والمرسلين محمّد وأهل بيته الطيبين الطاهرين[1].

---

(١) وردت في آخر الكتاب هنا عبارة اعتذار من المؤلّف عن كثرة الأخطاء المطبعيّة التي وردت فيه وهي:

بيان

أُقدّم لحضرات القرّاء الكرام الاعتذار مشفوعاً بمزيد الأسف، عمّا وقع في هذا الكتاب من التصحيف والتحريف والغلط الذي لا يُحصى ولا يُستقصى، وما ذلك إلّا لجهل الناسخ والمصحّح والمرتّب باللغة العربية في هذه الديار الهنديّة، ثلاث عقبات كأداء، اجتازها الكتاب، قنعنا فيها بحياته ونجاته عن المطالبة بحسن اُسلوبه وصحّة ترتيبه، مصيبة لا يعرفها إلّا من قدّر له سوء الطالع أن يطبع كتاباً في الهند (هنود بليت بهم أو هم بلو بي).

فغلطوا حتّى في جدول الصحيح والغلط، وصحّحوا الصحيح بالغلط والصحيح، وأطلقوا الكتاب من قيد الأعراب، جرياً على طريقة الباب، وممّا زاد في الطين بلّة والصدر غلّة ما وضعته يد الأعلال في أيدينا وأرجلنا من الأغلال عن تتبّع خطاهم السريعة في الخطأ، إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

على أنّ لي في كرم القرّاء الكرام ما يجعلني اُمنّي النفس أن يشملوه بعين الرضى فيتجافوا عن النظر بغلطاته وهفواته، سيّما إذا نظروا إلى ما كنت عليه من تحمّل أعباء السفر وتشتّت الفكر بالعلل والغير، وقد قال الله عزّ من قائل: ﴿**فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ**﴾.

ولكن الظروف والأحوال أوجبت المبادرة لقمع أهل الضلال، وعسى أن أتوفّق لإعادة طبعه في زمن آتي وغير هذا البلد، مصحّحاً مهذّباً مصحوباً بجزء ثالث في أسباب العداء بين بني هاشم وبين بني أميّة، وما انتجته السياسة الحسينيّة، والله الموفق للخير والصواب.

الفهرس

دليل الكتاب ٥

(٩) الكلمات التامّات في المظاهر العزائيّة لسيّد الشهداءعليه السلام.................. ٧

كلمة حول النهضة الحسينيّة: ٩

كلمة في التمثيل.. ٢٢

كلمة في تشبيه النساء... ٤٣

كلمة حول الضرب بالطبول، ودقّ الصنوج، ونفخ الأبواق ٦١

الضرب بالطبل ٦٢

الضرب بالصنوج ٧٠

النفخ بالأبواق.. ٧٣

كلمة حول موكب السيوف.. ٧٤

فذلكة المقام: تسلّط العبد على إيلام نفسه ٧٩

شق الجيب وخمش الوجه.. ٨١

حرمة إيذاء النفس.. ٨٢

الردّ على مؤلّف كتاب «الدين والشؤون» ٨٩

تقريب: زيارة الحسين عليه السلام مع الخوف... ٩٤

كلمة في مواكب اللَّطْم واللَّدْم ٩٩
الردّ على قول مؤلّف كتاب «الدين والشؤون» بإنّ اللطم يورث داء القلب والرئة ١٠٣
اللطم والنداء من شعار الجاهليّة ١٠٥
ذمّ الشريعة للجزع..١٠٨
كلمة حول تفريق الشموع..١٢٠
كلمة حول الضرب بالسلاسل..١٢٢
كلمة حول الاحتفال بمقتل الحسين عليه السلام..١٢٣
(١٠) الآيات البيّنات في قمع البدع والضلالات «المواكب الحسينيّة»...١٢٥
كلمة جامع هذه الرسائل وناشرها ١٢٧
نصّ السؤال الأوّل الموّجه للمؤلّف عن بعض الشعائر الحسينيّة....................١٣٢
بيان حكم الشعائر الحسينيّة..١٣٥
تمثيل واقعة الطفّ..١٣٧
وصيّة المؤلّف للمؤمنين في كيفية إقامة الشعائر الحسينيّة..........................١٣٩
اللطم واللدم..١٤٤
ضرب الرؤوس والظهور بالسيوف والسلاسل ١٥٥
ضرب الطبول ونفخ الأبواق وقرع الطوس ١٥٥
الشبيه ومواكب التمثيل ١٥٥
فذلكة المقام وخلاصة الفتوى..١٦٠
محاضرة زاهرة وكلمات باهرة..١٦٤

(١١) الأنوار الحسينيّة والشعائر الإسلاميّة ١٧٥
الإهداء ١٨٠
المقدّمة ١٨٠
ردّ المؤلّف على صحيفتي «حبل المتين» و «الإبلاغ» الفارسيتين الصادرتين في الهند...١٨٠
نصّ عبارة الصحيفة الأولى في الاستشكال على الشعائر الحسينيّة ١٨٢
ردّ المؤلّف على تلك الصحيفة ١٨٣
تذكرة النصح ١٩١
هل البكاء مضرّ للعين؟..١٩٨
أقوال الأطباء في ضرورة بكاء العين...١٩٩
ردّ ادّعاء: أنّ اللطم مؤثّر للأمراض ٢٠١
المنع من تفسير القرآن بالرأي ٢٠٢
اللطم واللدم والبكاء والجزع ٢٠٦
أدّلة استحباب البكاء على الحسين عليه السلام ٢٠٦
بلدة سرنديب في الهند ٢١٦
أدّلة استحباب البكاء والعزاء للإمام الحسين عليه السلام.............................٢١٧
كلام الدكتور جوزف الفرنسي عن الشعائر الحسينيّة ٢٣٤
ابتداء السلطنة الصفوية ٢٣٥
كلام المسيو ماريين الألماني ٢٣٨
بعض أفكار محمّد بن عبدالوهاب ٢٤٣
استحباب إحياء أمر أهل البيت عليهم السلام ٢٤٥

شعر الشافعي في مدح أهل البيتعليهم السلام..٢٤٦
شعر سليمان بن قتة في الحسينعليه السلام..٢٤٩
تفسير قوله تعالى «كهيعص»...٢٥٠
بكاء السماء دماً على يحيى بن زكريا والإمام الحسينعليه السلام ٢٥١
قصة النبي إرميا وبختنصر..٢٥٤
معنى كلمة بغداد..٢٥٨
ردّ عتيق من المؤلّف على تلك الجريدة ٢٦٠
المراقد المهدومة في مكّة ومايليها والبقيع وما يليه.......................................٢٦٥
(١١) الأنوار الحسينيّة والشعائر الإسلاميّة الجزء الثاني.........................٢٧٧
القول في خروج مواكب اللطم في الشوارع ٢٧٩
تفسير آية المودّة...٢٨٠
الشعائر الحسينيّة أحد مصاديق آية المودّة ٢٨٢
استهزاء المخالفين بالشعائر الحسينيّة...٢٨٤
قصة رسول ملك الروم في مجلس يزيد ٢٨٨
أبيات شعر للشافعي في مدح أهل البيتعليهم السلام ٢٩٠
أسرار ومنافع الدعوة الحسينيّة...٢٩٣
تاريخ الوهابيّة وآل سعود...٢٩٨
كتاب الأمان لأهل مكّة من آل سعود ٣٠١
ترجمة آل الرشيد..٣١٣
العودة للبحث في مسائل الشعائر الحسينيّة..٣١٣
ردّ المؤلّف على جريدة حبل المتين ٣١٧

دعوى الإسراف والتبذير في مأتم الحسين عليه السلام ٣١٨
ترجمة الشاعر الإيراني سعدي..٣١٨
ترجمة الشاعر الطغرائي...٣١٨
بيان معنى التبذير ٣٢٢
نبذة مختصري عن البابيّة...٣٢٧
قصة قرّة العين ٣٢٩
نبذة مختصرة عن البهائيّة..٣٣٢
ضرب الطبول وصدح الأبواق وقرع الطوس ٣٣٩
ضرب الرؤوس بالسيوف والقامات والظهور بالسلاسل ٣٤٢
الشبيه والتمثيل ٣٥٥
كلام الميرزا النائيني حول الشعائر الحسينيّة ٣٦٤
كلام الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء حول الشعائر الحسينيّة..................٣٦٦
بعض الأدلّة التقليديّة في إثبات المطلوب..٣٦٩
نسب آل أُمية ٣٧١
جرائم يزيد بن معاوية...٣٧٣
أقوال وأشعار يزيد بن معاوية التي تدلّ على كفره ٣٧٥
إقامة الشعائر الحسينيّة في بلدة جي نگر في الهند......................................٣٨٠
مملكة گواليا...٣٨٤
أقامة مأتم الحسين عليه السلام في مملكة أوده ٣٨٩
أقامة مأتم الحسين عليه السلام في مملكة رامپور ٣٩٤
ظهور التشيّع في دكن في سالف الزمن ٣٩٨

القطب شاهية ٣٩٩
العادل شاهيّة ٤٠٠
النظام شاهيّة..٤٠٤
مرض عبد القادر ورؤيا نظام شاه وقصّة اللحاف ٤٠٥
تشيّع غازانخان سطان إيران..٤١٣
الخطبة الزينبيّة..٤١٨
(١١) الأنوار الحسينية والشعائر الإسلاميّة(ملحق)..٤٢٥
النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله..٤٢٨
نسبه الطاهر الشريف..٤٢٩
في أحواله وتواريخه صلى الله عليه وآله..٤٣١
محلّ ولادته صلى الله عليه وآله..٤٣٢
زمان بعثته واقتضاء الوقت إليه ٤٣٣
بشائر الأنبياء به صلى الله عليه وآله..٤٣٤
تجارته صلى الله عليه وآله..٤٤٢
نزول الوحي عليه صلى الله عليه وآله..٤٤٣
معجزاته صلى الله عليه وآله..٤٤٣
شمائله صلى الله عليه وآله..٤٤٦
أسماؤه صلى الله عليه وآله..٤٤٦
ألقابه صلى الله عليه وآله..٤٤٧
كُناه وذكر أولاده صلى الله عليه وآله..٤٤٧
ذكر خُلقه صلى الله عليه وآله..٤٤٨

صفاته ﷺ..٤٤٩

شجاعته ﷺ..٤٤٩

عدد غزواته ﷺ..٤٤٩

ذكر زوجاته ﷺ..٤٥٠

حجّة الوداع:..٤٥١

وفاة رسول الله ﷺ..٤٥٤

سرّ كالشمس والقمر في عدد الأئمة الاثني عشر عليهم السلام..................................٤٥٦

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم.............................٤٦١

ذكر شيء من أسمائه عليه السلام...٤٦٢

ذكر شيء من كُناه عليه السلام:..٤٦٣

ذكر شيء من ألقابه عليه السلام:...٤٦٣

ذكر شيء من فضائله عليه السلام:..٤٦٤

أولاده وأزواجه عليه السلام:...٤٦٥

مجمل سيرة حياته إلى وفاته عليه السلام:..٤٦٧

محلّ قبره عليه السلام:..٤٦٧

الزهراء البتول عليها السلام..٤٦٩

ذكر شيء من أسمائها وكنيتها وأولادها...٤٦٩

فضلها وكرامتها على أبيها ﷺ...٤٧٠

وفاتها ومحلّ قبرها عليها السلام:..٤٧١

الحسنان عليهما السلام...٤٧٢

في فضلهما وكرامتهما على جدّهما عليهما السلام...٤٧٣

ذكر شيء من أسماء الإمام حسن عليه السلام وألقابه عليه السلام.......................................٤٧٤
أزواجه وأولاده عليه السلام...٤٧٥
وفاته عليه السلام...٤٧٥
الحسين الشهيد ثالث الأئمة عليهم السلام ٤٧٦
ولادته عليه السلام ٤٧٧
كنيته وألقابه عليه السلام...٤٧٧
أولاده وأزواجه عليه السلام ٤٧٧
مجمل سيرة حياته إلى وفاته عليه السلام..٤٧٨
الإمام السجّاد رابع الأئمّة عليهم السلام..٤٨١
علي بن الحسين بن أبي طالب عليه السلام ٤٨١
أولاده وأزواجه:...٤٨٢
مجمل سيرة حياته إلى وفاته عليه السلام..٤٨٢
الإمام الباقر خامس الأئمّة عليهم السلام ٤٨٣
مجمل سيرة حياته إلى وفاته عليه السلام..٤٨٣
الإمام الصادق سادس الأئمّة عليهم السلام ٤٨٥
مجمل سيرة حياته إلى وفاته عليه السلام..٤٨٥
الإمام الكاظم سابع الأئمة عليهم السلام...٤٨٧
مجمل سيرة حياته إلى وفاته عليه السلام..٤٨٨
الإمام الرضا ثامن الأئمّة عليهم السلام ٤٩٠
مجمل سيرة حياته إلى وفاته عليه السلام..٤٩١
الإمام التقي تاسع الأئمّة عليهم السلام ٤٩٣

الفهرس ٥١١

مجمل سيرة حياته إلى وفاته عليه السلام ٤٩٣
الإمام النقي عاشر الأئمّة عليهم السلام ٤٩٥
مجمل سيرة حياته إلى وفاته عليه السلام ٤٩٦
الإمام العسكري حادي عشر الأئمّة عليهم السلام ٤٩٧
مجمل سيرة حياته إلى وفاته عليه السلام ٤٩٧
خاتم الأئمّة الاثني عشر أبو القاسم محمّد المنتظر عليه السلام ٤٩٩
الفهرس ٥٠٣